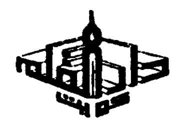
حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر

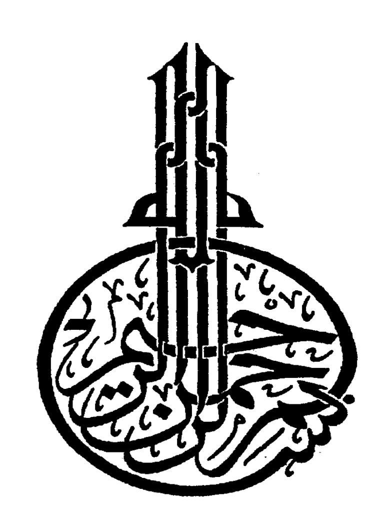
دراسة إسلامية نقدية

مثنى أمين الكردستاني

تقديم

أ.د. محمد عمارة

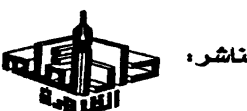



بسم الله الرحمن الرحيم

حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر

دراسة إسلامية نقدية

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الناشر: 
دار القلم للنشر والتوزيع
٣٦ شارع القصر العيني – ص . ب : ٦٥ مجلس الشعب – القاهرة
تليفاكس / ٧٩٥١١٠٥ – محمول : ٠١٠١٤٦٩٠٤٥

ملتزم التوزيع: 
دار القلم للنشر والتوزيع
شارع السور . عمارة السور . الدور الأول شقة ٨ . ص.ب ٢٠١٤٦ الصفاة
هاتف : ٢٤٥٧٤٠٧ / ٢٤٥٨٤٧٨ . فاكس : ٢٤٢٥١٦٠

شكر وتقدير

* لوالدي اللذين ربياني صغيرا

* لكل من علمني حرفاً وأرشدني إلى هدى

*لأم جراخان التي ساهمت مشاركاتها وأسئلتها في تعميق البحث

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى مجلس أمناء كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في دهوك في كردستان العراق، والندوة العالمية للشباب الإسلامي والدكتور خالد العجيمي والدكتور مصطفى مسلم وغيرهما ممن ذللوا لنا سبل التعليم العالي، وكذا كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان تقديرا وعرفانا..

والشكر للإخوة والأخوات في اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل ودار القلم لرعايتهم واهتمامهم بالبحث. وخصوصا الباحث المجد الصحفي أ. رضا عبد الودود.



تقديم

تحرير المرأة بين العقل والجنون

(١)

إن الفارق بين الدعوة إلى تحرير المرأة وإنصافها، والحركات التي عملت على هذا التحرير والإنصاف -سواءا فى البلاد الغربية أو الشرقية- وبين النزعة الأنثوية المتطرفة (Feminism) التي تبلورت فى الغرب فى ستينات القرن العشرين ، والتي تقلدها قلة قليلة من النساء الشرقيات.. إن الفارق بين هاتين الدعوتين والحركتين وفلسفتهما ومطالبهما هو الفارق بين العقل والجنون!..

فأقصى ما طمحت إليه دعوات وحركات تحرير المرأة، هو إنصافها.. من الغبن الاجتماعي والتاريخي الذي لحق بها، والذي عانت منه أكثر كثيرا مما عانى منه الرجال.. إنصافها، مع الحفاظ على فطرة التميز بين الأنوثة والذكورة، وتمايز توزيع العمل وتكامله في الأسرة والمجتمع، على النحو الذي يحقق مساواة الشقين المتكاملين بين الرجال والنساء.. وذلك حفاظا على شوق كل جنس إلى الآخر، واحتياجه اليه، وأنسه بما فيه من تمايز ، الأمر الذي بدونه لن يسعد أي من الجنسين فى هذه الحياة.

ولقد كانت الدعوة الغربية إلى تحرير المرأة- منذ القرن التاسع عشر- أثر من آثار الحداثة الغربية، التي أرادت تجاوز التراث الفلسفي والاجتماعي والقانوني الغربي، المعادي للمرأة والمحقر لشأنها.. مع التأويل للتراث الديني الغربي -اليهودي والنصراني- المعادي

لـــلمرأة.. وذلـــك دون إعلان للحرب على الدين ذاته، ولا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها عندما خلقهم ذكرانا وإناثا.. وأيضا دون إعلان للحرب على الرجال.

أمـــا النزعـــة الأنثوية المتطرفة (Feminism) التي تبلورت فى ستينات القرن العشرين فإنها أثر من آثار "ما بعد الحداثة" الغربية، تحمل كل معالم تطرفها الذي بلغ بها حد الفوضوية والعدمية واللا أدرية والعبثية والتفكيك لكل الأنساق الفكرية الحديثة التي حاولـــت تحقـــيق قدرٍ من اليقين الذي يُعوض الإنسان عن طُمأنينة الإيمان الديني، التي هدمتها الحداثة بالعلمانية والمادية والوضعيةٰ منذ عصر التنوير الغربي العلماني..

لذلك، كانت النزعة الأنثوية المتطرفة هذه "ثورة – فوضوية"، تجاوزت وغايرت "ثـــورات الإصـــلاح".. وكانت حربا على "الفطرة السوية،، بما في ذلك فطرة الأنوثة ذاتها!..

لقـــد تبنـــت هذه النزعة الأنثوية مبدأ الصراع بين الجنسين –الإناث والذكور– انطلاقـــا من دعوى أن العداء والصراع هما أصل العلاقة بينهما.. ودعت إلى ثورة على الدين.. وعلى الله.. وعلى اللغة.. والثقافة.. والتاريخ.. والعادات والتقاليد والأعراف، بتعميم وإطلاق!.. وسعت إلى عالم تتمحور فيه الأُنثى حول ذاتها، مستقلة استقلالا كاملا عـــن عالم الرجال.. وفى سبيل تحقيق ذلك، دعت إلى الشذوذ السافر بين النساء ، وإلى "التحرر الانحلالى"، وبلغت فى الإغراب مبلغا لا يعرف الحدود!.. الأمر الذي جعل هذه النزعة الأنثوية المتطرفة كارثة على الأنوثة، ووبالاً على المرأة، وعلى الاجتماع الإنساني بوجـــه عام.. بل وجعلها –إذا انتصرت وعمت– مهددة للوجود الإنساني.. نعم، حتى للوجود الإنساني ذاته!..

وكـــي لا يظن الذين لا يعلمون أن هناك مبالغة فى التصوير.. وكي لا ندع مجالا لـــتمويه المموهـــين .. فـــيكفي أن نقـــدم نماذج شاهدة ومبررة من مقولات وشعارات وفلسفات هذه الحركات الأنثوية المتطرفة.

● فـــأب النزعـــة الأنثوية الفرنسية –الاشتراكي الفرنسي– "فورييه" (١٧٧٢–١٨٣٧م) قـــد دعـــا إلى "تحريـــر المرأة على كل الأصعدة: البيتي.. والمهني.. والمدني.. والجنسي.. وقال: إن العائلة تكاد تشكل سدا فى وجه التقدم"!..

● وفيلسوف هذه النزعة "ماركيوز– هربرت" (١٨٩٨–١٩٧٩م) قد جعل من أسس "نظريته النقدية": "التأكيد على انعتاق الغرائز الجنسية، وإطلاق الحرية الجنسية بلا حـــدود، ســـواءا مـــن ناحية الكم أو الكيف، أي حق حرية الشذوذ .. بل وتمجيده ، باعتـــباره ثورة وتمردا ضد قمع الجنس، وضد مؤسسات القمع الجنسي.. معتبرا التحرر الجنسي عنصرا مكملا ومتممًا لعملية التحرر الاجتماعي.. ورافضًا ربط الجنس بالتناسل والإنجاب"!..

● كمـــا رفضـــت هذه النزعة ربط الممارسة الجنسية بالأخلاق، فقال "فوكو – ميشـــيل" (١٩٢٦–١٩٨٤م): "لمـــاذا يجعل السلوك الجنسي مسألة أخلاقية، ومسألة أخلاقية مهمة؟!"

● أمـــا فيلســـوفة هذه النزعة الأنثوية –الكاتبة الوجودية –"سيمون دي بوفوار" (١٩٠٨–١٩٨٦م) فلقـــد اعتـــبرت "الـــزواج السجن الأبدي للمرأة، يقطع آمالها وأحلامهـــا!" واعتـــبرت "مؤسسة الزواج مؤسسة لقهر المرأة، يجب هدمها وإلغاؤها!" وأنكـــرت أي تمييز طبيعي للمرأة عن الرجل "فلا يولد المرء امرأة ، بل يصير كذلك.. وسلوك المرأة لا تفرضه عليها هورموناتها ولا تكون دماغها، بل هو نتيجة لوضعها.."!

وجعلت من الدين ومن الألوهية عدوا لهذه الفلسفة الأنثوية "فالدين -برأيها- كان محايدا عندما لم يكن للآلهة جنس، ثم انحاز الدين للمرأة عندما أصبحت الآلهة إناثا، ثم تحول إلى عدو للمرأة بسبب التفسيرات الذكورية للدين"!

ولقد نجحت هذه الحركات الأنثوية الغربية في الضغط على المؤسسات الدينية الغربية -تلك التي خانت رسالتها- حتى أصدرت في ١٩٩٤م طبعة جديدة من العهدين القديم والجديد، سميت "الطبعة المصححة"، تم فيها تغيير المصطلحات والضمائر المذكرة وتحويلها إلى ضمائر محايدة!..

● ولقد تبلورت لهذه النزعة الأنثوية المتطرفة معالم فلسفتها التي تقرر:

"أن المرأة مالكة لجسدها.. وحرة فيه، تتصرف فيه جنسيا مع من تشاء، ووفق ما تشاء "بما في ذلك حرية التصرف في الجنين- بالاجهاض- لأنه جزءٌ من جسدها.. فالتعبير الحر عن الجنس هو جزء من الحرية، حتى لو اتخذ شكل الشذوذ السحاقي.. وحتى لو اتخذ شكل احتراف البغاء ، طالما خلا هذا الاحتراف للبغاء من الاستغلال التجاري!..

كما تقرر هذه الفلسفة "أن الغيرة عاطفة برجوازية ينبغي التخلص منها"!.. و"أن الحياء مرض يجب العلاج منه"!.. و"أن العفة تخلف وكبتٌ للحرية الجنسية"!.. ولابد من تجريد الحب من أية ضوابط .. باستثناء العاطفة والشهوة!..

ورأت هذه الفلسفة في "الأمومة: قوالب جامدة وجائرة، لأنها لا تحقق للمرأة عائدا ماديا"!.. ورأت في "الإنجاب عبودية للمرأة.. تسميها "سيمون دي بوفوار" "عبودية التناسل"!..

ودعــت هذه الفلسفة الأنثوية إلى "حرية الاقتران وحرية الافتراق في أي لحظة، وذلــك بــين أي فردين مثلين أو مختلفين!.." وإلى جعل "تربية الأطفال مسئولية الدولة والمجــتمع، لا المرأة والأسرة"!.. ووصلت هذه النزعة إلى الحد الذي قامت فيه منظمات أنثوية امريكية اسمها : "حركة تقطيع أوصال الرجال"!..

* * *

وإذا كانــت هــذه الفلسفات والأفكار والدعاوي قد بلغت في الإغراب الشاذ والشذوذ الغريب هذا الحد الذي رأيناه.. فإن الأمر الأكثر شذوذا وإغرابا، هو السيطرة والانتشار اللذين حققتهما هذه النزعة الأنثوية المتطرفة فى المجتمعات الغربية خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين..

فــ ٦٠% من أعضاء المنظمات الأنثوية فى أمريكا سُحاقيات!.. وهذه المنظمات الأمريكــية -وأمــثالها فى الغرب- هي المسيطرة على لجنة المرأة فى الأمم المتحدة، ومن خلالها فرضت وتفرض شذوذها الفكري والسلوكي على العالم أجمع، من خلال المواثيق "الدولــية" الــتي تُعَوْلَــم تحت علم مؤتمرات المنظمة الدولية -من وثيقة مؤتمر السكان ١٩٩٤م.. إلى وثيقة مؤتمر بكين ١٩٩٥م.. إلى وثيقة مؤتمر المرأة ٢٠٠٠م.. إلى وثيقة الطفل.. ووثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW).

وكما تقول الاستاذة الأمريكية "كاثرين فورت": "إن المواثيق والاتفاقات الدولية التي تخص المرأة والأسرة والسكان .. تصاغ الآن فى وكالات ولجان تُسيطر عليها فئات ثلاثة: "الأنثوية المتطرفة" و (أعداء الإنجاب والسكان) و(الشاذون والشاذات جنسيا).. وإن لجنة المرأة فى الأمم المتحدة شكلتها امرأة اسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح، ورفض الأسرة، وكانت تعتبر الزواج قيدا، وأن الحرية الشخصية لابد أن تكون مطلقة.. ولقــد انعكس هذا المفهوم "للحرية" فى المواثيق التي صدرت عن هذه اللجنة، فالتوقيع

عـــلى اتفاقـــية الــــ CEDAW يجعل معارضة الشذوذ الجنسي –حتى ولو برسم كاريكـــاتورى– عملا يعرض صاحبها للمساءلة القانونية، لكون هذه المعارضة مُعارضة لحقوق الإنسان"!..

وبعبارة الأستاذ الأمريكى "ريتشارد ويلكنز": "فإنه بموجب اتفاقية الأمم المتحدة لحقـــوق الطفل، فإن للأطفال حرية التعبير ، وحرية التعبير الجنسي" ولذلك، فمن ينكر حـــق الطفل فى ممارسة الجنس مع الكبار لا ينتهك حقوق الأطفال فحسب، بل ينتهك حقـــوق الكبار أيضا!.. ولقد أصبح الاعتراف القانونى بحرية الشذوذ الجنسي شرطًا من شـــروط الدخول إلى الاتحاد الأوربي.. وهو ضمن الشروط المطلوب من تركيا المسلمة تحقيقها"!..

ولقـــد سارت مظاهرات فى عواصم الغرب تندد بمصر لمحاكمتها بعض الشواذ.. وطالبـــت برلمانات عدة فى تلك العواصم وخاصة فى أمريكا وألمانيا– بقطع المعونات عن مصر بسبب ذلك الموقف من الشذوذ والشواذ!..

ووفق هذه المواثيق التى فرضتها هذه الحركات الأنثوية المتطرفة على العالم، أصبح مـــن حق المراهقين والمراهقات ممارسة الشذوذ الجنسي، والإتيان بالرفقاء والرفيقات إلى المخـــادع، تحت سمع وبصر الوالدين.. ومن يعترض يمكن محاكمته قانونيا فى البلاد التى صدقت على اتفاقية الـــ CEDAW!!..

فـــنحن أمـــام ديـــن جديد لقوم لوط الجدد!.. وكما يقول البروفسير الأمريكي ويلكـــنز :" لا فـــإن المجتمع الغربي قد دخل دوامة الموت، ويريد أن يجر العالم وراءه"!.. وكأنما شعارهم يقول :﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل: ٥٦)

(٢)

يعجب المرء ذو الثقافة الشرقية والتراث الفكري والحضاري الاسلامي، من هذا الانتشـــار الذي حققته الحركة الأنثوية المتطرفة فى المجتمعات الغربية.. ومن شُيوع هذا الجـــنون الانحلالي الذي بشرت به ودعت إليه هذه الحركة حتى أن نسبة السحاقيات فى (المنظمة الوطنية للنساء) -بأمريكا- وهي كُبرى المنظمات النسائية -تصل إلى ٦٠% من عضواتها!..

ويـــتزايد عجب المثقف الشرقي من تحول هذه النزعة الشاذة -فكريا وسلوكيا- إلى قسمة بارزة فى مشروع الهيمنة الغربية على العالم. فحرية الشذوذ عُدت جزءًا أصيلا من المفاهيم الغربية لحقوق الإنسان ، يفرضها الغرب على العالم.. والحرية الجنسية عدت كذلك جزءا من حق الإنسان فى الحرية..

بـــل إن السحاقيات قد سيطرن على لجنة المرأة فى الأمم المتحدة، وبدأت مرحلة عولمـــة هذه الفلسفة الفوضوية الشاذة فى مواثيق دولية، يفرضها مشروع الهيمنة الغربية عـــلى العالم، ويقول بعَوْلَمَتِهَا تحت علم الأمم المتحدة.. ويكفي أن نشير إلى أن الوفود النسائية الغربية إلى المؤتمر الدولى للسكان -الذى انعقد بالقاهرة ١٩٩٤م- قد ضمت جمهـــورا مـــن الشاذين والشاذات الذين جاءوا للتظاهر فى شوارع القاهرة الإسلامية، للدعوة إلى حرية الشذوذ ، ولم يمنع تظاهرهم إلا الخوف على حياتهم من جمهور المسلمين المصريين!..

وإذا كانت هذه الوفود الأنثوية المتطرفة قد مُنعت من التظاهر فى شوارع القاهرة، فلقد نجحت فى أن تضمن الوثيقة الصادرة عن المؤتمر الكثير من معالم هذه النزعة الشاذة فى مفاهيم الحرية وحقوق الإنسان..

فدعـــت هذه الوثيقة بإلحاح إلى "تغيير هياكل الأسرة".. أي إلى مصادمة الفطرة التي فطر الله البشر عليها، والتي اجتمعت عليها الديانات -السماوية والوضعية- وكل الثقافات والحضارات .. وذلك حتى تُقنن "لأسر الشاذين والشاذات"، و "أسر الالتقاء الحر بين "الأفراد"!.. وجاء في هذه الوثيقة: "والحكومات والمنظمات الحكومية الدولية" والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التمويل، والمؤسسات البحثية مدعوة بإلحاح -(لاحظ "بإلحاح") - إلى اعطاء أولوية- (لاحظ "أولوية") -للبحوث الحيوية - (لاحظ "الحيوية")- المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية"!..

وبدلا من الجنس الشرعي والمشروع والحلال، دعت هذه الوثيقة إلى تقنين الحرية الجنســية المســئولة، كحــق من حقوق الجسد، يتمتع بها كل الناشطين جنسيا من كل الأجـــناس والأعمـــار، ذكـــرانا وإناثا، حتى البنات والمراهقين والمراهقات!.. "فالصحة التناســلية -الــتي هــي حالة من الرفاهية الجنسية المأمونة، هي حقّ لجميع الأفراد" - (لاحـــظ" الأفراد" وليس "الأزواج"!.. و"ينبغي أن تسعى جميع البلدان إلى القيام بتوفير رعايــة صــحية تناســلية لجمــيع الأفــراد، مـــن جميع الأعمار.. للبنات.. والفتيات ..المــراهقات- وتلبية الحاجات التثقيفية والخدمية للمراهقين كي ما يتمكنوا من التعامل مـــع نشاطهم الجنسي بطريقة إيجابية ومسئولة.. وينبغي أن تكون برامج الرعاية الصحية التناســلية والجنســية مصـــممة لتلبية احتياجات المرأة والفتاة المراهقة.. وأن تصل إلى المراهقين والرجال والبنين والمراهقات، بدعم وإرشاد آبائهم.. ويجب أن توجه الخدمات بدقـــة، وعـــلى الخصوص نحو حاجات فُرادى النساء والمراهقين.. فالمراهقون الناشطون جنسيا يحتاجون نوعا خاصا من المعلومات والمشورة والخدمات فيما يتعلق بتنظيم الأسرة -كمـــا أن المـــراهقات اللاتي يحملن يحتجن إلى دعم خاص من أسرهن ومجتمعهن المحلي خلال فترة الحمل ورعاية الطفولة المبكرة.." !..

فإلى جانب الأسرة -التي سميت تقليدية- والتي رأها النزعة الأنثوية المتطرفة سجنا للمرأة وقيدا على حريتها.. هناك "أشكال الاقتران الأخرى" التي دعت الوثيقة إلى إباحتها وتقنينها .. وهناك "الثورة الجنسية" التي رأت إباحة وتقنين النشاط الجنسي لكل الناشطين جنسيا، من كل الأعمار، بشرط أن يكون مسئولا -لا يفضي إلى الأمراض- وليس مهما أن يكون شرعيا ومشروعا!..

وإذا كان "الزنا المبكر" - للمراهقين والمراهقات - وحق للأطفال- هو حق من حقوق الجسد الإنساني - بنص هذه الوثيقة.. التي فاقت وتفوقت على قوم لوط!.. فلقد ذهبت فى الشذوذ إلى الحد الذي جَرَمَت فيه "الزواج المبكر"!.. فقالت: "إن الهدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة.. وعلى الحكومات أن تزيد السن الأدنى للزواج حيثما اقتضى الأمر.. ولا سيما بإتاحة بدائل تُغني عن الزواج المبكر"!..

فالتحريم هو للزواج المبكر.. والبدائل لهذا الزواج المبكر هو النشاط الجنسي المسئول لكل الناشطين جنسيا من كل الأعمار!

وعلى دَرْب مصادمة الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها، والتي ارتضتها وسعدت بها الإنسانية عبر تاريخها، على اختلاف الديانات والثقافات والحضارات.. فطرة تكامل عمل المرأة والرجل فى الأسرة والمجتمع.. ذهبت وثيقة مؤتمر السكان إلى إدانة عمل المرأة فى الأسرة، لأنها "أنشطة اقتصادية غير مدفوعة الأجر تضطلع بها المرأة والأسرة"!.. وفى ذات الوقت دعت هذه الوثيقة "إلى اشتراك المرأة فى جميع جوانب الإنتاج، والعمالة، والأنشطة المدرة للدخل"!.. بل ودعت إلى دمج الرجل فى المنزل، ودمج المرأة فى المجتمع، فقالت هذه الوثيقة: "ويتعين على الزعماء الوطنيين والمجتمعيين أن يشجعوا مشاركة الرجال الكاملة فى حياة الأسرة ، بما فى ذلك تنظيم الأسرة وتربية

الأطفـــال والعمـــل المنزلي .. وإدماج المرأة بشكل تام فى الحياة المجتمعية، مع تخففها من مسئوليات العمل المنزلي"!!..

* * *

ونعـــم.. يعجب المرء ذو الثقافة الشرقية والتراث الفكري والحضاري الإسلامي، مـــن ســـيطرة هذا الشذوذ الفكري والسلوكي على المجتمعات الغربية –وهي مجتمعات زاخـــرة بالعـــباقرة والعقلاء والحكماء –ومن تمكن الحركات الأنثوية المتطرفة من بعث وتقـــنين "مذهـــب اللذة والشهوة"، والسعي إلى عولمته ، وفرضه على العالم، كجزء من حقوق الإنسان..

لكـــن .. يبدو –وهذا من باب التفسير لا التبرير– أن تراث الحضارة الغربية فى هـــذا الـــباب كـــان عونا لهذه النزعة الأنثوية المتطرفة على الإغراق والإغراب فى هذا الميدان.. واختلاف هذا التراث الغربي –فى مذهب اللذة– عن تراثنا الشرقي والإسلامي –فى العفـــة– هـــو الـــذي يصيب العقل الشرقي والإسلامي بهذا القدر من الاستغراب والتعجب إزاء هذه الأفكار وهذا السلوك..

إن للغـــرب تراثا قديما فى مذهب اللذة والإباحية والشذوذ، عرف واشتهر منذ الفيلسوف اليونانى "أبيقور" (٣٤٣–٢٧٠ ق.م) الذي أعلن أن "الخير هو اللذيذ.. وأي فعل يعتبر خيرا بمقدار ما يحقق لنا من لذة"!..

ولقـــد أدرك جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤–١٣١٤هـــ ١٨٣٨–١٨٩٧م) – بعبقريـــته الإســـلامية– أن التنوير الغربي – وخاصة عند فلاسفته "فولتير" (١٦٩٤–١٧٨٨م) و "روســـو" (١٧١٢–١٧٧٨م) هـــو بعثٌ جديد لمذهب اللذة الأبيقوري القديم، وإحياء للدهرية والإلحاد فى مواجهة الدين والإيمان.. فقال عن هذين الفيلسوفين

التنويريين: "إنهما نبشا قبر "أبيقور" الكلبي، وأحييا ما بلي من عظام الدهريين، ونبذا كل تكليف ديني، وغرسا بذور الإباحية والاشتراك . وزعما أن الآداب الإلهية جَبْليّات خرافية، كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص العقل الإنساني"..

وهذا الذي بعثه وأحياه التنوير الوضعى المادي الغربي -فى اللذة والإباحية- هو الذي رأيناه ونراه عند النزعة الأنثوية المتطرفة، التي صعدت موجتها المجنونة مع "ما بعد الحداثة"، منذ ستينيات القرن العشرين..

وفى إطار التراث الغربي الحديث لمذهب اللذة والإباحية هذا، نقرأ قول الفيلسوف الانجليزي "هوبز" (١٥٨٨-١٦٧٩م): "إن ما يسعد الإنسان ويسره هو الخير، وإن ما يؤلمه هو الشر"!.... ونقرأ قول "فوكو ميشيل" (١٩٢٦-١٩٨٤م) - وهو من فلاسفة ما بعد الحداثة -: "تُستخلص الحقيقة من اللذة .. وتشكل اللذة غاية بذاتها، فهي لا تخضع لا للمتعة ولا للأخلاق ولا لأية حقيقة علمية"!.. ونقرأ قول "أنجلز" (١٨٢٠-١٨٩٥م) -فيلسوف الشيوعية الجنسية والاقتصادية-: "إن الزواج والأسرة باقيان مدة تأجج الحب الجنسي الفردي .. وحين يستنفد الميل استنفادا كاملا، أو حين يحل محله حبٌ جديد مشبوب بالعاطفة، يغدو الطلاق عملا حسنا بالنسبة للطرفين، كما بالنسبة للمجتمع.. وإن الشيوعية سوف تحول العلاقات بين الجنسين إلى مجرد علاقات شخصية، لا تعني أحدا سوى الأشخاص المرتبطين بها، ولا يكون من حق المجتمع أن يتدخل فيها، ويتحقق هذا التحول يوم يلغي النظام الشيوعى الملكية الفردية، ويشرع بتربية الأطفال تربية جماعية، فيقوض دعائم مؤسسة الزواج الحالية"!..

ونقرأ فى إطار تراث اللذة والإباحية هذا -أيضا- كلمات المفكر الألماني "أجست ببيل" (١٨٤٠-١٩١٣م): "إن اشباع الغريزة الجنسية مسألة شخصية تماما، شأنها شأن إشباع أى غريزة أخرى، فلا أحد يحاسب عليها أمام الآخرين ، ولا يملك قاض غير

مفـــوض حق التدخل فيها، إن مسألة ما سآكله، وكيف سأشرب وأنام وألبس، هي من شئوني الخاصة، وكذلك الحال بالنسبة لمضاجعتي لشخص من الجنس الآخر"!..

ونقـــرأ كذلـــك كـــلمات "إيجـــور شافاريفتش" –التي تصف دور الاشتراكية والشـــيوعية الأوربية فى تحطيم الأسرة، وفى الإباحية الجنسية –: "إن العملية الاشتراكية إلزامـــية لـــتجانس المجـــتمع تهدف أصلا لإفساد الأسرة وتحطيمها، ولن يكون ذلك إلا بتدنـــيس الحب الزيجي وتهشيم آحاديته (رجل واحد مع امرأة) ، ومن هنا فإن الحركات الاشتراكية تسعى فى مرحلة التبشير إلى التأكيد على حرية الجنس.. وهذه قمة التساوي أو المساواة"!..

وإذا كانـــت فوضوية ما بعد الحداثة قد اقترنت بفوضوية الإباحية الجنسية ، منذ ستينات القرن العشرين، فإن لهذه الفوضوية تراثا أوروبيا، نجده عند فلاسفة هذه النزعة، ومـــنهم "بـــاكونين" (١٨١٤–١٨٧٦م) الذي قال: "إن الدين :جنون جماعي!.. وإن الكنيسة : حانة سماوية للتخدير وأخذ المسكنات"!..

هكذا وجدت النزعة الأنثوية المتطرفة لمذهبها فى اللذة والإباحية والشذوذ، تراثا غربيا، انطلقت منه على هذا الطريق، دونما قيود أو حدود.. والمصيبة الكبرى أنها تسعى لتعميم هذا البلاء على الحضارات ذات المواريث المختلفة عن مواريث الغربيين!..

(٣)

فى تفســـير النزعـــة الصـــراعية، التي اتخذتها الحركة الأنثوية المتطرفة الغربية ضد الرجل، حتى لقد طمعت فى عالم بلا رجال!.. وأطلقت إحدى المنظمات على نفسها اسم "حـــركة تقطـــيع أوصـــال الرجال" !.. معتبرة الرجل مستعمرا للمرأة، يعاملها معاملة الأبـــيض الغربي للزنجية!.. إذا ذهبنا إلى تفسير هذه النزعة الصراعية المتطرفة –دون أي

تبرير لها- فلابد وأن نضع فى الحسبان تراث النزعة الصراعية التي ميزت الحضارة الغربية وفلسفاقما ونظرياقما الأساسية..

● فلسفة السياسة عند "ماكيافيللى" (١٤٦٩-١٥٢٧م) هي القوة.. والمجد للأقوياء المصارعين لتحقيق السلطة القوية.. والاحتقار للأخلاق المسيحية ، لأنها أخلاق الضعفاء والعبيد!..

● والفيلسوف الانجليزى "هوبز" (١٥٨٨-١٦٧٩م) هو صاحب شعار: "الإنسان ذئب الإنسان"!.

● وداروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) هو الذى حول النزعة الصراعية إلى نظرية، أراد أن يبرهن بها على أن الحياة هي ثمرة للصراع الدائم بين الأحياء.. وأن البقاء فى هذا الصراع هو للأقوى، لأن الأقوى هو الأصلح والأحق بالبقاء!...

● و"هيجل" (١٧٧٠-١٨٣١) - الذي اعتبر- فى الحداثة الغربية- أرسطو العصر- هو الذي جعل التاريخ حقبا تنسخ الواحدة فيه الأخرى، لينتهي هذا التاريخ عند الدولة القومية الأقوى!..

● و"ماركس" (١٨١٨-١٨٨٣م) هو الذي نقل هذه النزعة الصراعية من عالم الأحياء إلى الاجتماع، فرأى أن المطلق هو التناقض والصراع بين الطبقات .. وأن هذا التناقض والصراع هو سر التقدم والمحرك للتاريخ!..

ولقد استمرت هذه النزعة الصراعية ، مكونا أساسيا فى النظريات الغربية، وفى الممارسات الإمبريالية الغربية مع الشعوب التي ابتليت بالاستعمار الغربي، حتى لقد رأى الرجل الأبيض الغربي فى صراعه ضد الشعوب غير الغربية وثقافاقما ومواريثها الحضارية

ومنظوماتها القيمية رسالة حضارية تمدينية، يطبق بها الرجل الأبيض "القانون العلمي" فى الصراع!..

وهو ذات الفكر الذى نراه اليوم عند "صموئيل هنتجتون" فى (صدام الحضارات).. وعند :فوكوياما" فى (نهاية التاريخ).. وهو ذاته الفكر الصراعي الذي تبنته الحركة الأنثوية الغربية المتطرفة ضد عموم الرجال.. فهو -إذن- التراث الغربي فى النزعة الصراعية، الذي انطلقت منه هذه الحركة الأنثوية المتطرفة..

* * *

وفى تفسير هذا الغلو الذي سلكت طريقه هذه الحركة الأنثوية الغربية، عندما لم تقنع بتحرير المرأة وإنصافها فطمعت فى عالم تنفرد به المرأة، وتتمكن من التمركز فيه حول ذاتها، مطلقة عنان الفوضوية لمفهومها عن حرية المرأة -فى تفسير هذا الغلو- دون تبريره- لابد أن نرى هذا الغلو الأنثوي فى سياق نزعات الغلو التي تميزت بها المسيرة الحضارية الغربية.. فالغلو الكهنوتي، الذي جعل الدنيا والدولة وسائر العلوم دينا خالصا، لها ثبات الدين وقداسته.. هو الذي أثمر رد فعله، الموازي والمساوي له.. أثمر الغلو العلماني، الذي جعل الإنسان سيدا للكون، بدلا من الله.. وأضفى على العقل الإنساني الإطلاق، بدلا من الدين واللاهوت، وذلك عندما رفع شعار: "لا سلطان على العقل إلا العقل"!.. وعزل السماء عن الأرض، بالعلمانية التي رفضت أي تدبير سماوي أو برعاية إلهية الدولة والسياسة والاجتماع، بل وللقيم والأخلاق أيضا!..

فنحن -فى المسيرة الحضارية الغربية -أمام نزعة للغلو، سارية فى العديد من النظريات، ومتخذة شكل الثنائيات المتناقضة والمتصارعة: "العقل.. والنقل".. "الفرد.. والمجموع".. "الذات.. والآخر".. "الدين.. والدولة".. "الدنيا.. والآخرة".. "عالم الغيب.. وعالم الشهادة".. "المادية.. والروحانية".. دونما وسطية جامعة، تجمع عناصر

الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة لتكون موقفا ثالثا متميزا لكنه ليس مغايرا تماما لقطبي الظاهرة.

فلغلو النزعة الأنثوية المتطرفة أيضا تراث فى الغلو الذي تميزت به مسيرة النظريات الفكرية فى النموذج الحضاري الغربي بوجه عام..

ويكفي فى هذا المقام أن نشير إلى نماذج من احتقار المرأة فى التراث الغربي، لنرى كـيف كـان غلو الحركة الأنثوية الغربية تطرفا يعالج تطرفا آخر، وجنوحا إلى التمركز حول الأنثى يواجه جُنوحا آخر فى احتقار الإناث!..

ففـي الـتراث الفلسفي الغربي.. نقرأ "لسقراط" (٤٧٠-٣٩٩ق.م): "للرجال السياسـة وللنساء البيت"!.. ونعرف أن "أفلاطون" (٤٢٧-٣٤٧ق.م) كان مشجعا للشـذوذ الجنسي -الذي كان شائعا فى المجتمع اليوناني.. ويقال إنه كان شاذا.. "وكان يأسف لأنه ابن امرأة!.. وظل يزدري أمه لأنها أنثى!.. وكان يرى أن الحب الحقيقي هو مـا كـان بـين الـرجل والرجل، ويرى الجمال المبهج فى الشبان"!.. ولقد دعا -فى جمهوريـته- إلى "أن نساء محاربينا يجب أن يكن مشاعا للجميع، فليس لواحدة منهن أن تقيم تحت سقف واحد مع رجل بعينه منهم، وليكن الأطفال أيضا مشاعا بحيث لا يعرف الأب ابنه ولا الابن أباه"!.. كما دعا إلى "تدريب النساء وهن عاريات تماما مع الرجال فى الحلـبة"!.. وقال -أيضا- "على نساء الحراس أن يقفن عاريات، ما دمن سيكتسين برداء الفضيلة"!..

ونعرف -أيضا- أن "نيتشه" (١٨٤٤-١٩٠٠م) هو القائل: "إذا قصدت النساء فخذ السوط معك"!.. وأن "فرويد" (١٨٥٦-١٩٣٩م) قد زعم "أن الرجل يمثل كامل الإنسانية.. وأن المرأة، بما انها ليست رجلا، أو انها رجل ناقص جسديا- إذ لا قضيب لها -تعيش آسفة أن لا تكون رجلا"!..

فهـــذا الغلـــو فى احتقار المرأة –بالتراث الفلسفي الغربي– قد أثمر غُلوّا سلكت طريقه الحركات الأنثوية الغربية..

ومثل ذلك الغلو فى احتقار المرأة ودونيتها، نجده فى التراث الديني الغربي..

فالخطيـــئة الأولى – الــــتي حملت البشرية تبعات أوزارها هى –فى هذا التراث– مسئولية المرأة وحدها!..

والحمـــل والـــولادة واشتياق المرأة لزوجها هي عقوبة أبدية للمرأة على ارتكابها للخطيئة الأولى!..

والزواج ليس مودة ورحمة، وإنما هو تسلط من الرجل على المرأة!..

هكذا جاء فى سفر التكوين –بالعهد القديم.. فلقد سأل الرب آدم:

- "هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها"؟

- "فأجـــاب آدم: إنمـــا المـــرأة التي جعلتها رفيقا لي، هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة فأكلت".

- فقال الرب للمرأة: أكثر تكثيرا أوجاع مخاضك، فتنجبي بالآلام أولادا، وإلى زوجك يكون اشتياقك، وهو يتسلط عليك"!..

وفى هـــذا الـــتراث الـــيهودي، الذي أصبح مع المسيحية تراثا للحضارة الغربية "الـــيهودية – المسيحية" –يصلي اليهودي كل صباح صلاة الشكر لله لأنه لم يخلقه عبدا ولا وثنيا ولا امرأة!.. وللرجل –فى هذا التراث– قتل أولاده وتقديمهم قرابين!.. وله بيع بناته إماء!!.. وفى سِفْر الخروج: "إذا باع رجل ابنته أمة.. لا تخرج كما يخرج العبيد"!..

ولم يكـــن موقف التراث النصراني للحضارة الغربية من المرأة بأفضل من التراث الـــيهودي.. ففي رسالة "بولس" الأولى إلى أهل "كورنثوس": "ذلك لأن الرجل عليه ألا يغطـــي رأسه، باعتباره صورة الله ومجده، أما المرأة فهي مجد الرجل، فإن الرجل لم يؤخذ مـــن المرأة، بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يوجد لأجل المرأة، بل المرأة وجدت لأجـــل الـــرجل، لذا يجب على المرأة أن تضع على رأسها علامة الخضوع".. -إصحاح ١١ :٧-١١.

وفى هـــذه الرســـالة أيضا: "لتصمت النساء فى الكنائس، فليس مسموحا لهن أن يتكـــلمن، بل عليهن أن يكن خاضعات على حد ما تُوصي به الشريعة أيضا، ولكن إذا رغبـــت فى تعلم شيءٍ ما فليسألن أزواجهن فى البيت، لأنه عار على المرأة أن تتكلم فى الجماعة" -إصحاح ١٤ : ٣٥.

وبســـبب هذا الموقف المحتقر للمرأة، رفضت وترفض كل الكنس اليهودية وجميع الكـــنائس النصـــرانية- ونحـــن فى القرن الواحد والعشرينات -أن تحمل المرأة شرف الكهـــنوت ، وولاية رجل الدين وحمل أمانة الدين وأسرار اللاهوت.. بينما حملت المرأة هذه الأمانة -فى الإسلام- منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام!..

ولقـــد ظـــل هذا الموقف المحتقر للمرأة، فى التراث الديني للحضارة الغربية، ثابتا ومرعيا ..فالقديس "بونا فنتيرا" (١٢٢١-١٢٧٤م) يقول: "إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجودا بشريا ولا موجودا موحشا، لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه. وإذا ما تكلمت فإن ما تسمعونه هو فحيح الأفعى"!..

أمـــا القديـــس "توما الأكويني" (١٢٢٥-١٢٧٧م) فهو القائل: "لا وجود فى الحقـــيقة إلا لجـــنس واحد، هو الجنس المذكر، وما المرأة إلا ذكر ناقص، ولا عجب إن

كانـــت المـــرأة –وهي الكائن المعتوه والموسوم بميسم الغباء– قد سقطت فى التجربة – (الخطيئة الكبرى)– ولذلك يتعين عليها أن تظل تحت الوصاية"!..

أمـــا القديس "أغسطين" (٣٥٤-٤٣٠م) فلقد دعا إلى "إخضاع النساء للرجال كما يخضع العقل الضعيف للعقل الأقوى"!..

فهـــل نجـــد غـــرابة فى غلو النزعة الأنثوية المتطرفة، عندما تمركزت حول ذاتها، واحـــتقرت الرجل، وأعلنت عليه الحرب.. هل نجد غرابة فى رد الفعل المغالى هذا أمام هـــذا الـــتراث الديـــني للحضارة الغربية، ذلك الذي حمل كل هذا الإزدراء والاحتقار والدونية تجاه الإناث، مطلق الإناث؟!..

لقد اكتفت الحداثة الغربية –منذ عصر التنوير فى القرن الثامن عشر– بتأويل هذا الـــتراث الديـــني "الـــيهودي– النصراني".. أما ما بعد الحداثة ، فإنها لم تقنع بالتأويل، فتجاوزته إلى إعلان الحرب على هذا التراث – الذي رأته تراثا ذكوريا، لابد أن يتحول عـــن ذكوريته–.. ولقد عاملت ما بعد الحداثة هذه المنظومة الدينية والقيمية والأخلاقية معاملتها لكل الأنساق الفكرية الحداثية، فاجتاحتها بالفوضوية والعدمية والتفكيك.

وفى إطـــار ما بعد الحداثة هذه كان غلو النزعة الأنثوية المتطرفة رد الفعل المغالى عـــلى الاحتقار والدونية تجاه المرأة فى تراث الحضارة الغربية، الفلسفي منه والديني على حد سواء!..

(٤)

لم يكـــن موقف التراث الغربي ، القانوني والسياسي، إزاء احتقار المرأة ودونيتها بـــأقل غلو من موقف التراث الفلسفي والديني.. وفى هذا تفسير –وليس تبريرا– لغلو النزعة الأنثوية الغربية فى الفرض لكل هذه المواريث.

ففـــي القـــانون الروماني –الذي يمثل مع الفلسفة اليونانية الكلاسيكيات النهضة الأوربية –كان الاحتقار للمرأة، وحذفها من الحياة ، هما موقف هذا القانون.. فلم يكن للعبد ولا للمرأة أي كيان.. وكل الحقوق وجميع الشرف كانا وقفا على الرجال السادة المـــلاك الأشراف من الرومان.. ومن عدا هؤلاء –وفيهم جميع النساء والعبيد والفقراء وسكان المستعمرات– هم برابرة وهمج، محرومون من كل الحقوق.. حتى حقوق تطبيق القانون الروماني عليهم!

وحـــتى التراث السياسي والقانوني للثورة الفرنسية –١٧٨٩م لم يكن موقفه من المـــرأة بأحســـن حالا ولا أقل احتقارا لها من المواريث الغربية فى الفلسفة .. والدين.. والقانون..

ورغـــم إسهام المرأة الفرنسية فى هذه الثورة، فلقد أعدمت حكومة الثورة داعية حقوق النساء "مارى كوز" ١٧٩٣م.. وأغلقت جميع النوادي والجمعيات النسائية –بل وقـــررت الجمعية التأسيسية – التي لا زال المتغربون يتغزلون فيما أصدرت من مواثيق لحقـــوق الإنسان والمواطنة– أصدرت هذه الجمعية التأسيسية قرار يقول: "إن الأولاد، وفـــاقدي العقـــل، والقاصرين، والنساء، والمحكومين بعقوبات بدنية وشائنة، لن يكونوا مواطنين"!..

لقد جردت هذه الثورة المرأة من حقوق المواطنة.. حتى شاع فى الفكر الاجتماعي والسياسي الغربي:

- "أن المرأة سوداء بالنسبة للرجل الأبيض"!..
- "وأن النساء آخر مستعمرة للرجل"!..

واستمر هذا الوضع المزري والدوني للمرأة -بدرجات متفاوتة فى المجتمعات الغربية- حتى منتصف القرن العشرين .. ففى ١٩٠٣م كانت سيدة مصرية -نفيسة اسماعيل باشا حمدي- مالكة لبعض الأسهم فى شركة قناة السويس -الفرنسية- فلما طلبت من الشركة بيع أسهمها، كان جواب الشركة أن هذا ليس من حقها، وإنما هو حق زوجها، لأن القانون الفرنسي -حتى ١٩٠٣م- لم يكن يعترف بحق المرأة فى التصرف بأموالها!.. ولما استفتت المرأة مفتى الديار المصرية يومئذ، الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٥-١٣٢٣هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م) أفتى برأي الإسلام الذي قرر للمرأة ذمة مالية مستقلة وحرية فى التملك والاستثمار والإنفاق، مثلها مثل الرجل تماما، منذ ظهور الإسلام!..

وظلت المرأة الأمريكية محرومة من الحقوق المدنية ، وتُعامل مُعاملة الزنوج، حتى أصدر الكونجرس الأمريكي إعلان الحقوق المدنية فى ١٩٦٤م!..والى ما قبل ١٩٢٠م كان الفكر السائد فى أمريكا يقول : "لأن المرأة والعبيد قد وهبوا أنفسهم لتوفير احتياجات الحياة، فقد تمتع رجل الأسرة بحرية الاشتغال بالسياسة"!.. وحتى ستينيات القرن العشرين، وقبل سن الكونجرس الأمريكي لإعلان الحقوق المدنية ١٩٦٤م، "لم تكن مسئولية المرأة الأمريكية عن تصرفاتها تزيد عن مسئولية الأطفال والحمقى والمجانين"!..

بل وحتى اليوم فإن ٢٥% من نساء أمريكا لازلن يتقاضين أجورا أقل من الرجال عن العمل المتساوي، فى ذات الموقع، وبذات المؤهلات!.. ونسبة النساء المحرومات من تكافؤ الفرص فى الحصول على العمل هي ضعف نسبتها فى الرجال!.. ولم يدخل مجلس الشيوخ الأمريكي سوى امرأة واحدة!.. أما مجلس النواب فلم تزد عضواته عن إحدى عشرة امرأة!.. ومن بين ٦٧٥ قاضيا فيدراليا ليس هناك سوى ٨ قاضيات!..

فهل يستطيع منصف أن ينكر دور احتقار التراث الغربي للمرأة –الفلسفي منه .. والديني.. والقانوني.. والسياسي– وغلو هذا التراث فى هذا الاحتقار برد الفعل العنيف فى غلـــوه، ذلـــك الذي اتخذته الحركة الأنثوية فى الغرب تجاه الرجل.. والدين.. والله.. واللغـــة.. والتراث.. والتاريخ.. والقيم.. والعادات والتقاليد والأعراف؟!.. إنها دوامة الغلـــو، فى أفعال وفى ردود الأفعال، تلك التي حكمت موقف التراث الغربي من المرأة، وموقـــف المرأة من هذا التراث.. وهي الدوامة التي أثمرت –من بين ما أثمرت– حركة أنـــثوية– فى أمـــريكا– ٦٠٪ مـــن أعضائها سحاقيات.. وجعلت هؤلاء السحاقيات يســـيطرن عـــلى لجنة المرأة فى الأمم المتحدة، فَيُصِغْنَ شذوذهن "دينا" جديدا لقوم لوط الجدد، ثم يعملن على عولمة هذا "الدين" الشاذ والبائس فى أرجاء العالمين!..

لقد عرفت الحداثة الغربية الصيحات المنكرة التي زعمت "موت الإله" .. و"موت الميتافـــيزيقا" (أى الغيب والدين).. ثم جاءت ما بعد الحداثة الغربية بالفوضوية والعدمية والـــلا قدرية، فزعمت "موت المؤلف".. و" موت الحقيقة".. و "موت المعنى".. و"موت الـــتاريخ" .. و"موت الأسرة".. و"موت العفة" ..و"موت الحياء".. وأخيرا –فى النزعة الأنـــثوية المتطرفة– "موت الرجل".. بل لقد تحدث البعض –من الغربيين– عن "موت الغرب"– الذي أعلن كل هذا الوفيات!!..

* * *

ولقـــد كـــان طبيعيا أن يثمر هذا الشذوذ الفكري للحركات الأنثوية شذوذا فى الممارســـة والســـلوك.. وكان طبيعيا لكل ذلك أن يثمر الثمرات المرة والبائسة فى تلك المجتمعات.. وهي ثمرات تعبر عن الأرقام الصارخة، التي تنظر فى شذوذ واستغراب للقلة مـــن النســـاء الشرقيات اللاتي لا زلن يبشرن بالنموذج الغربي فى "تحرير" المرأة، وللقلة المـــتغربة مـــن مثقفيـــنا الذين يتجاهلون الواقع الاجتماعي البائس لكثير من المجتمعات

الغربـــية، فلا يتورعون عن الدعوة إلى "اللحاق بالغرب"، والى التبشير بالنموذج الغربي حلا للمأزق الذي يعيش فيه العرب والمسلمون.

إن الـــثمرات المرة للشذوذ الفكري وللثورة الجنسية التي قننتها المجتمعات الغربية حقوقا للإنسان، تجسدها الأرقام التي تقول:

● إن ٩٥٪ مـــن الجنســـين فى السويد عندهم تجارب جنسية قبل الزواج.. لا كمجـــرد نزوة أو خطأ.. وإنما كممارسة طبيعية ومادية.. تبدأ منذ التلمذة فى المدارس، التي يتم فيها التدريب -نعم التدريب!.. على الممارسة الجنسية والنشاط الجنسي.. والتي تقـــوم فـــيها صـــيدليات لـــتوزيع الواقـــي الذكري وحبوب منع الحمل على التلاميذ والتلميذات.. وتتم فيها الرعاية للحوامل المراهقات!..

● وفى النمسا: أكثر من ٥٠٪ من حوادث الطلاق تتم بسبب العنف المنزلي!..

● وفى إنجلـــترا: أكثر من ٥٠٪ من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك، وفى ١٩٩٢ ارتفـــع العنف المنزلي ٤٦٪.. وبلغت نسبة النساء اللائي يتعرضن لضرب الزوج أو الشريك ٢٥٪ من النساء!.. وفى ١٩٨١م كانت نسبة النساء اللاتي يعشن مع رجل دون رباط رسمي ٨٪ .. فارتفعت هذه النسبة ١٩٨٨م إلى ٢٠٪.. وكانت نســـبة العـــائلات المـــنفردة.. أى الأطفال الذين يعيشون مع عائل واحد ١٤٪ سنة ١٩٦١م.. فارتفعـــت إلى ٢٧٪ ســـنة ١٩٩١م.. وتشكل النساء ٩٠٪ من هذه العائلات المنفردة.. وفى ١٩٨٤ كانت نسبة طلب الزوجة للطلاق ٧١٪ من حالات الطلاق.. وعدد حالات الطلاق ١٦٠٠٠٠ حالة، بينما كان هذا العدد قبل خمسين عاما ٧٠٠٠ حالـــة فقط- أي بزيادة ثلاثة وعشرين ضعفا!.. وتراجعت نسبة الزواج ١٦٪.. وأصـــبحت نســـبة الأطفال غير الشرعيين ثلث أطفال إنجلترا.. وهم من ايسلندا ٥٧,٣٪ من الأطفال!..

● وفى الدانمـــارك: كانـــت نســـبة المواليد غير الشرعيين ٥% سنة ١٩٦٠م.. فارتفعـــت إلى ١١% ســـنة ١٩٧٠.. ثم إلى ٣٣% سنة ١٩٨٠م.. ثم ٤٦% سنة ١٩٩٠م.. وقريـــب من هذه النسبة فى الدول السبع الغنية فى أوربا – فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وهولندا وأيرلندا.

● وفى ثلاث دول أوروبية فقط –هي ألمانيا وبريطانيا وفرنسا– ٢٥ مليون امرأة تعيش وحيدة، إما لعدم الزواج، أو بسبب الطلاق والتفكك الأسري..

● وفى بـــنجلاديش والبرازيل وكندا وكينيا وبابوا وغينيا الجديدة وتايلاند، تمثل جرائم قتل الشريك لشريكته أكثر من نصف جرئم القتل ضد النساء!..

● وفى الفلـــبين وســـريلانكا وتايلاند نصف مليون طفلة فى البغاء الرسمي –فقط الرسمي– للأطفال!..

● والإنفـــاق العالمي سنة ١٩٩٩م على تجارة الدعارة يبلغ ٢٠ تريليون دولار.. وهذه هي التجارة العالمية الثالثة، بعد تجارة السلاح.. وتجارة المخدرات!..

● وفى هذا العالم ٦ مليون امرأة تحاول الاجهاض كل عام.. وهو ما يعنى قتل ٦٠ ملـــيون طفل سنويا!.. حتى لكأن حرب الإباحة الجنسية التى أعلنتها الحركات الأنثوية المســـتطرفة قد فاقت فى ضحاياها كل الحروب العالمية!.. ومع إباحة الإجهاض فى روسيا ســـنة ١٩٢٠م.. وفى إنجلترا سنة ١٩٦٧.. وفى كندا سنة ١٩٦٩م.. وفى أمريكا سنة ١٩٧٣م، فلقد استمرت نسبة المواليد غير الشرعيين فى الازدياد!..

● أمـــا أمـــريكا التى تريد عولمة نموذجها القيمى، وفرض طريقتها فى الحياة على العالمين، فإن ٨٠% من نسائها قد فقدن البكارة قبل الزواج.. وفى سنة ١٩٨٤م حدث ٢٩٢٨ حادثة قتل على يد أحد أفراد العائلة.. وثلث القتيلات قتلن على يد الزوج أو

الشريك.. وأكثر من مليون امرأة سنويا تبلغ الشرطة باعتداء زوجها أو شريكها عليها.. و ٩١٪ من الاعتداءات لا تبلغ للشرطة.. وتقتل يوميا أربع نساء بسبب الضرب المبرح بالمنزل.. ومن ٢ إلى ٤ مليون امرأة تعرض للاعتداء عليها سنويا.. و١,٥ مليون زيارة للطبيب تتم سنويا بسبب اعتداء الزوج.. وفى سنة ١٩٩٣م كانت تغتصب امرأة كل دقيقة، وغالب الضحايا فى سن تقل عن ١٧ سنة .. وفى أمريكا أعلى نسبة طلاق فى العالم.. ونصف عدد الزيجات ينتهى بالطلاق.. ولقد نشرت مجلة (يو.إس.نيوز) فى أغسطس سنة ١٩٩٤م دراسة عن مكتب الإحصاء تقول.. إن ٢٧٪ من أطفال امريكا -١٨ مليون طفل- يعيشون مع أحد الوالدين- بعد تفكك الأسرة- وهذا الرقم هو ضعف ما كان عليه سنة ١٩٧٠م.. وغالب هؤلاء الأطفال يعيشون على الإعانات الاجتماعية للدولة.. وهم الأكثر تعرضا للفقر والحرمان.. والأكثر رسوبا فى المدارس.. و ٨٠٪ من جرائم القتل عائلية.. و ٤٨٪ منها مسرحها البيت.. ومن سنة ١٩٦٠م إلى ١٩٩٠م ارتفعت معدلات الجريمة ٥٠٠٪!.. وفى سنة ١٩٨٥م كان فى أمريكا نصف مليون مدمن هيروين، ومليون متعاطى مهلوسات.. و ٢٠ مليون متعاطى ماريجوانا أو كانابيس.. و ٦ مليون مزور وصفات طبية للحصول على المخدرات.. و ٢٠ مليون متعاطى كوكايين بصورة منتظمة- ومجموعهم نحو من ٤٧,٥ مليون أمريكى، أى نحو ٢٠٪ من سكان أمريكا !.. وهناك ربع مليون مراهق يقتل سنويا بسبب المخدرات.. وفى إحصاء سنة ١٩٨٥م فإن ثلثى طلبة الثانوية فى امريكا يتعاطون أحد أنواع المخدرات.. و ٩٣٪ منهم يشربون الخمر.. وحوالى ٤٠٪ منهم يشربونها بإفراط!..

ولقد بلغ عائد الرأسمالية الأمريكية -التى يقولون إنها نهاية التاريخ بلغ عائدها من الاستغلال الجنسى لدعارة الأطفال -الأطفال فقط- مليارى دولار سنويا!..

ومــع كل هذه الإباحية فلقد تناقص عدد سكان أمريكا -بالنسبة للعالم- من ٦٪ سنة ١٩٥٠م إلى ٥٪ سنة ١٩٨٨.. إلى ٤٪ سنة ٢٠١٠م- كما هو متوقع!..

● أما فرنسا: فإن تقرير "المعهد الوطنى الفرنسى للأبحاث الديموجرافية" - ديسمبر ١٩٩٩م- يقــول: إن كــل عشــرة أزواج يوجد تسعة منهم خارج الإطار الشرعى للــزواج- أى بدون عقد كنسى أو مدنى أو حق عرفى-!.. وأن ٥٣٪ من الأمهات الفرنسيات يضعن مولودهن الأول خارج مؤسسة الزواج.. وربع هؤلاء المواليد يفقدون الأب مــدى الحياة.. وهذه النسبة فى زيادة مطردة، فلقد كانت ٦٪ سنة ١٩٦٧م.. ووصلت إلى ٢٠٪ سنة ١٩٨٥م.. وتجاوزت ٤٠٪ سنة ١٩٩٧.

● فهــل بعد هذا الجنون الفكرى والأخلاقى للحركات الأنثوية الغربية.. وهذه الـثمرات الاجتماعية المرة والمدمرة، يجوز لنفر من المتغربين والمتغربات فى بلادنا الدعوة إلى اتخــاذ ذلــك الــنموذج الغربى فى "تحرير" المراة قدوة لنا نحن العرب والمسلمين؟.. والدعوة إلى اللحاق بالغرب فى هذا الميدان؟!.. أى الدعوة إلى السقوط فى هذا المستنقع الــذى تجاوز أصحابه ما ذهب إليه القدماء من قوم لوط.. أولئك الذين استحقوا سخط الله وغضــبه، فأنــزل عليهم ما أنزل من العذاب!.. وهل هذا هو "التقدم".. وهذه هى "التقدمية" التى يدعوننا إليها هؤلاء المتغربون البؤساء؟!.

(٥)

لو أن الأفكار والفلسفات والممارسات الشاذة للحركات الأنثوية الغربية، والتى تدعــو إلى التمركز حول الأنثى، والطمع فى استقلال المرأة عن عالم الرجال، حتى ولو بالشــذوذ السحاقى.. واعتبار المعركة ضد الرجل.. ومحاربة الزواج الشرعى، والأسرة، والإنجاب.. والثورة على الله.. والدين.. واللغة.. والتاريخ.. والفطرة.. والأعراف..

لـــو أن هذه الأفكار والفلسفات والممارسات كانت وقفا على المؤمنين والمؤمنات بهـــا، والداعين والداعيات إليها- فى الغرب- لما استحقت منها كثير اهتمام.. بل لو أن هذه الأفكار والفلسفات الشاذة كانت مذهبا للحضارة الغربية، لقلنا: إن هذا هو حقهم فى الاختيار وفى الاختلاف.. ولكل وجهة هو موليها.. وليس فى جهنم أزمة إسكان!..

لكن الذى يفرض علينا الاهتمام بهذا الشذوذ الفكرى، الذى وضح فى الممارسة والتطبـــيق، هـــو أن الغرب، كحضارة مهيمنة، يفرض علينا -نحن المسلمين والشرقيين- وعـــلى كل العالم جنون هذه الأفكار والفلسفات- ، وذلك عندما يعولمها، ويضع عليها أخـــتام وشـــعارات وأعلام الأمم المتحدة -التى يسيطر عليها.. والتى استولت الحركة الأنـــثوية الغربـــية المتطرفة على لجنة المرأة فيها ونجحت فى صياغة هذا الشذوذ "وثائق دولية" منذ مؤتمر السكان سنة ١٩٩٤م وحتى اتفاقية الـــ CEDAW ووثيقة حقوق الطفـــل .. فغدى هذا العوج الفكرى والشذوذ السلوكى جزءا من المنظومة الغربية التى يراد فرضها -بالعولمة- على العالمين..

ومن نافذة التغريب، الذى نجح فى تحويل نفر من مثقفينا إلى "صنابير" يسيل منها كل ما هو غربى، بدأ التبشير فى بلادنا بهذا الشذوذ الفكرى فى الحركة النسوية الشرقية -العربية والإسلامية.

● فالكاتبة المغربية "فاطمة المرنيسى" -التى تعيش فى باريس وتكتب بالفرنسية - تقول: "لقد قدس الزواج الإسلامى هيمنة الرجل المطلقة"!..

● والكاتب السورى "د. محمد شحرور" يرى أن عورة المرأة هى -فقط- ما بين الإلـــية وما تحت الإبطين والثديين، وما عدا هذا "الجيوب" من جسد المرأة لا عورة فيه، ولا جناح فى عرضه على الكافة!..

• والكاتب الفلسطينى "د. هشام شرابى" – الذى أصبح أمريكيا، يكتب بالإنجليزية– يدعو "إلى ترجمة القرآن للغة العامية ليحصل له ما حصل للكتاب المقدس فى المناخ الأوروبى!.." كما يدعو إلى تعميم "الأتاتوركية" فى العالم الاسلامى لاستئصال التقاليد الاسلامية!..

• والكاتب المصرى المرموق "أحمد بهاء الدين" يدعو إلى ربط الأخلاق بالضمير، بدلا من الإسلام.. وإلى تاريخية الشريعة الاسلامية، باعتبارها "شريعة البداوة"، التى لا تصلح للمجتمعات المتحضرة، فيقول: "لابد من مواجهة الدعوات الإسلامية فى أيامنا مواجهة شجاعة، بعيدا عن اللف والدوران . إن الإسلام كغيره من الأديان، يتضمن قيما خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضمير، أما ما جاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية، فقد كانت من قبيل ضرب المثل، ومن باب تنظيم حياة فى مجتمع بدائى إلى حد كبير، ومن ثم فهى لا تلزم عصرنا ومجتمعنا.."!..

• أما الأديبة المصرية "د. نوال السعداوى" ، فلقد ذهبت إلى حد القول.. "شعرت أن الله تحيز للصبيان فى كل شئ"!!..

ولم يقف زحف هذا الشذوذ الفكرى عند قطاعات النخبة المتغربة.. وإنما ذهبت العولمة إلى استخدام التمويل لمئات المنظمات التى تسمى "منظمات المجتمع المدنى" التى تبشر بهذا العوج الفكرى، والتى يحدد لها الغرب جدول أعمالها فى الميزانيات التى تمول تنفيذ جدول الأعمال هذا..

ولمعرفة حجم هذا الاختراق، يكفى أن نعلم حالة المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧م من فلسطين.. ففيها ١٢٠٠ منظمة غير حكومية، تلقت سنة ١٩٩٧م معونات قدرها ٦٨,٩ مليون دولار، من أصل إجمالى المعونات المقدمة لفلسطين والبالغة ١٥٢٧ مليون دولار، أى أن هذه المنظمات –العاملة فى خدمة الأجندة الاجتماعية الغربية – قد

حصـــلت على ٥% من المعونات، بينما لم تحصل الزراعة والصناعة الفلسطينية إلا على ٢٤ مليون دولار، أى ١,٢% من المعونات!..

وعن رسالة هذه المنظمات، تقول الباحثة الفلسطينية "خلود المصرى" : "إن الأطر النسوية المدعومة لا تخرج فى وضع أولوياها عن الالتزام بأولويات وثقافة الجهات المانحة لها، من أجل استمرار الدعم المالى فحسب، وهى بالضرورة تختلف عن أولويات مجتمعنا الفلسطينى"..

ويكفـــى أن نشـــير إلى أن هذه المنظمات "التى تضرب بسيوف الممولين"!.. قد أقامـــت الدنـــيا ولم تقعدهـــا حول موضوع "ختان الإناث"- الذى هو عادة قديمة منذ الفراعـــنة، وليس تشريعا دينيا.. والذى تقل ممارسته بالتطور الاجتماعى والتعليمى -فى الوقـــت الذى سكتت فيه هذه المنظمات "النسائية" عن الاغتصاب المنظم الذى مارسه الصـــرب ضـــد أكثر من ستين ألف امرأة بوسنية، تحت سمع وبصر الممولين الغربيين!.. فضـــلا عـــن الصـــمت القاتل لهذه المنظمات إزاء ما يحدث للمرأة الفلسطينية بواسطة الوحشية "الصهيونية - الأمريكية"!..

* * *

إن أحـــدا لا يطلب إغلاق المنافذ الفكرية التى يأتى منها الوافد الغربى، حتى ولو كان هذا الوافد شاذا -كأفكار الحركة الأنثوية الغربية المتطرفة -لكننا ندعو، عند تبنى الأفكـــار الوافدة، إلى النظر فى سياقها وملابساها والمواريث الفكرية والدينية والقانونية والسياسية التى أثمرها، لندرك هل هى "مشترك إنسانى عام" نفتح له عقولنا ومجتمعاتنا؟.. أم أنها ردود فعل مغالية لفعل مغالى فى احتقار المرأة ودونيتها؟..

لقد ثارت الحركة الأنثوية الغربية ضد الدين -فى اليهودية والنصرانية -الذى حمّل المرأة وحدها وزر الخطيئة الأولى" الذى جعل زواجها واشتياقها لزوجها وحملها وولادتها عقوبة لها على هذه الخطيئة، إلى غير ذلك من الأفكار التى حملت الكثير من التمييز ضد المـــرأة إلى حـــد الدونية والاحتقار.. فإذا جاز تفسير أو حتى تبرير ثورة الحركة الأنثوية الغربـــية ضد موروثها الدينى باعتباره رد فعل مغالى ضد تراث مغالى فى احتقارها كامرأة .. فهل يجوز لعاقل أن يأخذ هذه العهدة الغربية والنتيجة الغربية- وهى خصوصية غربية -ليغرسها فى سياق إسلامى، مواريثه الدينية والحضارية مغايرة تماما - بل مناقضة- لهذه المواريث الغربية؟!..

لقـــد حمّلت اليهودية المرأة كل أوزار الخطيئة الأولى، وبرأت آدم منها... وذلك عندما سأل الرب آدم - كما جاء فى سفر التكوين-:

- "هل أكلت من ثمر الشجرة التى نهيتك منها"؟

- "فأجـــاب آدم: إنمـــا المـــرأة التى جعلتها رفيقا لى، هى التى أطعمتنى من ثمر الشجرة فأكلت".

- فقال الرب للمرأة: أكثر تكثيرا أواجع مخاضك، فتنجبى بالآلام أولادا، وإلى زوجك يكون اشتياقك، وهو يتسلط عليك"!..

فـــإذا جاءت الحركة الأنثوية الغربية لتثور على هذا التراث الدينى، الذى كتب علـــيها اللعـــنة.. ولتـــثور عـــلى الزواج والإنجاب، اللذين تحدث عنهما هذا التراث كعقـــاب!.. فهـــل يجوز لأى منا أن يردد هذه المقولات كالببغاوات، ويسير فى طريق التقليد لهذه المواريث الغربية وردود أفعالها، كما يصنع القردة المحترفون للتقليد؟!..

إن القـــرآن الكريم قد أرسى دعائم المساواة بين آدم وحواء.. فهما مخلوقان من نفـــس واحدة.. ومتساويان.. فى أهلية الخطاب الإلهى لهما وفى التكليف.. وفى وسوسة الشـــيطان لهمـــا معا.. وفى استجابتهما معا لهذه الوسوسة الشيطانية.. وفى الفعل.. وفى نتيجة الفعل.. وفى المراجعة.. وفى العقاب.. وفى الأوبة والتوبة.. وفى القبول والغفران.. متساويان فى كل ذلك، كما جاء فى القرآن الكريم: ﴿وَيَاآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَـــا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ (١٩)فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّـــيْطَانُ لِيُـــبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّـــجَرَةِ إِلَّـــا أَنْ تَكُونَـــا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ(٢٠)وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِـــحِينَ(٢١)فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَـــيْهِمَا مِـــنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ(٢٢)قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِـــرِينَ(٢٣)قَـــالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٢٤)قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ(٢٥)﴾ (الأعراف).

بل إن القرآن الكريم كأنه يحمل آدم قدرا أكبر من المسئولية ، فيقول :﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّـــهُ فَغَـــوَى (١٢١)﴾ (طه) ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(١١٥)﴾ (طه)-..

فهـــل هـــناك عقل لدى الذين يثورون على هذا القرآن تقليدا للذين ثاروا على العهد القديم؟!..

وإذا كانـــت النصـــرانية قد جعلت "الرجل صورة الله ومجده، أما المرأة فهى مجد الرجل. والرجل لم يؤخذ من المرأة، بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يوجد لأجل المـــرأة، بل المرأة وجدت لأجل الرجل".. فإن القرآن الكريم قد قال :﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ

رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (آل عمران : ١٩٥) فالذكور والإناث جميعا من نفس واحدة.. وبعضهم من بعض .. ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (النساء: ٢١) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).. ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨) – وحتى (الدرجة) التى للرجال على النساء، فى الأسرة، وهى "القوامة" فإنها زيادة فى المسئولية، وليست استبدادا.. فالقوام هو دائم القيام.. وبعبارة الإمام محمد عبده (١٢٦٥-١٣٢٣هـ ١٨٤٩-١٩٠٥م) "فإن هذه القوامة تفرض على المرأة شيئا وعلى الرجل أشياء"!.. ثم إن هذه "القوامة"، التى هى القيادة والرعاية، للمرأة فيها نصيب كبير يشير إليه الحديث النبوى "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. الرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهى مسئولة عنهم.. ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" –رواه البخارى ومسلم– وصدق رسول الله ﷺ : "النساء شقائق الرجال" – رواه الترمذى والدارمى وأبو داود– ... فهل مع اختلاف موقف موروثنا الدينى من المرأة عن موقف الموروث الغربى منها، يجوز لعاقل تبنى الدعوات الأنثوية الغربية، وإعلان الحرب على الإسلام؟!..

* * *

بقى أن أقول –فى نهاية التقديم–: إن الفضل فى كثير من الحقائق التى أشرت إليها فى صفحات هذا التقديم، إنما يعود إلى هذا الكتاب الذى أقدم بين يديه.. وإنى على يقين بأن القراء والباحثين سيجدون فيه عملا فكريا متميزا تزهو به المكتبة العربية والإسلامية..

بـــارك الله فى صـــاحب هـــذا الجهـــد الفكـــرى المتميز، الباحث الواعد مثنى الكردستاني.. وبارك لنا فى هذه الثمرة الطيبة من ثمرات بحثه الجاد.. ووفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه.

دكتور

محمد عمارة

القاهرة فى (٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـــ - ٢٧ يونية ٢٠٠٣م)

مقدمة

الحمـــد لله رب العـــالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ،،،

هـــناك الآن ظاهرة عالمية تعرف بالحركات النسوية أو (Feminism)، وهذه الحركات لها أبعاد أساسية:

بعـــد سياســـي: فهي واحدة من جماعات الضغط التي تمارس العمل السياسي من خلال الضغط والتأثير على مراكز القرار السياسي، وتعبئ النساء وتنظمهن لهذا الغرض.

بعد حقوقي وقانوني : فهي حركات تطالب بتشريع قوانين جديدة تضمن حقوق وحـــريات النســـاء بشـــكل أفضـــل، كما أنها تراقب التطبيق العملي للقوانين ومدى مصداقيتها وفعاليتها لرفع التمييز ضد النساء (كل هذا من وجهة نظرها طبعًا)

بعـــد معـــرفي ونظـــري: لأن دراسات المرأة بعد أن كانت دراسات تابعة لعلوم الفلســـفة والاجتماع والتاريخ والقانون...أصبحت الآن وبعد تشعبها وتزايد الدراسات فـــيها عـــلمًا مســـتقلاً له فروعه وتخصصاته- في الجامعات الغربية خصوصًا- وانتقلت الحركة بهذا التطور إلى مرحلة الإبستمولوجيا والتنظير للرؤية الأنثوية.

بُعد عقائدي وفلسفي: حيث إن هذه الدراسات التي تكتب، وهذه الحركات هي أساسًـــا موزعـــة عـــلى مدارس فكرية وفلسفية مختلفة، ولكن بعد تطوير البعد المعرفي والـــتطورات الراديكالية التي حدثت فيها، أصبحت الأنثوية مدرسة فكرية فلسفية ذات عقـــائد ومـــنطلقات تصورية خاصة بها، وهي تحاول انطلاقًا من عقائدها هذه أن ترسم طـــريقة خاصة لحياة المرأة، وعلاقاتها بالعالم، وهي لا تكتفي بالتنظير للمرأة الغربية فقط

وإنمـــا لنساء العالم أجمع، ولجأت في هذا إلى توجيه انتقادات حادة وجوهرية لكل العقائد والأديان التي رسمت نمط حياة المرأة بما فيها الإسلام.

وهـــذه الدراســـة تحاول أن تدرس النقطتين الأخيرتين (أي البعد المعرفي النظري، والـــبعد المفاهيمي العقائدي) للحركة الأنثوية من خلال دراسة حقوق المرأة وأطاريح[1] هذه الحركة لتنمية المرأة.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في الأمور التالية:

– الحاجـــة الماســـة للدراســـات الإسلامية التي تتناول رؤية (الأنثويين) الغربيين لـــلمرأة، وتـــدرس نظرياتهم، وخصوصًا تلك التي ظهرت في العقود الأخيرة من القرن العشـــرين (مـــن نهايـــة الستينات فصاعدًا) تلك الفترة التي شهدت الميلاد الراديكالي والحداثي للحركة النسوية، والتي شاعت فيها أفكار فلسفية متطرفة.

– وبســـبب قلـــة الـــبحوث هذه وكثرة الإشكالات التي تطرح في مجال المرأة وقضـــاياها فإن هناك إجماعًا بين المفكرين الإسلاميين –الذين تحدثوا عن الموضوع– بأن الفكر الإسلامي الحديث لا زال يعاني من قصور واضح في مجال دراسات المرأة وقضيتها، وأن الكتابات الموجودة حتى الآن لا تكاد تخرج من إطار رد الشبهات القديمة، وليست هناك مواكبة للفكر الأنثوي المعاصر لمناقشة قضاياها من موقع البيان والتنظير لحياة المرأة المسلمة، وبيان حكم الإسلام في القضايا المعاصرة المتعلقة بها، بالرغم من أن قضية المرأة

---

١) نســـتخدم كلمة (أطاريح) جمعًا لكلمة (أطروحة) بدلاً من (أطروحات) لأنها هي الصحيحة والثانية خطأ شـــائع، ومثلها (أكذوبة أكاذيب، أنشودة أناشيد، وأهزوجة أهازيج....الخ) ...وقد أصدر المجمع العلمي العراقي تعميمًا بذلك.

هـــي من أبرز المعوقات التي توضع في وجه المشروع الإسلامي في العالم، كما أن الفهم السيء لموضوع المرأة شوّه الإسلام في أنظار الكثيرين ومنعهم من الدخول فيه.

– الدراسات السابقة ليست متكاملة، ولا شاملة، بمعنى أنها تحدثت عن بعد واحد أو بعديـــن، ولكن هذه الدراسة حاولت أن تلم بأغلب الجوانب حيث تناولت التاريخ، والتعريف، والأفكار، والسياق الفلسفي، وعلاقة الأنثوية بالمدارس الفكرية، ودوائر صنع القـــرار في العـــالم،....الخ ولذا فإن الباحث يستطيع أن يزعم بأن هذه الدراسة دراسة جامعة في هذا المجال، وإن كانت متواضعة.

– قضية المرأة الآن أصبحت شرطًا من شروط الحياة في المنظومة الدولية، وهناك العديـــد من الاتفاقيات والمؤتمرات والإعلانات...المخصصة لها ، والتي تطلب من الدول الإســـلامية التوقيع عليها مثل اتفاقية(CEDAW) والتي هي جامعة لبقية الاتفاقيات وتعتـــبر أخطـــرها، وفي هذا المجال حاول الباحث أن يدرسها من وجهة نظر إسلامية في محاولة لتقديم رؤية شرعية عن الاتفاقية.

– حاولـــت الدراســـة أن تـــبرز مدى تطرف الفكر الأنثوي ، من خلال عرض مفاهـــيمه وآرائه في مختلف القضايا ومن مصادره الأصلية ، وهذه الجوانب المظلمة عن هـــذا الفكـــر لا يعرفها أغلب الناس ، بل حتى نسبة مقدرة من الباحثين والباحثات في قضايا المرأة، ويظنون أنها من اختلاقات الإسلاميين والمتدينين المسيحيين عليه.

– هـــذه الدراســـة حاولـــت أن تجتهد في طرح منطلقات إسلامية بديلة للفكر الأنـــثوي، وتســـاهم في بـــناء مذهبية إسلامية معاصرة عن المرأة وقضيتها والموقف من حركـــتها، وهي بهذا تجاوزت خانة (رد فعل الآخرين) سعياً منها لكي تكون فعلا ، وفي هـــذا الإطار التنظيري تناولت الدراسة بالعرض والنقد ثلاث معالجات إسلامية معاصرة لهذا الموضوع وهي: الاتجاه (الُمفرِّطَ المتميع) و(الُمفرِطَ المتزمت) و(المعتدل المتوسط).

أهداف البحث

– اطـــلاع الناس على تاريخ الأنثوية ومنشئها وأفكارها في مهدها والمراحل التي مرت بها.

– الإطلاع على كيفية انتقالها إلى العالم العربي –كمثال للعالم الإسلامي– ومقدار الأفكار التي تبنتها الحركة النسائية العربية تأثرًا بالأنثوية الغربية.

– بيان علاقة بعض المؤتمرات والإعلانات والمواثيق الدولية بنشاط الحركة الأنثوية المتطرفة.

– بـــيان أوجه التباين بين المنطلقات والأفكار الأنثوية، وبين المنطلقات والأفكار الإسلامية.

– بيان مدى وعي الحركات الإسلامية بقضية المرأة، وطريقة تعاملها معها.

افتراضات البحث

– الأنـــثوية الراديكالـــية مدرسة فلسفية ومعرفية في مقابل الأديان والفلسفات وليست حركة لحقوق المرأة فقط.

– بعض أفكار الأنثوية متناقضة مع الأديان، ومع حقوق النساء أيضًا.

– لم تتم معالجة أفكار الأنثوية برؤية إسلامية معاصرة بشكل كافي.

– ســـيطرة الأنثوية على الوكالات الدولية والأمم المتحدة واستخدام إمكانياتها للتبشير بأفكارها، أمكنتها من صياغة أفكارها في مواثيق دولية ذات طبيعية إلزامية.

- النظام العالمي الجديد يريد فرض النموذج الأنثوي الراديكالي على العالم كنظام اجتماعي عالمي جديد، وهو بهذا يهدد الإنسانية، والإستقرار الاجتماعي، ويهدد الهوية الثقافية وخصوصيات الشعوب، وتجري هذه العملية عبر وثائق وقوانين ووكالات دولية وبغطاء الأمم المتحدة ومؤسساتها.

منهج البحث

التأصيل: فهذه الدراسة تحاول من خلال نقد الفكر الأنثوي الغربي، بلورة فكر إسلامي أصيل بخصوص المرأة وقضاياها، وهي دراسة (قيمية) بمعنى أنها ترجع الجزئيات المتفرعة إلى أصول وقيم الشريعة، من غير أن يعني ذلك تحيزًا مخلاً بتجرد الباحث وموضوعيته.

الشمول: فالدراسة تناولت الموضوع من زوايا الفلسفة والفكر والتاريخ والقانون، والاجتماع، وعلم النفس، والسياسة والعلاقات الدولية، وتستعين بمختلف الدراسات التي أجريت في هذه المجالات بقصد تناول الموضوع من كل أبعاده.

التفسير: حيث إن الدراسة لا تكتفي بوصف الأفكار والظواهر، بل تفسر العلاقة بينها، والمتغيرات التي حدثت فيها، وتغوص في الأسباب والمسببات، وتشرح السياق الذي ولدت فيه الأفكار وترعرعت.

الاستقراء: حيث إن الدراسة تستخدمها كوسيلة لحصر الآراء وجمع شتاتها في الأدبيات والكتابات لتكوين فكرة متكاملة عن المدارس والتيارات التي تعرضت لبيان آرائها.

النقد: حيث إن الأفكار التي قمنا باستقراءها، ثم تفسيرها ، ومن ثم نقدها وعرضها على منطق العقل والتجربة العملية أولاً ، ثم منطق الوحي والشرع ثانياً.

هيكل البحث

قمـــت بـــتوزيع مواد الدراسة على ستة فصول رئيسية، ولكل فصل مباحث ومطالب متعددة، ويتحدث الفصل الأول عن مفهوم الحركة الأنثوية والتطور التاريخي لها ، ويدخل في هذا تعريفها اللغوي والاصطلاحي، والمراحل التي مرت بها في الغرب إجمالا، وفي فرنســا وبريطانيا وأمريكا بشيء من التفصيل، وهناك في الفصل أيضا بيان لعلاقة الأنــثوية بـــالمدارس الفلســـفية الرئيســـية المعاصرة كالشيوعية والليبرالية والوجودية والراديكالية.

ويتناول الفصل الثاني علاقة البيئة الفلسفية الغربية بالفكر الأنثوي بتفصيل كاف كامـــتداد لمـــا ذكر في الفصل الأول ، وليكون مقدمة لبيان آرائهم الغريبة الشاذة التي جعلـــناها مبحثا أساسيا في هذا الفصل، لأن فهم البيئة الفلسفية وتأثير النزعات الفكرية المخـــتلفة أمر أساسي لمعرفة جذور هذه الأفكار والآراء، ومجيئها على هذه الصورة من التطرف والانحراف.

وتـــناول هـــذا الفصل في (البيئة الفلسفية) النزعات العقلانية والعلمانية والمادية والفردية والنفعية والتشكيكية والعبثية والصراعية وعلاقتها بالأنثوية ودورها في صياغة آرائهـــا حـــول الأسرة والزواج والأمومة والإنجاب، وحرية المرأة، والشذوذ الجنسي، ودعوتهـــا لإزالة سلطة الأب في الأسرة ، وصياغة جديدة للغة والمعرفة، ورؤيتها للقيم والأخلاق والدين والتاريخ والحضارة ... الخ.

وفي الفصـــل الثالث: تناول البحث أثر الأفكار الأنثوية على حركات تحرير المرأة في العالم العربي (كنموذج للعالم الإسلامي)، ويتحدث المبحث الأول عن مراحل الحركة النسوية العربية، والمبحث الثاني عن الأفكار التي سوقت باسم حقوق المرأة ولا علاقة لها

بحقوقها مثل : التشكيك في صحة الدين ، ورفض السنن والأحاديث الصحيحة بالهوى، والدعوة للاجتهاد المتميع ... الخ.

وتـــناول الفصـــل الـــرابع: العولمة الاجتماعية، وانعكاسات الفكر الأنثوي على المؤســـسات الدولـــية. وبدأ المبحث الأول بتعريف العولمة وعلاقتها بالهيمنة والتغريب . وتـــناول المبحـــث الـــثاني أهدافها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية، وتناول المبحـــث الثالـــث آليات العولمة، من نوادي لاتخاذ القرار، وإتفاقيات ومؤتمرات دولية، ومنظمات أهلية محلية ودولية ، وضغوطات الترغيب والترهيب ... الخ . وختم المبحث الـــرابع هـــذا الفصـــل بالحديث عن مؤتمر السكان في القاهرة ، وقراءة شرعية لاتفاقية (CEDAW).

وناقش الفصل الخامس: المساحة المشتركة بين الإسلام والأنثوية ومدى تناقضهما، أيضـــا في كثير من المنطلقات والمفاهيم، وبين المبحث الأول منه خطورة الفكر الأنثوي عـــلى مســـتقبل البشرية عموما ومجتمعاتنا الإسلامية خصوصا، كما بين المبحث الثاني المـــنطلقات الإسلامية المناقضة للأنثوية والبديلة لها، من الحاكمية لله والمرجعية للشريعة، إلى معـــيارية الأخلاق والقيم، إلى الانسجام مع الفطرة، إلى التكامل لا الصراع ... الخ. وتطرق المبحث الأخير إلى موضوع العدل وأهميته في علاقات الجنسين كبديل للمساواة المطلقـــة ، وفـــيه بيان لمفاهيم ثلاثة وهي : المساواة والعدل والإحسان، وكيفية توظيفها لعلاج موضوع المرأة، وأجاب الباحث عن شبهات الغربيين والعلمانيين عن الأمور التي ظـــنوها ظلما للمرأة في الإسلام، وخروجا عن المساواة العادلة، مثل: الميراث، والقوامة، والنشوز، وتعدد الزوجات ... الخ .

ويـــتحدث الفصـــل السادس: عن قضية المرأة من وجهة نظر إسلامية، ويتناول المبحـــث الأول منه الجواب على سؤال: هل للمرأة قضية ؟ وهل نحتاج حركة نسوية ؟

وفي المبحـــث الـــثاني بيان لثلاث معالجات إسلامية لقضية المرأة، الأولى مُفْرِّطة متميعة، والثانـــية مُفْـــرِطة متزمـــتة، والأخيرة معتدلة متوسطة . والبحث قد ختم أخيرا ببعض الاستنتاجات والتوصيات.

صعوبات واجهت الدراسة

قلـــة المـــراجع التي تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر وبمعلومات حديثة، ومن وجهة نظر إسلامية، بل ندرتها ، والمراجع الموجودة ينقصها الكثير من الأمور، فهي غالبًا دراســـات تناقش حقوق المرأة لا الحركة الأنثوية، أو أنها تناقش الأنثوية ولكن من بُعد واحد، ولذلك فإن الباحث أمضى وقتًا طويلاً في جمع المادة، واستعان بمصادر متعددة من أربع لغات وبعض هذه المراجع، هي للحركة الأنثوية الغربية نفسها، عكف الباحث على قراءتها واستخلاص الأفكار منها، ثم نقدها من وجهة نظر إسلامية.

تشـــعب الموضـــوع وسعته، وتعدد المجالات والعلوم التي تتصل به من : فلسفة، وقـــانون، وعـــلم اجتماع، وعلم النفس، ولغة، وسياسة وتاريخ...علاوة على العقيدة والشـــريعة والأديـــان ، ولذلك فقد درس الباحث دبلوم عالي في الدراسات الفلسفية، وبحـــث في هذه العلوم، والتقى بأساتذة عديدين من مختلف التخصصات، وحضر عددا مقـــدرًا من المحاضرات والندوات وورش العمل والمؤتمرات مثل (مؤتمر المرأة والعولمة) ، و(الملـــتقى العـــلمي العـــالمي) للاتحاد النسائي الإسلامي العالمي...حتى تمكن من إخراج البحث في شكله الحالي المتواضع.

عـــدم وجود مكتبة متخصصة تتواجد فيها المراجع المطلوبة لمثل هذه الدراسات، عـــلاوة عـــلى سوء ترتيب وتصنيف أكثر المكتبات الموجودة وعدم توفر وسائل حديثة للبحث فيها، وكونها صغيرة الحجم وتوجد في أماكن متباعدة عن بعضها البعض، وعدم تواصلها مع دور النشر العربية والعالمية للحصول على المراجع الحديثة بالشكل المطلوب.

الفصل الأول

مفهوم الحركة الأنثوية (Feminism)

والتطور التاريخي لها

المبحث الأول: تعريف الحركة الأنثوية

- مدخل عام
- محاولات للتعريف
- المعنى اللغوي للكلمة
- تاريخ ظهور المصطلح
- أبعاد شمولية وراديكالية للمصطلح
- التعريف المختار

المبحث الثاني: التطور التاريخي للحركة الأنثوية في العالم الغربي

- مدخل عام
- فرنسا والحركة الأنثوية
- بريطانيا والحركة الأنثوية
- أمريكا والحركة الأنثوية

المبحث الثالث: تيارات الحركة الأنثوية وتأثرها بالمدارس الفلسفية

– التيار الأول والثاني للأنثوية

– الليبرالية والأنثوية أو الحركة الأنثوية الليبرالية

– الشيوعية والحركة الأنثوية

– الوجودية والحركة الأنثوية

– الراديكالية والحركة الأنثوية

الفصل الأول

مفهوم الحركة الأنثوية (Feminism)

والتطور التاريخي لها

المبحث الأول

تعريف الحركة الأنثوية

المطلب الأول

مدخــــــل عام

هناك محاولات عدة لتعريف(Feminism) ولكن من الصعب تحديد تعريف جـــامع ومـــانع بحيـــث يكون دقيقًا وشاملاً، دقيقًا في عرض مفاهيمها الرئيسية وشاملاً للتـــنوع الموجـــود داخـــل تياراتها، ولأن الحركة النسائية في الغرب قد تطورت حسب المـــراحل التاريخـــية ابـــتداءا من القرن التاسع عشر، وتوزعت فصائلها بين الانتماءات الفكـــرية والفلسفية المختلفة الاشتراكية والليبرالية... ومن جانب آخر فإن تعريفها تأثر أيضًـــا بـــنوع التركيز واستقطاب العضوية واستيعاب شرائح النساء المختلفة، حيث أن بعضها احتوت الطبقات العاملة والمتوسطة من النساء، وبعضها كان اهتمامها مركزًا على المـــرأة البيضاء والبعض الآخر على المرأة السوداء، أو المرأة العاملة فقط ، ولكن القاسم المشترك بين هذه التيارات جميعًا كان الدفاع عن حقوق أساسية معروفة للمرأة.

وكانت نهايات القرن التاسع عشر بدايات لظهور حركات نسوية منظمة في العالم الغربي وخصوصًا في فرنسا وبريطانيا وأمريكا، وفي ضوء التنوع الفكري والتنظيمي الذي ذكرناه سلك الباحثون سبلاً مختلفة لتعريفها.

محاولات للتعريف

"في السبعينات عرفت تعريفًا راديكاليًا في أمريكا، والليبراليون عرفوها بأنها حركة سياسية منظمة تدعو لمساواة المرأة بالرجل"[1] ، وفي هذا استبعاد لمفهوم التيارات الحديثة الأنثوية الراديكالية التي تجاوزت مفهوم المساواة إلى أبعاد أعم وأعمق.

"وهناك من قالوا في تعريفها : أنها أي(**Feminism**) كلمة تدل على الأفكار التي ترتكز عليها العلاقات بين الجنسين في المجتمع، وأصول تلك العلاقة، وطرق تحسينها وتطويرها"[2]. وهذا التعريف فيه استبعاد للتيارات المتشددة التي هي حركة منظمة تسعى لتغيير بنى اجتماعية وثقافية وقانونية، ويركز التعريف على الأفكار والأصول وطرق التحسين والتطوير.

ومن القراءة السطحية يتبادر إلى الذهن أنه يمكن أن يكون جامعًا للتيارات المختلفة الفكرية لكونه جاء بكلمتي (الأفكار) و(الأصول) عامتين، ولكن الملاحظة الدقيقة للتعبير الأخير (طرق التحسين والتطوير) تستبعد التيارات الراديكالية من هذا التعريف، لأن تلك التيارات لا تدعو للتحسين والتطوير وإنما للتغيير والاستئصال وغيره، كما سنبين لاحقًا ونستنتج أن هذا تعريف ليبرالي إصلاحي أيضًا.

---

١) **Ramazan Oglu, (Feminism as Contradiction) 1989 Feminism as a Theory of Oppression**

٢) المرجع نفسه ، ص ٧.

وعـرفها الـبعض " بأنها المطالبة بأخذ وضع سياسي يمكن المرأة من حقوقها"[1] ويؤخذ على هذا التعريف أيضًا اختزاله هذه الحركة في بالمطالبة بأخذ وضع سياسي وهذا الاختزال يخلق عدة إشكاليات منها:

أن هذه الحركة ليست المطالبة فقط، وإنما ممارسة وفعل أيضًا.

المطالـبة ليسـت لأخذ وضع سياسي فقط، وإنما لأخذ أوضاع سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية...الخ.

ولكـن يبدو أن صاحب التعريف يعتبر أن الوضع السياسي أم الأوضاع الأخرى كـلها ومؤشر لتغييرها جميعًا، وهذا أيضًا لا أراه صحيحًا ، بل ربما العكس هو الصحيح أي إن الأوضاع السياسية تأتي تبعًا للأوضاع الأخرى ومعبرًا عنها.

وهناك تعريفات أخرى ترى: "إنها قوة اجتماعية، لأن أي مجتمع يقسم الإنسان إلى ذكـر وأنـثى ، فإن قيمة المرأة دون الرجل، هذه هي الفكرة التي ولدت هذه الحركة، وتعـتمد عـلى مقدمة منطقية وهي أن المرأة تستطيع بوعيها، وتجمعاتها، أن تغير المكانة الاجتماعية لها." [2]

ويتـناول هـذا الـتعريف بيان علة نشوء هذه الحركات وتحددها بدونية المرأة والتميـيز الموجود ضدها، ويطرح موضوع (التغيير) لهذه المكانة التي تعيشها، وهذا ما يجعله تعريفًا راديكاليًا إلى حد ما.

---

١) المرجع نفسه ، ص ٧.

٢ (Maggi Humm (Feminism: as a Reader) Harvester Wheatshea p.1 i ed (1992)

وربمـــا تكون الأفكار الراديكالية أوضح عند التعريف القائل: "الإيمان بالمساواة الجنسية بالإضافة إلى استئصال(**eradication**) السيطرة المبنية على الجنس، وكذلك الانتقال بالمجتمع." [١] والتعريف يشير إلى أمرين:

١- الأساس الفكري للحركة وهو الإيمان بالمساواة، والمراد بها عند الراديكاليين المساواة المطلقة الكاملة في كل شيء.

٢- تحقيق تغيير اجتماعي شامل من الاستئصال والانتقال المذكورين.

يقـــول روجـــيه غارودي: "بأن هذه المطالب لا تهدف فقط إلى إقامة المساواة بين الـــرجال والنســـاء داخل المجتمع غير متصف بالعدل أساسًا، بل ترمي إلى احداث تغيير جذري في هذه البنى الجائرة التي أنشأتها السلطة الذكورية"[٢].

وأخيرًا يقول البعض عنها: "بأنها أي(**Feminism**) كنظرية اجتماعية، وممارسة سياسية، قد اهتمت بالكفاح لتغيير العالم، وأهدافها معروفة"[٣]. وهذا التعريف يشير إلى مرحلة تبلور هذه الحركة كمدرسة فلسفية ونظرية اجتماعية، وبرزت أفكارها في أطاريح أكاديمـــية وأطر تحليلية متعددة تحمل طابع الفلسفات المختلفة لعصر الحداثة الغربية وما بعد الحداثة. وهذا هو المعنى الذي دفعنا إلى أن نطرح قراءة إسلامية لأفكارها ومعتقداتها ونظرياتها وأطرها التحليلية التي تعتمد عليها في تناول الموضوعات المختلفة.

---

١) المرجع نفسه، ص ١.

٢) روجيه غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة) ترجمة جلال مطرجي، دار الآداب بيروت، ١٩٨٢، ص١١.

٣) **Ramazan oglu (Feminism as contradiction) p.9**

المطلب الثاني

المعنى اللغوي للكلمة

ولتوضيح كنه هذه الحركة واختيار تعريف مناسب لها –أقول (مناسب) لأن الاختيار الدقيق الجامع المانع ربما يكون متعذرًا في أغلب القضايا المتعلقة بالفلسفة والعلوم الاجتماعية– لابد من أن يكون المدخل الأولي له تحليلاً لغويًا للاسم، ثم محاولة وضع هذا الاسم بعد التحليل على مسمى يتطابق معه. وقد يظهر من خلال التحليل اللغوي عدم دقة إطلاق هذا الاسم على كل تيارات الظاهرة العالمية المعروفة بالحركة النسوية، وقد يكون هناك خلط أو تعميم غير دقيق بين ما يمكن وصفها بأنها حركة نسائية أو نسوية أو أنثوية ، وأحيانًا لا يكون التفريق بين هذه المصطلحات أيضًا من تدقيق لغوي بقدر ما يكون تفريقًا متعارفًا عليه أو (اصطلاحيًا) عند بعض من المفكرين، كما يقال بأن مصطلح (النسائي) يطلق على الحركات النسائية الليبرالية وتطلق الحركة (النسوية) على التي تنحو منحى راديكالي ويساري، علمًا بأن الفرق اللغوي بين النسائي والنسوي لا يحتمل هذا، ولكن ربما يكون الأمر بالنسبة لمصطلح (النسوية) والأنثوية مختلفًا إلى حد ما.

إن كلمة أو مصطلح(Feminism) لغويًا، وحسب ما ورد في القواميس المختلفة[1]، مأخوذة من(Female) و(Feminie) والتي تعني الأنثى والأنثوي أو من كلمة(Femina) اللاتينية والتي تعني المرأة[2] ،عليه يمكن ترجمتها لغويًا بالأنثوية لا النسوية التي هي(Womenism) ويمكن ملاحظة الفرق بين المفهومين بوضوح حيث أن لكل من المصطلحين دلالات وإيحاءات مختلفة عن الآخر، وتؤيدنا في هذا الدكتورة

---

١) مثل قاموس أكسفورد.و The New Method English dictionary وغيرهما.

٢) الدكتور كمال مظهر (نافره ت له ميزودا) المرأة في التاريخ (باللغة الكردية)، ص ٣٥ ، مطبعة الحوادث ، بغداد ، ١٩٨١.

(شريفة زهور) في مقال لها في مجلة (قراءات سياسية) حيث تقول: "وبينما لا تصف كثير من النساء الإسلاميات أنفسهن بأنهن يمثلن (أنثوية إسلامية Islamic Feminism ولا يُعرنَ المصطلح اهتمامًا فبالتأكيد يمكن اعتبار الكثير منهن كمثال (للنسوية الإسلامية islamic Womenism) كما يطلق عليهن في العالم الثالث ولا سيما في أفريقيا".

وتذكـــر بعد ذلك في الهامش: "يستخدم مصطلح Womenism الذي ترجم هـــنا (نســـوية) في العالم الثالث تفاديًا لمصطلح Feminism الذي ترجم (أنثوية) لما للأخير من جوانب سلبية في أذهان النساء في العالم الثالث لارتباطه في الكثير من مضامينه بالغرب وقيمه ولا سيما الطبقية والمتعالية منها".[1]

المطلب الثالث

تاريخ ظهور المصطلح

لـــيس هناك تاريخ محدد لظهور المصطلح في الأدبيات المعاصرة، وبعض اللغات لا توجد فيها كلمة(Feminism) للتعبير عن سياسات المساواة بين الجنسيين، وقيل إنها ظهـــرت في بريطانيا لأول مرة علم ١٨٩٠ميلادية[2]، ولكن هذه الكلمة وجدت الآن طريقها إلى أكثر لغات العالم كعنوان واسم للحركات التي تنادي بمساواة الجنسين وتمكين المـــرأة في الحـــياة العامة وتحقيق استقلالها عن الرجل ..الخ . وتستخدم في هذه اللغات باللفظ الإنجليزي نفسه أو بشيء من التحوير، وهذه الكلمة الآن أصبحت عنوان مدرسة فلسفية خاصة بقضية المرأة وعلاقات الجنسين، بل وتتناول جميع أبعاد الحياة ذات الصلة بهـــذا الموضـــوع، وحالـــيًا فـــإن الحركة النسوية قد توسعت وتشعبت الآراء والميول

---

١) مجلـــة (قـــراءات سياسية) التي تصدر من مركز دراسات الإسلام والعالم، باكستان، السنة الثالثة، العدد الثاني، ١٩٩٣م، في مقاله بعنوان: الإسلاميون في مصر قراءة في قضية المرأة، ص:٣٢.

٢) Maggi humm (Feminismas a Reader) p.1

والاتجاهـــات فـــيها بحيث أصبحت مدارس متعددة وتيارات ليبرالية، ودينية، وشيوعية، ووجودية، ودنيوية، وراديكالية متطرفة..الخ كما سنبين هذا في مباحث لاحقة.

أبعاد شمولية وراديكالية للمصطلح

وهـــناك مـــن المفكـــرين من يرى أن مصطلح(Feminism) خاص بالمدرسة الراديكالية المتطرفة في داخل الحركات النسائية والتي تتبنى نهجًا عدائيًا تجاه الرجل وتنظر إلى المـــرأة مجـــردة عن السياق الاجتماعي، ومنهم الدكتور عبد الوهاب المسيري الذي يتـــناول هذا الأمر في بحث له حول (دراسة التحيز وعلاقة الدال بالمدلول)، وفيه يتطرق لتفسير وتحليل الكثير من الكلمات والمصطلحات الواردة في أدبياتنا المعاصرة واختلاف المدلـــولات بينـــنا وبـــين الغربيين عندما نستعمل مصطلحًا واحدًا، ويأتي إلى مصطلح (Feminism) والفرق بينه وبين المصطلح القديم للحركة النسوية (Women's Liberation Movement) ويقـــول: "ظهر منذ عدة سنوات[1] مصطلح آخر هـــو (Feminism) وحـــل محـــل المصطلح الأول (حركة تحرير المرأة والدفاع عن حقوقهـــا) وكأنهما مترادفان ، أو كأن المصطلح الأخير أكثر شمولا من المصطلح الأول، ولكنـــنا لـــو دققنا النظر في المصطلح الأخير لوجدنا أنه يشير في واقع الأمر إلى مدلولين مختلفين تمام الاختلاف: (حركة تحرير المرأة) و (حركة التمركز حول الأنثى)..

وهما حركتان في تصورنا مختلفتان، بل متناقضتان، فحركة تحرير المرأة هي حركة اجتماعـــية، بمعنى أنها تدرك المرأة باعتبارها جزء من المجتمع، ومن ثم تحاول أن تدافع عن حقوقهـــا داخل المجتمع، ورغم أن هذه الحركة علمانية –في رأينا– في رؤيتها، تستند إلى فكـــرة العقد الاجتماعي والإنسان الطبيعي والإنسان الاقتصادي، إلا أن مثلها الأعلى

---

١) الأدق حسب رأيي أن يقول الدكتور (شاع) بدلا من (ظهر) في العالم الإسلامي لأن مطلق ظهور الكلمة في العالم مضى عليه زمن طويل وحتى ظهورها في العالم الإسلامي يفوق عدة سنوات بكثير.

يحـــوي داخله أبعادًا إنسانية واجتماعية لعلها بقايا رؤى المجتمع التقليدي الديني الغربي، ومـــع تصاعد معدلات العلمنة، بدأت هذه البقايا في التبخر، وتراجع البعد الاجتماعي، وتم إدراك الأنـــثى خـــارج أي إطار اجتماعي، كأنها كائن قائم بذاته، وظهرت نظريات تتحدث عن ذكورة وأنوثة اللغة، والفهم الأنثوي للتاريخ، والجانب الذكوري أو الأنثوي في رؤية الإنسان للإله، أي أننا هنا لسنا أمام قضية حقوق المرأة الاجتماعية والاقتصادية أو حتى الثقافية، وإنما أمام رؤية معرفية متكاملة، نابعة من الإيمان بأن الأنثى كيان منفصل عن الذكر، متمركزة حول ذاتها، بل وفي حالة صراع كوني تاريخي معه.

ومن هنا تسميتنا لها "حركة التمركز حول الأنثى " وبالتالي فالبرنامج الإصلاحي الـــذي تطرحه لا يهدف إلى تغيير القوانين، أو السياق الاجتماعي للحفاظ على إنسانية المرأة باعتبارها أمًا وزوجة وابنة وعضوًا في المجتمع، وإنما تهدف إلى تغيير اللغة الإنسانية، ومسار التاريخ والطبيعة البشرية ذاتها حتى يتم اختلاط الأدوار تمامًا وحتى يتحسن أداء المرأة في إدارة الصراع مع الرجل، وقد نتفق أو نختلف في هذا الوصف للحركتين، ولكن المهم أنهما حركتان مختلفتان تستخدم كلمة واحدة للإشارة لها في اللغات الأوروبية.

وقـــد بدأنا نحن أيضًا في اتباع هذا الأسلوب، ونشير إلى كل من حركات تحرير المـــرأة والـــتمركز حول الأنثى بأنها حركات تحرير المرأة، وفي هذا خلل أيّما خلل، وهو تغييب لمجموعة من الفروق الجوهرية بين الحركتين"[1]

---

١) الدكـــتور عـــبد الوهاب المسيري، (إشكالية التحيز)، الجزء الأول، من منشورات المعهد العالمي للفكر الإســـلامي بأمـــريكا، ١٩٩٦.وإذا كان الدكتور سمى هذه الحركة (بحركة التمركز حول الأنثى)، فإني أفضل تسميتها بـــ(الحركة الأنثوية) تمييزا لها عن الحركة النسائية، التي نتفق معها في دفاعها المشروع عن قضايا المرأة.

المطلب الرابع

التعريف المختار

وهـذا المعنى الذي ركز عليه الدكتور المسيري في تحليله للمصطلح ، وهو الذي نـريد نحـن تجلية أبعاده في هذا البحث لأن هذا البحث يتوجه أساسًا لنقد تلك الرؤية الأنـثوية المتطرفة، ولعل هذا هو المعنى الذي يقصده الدكتور مراد هوفمان عندما يصف هـذه الحركة بقوله: "الدفاع عن المرأة دفاعًا أنثويًا مفرطًا"[1] ولاشك أن الكلام الذي سـبق يقودنـا بشـكل مباشر إلى تقديم تعريف اصطلاحي إن كان قد بقي من توضيح الدكـتور المسـيري بقية، وهنا يمكن القول بأن (الأنثوية) الراديكالية والتي نحن نناقش أفكارهـا في البحـث هي: "حركة فكرية سياسية اجتماعية متعددة الأفكار والتيارات، ظهـرت في أواخر الستينات، تسعى للتغيير الاجتماعي والثقافي وتغيير بنى العلاقات بين الجنسـين وصـولاً إلى المسـاواة المطلقة كهدف استراتيجي وتختلف نظرياتها وأهدافها وتحليلاتها تبعًا للمنطلقات المعرفية التي تتبناها، وتتسم أفكارها بالتطرف والشذوذ، وتتبنى صـراع الجنسين وعدائهما، وتهدف إلى تقديم قراءات جديدة عن الدين واللغة والتاريخ والثقافة وعلاقات الجنسين".

ويمكن شرح مفردات هذا التعريف التقريبي على النحو التالي:

حـركة فكـرية: بمعنى أنها تمتلك أفكارًا وثقافة خاصة وعندها نظريات لتفسير القضـايا ذات الصـلة بميدانها، وهذه النظريات بالنسبة لها بديل عن المرجعية الدينية وغيرها.

---

[1]) مراد هوفمان (الإسلام كبديل) ص ٢٠٦، نشر مؤسسة بافاريا، ومراد ألماني الجنسية وكان سفيرًا لدولة ألمانـيا في عـدة عواصم ودخل الإسلام عن قناعة ودراسة، وهو الآن نشط في البحث والدعوة، وواجه معارضة شديدة من العلمانيين عند كتابته لهذا الكتاب وهو سفير لألمانيا.

حركة سياسية : بمعنى أنها تلتمس لتحقيق أهدافها نوعًا من ممارسة العمل السياسي عبر منظمات جماهيرية وجماعات ضغط ومؤسسات المجتمع المدني. والتي هي قناة من قنوات ممارسة العمل السياسي، سواءا كانت هذه المنظمات تابعاً للأحزاب التي تكون موجودة أم تكون مستقلة، بل إنها الآن تمارس العمل السياسي على مستوى العالم عبر الضغط على مؤسسات الأمم المتحدة وبالذات عبر المجلس الاقتصادي والاجتماعي وصناديق السكان والطفل، ولجنة المرأة ومؤتمراتها المختلفة، واتفاقياتها المتعددة وسوف نتطرق لهذا في مجال خاص من هذا البحث.

حركة اجتماعية: لأنها تمس الأسرة وبنى العلاقات فيها ودور المرأة في المجتمع.

وهي متعددة الأفكار و التيارات: وهذه إشارة إلى تعدد الخلفيات الفكرية والإيديولوجية التي تستند إليها هذه الحركة.

في قولنا: "تسعى للتغيير الاجتماعي والثقافي" إشارة إلى أن هذه الحركة لا تتبنى إصدار بعض القوانين الشكلية لتحسين أوضاع المرأة ، وإنما تريد تغيير الثقافة والنظرة والعلاقات وصناعة أعراف وقيم جديدة ...الخ . فوضع المرأة القانوني لا يتحسن إلا بوجود إرادة سياسية، وهي لا تتوفر إلا بتوفر وعي ثقافي جديد ، وهذا لا يمكن إلا بتغييرات لابد من حصولها في نظرة الناس وكيفية تناولهم للأمور وهلم جرّا.

ولا شك في أن التعريف الذي قدمناه هو تعريف للأنثوية (أي الحركة النسائية الراديكالية)، ونحن بهذا رجحنا أن نجعل الأنثوية علمًا خاصًا للفصيل المتطرف في الحركة النسائية، وذلك للعلاقة القوية بين الأنثوية كاسم وعلم وبين فكرة التمركز حول الأنثى وتجريد المرأة من أبعادها الاجتماعية الإنسانية وتركيز النظر إلى أنوثتها فقط، وهذا هو الأنسب والأقرب إلى طبيعة اللغة العربية ومدلولاتها. أما الغربيون فقد درجوا على الخلط في هذا الاسم واطلاقه على جميع فصائل الحركة النسائية حتى تلك التي تتبنى اتجاهات

دينـــية أو اجتماعية محافظة، بل يقولون **Islamic Feminism** للحركات النسائية الإســـلامية. لـــذا نلاحـــظ أن بعضا من كُتابهم يقولون مثلا: "إن حركة تحرير المرأة في الســـبعينيات كانـــت تتضـــمن أنـــثوية ليبرالية، وأنثوية اشتراكية، وأنثوية راديكالية"[1] فالراديكالية عندهم تيار من تيارات حركة تحرير المرأة، وكل التيارات الأخرى يسمونها بـــ**Feminism** سواءا كانت متطرفة في أطروحاتها أو معتدلة.

---

[1] **Nickie Charles. Reactising Feminism-Identity, Difference, bower Rotledge1996 London and New York. .p**

المبحث الثاني

التطور التاريخي للحركة الأنثوية في العالم الغربي

المطلب الأول

مدخـــل عام

لاشـــك إن الحديـــث عن الحركة الأنثوية، وبيان المراحل التي مرت بها منذ بداية ظهورهـــا إلى المســـرح السياسي والاجتماعي والثقافي، وحتى وصولها إلى شكلها الحالي بمطالـــباتها المعـــروفة، هـــو الذي يدلنا على كيفية تطور أطاريحها، وتأثرها بالمفاهيم التي سادت في تلك الفترات، وبالتالي رفع سقف طموحاتها ومطالباتها مع درجة تقبل المجتمع من جهة، والتحولات الفكرية والأيديولوجية التي كانت تحدث داخلها من جهة أخرى.

وهـــذا الحديـــث يقتضـــي بالضرورة إلقاء الضوء على تاريخ نشوء وتطور هذه المطالـــبات النسوية في بلاد الغرب الأساسية، فرنسا وبريطانيا، وأمريكا،كنماذج عملية لشرح هذا الموضوع.

قالـــت النســـاء في فرنســـا: "لم يكن إعلان حقوق الإنسان سوى إعلان لحقوق الـــرجال"[1] و"إذا كـــان يحق للمرأة أن ترتقي منصة الإعدام فمن حقها أيضًا أن ترتقي المنـــبر"[2] و"الرجل يتألم أينما كان في المجتمع اللعين، ولكن ليس من ألم يضاهي ألم المرأة، فهي سلعة في الشارع، وفي الأديرة تخنقها الأنظمة في تشابكها، وتحطم عقلها وقلبها، وفي

---

١) روجيه غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة) مرجع سابق، ص٣٧.

٢) المرجع نفسه ، ص٣٨.

منزلهـــا يســـحقها العبء، ويصر الرجل على أن تبقى في ذلك الوضع ليظل ضامنًا عدم تجاوزها على وظائفه وألقابه"[1]

وقالت النساء في أمريكا: "خذوا مصائرنا المحطمة واجعلوا منها فجرًا"[2] و"المرأة ســـوداء بالنســـبة للـــرجل الأبيض"[3]، وقالت نساء البرتغال غداة تحرير "أنغولا" و "موزنبيق": "النساء آخر مستعمرة للرجل!!"[4].

بمـــثل هذه الشعارات والمقولات اجتاحت دول أوروبا وأمريكا في القرن الثامن عشر مطالبات نسوية، وكتابات، ومظاهرات تطالب بحقوق المرأة الأساسية، واستمرت هذه الكتابات والمطالبات حتى تحولت في منتصف القرن التاسع عشر إلى حركات نسائية مـــنظمة ومؤثرة في المجتمع ونفوذها كانت تتعاظم يومًا بعد يوم، وكانت هذه الحركات تركز في بدايتها على حق المرأة في التعليم ودخول الجامعات والمعاهد وتركز على الإدلاء بصـــوتها في الانـــتخابات العامـــة، وتدافع عنه بشدة باعتبارها أساس الحقوق السياسية الأخرى، وجوهر المشاركة في الحياة العامة، ولما كان يشيع على ألسنة المعارضين تخوفهم عـــلى أنوثـــة المرأة إذا هي شاركت في الانتخابات! كانت واحدة من زعيمات الحركة النســـوية تقـــول: "إن المرأة التي تضطر للوقوف على قدميها في المصنع الذي تعمل فيه ثـــلاث عشرة أو أربع عشرة ساعة متواصلة وسط الحرارة الشديدة والبخار اللافح لن تفقد المزيد من أنوثتها إذا هي توجهت إلى صناديق الاقتراع مرة واحدة كل عام"[5]

---

١) روجيه غارودي ، (في سبيل ارتقاء المرأة) ، ص ٤٥.

٢) المرجع نفسه ، ص ٤٦.

٣) المرجع نفسه ، ص ٥٥.

٤) المرجع نفسه ، ص ٥٦.

٥) فتحية إبراهيم، مجلة (عالم الفكر) المجلد التاسع –العدد الرابع في مقال بعنوان دراسات نسائية ، ص ٢٦٤ .

ولقـــد كـــان هـــناك الكثير من الأسباب التي أدت لقيام هذه الحركات النسوية كحـــركات رفـــض واحتجاج على الواقع السيء الذي كانت المرأة قد حُشرت فيه ، ولاســـتعادة الكـــثير من الحقوق الثقافية والاقتصادية والسياسية التي حرمت المرأة منها ظـــلمًا، وســـوف نتناول هذه الأسباب والمبررات والحيثيات في موضع مستقل من هذا البحث حتى نوفيها حقها.

والـــذي نريد عرضه في عجالة هنا هو نبذة تاريخية أو لمحة موجزة عن الحركات النسوية الأساسية في كل من فرنسا وبريطانيا وأمريكا حتى تتكون عندنا فكرة مبدئية ، ولكـــي يكون مقدمة للكلام الذي يأتي عن التيارات الأنثوية الجديدة وكيفية وصولها إلى مرحلة الأنثوية المتطرفة، والفرق بين التيار القديم **(First Wave)** أو الأول، والتيار الجديد أو الثاني **(Second Wave)** كما يسمى في الأدبيات الغربية.

المطلب الثاني

فرنسا والحركة الأنثوية

إن بوادر الحركة الأنثوية ظهرت في شكل مجموعات تنادي بحقوق النساء وتحسين أوضاعهن مباشرة بعد الثورة الفرنسية التي قامت سنة ١٧٨٩م، ففي عام ١٧٩٠م وفي أجـــواء شعارات قوية مرفوعة تبنتها الثورة عن الحرية والمساواة والإخاء، وأفكار تحررية أصَـــمَتْ آذان العالم، وذاع صيتها فكان لا بد للمرأة التي كانت تعيش في ظلم حقيقي، ودونـــية واضـــحة –شاركت في رسم ملامحها الثقافة السائدة، وطبيعة القوانين الجائرة والحالـــة الاجتماعية المزرية، والنظرة المتخلفة لقضايا المرأة...الخ– أن ترفع صوتها وأن تصـــدق الشـــعارات الثورية البراقة التي أخذت لبها... وأن تطالب بحقها في الثورة التي ساهمت النساء فيها بمساهمات مشهودة.

فقامـــت المجموعـــات النسائية بتشكيل نوادي وجمعيات المرأة في باريس والمدن الكـــبيرة الأخـــرى، وكانـــت هذه النوادي مقرات لتجمع النساء وتعبئتهن وتوعيتهن بحقوقهـــن المستلبة وكيفية استردادها، وطرحت هذه المجموعات النسائية بعض المطالب والأطاريح لإصلاح الوضع منها:

-توسيع فرص تعليم المرأة وتحسينها والمساواة في ذلك.

-المساواة القانونية في العمل وتولي الوظائف الحكومية.

ولقد توجت هذه المطالبات بعمل فكري مهم شكل فيما بعد -كوثيقة فكرية- سندًا أساسيًا لحركة المرأة عرف بـــ (إعلان حقوق المرأة والمواطنة) وكان فيه ١٧ مادة بشأن تصورهن لحقوق النساء، وأودعنها بلدية باريس عام ١٧٩٣م، واستدلت (ماري كـــوز **Marie Gouze**) صاحبة هذه الوثيقة والإعلان[١] على أن مفهومي المواطنة والمســـاواة لا يقتصران على الرجل وحده، إذ كيف يمكن تحقيق المساواة في وطن نصفه يعاني من التمييز وعدم المساواة ومحروم من الحقوق التي يتمتع بها الرجل أو الذكر.

ولكن رد الحكومة الفرنسية والجمعية التأسيسية كان قاسيا إلى حد بعيد، ودليلا عـــلى زيف الشعارات التي رفعتها الثورة الفرنسية، وقصورها وضيق تعريفها[٢]، حيث قامت السلطات التنفيذية للثورة الفرنسية بإعدام (ماري كوز) في ١٧٩٣ وأغلقت جميع

---

١) هكـــذا ورد في كـــتاب انـــتوني جيدنز (**sociology polity**) الذي ترجمه إلى الفارسية منوجهري صـــبوري بعنوان: (جامعة شناسي) ، ولكن روجيه غارودي يذكر هذه القصة في كتابه (في سبيل ارتقاء المـــرأة) ويسمي هذه المرأة بـــ (أولامب دي غوج) والكاتبان يتفقان في أن الوثيقة كتبت وأن صاحبتها أعدمت في العام المذكور ولكنهما يوردان اسمين مختلفين ولعلها عرفت بهما.

٢) فهي لم تكن إلا شعارا كشعار (الإعلان الأمريكي للاستقلال) الذي أكد بوضوح (مساواة جميع الكائنات الإنسانية أمام الله) ولكنه مع ذلك لم يلغ الرق واستعباد السود ولا التمييز العنصري.

النوادي والجمعيات النسائية، وقامت اللجنة التشريعية في الجمعية التأسيسية بتضمين هذا النص في واحد من تقاريرها: "الأولاد وفاقدو العقل، والقاصرون والنساء، والمحكومون بعقوبـــات بدنـــية شائنة، لن يكونوا مواطنين" وهكذا فإن الجمعية التأسيسية (البرلمان) حرمـــت النساء بموجب مرسوم من الحقوق المدنية، ومن حق إنشاء الجمعيات[1] ونتيجة لإعـــدام (أولمب دي غوج) رفعت النساء الشعار المعروف: "إذا كان من حق المرأة أن تـــرتقي منصــــة الإعدام فمن حقها أيضا أن ترتقي المنبر" وهي لم تكن الضحية الوحيدة لتعنت الأنظمة الغربية وقسوتها في الرد على المطالبات النسوية[2] حتى ولو كانت عادلة و حقة كمطالبات التيار الأول للحركة.

يقول غارودي مؤرخا للحركة النسوية الفرنسية : "ولقد كان القرن التاسع عشر الأشد قتلا للنساء فمن تمكن منهن من رفع الصوت كتبن مؤلفات يشكل عنوانها صرخة ألم وغضـــب من (هجرات منبوذة) عام ١٨٣٨م تأليف (فلورا تريستان) إلى (ذكريات امـــرأة ميـــتة ـــحية) تأليف (فيكتورين بروشر) (نشرت سنة ١٩٠٦م)[3] واستمرت وضعية المرأة على ما هي عليه في بدايات القرن العشرين والعقود الأولى منه بالرغم من الـــتطورات الفكـــرية والسياسية والاقتصادية التي حدثت في أوروبا عموما، وخصوصا الـــثورة الصناعية والحرب العالمية الأولى التي أدت إلى زيادة حجم التواجد النسائي في القوى العاملة التي كانت قوة ضغط مهمة على المجتمع والقوى السياسية، وبالرغم من أن فرنسا معروفة بنزعاتها الفلسفية العقلانية، وشهدت ميلاد الكثير من الفلسفات والمدارس الأدبية والفنية، وشهدت الثورة الفرنسية التي سبق الحديث عنها والتي كانت تمردا على تقالـــيد الظلم والعقلية البالية للكنيسة والإقطاع والملكية...وبعد فترة غير وجيزة بدأت

---

١) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة)، مرجع سابق، ص٣٨.

٢) انتوني جيدنز (جامعة شناسي)، ترجمة منوجهري صبوري، طهران : انتشارات (ني)، ١٩٨٩، ص٢٠٠.

٣) روجيه غارودي، (في سبيل ارتقاء المرأة) مرجع سابق، ص ٣٩-٤٠ وفلورا تريستان هذه كاتبة ومفكرة فرنسية معروفة في مجال النضال العمالي والنسوي وكانت تجوب المدن للتبشير بفكرها.

كفة الحركات النسوية في الرجحان لصالحها، ففي سنة ١٩٤٥م حصلت المرأة في فرنسا عـــلى حق التصويت مع أخواتهن في اليابان والمجر وإيطاليا وفيتنام و(كانت فرنسا البلد السادس والثلاثين في العالم الذي يعترف بهذا الحق) وفي العام نفسه أقر مبدأ التساوي في الأجر عند التساوي في العمل[١].

وجـــاءت الســـتينات وشـــهدت أيضـــا فترة الانتعاشة الثانية أو الموجة الثانية الراديكالـــية للحركة النسوية، والتي يمكن أن نقول إنها شهدت بدايات الأنثوية المفرطة، ولقـــد سمى الكثيرون ما حدث في نهاية الستينات (١٩٦٨) من ثورات شبابية وطلابية (انفجارا) غَيَر الكثير من المفاهيم والرؤى ونمط العلاقات بين الأشياء[٢].

وفي هـــذه المـــرحلة كانـــت الـــريادة للمفكرة الوجودية المعروفة (سيمون دي بوفوار)[٣] وكتابها (الجنس الآخر) أو (الجنس الثاني) وكانت فكرته المركزية المتفرعة من الموضـــوعات الرئيســـية للوجودية تقول: "لا يولد المرء امرأة بل يصير كذلك" وكانت تشـــدد بذلك على أن المرأة ليس لها جوهر أو طبيعة أبدية، بل التاريخ، والمجتمع الذي تعـــيش فيه يرسم لها في كل حقبة التجويف من أجل قالب تدعي للتقيد به، أو تجبر على ذلك"[٤] وهذه الأفكار التي أثرت في قطاع عريض وأجيال متعددة من النساء قد بدلت

---

١) المرجع نفسه ، ص٥٦، الاعتراف بحق المرأة في الانتخاب والتصويت تأخر في سويسرا إلى سنة ١٩٧١م حسب ما ورد في إحدى نشرات الأمم المتحدة.

٢) غارودي يفصّل القول في الحركة الشبابية في كتابه (البديل) وكيف أنها كانت ثورة جذرية شاملة ترفض وتشكك في الواقع القائم وتريد تغييره من الجذور.

٣) سنشـــرح ونطرح الكثير من أفكارها عند حديثنا عن (الوجودية والأنثوية) لاحقا. وهي فيلسوفة فرنسية وجودية معروفة (١٩٠٨-١٩٨٦م)، درست الفلسفة مع سارتر في (سوربون) وسافرت معه لكثير من الـــدول وعاشـــت معـــه ولكن دون زواج، من كتبها المعروفة عن المرأة (الجنس الآخر) والذي ألفته في الخمسينات..

٤) غارودي، (في سبيل ارتقاء المرأة)، ص ٥٦-٥٧.

الكـــثير مـــن أطاريح الحركة النسوية حيث بدأ هذا الجيل الجديد يركز على (الحرية) بمعناها المطلق، وأن تملك المرأة جسدها لأنه ببساطة ملكها!!!

"وقـــد انطلقت نسوية جديدة على أثر هذه الحركة التي كانت تتحدى المحرمات مـــنذ آلاف السنين، من العمل إلى العقل، ومن الجيش إلى الجنسانية، ومن الأحزاب إلى الكـــنائس"[1] لقـــد انطلقت هذه الحركة بكل قوة مدعومة بروح معنوية عالية، وحجج منطقـــية قويـــة، وهـــي تعتقد أنها تخوض معركة الحق والباطل، ومعركة الظلم والعدل، معركة القهر والكبت في مقابل الحرية والانعتاق، وخلاصة الأفكار التي نادت بها الأنثوية بعد هذه الفترة هي:

– المساواة المطلقة.

–حق مطلق للمرأة في العمل.

– حقها المطلق في التعليم والتدريب والإعداد.

– حقها المطلق في ممارسة الجنس مع من تحب وتشتهي.

– رفض مؤسسة الزواج بشكله الذي كان موجودا، واعتباره ارتباطا اختياريا ، وللطرفين حق تركه ورفضه في أي وقت دون تعقيدات.

– حق المرأة في مراقبة الولادات والإجهاض لأن الأمومة حرية، وهي من حقها.

وهذا غيض من فيض وسنتناول شرح تفاصيل هذه المبادئ في وقته.

---

١) المرجع نفسه، ص ٥٩.

المطلب الثالث

بريطانيا والحركة الأنثوية

مثـــلها مـــثل نظيرتها الفرنسية ظهرت واندمجت مع الحياة السياسية عام ١٨٤٠ تقريـــبا على شكل منافسات لدخول البرلمان والمطالبة بحق التصويت للمرأة، وحقها في التعلـــيم، وحقهـــا في المساواة القانونية، وأصبحت ظاهرة قوية منذ ذلك الوقت. وربما يكـــون أول إعـــلان عـــرف المرأة كصنف اجتماعي متميز، وشرح المكانة الاجتماعية والقانونـــية غـــير المتساوية لها هو ذلك الذي صرح به (أفرابيهن) [1] ولكن أقدم وثيقة فكرية مكتوبة تدافع عن قضية المرأة وتطرح الحقوق السياسية لها كانت تلك التي كتبتها (مـــاري والســـتون كرافت) بعنوان (مطالب بشأن حقوق المرأة) عام ١٧٩٢م، ولعلها تأثـــرت بشقيقتها الفرنسية التي كتبت (إعلان حقوق المرأة المواطنة) عام ١٧٩١م [2]، واعتمدت في طرحها هذا على التحليل الاقتصادي والسيكولوجي لوضع المرأة، ومدى الأذى الذي لحق بها في تلك المجالات جراء تبعيتها للرجل، وإبعادها عن القطاع العام [3]. وفي عام ١٨٥٤م ألفت (باربارا لي سميت) كتابا بعنوان: (خلاصة مختصرة لأهم القوانين المتعلقة بالمرأة في اللغة) . وفي عام ١٨٥٦م قامت بحملة للمناداة بحق المرأة المتزوجة بأن تكون لديها ذمة مالية مستقلة للتملك وعقد العقود، واستقلالها في التصرف بمالها الخاص وفي عام ١٨٦٦م قدم طلب للبرلمان البريطاني بتوقيع (١٥٠٠) ألف وخمسمائة امرأة ، وكـــان يلح على ضرورة إجراء إصلاحات في قانون الانتخابات حتى يشتمل على حق المـــرأة في التصويت والمشاركة (وكان القانون يوم ذاك مطروحًا للنقاش والمراجعة) [4]،

---

١) Maggi Humm (Feminism: as a Reader) p,4

٢) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة) مرجع سابق، ص ٣٧.

٣) المرجع السابق، ص ٤.

٤) انتوني جيدنز (جامعة شناسي)، مرجع سابق ، ص ١٩٩.

ولكـــن هـــذا الطلب قوبل بالرفض، وتزامن هذا الطلب مع طلب تقدم به الفيلسوف الليــبرالي المعـــروف (جـــون ستيوارت مل)[١] لتأسيس أول جمعية نسائية في بريطانيا للمطالبة بحق المرأة في المشاركة والتواجد في البرلمان[٢].

ولا ننســـى أن هذا الفيلسوف من أبرز المدافعين عن قضية المرأة وخصص لذلك كـــتابه (استعباد النساء) وفصلا من كتابه المعروف (حول الحرية) بعنوان وضع المرأة أو **(The Position of Women)**.

وعلى أثر رفض الطلب المذكور تكونت العديد من المنظمات والجمعيات النسوية بـــالعديد من الأسماء والعناوين المختلفة منها (الجمعية القومية لحق المرأة في التصويت)، وتوحـــدت بعـــض المجموعـــات النسائية مثل (المرأة العاملة)، المرأة في مجال الفن ونقابة الجمعـــيات التعاونية، بمجموع أعضائها الـــ (١٨) ثمانية عشر ألفا مع مجموعات نضالية أخـــرى مكونة (الاتحاد القومي للجمعيات النضالية للمرأة **NUWSS**) وكان ذلك عام ١٨٨٢[٣] ..

وفي عام ١٩٠٣م قامت (إيميلان بانكرست-**Emmeline Pankh urst**) مـــع ابنـــتها بتأسيس (الاتحاد الاجتماعي والسياسي للمرأة **WSPU**) واعتبر أحسن مؤسسة معروفة لتمثيل التيار الأول للحركة النسوية في بريطانيا، وكانت (إيميلان) هذه المـــرأة نشـــطة حتى على مستوى أمريكا حيث كانت تسافر إلى هناك وتشارك في إلقاء الخطـــب والمحاضرات، وكانت هناك منظمة أخرى فاعلة باسم (رابطة حرية المرأة) أو **(WFL)**، وكـــل هـــذه المنظمات كانت تقيم الندوات والأنشطة المختلفة بانفراد أو

١) جـــون ستيوارت مل (١٨٠٦-١٨٧٣م)، بريطاني ولد في لندن، وتلقى تعليمه الأولي على أبيه جيمس مل، من كتبه (مذهب في المنطق القياسي والاستقرائي) ، (الاقتصاد السياسي).

٢) د. شذى سلمان (المرأة المسلمة)، (عمان: روائع المجدلاوي، ١٩٩٧)، ص٥٥.

٣) **Mggi Humm Maggi Humm (Feminism: as a Reader) p.4**

بتنسيق مع الأخريات، وتنزل إلى الشوارع أحيانا في مظاهرات صاخبة ومسيرات احتجاجية قوية منذ بداية العقد الأول من القرن العشرين وكانت هذه التجمعات قادرة على كسب النساء إلى صفها، وتفعيل دورها، ففي إحدى الاجتماعات التي أقيمت في لندن في ميدان مفتوح اجتمعت نصف مليون امرأة لتعبر عن مساندها ووقوفها مع مطالبات هذه المنظمات[١] ، وبهذه الجهود أصبحت هناك قناعة بأن النساء فوق الثلاثين سوف يحصلن على بعض الامتيازات المحدودة في نهاية الحرب العالمية الأولى[٢].

وأخيرا –بعد مسيرة طويلة وشاقة امتدت ما بين ١٧٩٢م عندما انطلقت صيحة (مارى كرافت) حتى عام ١٩١٨م ، استطاعت المرأة الحصول على حق التصويت في بريطانيا مقيدا بشروط العمر المذكور.ثم بدأت الحركات النسوية ترفع من سقف طموحاتها ومطالباتها فعرضتها كالآتي:

– الأجر المتساوي للعمل المتساوي.

– رواتب وضمانات اجتماعية للأرامل.

– المساواة بين معيلي الأسر سواء كانوا رجالا أم نساءا.

–تقنين قوانين رادعة ضد الاعتداء الجنسي على الأطفال.

– التساوي في الفرص في قطاع الخدمات المدنية.

– المطالبة بالاعتراف بالأمهات غير المتزوجات!! وتقديم الخدمات لهن.

---

١) أنتوني جيدنز (جامعة شناسي)، مرجع سابق، ص ١٩٩.

٢) Maggi Humm (Feminism: as a Reader) p.4

هذا ولقد شهدت بدايات القرن العشرين انقساما في الحركة النسوية بين الأوائل والجدد حول تقدير الإنجاب والأمومة وتشريعات الحماية وتدعيم الكيان الأسري، [١] وكان هذا بداية أو باكورة ظهور التيار الراديكالي الذي ينظر إلى تحقيق المرأة ذاتها وحصولها على حقوقها (أي ما تراه حقا لها) من غير النظر إلى مصلحة المجتمع والأطفال، ومن غير تقدير للمترتبات الخطيرة التي يمكن أن تنجم عن هذه الاندفاعة المتهورة.

ولقد شهدت فترة الستينات تمايزا واضحا للتيارين، حيث أدت ثورات الحركات الطلابية والشبابية عام ١٩٦٨م من أجل الحرية، وتحقيق الذات، ومزيد من الحقوق على المستوى الداخلي، وعلى المستوى الخارجي قاموا باحتجاجات قوية وثورية ضد الاستعمار، وجنون التسلح والسباق النووي، والتدخلات العسكرية الظالمة كالتي حصلت في فيتنام، ورفض النظام الغربي في النمو الاقتصادي القائم على تغول أصحاب العمل، والنمو الأعمى من غير التفات لكينونة الإنسان وسعادته، وغاياته في الحياة، والذي أدى لطبقية حادة وتفشي البطالة، كل ذلك وغيره أدى إلى طرح قضايا الحقوق والحريات من جديد، وبشكل مُلح وجذري، ومن تلك الحقوق والحريات. بل من أبرزها حقوق وحريات النساء، وهذه الاحتجاجات التي ذكرناها كانت في الأغلب إن لم يكن كلها على الإطلاق تنبع أو تحرك من حركات يسارية وراديكالية تشربت بالماركسية والاشتراكية، والوجودية والفوضوية، وأفكار مدرسة فرانكفورت[٢] النقدية الاحتجاجية

---

١) المرجع نفسه ، ص٥.

٢) مدرسة فرانكفورت: مدرسة فلسفية نشأت في فرانكفورت في ألمانيا، ثم انتقلت إلى سويسرا بعد سيطرة النازية، ثم تحولت إلى أمريكا وعادت أخيرا إلى ألمانيا مرة أخرى بعد زوال مبررات انتقالها، من فلاسفتها المعروفين (هربرت ماركيوز) و(أريك فروم) و(ماكس هوركهايمر) و(هابرماز) وغيرهم ، وجذور هذه المدرسة كانت في حركة نقدية عامة اجتاحت الفكر الفلسفي الأوروبي منذ سنوات العشرينات ، ثم تبلورت لاحقا في مدرسة وتيار مستقل عرف بعد الحرب العالمية الثانية (بمدرسة فرانكفورت)، وهذا الاتجاه النقدي أخذ على عاتقه مهمة نقد الممارسة الديمقراطية داخل المجتمع الرأسمالي من خلال فضح =

وخصوصـــا الأفكـــار التحريرية والإباحية (هربرت ماركوز) الذي أدخل مفهوم الجنس والتحرر الجنسي في صراع الكبت والحرية والتحرير والتحرر.

عقـــد أول مؤتمر لتحرير المرأة في سنة ١٩٧٠م في كلية الطب (روسكيني/جامعة أكســـفورد) شـــارك فيه أكثر من (٦٠٠)ستمائة شخص، واتفقت فيه الحركة الأنثوية الاشتراكية مع الأنثوية الليبرالية على طرح هذه النقاط كأهداف جامعة لها:

– الأجر المتساوي.

– دور رعاية الأطفال بصورة دائمة (٢٤) ساعة لكي تقتصر الأمومة على الحمل والوضع فقط.

– الاستخدام الحر لموانع الحمل.

– حق الإجهاض في حالات الضرورة.

وقامـــت (حركة تحرير المرأة WLM) بحماية المرأة من العنف الأسري والعنف الجنســـي عن طريق ابتكار وتأسيس ملاجئ للنساء اللاتي تعرضن للاغتصاب، ونظمت هـــذه الحركة مسيرات نادت بوقف ومحاربة العنف الذي يمارس ضد المرأة، ونادت بحق

= الهيمـــنة الـــلا مباشرة لمؤسسات الدولة على مسار تطور الوعي الجماعي والكشف عن الديناميات (العقلانية) التي تحقق بشكل خفي وظيفة الردع لكل محاولة جذرية تمتلك حق الرفض، والاحتجاج خارج الحـــدود المرسومة لها من قبل النظام الاقتصادي السياسي القائم، ولاشك أن كتب (ماركيوز) و(فروم) لعبـــت دورا هامـــا، بل أيديولوجيا داخل الكثير من الانتفاضات الجذرية للشباب مثل حركة الطلبة عام ١٩٦٨م ولهـــذه الطبـــيعة الـــنقدية يسمى ماركيوز أفكاره وفلسفته ب(النظرية النقدية) . وللمزيد من المعلومـــات عـــن هذه المدرسة يراجع كتاب مدرسة فرانكفورت، تأليف علاء ظاهر، منشورات الإنماء القومي، بيروت).

المـــرأة في العمل الليلي أسوة بالرجال، وضرورة حصول المرأة على الحقوق والامتيازات التي توجد في وثيقة المرأة العاملة[١].

ولقد عانت الحركة الأنثوية البريطانية من انقسام عرقي فترة ١٩٨٠- ١٩٩٠م -تمامـــا كما حدث في أمريكا- واتهمت النساء السود الحركة النسوية بانحيازها للبيض اللاتي لا يمثلن إلا مصالحهن الضيقة ولا يعبرن عن واقع حاجات ومعاناة المرأة السوداء.

أخيرًا ومنذ أن تأثرت الحركة النسوية بالمدارس الفلسفية المختلفة وخصوصا بعد فترة الستينات، فقد برزت داخل الحركة النسوية العديد من التيارات التي كانت تختلف مـــع بعضها البعض على ضوء اختلافاتها الأيديولوجية، وتكتسب المطالبات النسوية تبعا لذلـــك الـــتعدد أشـــكالا مختلفة، وأدرجت الأنثوية البريطانية مسائل مثل حق الإنجاب والإجهاض، وحرية الأمومة، وحق الشذوذ الجنسي للمرأة في جملة مطالباتها التي لا تقبل المساواة، والتي تعتبر من حقوق الإنسان !!!.

المطلب الرابع

أمريكا والحركة الأنثوية

ظهرت الحركة النسوية في أمريكا في مجال السياسة والحياة العامة سنة ١٨٤٠م في شكل المنافسة لدخول البرلمان وحصول المرأة على حق التصويت كما ذكرنا، وفي شكل مسيرات احتجاجية لنيل المزيد من المساواة القانونية والتشريعية، وزيادة فرصها في العمل والتعليم وغير ذلك.

---

١) Maggi Humm (Feminism: as a Reader) p,260

قادت هذه الحركة نساء من أمثال (لوسي ستون **L.Stone**) التي قطعت مئات الأميال عام ١٨٦٧م داعية الرجال والنساء إلى مساندة المرأة في هذه القضية، وقد رافقها في هذه الرحلة زوجها الذي يروي: " كنا نذرع الولاية طولا وعرضا في عربة مكشوفة غير مريحة ، نصعد بها التلال أو نهبط الوديان، ونخوض عبر القيعان الموحلة والصخور المتناثرة، ونواجه العواصف الشديدة في البراري الشاسعة، لنقف في النهاية وسط جمهور من المستمعين في عديد من الأماكن المتباينة، فهذه الليلة في إحدى المدارس، وغدًا في إحدى الكنائس، وبعد غد في إحدى المحال، أو في مبنى المحكمة التي أقيمت جدرانها ولم يتم السقف بعد"[١].

ومن رائدات هذه الحركة أيضًا (اليزابيث ستانتون **E.Stanton**) و(سوزان أنتوني **S.Anthony**) وهاتان ركزتا على استراتيجية جديدة مفادها التركيز على إدخال الإصلاحات المطلوبة لا في مجالس الولايات بل على المستوى الفيدرالي، وكان ذلك يقتضي حملة إعلامية تستخدم فيها وسائل الإعلام المختلفة، ولذلك تم إصدار صحيفة نسائية باسم (الثورة) جعلت شعارها: (لا مزيد على حقوق الرجال ولا انتقاص من حقوق النساء)، وبعدها جريدة (الجريدة النسائية) وظهرت الدعوة إلى عقد مؤتمر عام ١٨٩٦م انبثقت منه " الرابطة النسائية لحق التصويت"[٢].

وفي مجال حق التعليم أيضًا ظهرت أسماء من أمثال (هانا كروكر **H.Grocker**) والتي نادت بأن تدرس المرأة كل العلوم المختلفة، و(فرانسيس رايت **F.Wright**) التي نادت بأن من حق المرأة أن تحصل على كل ما تؤهلها لها قدراتها، وقالت: "فمن غير المجدي على الإطلاق تحديد قدرات النصف الأكثر أهمية وتأثيرًا في نوعنا الإنساني لأنه إذا

---

١) المرجع نفسه، ص: ٢٦١.

٢) فتحية إبراهيم، مجلة (عالم الفكر) المجلد التاسع العدد الرابع ص: ٢٦٢ (مرجع سابق).

لم يــتم توجـــيهها نحـــو الخير فسوف تتجه نحو الشر"[1] ، وتعرضت هؤلاء النسوة إلى مضايقات كبيرة، بدأت بالاتهام بالدعوة إلى الإباحية والإلحاد، ومحاولة تقويض بُنى المجتمع وإلى المحاكمة والسجن والغرامات وغير ذلك[2].

وطالت الأيام، وترسخ التقسيم القائم على كون المرأة للبيت، والرجل للسياسة و"لأن المـــرأة والعبيد قد وهبوا أنفسهم لتوفير احتياجات الحياة، فقد تمتع رجل الأسرة بحـــرية الاشـــتغال بالسياسة"[3] ولم تحصل المرأة في المجال السياسي على شيء يذكر حتى اضـــطررن إلى انشـــاء حزب سياسي خاص بهن لهذا الغرض عرف بـــ (الاتحاد النسائي السياسي).

وجـــاءت الحرب العالمية الأولى، وانشغل الرجال بالحرب، وازدادت الحاجة إلى تطويـــر المعـــامل وزيادة عددها لتلبية حاجة الحرب، فنشأت حاجة حقيقية لليد العاملة النســـائية فـــزادت مســـاهمة المـــرأة في المجتمع وحضورها في النقابات، وضغطها على مؤسسات القرار، وكانت هناك الكثير من الدول قد أعطت هذا الحق (حق التصويت) لـــلمرأة، مثل نيوزلندا عام ١٨٩٣، وفنلندا ١٩٠٦م، والنرويج ١٩١٣م، ثم بريطانيا والاتحـــاد الســـوفيتي ١٩١٨م، كل هذا كان له الدور في إعطاء الولايات المتحدة حق التصـــويت والانتخاب للمرأة عام ١٩٢٠م[4] ولكن مع وجود ١٣٦ صوتًا معارضًا في الكونغرس مقابل ٢٧٣صوتًا مؤيدًا.

ثم دخلت الحركة النسوية في فترة ركود ربما كان من أسبابه انشغال الرأي العام عمومًـــا بحـــركات مناهضة الفاشية والعنصرية التي غطت قضاياها على قضايا المرأة، ثم

---

١) (Maggi Humm (Feminism: as a Reader) p,260

٢) المرجع السابق، ص: ٢٦٠.

٣) سارة م.إيفانز (الحرية ونضال المرأة الأمريكية ، ترجمة أميرة فهمي / الدار الدولية للنشر والتوزيع ص:٧

٤) عبد الله محمدي (حكومت آشنايي باعلم سياست)، مؤسسة انتشارات بيام، تهران، ١٣٧٣هـــ.ش.

الحــرب العالمــية الثانــية ودامت تلك الفترة حتى الستينات ، ثم تجددت قوتها في نهاية الستينيات بالتزامن مع حركة الحقوق المدنية، وتصاعد الحركات والثورات الشبابية، بل بفضــلهما وتحــت تأثيرهما إلى حد كبير لأن أعدادًا هائلة من النساء شاركن في هاتين الحركــتين، ولكن سيطرة العقلية الذكورية على حركة الحقوق المدنية، وعدم إدراجها المســاواة التامة (التي ظهرت كمطلب جديد) في خطاباتها أدت بالحركة النسائية إلى أن تعاود وجودها مستقلاً عن الرجال وبقوة[1] .

ولقــد تأثــرت الحركة النسوية في هذه المرحلة بالنزعات الفلسفية والثقافية التي كانت سائدة، والدعوة إلى الحرية المطلقة " وقد غلبت عليها المفاهيم التي شاعت في فترة الستينات تحت اسم (الثورة الجنسية) والتي كانت ترمي إلى التخلص من كل ما يرمز إلى كون المرأة متاعا خاصا بالرجل ، وإلى اعتبار الغيرة عاطفة برجوازية ينبغي التخلص منها، وإلى مواجهة مظاهر الكبت الجنسي بالتعبير الحر عن الجنس"[2]

وركــزت الحــركات النسوية على مطالب أخرى غير التعليم والتصويت مثل؛ المســاواة الاقتصــادية (الأجر المتساوي للعمل المتساوي)، وحرية الإجهاض وتسهيلها وحماية هذه الحرية بقانون، وإحداث تغييرات في قوانين الأحوال الشخصية وخصوصًا في مسألتي الطلاق والذمة المالية المستقلة بالمرأة...[3] والسعي لمشاركة المرأة في المؤسسات القــيادية وتوســيع تلــك المشاركة ورفع درجتها، ومحاولة سن بعض القوانين التي تمنع الاعــتداء الجنسي على المرأة العاملة، بل وتحسين ظروفها بشكل عام ، وزيادة وتوسيع دور الحضــانة ورعايــة الأطفال حتى تتمكن المرأة من المشاركة في الحياة العامة والعمل الاقتصــادي، والضغط على الأحزاب السياسية لكي تزيد من عدد مرشحيها من النساء

---

١) التوني جيدنز ، مرجع سابق، ص٢٠٠.

٢) مجلة عالم الفكر، (مقالة فتحية إبراهيم)، مرجع سابق، ص ٢٦٩.

٣) المرجع السابق، ص ٢٠٠.

في الانـــتخابات، والضـــغط على الحكومة لكي توجد فرص تعيين أوسع ومجالات عمل عديـــدة وجديـــدة للمرأة حتى تتمكن اقتصاديًا وتستقل، وأخيرًا إلغاء كل القوانين التي تضـــع المـــرأة في موضع أدنى من الرجل في أي مجال من المجالات ، وعلى حسب تعبير صاحبة كتاب (الحرية ونضال المرأة الأمريكية) فإنه: "طالبت النساء بإلغاء جميع القوانين التي تعتبر أن النساء المتزوجات لا تزيد مسئوليتهن عن تصرفاتهن عن مسؤولية الأطفال والحمقى والمجانين".[1]

عـــلى إثـــر المطالبات السابقة فقد "صدر عام ١٩٦٣م قرار مساواة الأجر بين الـــرجل والمرأة"[2] "وفي سنة ١٩٦٤م سن الكونغرس الأمريكي إعلان الحقوق المدنية، وأنشأت لجنة فرص العمل المتساوية لمنع التمييز ضد الأقليات والنساء في التوظيف، وفي سنة ١٩٧٢م فرضت تحريمات أكثر صرامة على التمييز الجنسي في التعليم العالي"[3] ، وكان هذا إنجازًا للحركة النسوية التي أصبحت قوية وفاعلة ؛ بحيث يصفها كتاب (بناء أمـــريكا) بقوله: "كانت حركة النساء حركة غير متوقعة ولا يمكن التنبؤ بها، وغير معلن عـــنها، ولكـــن كانت هناك فجأة تسيطر بقوة مرعبة على الحكومة والعمل والجامعات ووسائل الإعلام، وغيرت بالفعل اللغة التي يتكلم بها عن النساء"[4].

وتعددت التيارات النسوية في هذه الفترة حسب تعدد مرجعياتها الفكرية، وكيفية ترتيـــبها للأولوية في هذا الصراع، وعلى ضوء ذلك تعددت أنشطتها ومجالات عملها، وبعض شعاراتها "بينما كانت هناك التيارات التي تطالب بالرفاهية ومحاربة الفقر ، وكان

---

١) سارة م. إيفانز (الحرية ونضال المرأة الأمريكية) مرجع سابق ص١٢٣.

٢) الدكـــتورة شـــذى سليمان الدركزلي (المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة)، روائع المجدلاوي الأردن — عمان ١٩٩٧، ص١٠٥.

٣) لوثرين . لودتك (بناء أمريكا) ترجمة إيمان أنور ملحس، مركز الكتب الأردني ،١٩٨٩، ص:٢٤٤..

٤) المرجع نفسه، ص: ٢٤٦..

هـــناك التـــيار المطالب بالسلام والذين شكلوا مع (جين آدمز)[1] حزب المرأة للسلام وبعد ذلك قامت رابطة المرأة العالمية للسلام والحرية، والتي جاءت ثمرة لمؤتمر عالمي عقد في ١٩٢٣م[2] وعانـــت الحـــركة في أمريكا من تأثير الفكر العنصري فكانت الحركة النســـوية نادرًا ما تتطرق إلى هموم المرأة السوداء ونساء العالم الثالث، وذلك ما أدى إلى أن "خرجت المرأة الملونة في الغرب والنساء في العالم الثالث عن الاتجاه النسوي السائد وهاجمنه بطرق متعددة على مدى الخمس والعشرين سنة الماضية أو نحوها.

إن الأنـــثوية العالمـــية (International Feminism) بتعريفاتها الغربية ذات الإشكالية تتسم بالعنصرية والتقسيمات الطبقية إلى حد ما، بل حتى إن المرأة الملونة الغربية لديها تعريفات ذات إشكاليات للجوانب المجتمعية التي تظلم نساء العالم الثالث، حيـــث أنها تعتقد بأن انتهاك الحقوق الإنسانية للمرأة ينحصر في ممارسات معينة كما أن هذا الاعتقاد بدوره تحكمه مفاهيمها للهوية الجنسية، والمجال العريض لخيارات المرأة"[3]

في بدايـــة الستينات حين عاودت الحركة النسوية قوتها وظهرت الأنثوية والتيار الجديد كما أشرنا لذلك كان يتميز عن التيار الأول بتوسيعه لمفهوم الاقتصاد والسياسة حـــتى يشـــمل الجنس، والجسم، والعاطفة، وبقية أبعاد الحياة الأسرية والاجتماعية التي كانت تعد من الحياة الشخصية الخاصة سابقًا، ولكنها أصبحت قضايا سياسية عامة الآن، (وهـــذا واضـــح مـــن المطالـــب الـــتي نـــادت بها وذكرناها) وابتكرت الحركة شعار (Personal is Political) وكونت مجموعات لرفع الوعي وإحداث تغيير ثقافي

---

١) جـــين آدمز (١٨٦٠ – ١٩٣٥م)، امرأة أمريكية كانت رائدة في مجالات الحرية والديمقراطية وحقوق النساء والأطفال والإصلاح الاجتماعي....ولها جهود مشهودة في هذا، من كتبها (الديمقراطية والأخلاق الاجتماعية، ١٩٠٢)، (النساء في لاهاي ١٩١٥م). .

٢) Maggi Humm ، (مرجع سابق)، ص: ٣

٣) مجلة (قراءات سياسية)، مقالة شريفة زهور، مرجع سابق، ص ٣٢.

يكـــرس هذه المفاهيم، وكانت تريد إحداث نمط حياتي جديد للمرأة من خلال تغيير بنية الوعـــي وطـــريقة الـــتفكير عـــند النساء خاصة والمجتمع عامة، وهكذا ظهرت النزعة الراديكالية شيئا فشيئا.

"وفي عـــام ١٩٦٣م ألفـــت (بـــيتي فريندان) كتابا حول (خصوصيات الأنثى) شـــرحت له كـــيف أن الطبقة المتوسطة من نساء البيض من غير إدراك منهن قد أدت علاقـــاتهن الجنسية الزوجية إلى حبسهن في البيوت، وأسست هذه المرأة (المنظمة القومية للمرأة)، وكانت في البداية تتبنى أجنده إصلاحية تدعو إلى التغيير في القوانين لصالح المرأة وزيـــادة فرصتها من التعليم، ولكنها بعد ذلك قامت بمظاهرات تدعو إلى حق الإجهاض لـــلمرأة، ودور للحضـــانة...وتطـــورت حتى استطاعت إدخال حق الشذوذ الجنسي (الســـحاق) إلى توصيات ومقررات المؤتمر الذي عقد في هيوستن والدعوة إلى المساواة الجنسية المطلقة للجنسين"[١].

والأنثوية الأمريكية في التسعينات وتحديدا عام ١٩٩٠م أقامت مسيرات ورفعت شعارات تنادي بـــ:

- عدم استخدام المرأة في الدعاية والإعلانات ووقف هذه المسألة.
- نددت باستخدام العنف ضد المرأة السوداء في المجتمع أو داخل الأسرة.
- تأمين حقوق ضحايا الإيدز.
- مســـاندة المـــرأة في العـــالم الثالث بتأمين حقوقها، ورفض العنف الذي يمارس ضدها.

---

١) Maggi Humm p.4..

- الائتلاف لمساندة حقوق الشاذين جنسيا (اللواطيون والسحاقيات).

وكسبت هذه المنظمات النسوية تأييد الكثير من الأمريكيين[1] ومنه تأييد الحزب الديمقـــراطي والرئيس (كلينتون) فيما بعد، والذي يعتمد حزبه في حملاته الانتخابية على تـــبني الكـــثير من مطالب الأنثوية الأمريكية والشاذين جنسيا ودعاة الإجهاض والحب الحر...الخ"[2].

يقـــول البروفســـير (ويلكـــز Wilkins): "ومنذ منتصف التسعينات برز إلى الســـطح تحول آخر في فكر الحركة الأنثوية في تركيزها أكثر على الفرد، وظهر ذلك في الحديث عن الإجهاض والإصرار عليه كحق أساسي لمساواة المرأة السياسية بالرجل لأنه يحـــرر المـــرأة من عبء الحمل، كما أن الأنثويات الآن شديدات النقد لمؤسسة الأسرة ويجادلن عن القوانين التي تعطي أية ميزة للرجل في الأسرة، ويقلن أن الزواج حقيقة تضر بالمرأة"[3].

ويقـــول ويلكـــز في بيان الفرق بين التيار الأول للحركة الأنثوية والتيار الثاني الجديـــد وتـــناقض أطاريحهما ومفاهيمهما: "لم يكن في القانون العادي المبني على العرف والعـــادة Common Law للنســـاء أية ذاتية مستقلة قانونية عن أزواجهن وكان الـــرجال يسيطرون على أغلب الممتلكات، وتركز جهد الأنثوية في العمل على حصول شخصية قانونية للمرأة، وهي حركة تختلف تمامًا عن الأنثوية التي نراها اليوم في الغرب.

---

١) Maggi Humm (Feminism: as a Reader) المرجع نفسه، ص٤.

٢) ويـــنحاز الحزب الجمهوري ذو الميول الدينية إلى الصهيونية والتبشير، انظر مجلة المجتمع الكويتي ، العدد ١٣٢٣، ٢٧/١٠/ ١٩٩٨م، ص:٥٥.

٣) الكـــلام للبروفســـير (ريتشـــارد ويلكز) القانوني الأمريكي ورئيس جمعية (صوت الأسرة Family voice) والـــذي زار الســـودان لحضور مؤتمر المرأة والعولمة ١-٢ فبراير ١٩٩٩م وأجرينا معه مقابلة مسجلة على الكاسيت بتاريخ ٣/ فبراير/ ١٩٩٩م..

كانت حركات تحرير المرأة الأولى تنظر للمرأة ككائن مستقل منفصل عن الرجل، وكانـــت (ســـوزان أنـــتوني) وغيرهـــا من المناضلات من أجل تحرير النساء معارضات للإجهاض بشدة ، ويرين فيها طغيانا للرجل الذي يعاشر المرأة ، ثم يأمرها بالتخلص من ثمار علاقتهما، وكن يعتبرن الزواج رباطا هاما وضروريا لأنه يوفر للمرأة الأمن والالتزام القـــانوني مـــن جانب الرجال لتوفير الحاجات المادية للنساء، ولم يكن مؤيدات لقوانين الطلاق المتحررة لأنها تجعل النساء بدون دعم من الأزواج، وكن يرين النساء أفضل من الرجال لأن لهن دور منفرد، فهن واهبات الحياة"[1].

ولا ننســـى أن واحدة من أهم أجندة الحركة الأنثوية الأمريكية أنها الآن في صدد تكثـــيف الضغط على الحكومة والكونغرس للتصديق على (اتفاقية مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة) المعروفة بـــ (CEDAW) وهي اتفاقية خطيرة على القيم البشرية، والـــتي تبنـــتها الأمم المتحدة وسوف نأتي إلى حديث خاص عنها في مبحث مستقل، مع أجندة مؤتمرات المرأة والسكان الدوليين.

وفي الواقـــع لم تستطيع الحركة الأنثوية إلى الآن أن تحقق الكثير من أهدافها، حتى شـــعارها الأول (المساواة) بالرغم من المدة الطويلة التي مضت على إقرارها قانونيا، فقد ذكـــرت (ماغريـــت هولواي Holloway) بأن ٢٥% من النساء في أمريكا لا زلن يتقاضـــين أجـــورا تقل عما يتقاضاه الرجل في الموقع نفسه وبالمؤهلات نفسها، كما أن احتمال عدم الحصول على العمل بالنسبة للنساء هو ضعف ذلك بالنسبة للرجل) [2] ، ولذلك دعت (المنظمة الوطنية للنساء) منذ سنوات إلى الإضراب للمطالبة بـــ: أن تدفع

---

١) الكـــلام للبروفســـير (ريتشارد ويلكو) القانوني الأمريكي ورئيس جمعية (صوت الأسرة Family voice) والـــذي زار الســـودان لحضور مؤتمر المرأة والعولمة ١-٢ فبراير ١٩٩٩م وأجرينا معه مقابلة مسجلة على الكاسيت بتاريخ ٣/ فبراير/ ١٩٩٩م..

٢) د. شذى سلمان الدركزلي (المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة)، مرجع سابق، ص ١٠٥.

المؤســــات والشركات أجور متساوية بين الجنسين، وأن لا تقوم المرأة دائما بعمل تابع للرجل، وأن لا تبقى كائنا غير متكافئ معه.

وعلى صعيد المساواة السياسية "فإن امرأة واحدة فقط نجحت في الدخول لمجلس الشـــيوخ وإحـــدى عشرة امرأة فقط دخلن مجلس النواب، ولا يوجد سوى ٨ قضاة فيدرالـــيين مـــن أصـــل ٦٧٥ قاض، وفي سنة ١٩٨٤م ولأول مرة في تاريخ الولايات المـــتحدة رشحت امرأة لنيابة رئاسة الجمهورية عن الحزب الديمقراطي"[1] ولم تتكرر إلى الآن، في رئاسة الجمهورية أو رئاسة البرلمان.

---

١) عبد الهادي عباس (المرأة وحقوق الإنسان)، مجلة النهج ، العدد ٤٩ ، شتاء ١٩٩٨، ص ٢٠٥.

المبحث الثالث

تيارات الحركة الأنثوية وتأثرها بالمدارس الفلسفية

المطلب الأول

التيار الأول والتيار الثاني للأنثوية

لقـــد ذكـــرنا خـــلال حديثنا عن تاريخ الحركة النسوية ، أن هناك فرقاً واضحاً وجذريـــاً بين التيارين داخلها ، وأنهما يتميزان عن بعضهما البعض في الكثير من المفاهيم والأطاريح، وهذان التياران يشكلان مرحلتين من مراحل تطور الأنثوية، والحديث عنهما مهم جدا لأن تقييمنا الإسلامي ونقدنا سوف نبنيه على هذا التمييز والفرز.

لـــيس بالمقدور أن نحدد تاريخًا معينًا يكون دقيقا تماما للفصل بين هذين التيارين، وهناك من دعاة الحركة من تردد بينهما، ولكن إذا كان ولابد من تاريخ تقريبي كمعلم فاصل لهذا الانتقال الخطير فقد يكون في الستينات مع ظهور (المدرسة السلوكية) الثورة الجنســـية و(حـــركات الشبيبة) التي سبق الحديث عنها، ويؤيد هذا الكثير من الباحثين والباحـــثات مـــنهن الدكتورة (شذى سلمان) التي تقول: "فقد شهد عام ١٩٦٨م في أمـــريكا ظهـــور فرع نسائي جديد أكثر تطرفا وراديكالية من رائدات الحركة الأوائل للحركة النسوية حيث استخدمت أعضاءه وسائل عنيفة لإبراز القضية"[١] على كل حال فـــإن الفـــروق الموجـــودة بينهما هي فروق جوهرية ومتعددة ويمكن أن نحدد مجالات اختلافهما الرئيسية على النحو التالي:

- كيفية تحليل وضعية المرأة في المجتمع، ومصادر الظلم الواقع عليها.

---

١) د. شذى سلمان (المرأة المسلمة)، مرجع سابق، ص٥٧.

– نوعية المطالبات، وتحديد الأهداف، وسقف الطموح.

– طريقة علاج وضع المرأة، وآلية تحويل حالتها للأحسن.

– المصطلحات والتعابير التي يستخدمها كل فريق للتعبير عن رؤاه.

– موقفهم من قضايا المجتمع وعلاقات الجنسين والفروق النوعية وغيرها.

على ضوء هذا نشير بإيجاز إلى بعض الفروق الموجودة بينهم، ثم نختم القول بذكر مبررات هذه الاختلافات أو أسباب نشوئها.

– التيار الأول دعا إلى ضرورة المشاركة السياسية للمرأة في الانتخابات، والحضور في الوظائف العامة والمواقع الدستورية، ولكن التيار الثاني وسع مفهوم السياسي من الأمور، فرفع شعار(**Personal is Political**) واعتبر كل أمر شخصي (أي كان يعتبر أنه شخصي وخاص) سياسيا وعاما، ورفض أن ينحصر مفهوم السياسي في التعريف التقليدي، ونادى بتعميم المشاركة النسوية في كل المؤسسات التي تشكل المجتمع بدءاً بمؤسسة الأسرة التي لابد من تغييرها، وتغيير طبيعة العلاقات التبعية فيها، ومشاركة المرأة في قيادتها أو سيطرتها عليها... حتى رئاسة الجمهورية وقيادة المواقع الدستورية.

– التيار الأول يركز على ظلم الذكر للأنثى فقط ويتحدث عن ذلك دون النظر إلى التباين بين النساء أنفسهن، واعتبروا قضية المرأة واحدة في العالم، والنظام الرجالي واحد أيضًا، ولكن الثاني تعمق أكثر وانتبه إلى تفاوت وضع النساء في البلدان المختلفة، وتحدث عن ظلم الأنثى للأنثى مثل ظلم النساء البيض للسود أو للمنحدرات من آسيا وأفريقيا، ولم يعتبر النظام الرجالي نظامًا واحدا، ولا الظلم الواقع على المرأة ظلمًا واحدًا بمقدار واحد، وجعل هذا الأمر مدخلا وثغرة لتغيير النظام ككل.

– التيار الأول نادى بالمساواة كقضية مركزية (المساواة في الفرص والأجور والخدمات والتعليم والتوظيف وغيرها)، ولكن التيار الثاني تجاوز ذلك إلى إدخال مفهوم المساواة المطلقة التي تشمل إلغاء كافة أشكال تمييز الذكر على الأنثى حتى ولو اقتضتها الطبيعة البيولوجية والسيكولوجية للجنسين، وأدخلوا المساواة الجنسية في مفهوم المساواة بمعنى تعدد الأزواج إذا كان هناك تعدد للزوجات أو الخليلات.....الخ[1].

– التيار الأول كان يطلب الحقوق المادية للمرأة أي الحقوق المادية الشخصية والجماعية للمرأة اجتماعيًا وسياسيًا، ولكن التيار الثاني أخذ الموضوع بشمول أكثر فهو يهتم بالحقوق المادية والتكافل المعنوي أيضًا، وبتعبير آخر التيار الأول كان ينادي بإصلاحات قانونية محددة يغلب عليها الطابع المادي، ويسعى من خلالها إلى تحسين وضع المرأة، ولكن الثاني كان يطالب بإصلاحات شاملة تتجاوز تحسين وضع المرأة إلى تغييرها.

– إن الصراعية ووضع الأنثى مقابل الذكر سمة من سمات التيار الثاني ما كانت موجودة في التيار الأول الذي كان يؤمن بتكامل الأدوار بين الجنسين ، يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "فحركة تحرير المرأة هي حركة اجتماعية، بمعنى أنها تدرك المرأة

---

١) تنقل الدكتورة شذى سلمان عن عدد من الباحثات النشطات في الحركة النسوية عند حديثهن عن حقوق المرأة في الإسلام: "أن المرأة في الجاهلية كانت تتمتع بحقوق ومزايا سلبها الإسلام منها كتعدد الأزواج"!! انظر كتابها (المرأة المسلمة في مواجهة التحديات المعاصرة) مرجع سابق ص ٤٠ عندما تنقله عن كل من (Ferine) و (Bezirgan) وفي ص ٤٢ تنقله عن (تيودورا فوستر كارول Carroll) في ص ١٣٠ تنقله عن الباحثة المصرية الأصل الشعراوي(Elsaarawi) ، فتعدد الأزواج عند هؤلاء وغيرهن من متطرفات الحركة الأنثوية تعتبر حقا مشروعا يكمل مفهوم مساواة الجنسين!!، وسابقا كان (إنجلز) يقول: "وعلى كل حال ، يبدو تعدد الأزواج في الممارسة العملية أكثر تساهلا وتسامحا بكثير من تنظيم الحريم عند المحمديين، القائم على الغيرة، تلك هي الحال على الأقل، لدىالنايير في الهند، فلكل ثلاثة رجال أو أربعة امرأة مشتركة، ولكن من مقدور كل واحد منهم أن تكون له أيضا بالمشاركة مع ثلاثة رجال آخرين أو أكثر زوجة ثانية بل ثالثة ورابعة...الخ" انظر (المرأة في التراث الاشتراكي)، ترجمة جورج طرابيشي ص ٥٨-٥٩ دار الطليعة – بيروت.

باعتـــبارها جزء من المجتمع، من ثم تحاول إن تدافع عن حقوقها داخل المجتمع" هذا عن التـــيار الأول ويقول عن التيار الثاني: "رؤية معرفية وتكاملية نابعة من الإيمان بأن الأنثى كيان منفصل عن الذكر، متمركزة حول ذاتها، بل في حالة صراع كوني تاريخي معه"[1].

– التـــيار الأول كان ينظر إلى المرأة على أنها نوع خاص وهي مختلفة عن الرجل، وأن الـــرجل شيء والمرأة شئ آخر، وأن ما يصلح للرجل ليس بالضرورة يصلح للمرأة وهكذا، وليس صحيحًا أن تتخذ المرأة الرجل قدوة وتقلده، وتأثر بالنظريات الاجتماعية والنفســـية و الدينية التي كانت سائدة وكذلك المفكرين الذين أكدوا هذا المعنى ومنهم العـــالم الاجـــتماعي النفســـاني الهولندي (غريمبوس) القائل: "إن مقابلة الأدوار النسائية والرجالـــية أمر أزلي وحتمي، وأنه ليس باستطاعة أي شيء وأي كائن أن يغير هذا نظرًا للاخـــتلافات الطبيعـــية والبيولوجية والتي تحد وتعزز وجود الجنسين القوي والضعيف، وعلى هذا الأساس تتعارض الأنوثة مع ما هو اجتماعي وترتبط بما هو بيولوجي فقط"[2] ولكـــن التيار الثاني لا ينظر إلى الفروق النوعية للجنسين إلا على أنها ناتجة عن التاريخ والتنشئة الاجتماعية، وأن الرجل والمرأة نوع واحد وأن الفروق البيولوجية ليست شيئًا يذكـــر، ولابد للمرأة أن تدخل جحر الضب إذا دخله الرجل، وأن الأنوثة لا تمنع المرأة من شيء إطلاقًا، وانتقدوا النظريات الاجتماعية والنفسية واعتبروها أحكامًا مسبقة غير نابعة من تجارب النساء.

– التيار الأول كان ينظر إلى الإنجاب نظرة إيجابية، وكان يعتبر ذلك عنصر تميز لـــلمرأة باعتبارها واهبة الحياة، وكان ينظر إلى الاهتمام بالأسرة والبيت ورعاية الأولاد عـــلى أنهـــا واجـــبات أساسية وذات أولوية بالنسبة للمرأة، وكان يعارض الإجهاض بشدةوقد نقلنا في كلامنا عن الحركة النسوية الأمريكية نصا من الدكتور (ويلكتر) يدل

---

١) الدكتور عبد الوهاب المسيري (إشكالية التحيز)، مرجع سابق، ص ١٧٤.

٢) مجلة النهج ، العدد ٤٩، شتاء ١٩٩٨م، مقالة عبد الهادي عباس، ص ١٤٩.

على ذلك، أما التيار الثاني فعلى العكس ينظر إلى الإنجاب نظرة سلبية ويرى فيه سببًا من أســباب دونية المرأة، وتسميها (سيمون دي بوفوار) عبودية التناسل!! ، ويطالب بحرية الأمومــة والإجهــاض، ويعتبر الاهتمام بالأسرة ورعاية الأولاد وتربيتهم عوامل معيقة لتحرر المرأة وأخذها حقوقها، وأنها مسئولية المجتمع ودور الحضانة، وطالب بتوفيرها كما ســبق لمدة (٢٤) ساعة متواصلة، ويعتبر هذا التيار الزواج قيدًا للمرأة يمنعها من ممارسة حريــتها، وتتخلى المرأة فيه عن حريتها وتصبح خادمة مقابل إطعامها، وهذا كان فرقًا مهمًا في نوعية مطالبات كل فريق.

– تمــيز التــيار الــثاني بما يمكن وصفه بأنه "استخدم لغة مبتذلة غير معتادة من الجماعة التقليدية المعتدلة"[1] أو التيار الأول.

– وأخــيرًا يرى التيار الثاني أن مشكلة عدم المساواة لا ترجع إلى قيود مؤسسية ظاهرة في المجتمع بقدر ما ترجع إلى قيود ثقافية غير ظاهرة وغير واضحة، عليه لابد من تغيير شامل للمفاهيم الثقافية واللغوية، وطرح قيم جديدة. يقول روجيه غارودي: "إذا كــان هذا هو النظام الذكوري السائد منذ آلاف السنين، فإن حركة النساء المعارضة لا يمكــن أن تكــون مجــرد مطالبة تؤدي إلى تغيير نظام المرأة فقط ، بل إلى تبديل جذري لمجموع العلاقات الاجتماعية، فالمقصود بتعدي المطالبة التي لابد فيها بمساواة المرأة، لأن ذلــك سوف يؤدي إلى المساواة ضمن نطاق نظام للسيطرة ركزت بناه بمعرفة الرجال، والــرجال وحدهــم، ويــنقل عن رائدة الحركة النسوية البرتغالية –والتي تولت رئاسة الوزراء في بلدهم عام ١٩٧٩م (مارياده لورد بنتاسيلغو)– عن أن الموجة الثانية للحركة النســوية تنطوي على (ضرورة ثورة تأسيسية)، وتقول: "إن النساء تراجع جميع أشكال الســيطرة ومن هنا تصبح القدرة الثورية لحركتهن هائلة، المجتمع موضوع الاتهام، ليس

---

١) د. شذى سلمان (المرأة المسلمة)، مرجع سابق، ص ٥٨.

مجـــتمع هـــذا الـــبلد أو ذاك، ولكن الاهتمام يتناول المجتمع الذي يطوق منذ الآن جميع المجـــتمعات الأخرى والذي يتعذر معه أن يضع المرء لنفسه مصيرًا جديدًا أيا كان العائق الوطني"[1].

وفي ختام سرد هذه الفروق الجوهرية بين التيارين يمكن الإشارة باختصار إلى أهم أســـباب وجود هذه الاختلافات –بالرغم من أن التيارين يتصديان لقضية واحدة، وهما امتداد لبعضهما البعض أصلاً–:

١– لعل أحد أسباب هذا الأمر يكمن في أن الحركات الاجتماعية وكذا السياسية تتطور مطالبها تطوراً تدريجيًا، وتصعد لهجتها كلما شعرت بتجاوب في المجتمع أو أحست بأن الوقت مناسب، ومن ناحية أخرى فإن الحركات تصاب مع مرور الأيام عليها بنوع مـــن الإفـــراط والتفريط، عندما تفقد بسبب تطاول الزمان أصالتها وتماسكها الأول، وأحيانًا يؤدي الغلو والإفراط عند بعض دعاتها إلى تحول الحركة إلى النقيض من أهدافها الأولى، والشـــيء إذا زاد عـــن حده انقلب إلى ضده كما يقال، وهذا حاصل حتى في الأديان السماوية والفرق التي انشقت منها.

٢– الـــتأثر بـــالمدارس الفكرية والفلسفية المختلفة بما فيها النظريات الاجتماعية والنفســـية كما أوضحنا شيئًا من ذلك عند حديثنا عن الحركات النسوية، ويترتب على ذلك اختلافهما في الرؤى والمفاهيم والمنطلقات وطريقة التحليل ومن ثم المواقف.

٣– مدى هيمنة الدين وقيمه الروحية والإيمانية والأخلاقية وثوابته المرجعية على دعاة هذه الموجة أو ذلك التيار.

٤– اختلافهما في ترتيب الأولويات بالنسبة للمرأة وحركتها.

---

١) روجيه غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة)، مرجع سابق، ص ٣٤.

٥- اختلافهما في كيفية تناول الموضوع حيث تناول الفريق الأول القضية بروح قانونيـــة إصـــلاحية، وتـــناول الفريق الثاني يتسم بالتحليل الفلسفي والتعمق في جذور المشكلة، نتج عن هذا إمكانية تصنيف التيار الأول ضمن الحركات الواقعية والعملية أو البراجماتية (إن صح التعبير)، فيما يمكن إدراج الثاني في خانة الحركات الأصولية المبدئية أو الأرثوذكسية، حسب التصنيفات الغربية للاتجاهات والحركات.

وأخيرا بقي أن نعدد بإيجاز مواطن الاتفاق بين الفريقين:

١- أن المـــرأة تعيش في ظلم ودونية واضحة، وهي متضررة من الرجل والقوانين السائدة التي لم تساوي بين الجنسين في الكثير من المواطن.

٢- علاقـــات الجنسين داخل الأسرة مبنية على تبعية المرأة للرجل بشكل قاسي ومجحف ، والمرأة تتعرض لأنواع من الأذى داخل الأسرة.

٣- ضرورة إتاحة جميع الفرص التعليمية والتدريبية الوظيفية للمرأة وعدم حرمانها من المشاركة في السياسة والاقتصاد والحياة العامة على قدم المساواة مع الرجل.

٤- ضرورة توحيد الجهود النسائية وتعبئتها وتنظيمها لتحقيق انتصار للمرأة.

٥- ضـــرورة إعـــادة تأهيل المرأة التي هي الآن أشبه ما تكون بمعاقة حتى تمارس دورا في الحياة العامة، وتثبت جدارتها وأهليتها، وتغير من المفهوم التقليدى الذكوري عن المرأة.

لا ننســـى أن نقـــول إن هناك الكثير من الآراء الراديكالية والمتطرفة للحركة لم نذكرها هنا وسنفرد لتلك الآراء مبحثا خاصا ، لكونها تحتاج إلى شرح وتوضيح ، علاوة

على أهميتها بالنسبة لبحثنا ، حيث وضح لنا مدى خطورة الحركة النسوية عندما تنحرف عن مبادئها الأصلية وتتطرف ، وهناك بعض الآراء ذكرها هنا بإيجاز.

وأخـــيرا يمكن القول بأنه –وبالرغم من أن التيار الأول أقرب إلى روح الإسلام، والإســـلام يـــتوافق مع مطالبه– إلا إن للتيار الثاني – بالرغم من تطرفه– آراءاً وجيهة خصوصًا فيما يتعلق بضرورة إحداث تغيير في بنية الثقافة التي يمكن وصفها بأنها ذكورية، وأن علاج الشكل الظاهري المؤسساتي لمشكلة المرأة لا تعني حلاً لها، بل لابد من إحداث تغـــييرات حقيقية في بنية الثقافة التي تنتج تلك المؤسسات وترعاها من دون أن نوافقهم على مدى وشكل التغيير المطلق الذي يقولون به أيضًا.

المطلب الثاني

الليبرالية والحركة الأنثوية

أو الحركة الأنثوية الليبرالية

فيما سبق ذكرنا عدة تقسيمات للحركة الأنثوية وتياراتها، ونحن هنا بصدد مبحث هـــام جدا ، ألا وهو تفريعات للأنثوية على ضوء تأثرها بالمدارس الفلسفية المختلفة، أو بتعبير آخر يمكن أن يكون عنوان مبحثنا (وجهات نظر المدارس الفلسفية في قضية المرأة) ولا شـــك أن أتـــباع هذه المدارس والأيديولوجيات تبنوا هذه الأفكار وكونوا تجمعات ومنظمات نسوية لكي تفصح عن رؤاهم وأطاريحهم.

لاشـــك أن الليبرالية هي فلسفة تتناول جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعـــية، فإذا كانت الليبرالية الاقتصادية تعني: "سيادة المشروعات الحرة القائمة على الملكية الخاصة، ونظام السوق القائم على العرض والطلب، وعدم تدخل الدولة في

النشاط الاقتصادي والاجتماعي إلا عند الضرورة،[١] وفي أدنى حد ممكن"[٢] فإنه يقصد الليبرالية الاجتماعية: "سيادة الحريات الفردية والعلاقات الخاصة، حسب نظم الحياة الغربية، وبقدر ما تسمح به القوانين الوضعية هناك، دون التقيد بالأخلاق والضوابط الدينية كما أوضحتها الديانات السماوية"[٣].

الليبرالية مأخوذة من –(Liberty) بمعنى الحرية، إذا الحرية بمعناها الشاسع هو جوهر العقيدة الليبرالية في الحياة، وبما أن الليبرالية كانت تحمل رسالة توسيع الحريات، وضمان الحقوق فإن الحركة النسوية الحديثة نشأت أول ما نشأت بين أحضانها" ولقد قام الليبراليون بتنظيم المسيرات للمناداة بالمساواة والأجر المتساوي، والحقوق المدنية المتساوية ، وكذا الفرص المتساوية في التعليم والصحة والرفاهية، والدخول في المؤسسات السياسية الديمقراطية"[٤].

ونلاحظ أن طبيعة النظام الليبرالي وفكرة التقيد بالمصالح الرأسمالية، وتناقضات المجتمع وجشع الطبقات المتنفذة، وطبيعة تبلور الأفكار والمشروعات والقوانين الجديدة فيه حيث لابد من أن تسلك طريقا وعرا وشاقا، وتتجاوز سلسلة التغلب على مصالح جماعات الضغط واللوبي المتنفذ، والأفكار المضادة التي تبثها المؤسسات المختلفة المعارضة، كل ذلك نابع من طبيعة النظام الديمقراطي النيابي الذي لا يتناسب معه التغييرات الراديكالية المفاجئة والمتسمة بالطفرة والقفز واختصار الطريق، هذه الطبيعة الأساسية للنظم الليبرالية انعكست على الحركات النسوية الليبرالية فاتسمت مطالباتها بالعقلانية

---

١) هذا الاستثناء إشارة للمدرسة (الكينزية) نسبة إلى العالم الاقتصادي (كينز) الذي تفرد برأيه في (تدخل الدول في إدارة الاقتصاد عند الأزمات) عن آدم سميث وريكاردو وبقية المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد.

٢) الدكتور نبيل السمالوطي (الدين والتنمية في علم الاجتماع)، دار المطبوعات الجديدة ١٩٩٢م ص ١٥.

٣) المرجع نفسه، ص١٥.

(٤) Ramazan oglu, (Feminism as Theory of Oppression), 1980, p. 10

والــتدرج والاقتصـــار على القضايا والأفكار ، التي يمكن قبولها ولا تتناقض مع القيم الأساســية للمجــتمع ، ولذا "فقد تبنت هذه الحركة مشاكل محددة من قضايا الحركة العامـــة، ولـــذا فهناك اختلافات أساسية في كيفية نظرتهم لتكييف العلاقة بين الجنسين بالمقارنـــة بنظرة الراديكاليين والماركسيين داخل الحركة النسوية"[١] وهذا ما وضحناه في المبحث السابق المتعلق بالتيار الأول والثاني.

الحـــركة النسوية الليبرالية ينطبق عليها تماما ما ذكر في معرض الحديث عن التيار الأول لأنها هي المعنية بهذا اللقب، وخلاصة ما يمكن أن نقوله هنا عنها هي أنها: "أولئك الذيـــن ســـعوا لتحســـين وضع المرأة وزيادة فرصها وحصولها على حقوقها من غير أن يـــتطرقوا إلى جذور المشكلة وكيفية تكوين المجتمع"[٢] ، عليه فإنه يمكن إطلاق وصف الليـــبرالية عـــلى أيـــة حركة نسوية تسعى من أجل الحقوق القانونية والصحة والتعليم والمشـــاركة السياســـية ، وتحسين مستوى معيشة النساء عامة (من وجهة النظر الغربية طبعًا)، ولأن هذه الحركة لم تطرح مفاهيم متطرفة، وطالبت بحقوق مشروعة فهي مقبولة عـــند الكثيرين، ولم تظهر في وجهها حركات مناهضة من النساء لأن ما تدعو إليه قدر جـــامع متفق عليه، بل إن اقتصارها على هذا القدر من المطالبات وعدم تبنيها مطالبات الراديكاليات، دفعت بالأخيرة إلى التشكيك فيها والتوقف في اعتبارها من جملة الحركات الأنثوية.

"ومـــن الأمـــور المهمـــة التي لابد من ذكرها هنا وهي من مميزات الليبرالية عن الراديكالـــية والماركسية أنها تقر بأن المرأة قد عانت من التمييز بسبب نوعها، ولكنها لم تشـــخص العلاقة بين الجنسين بأنها علاقات قوة(Specific Power relation)

---

(١)Ramazan oglu, (Feminism as Theory of Oppression), 1980, p 10.

٢) المرجع نفسه ، ص١٠.

مـــن خـــلال السياســـات الجنســـية"[1]كما فعلت وقالت بذلك الحركات الماركسية والراديكالية.

وأخيرا يمكن إجمال مواصفات هذا التيار بالآتي:

– إنها أول صيحة للمناداة بحقوق المرأة.

– لم تتبنى شعار المساواة المطلقة حسب المفهوم الراديكالي.

– لم تـــتطرق للقضـــايا الجنســـية، واقتصـــرت عـــلى قضايا الحقوق السياسية والاقتصادية والمدنية.

– طالبت بتحسين وضع المرأة وتوسيع فرصها دون الحديث عن تغييرات جذرية في بنية المجتمع وعلاقات الجنسين.

– لا تســـتخدم في أدبياتها المصطلحات التي لا تعبر عن آرائها من مثل (المساواة المطلقة **Absolute Equality**) و (التحيز الذكوري **Male Bias**) و(الســـلطة الأبويـــة **Patriarchy**) و(علاقـــات قـــوة **Power relation**) و(الاضطهاد النسوي **Exploitation**) و(التبعية **Subordination**) و...الخ من المصطلحات التي ظهرت مع الموجة الثانية الراديكالية أو أنها تخص طريقة تحليلها.

وفي ختام حديثنا عن الليبرالية لابد من المرور على أفكار فيلسوفها المشهور (جون ســـتيوارت مل) ونرى رأيه في هذا الموضوع من خلال كتابه (استعباد النساء)[2] ويمكن إجمال أفكاره أو بعضها كالآتي:

---

(١) ramazan oglu, feminism as theory of oppression , p.11

٢) ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام / مكتبة مدبولي – القاهرة/ ١٩٩٨.

١- يدافــع عــن الفكـــرة التي تقول: "ليس هناك شيء في هذه الدنيا يستحق التضـــحية بحرية الفرد" ويطبق هذه الفكرة على الزواج "ويعني هو بالطبع نظام الزواج الكاثوليكي للمرأة في زمنه" ويقول: "ومن ثم فكل امرأة يعولها زوجها ـــحتى ولو كانت رعايـــته لهـــا جـــيده قد باعت في الواقع حريتها بثمن بخس عندما استبدلت بها الطعام والمأوى، ولا يمكن لأي إنسان حر أن يفكر في مثل هذه الصفقة دع عنك من أن يقبلها، وهي فضلا عن ذلك لا يمكن أن توجد في مجتمع يوصف بأنه حر"[١].

٢- يقـــر بدور التنشئة (أو ما يسميه (وليم جيمس)[٢] بالتنميط الثقافي)[٣] في صياغة شخصية المرأة وتقزيم طاقاتها وتحديد مصيرها ويقول: "إن شخصية المرأة تشكلت من نوع التربية التي نشأت عليها منذ الزمن الماضي السحيق وما يتوهمه الناس من فروق جوهرية بين الجنسين مرده إلى الظروف الاجتماعية التي اكتنفت حياة كل منها"[٤].

٣- إن المرأة ضعيفة من حيث القوة العضلية والفيزيائية، والرجل أقوى منها ولذا فـــإن قـــانون القوة هو معيار العلاقة بين الجنسين، فالرجل بقوته البدنية يقوم بإخضاع واســـتعباد المرأة وإذا كان تفسير البعض لاضطهاد المرأة هو السلطة الأبوية، أو تقسيم العمل بين الجنسين كما ذهب الماركسيون ، فإن تفسير (مل) هو تفوق الرجل الجسدي، وهو يعقد لشرح هذا الأمر فصلا في كتابه.

---

١) المرجع نفسه ص ١٤-١٥.

٢) ولـــيم جيمس (١٨٤٢ - ١٩١٠م)، عالم نفسي، ولد في نيويورك من فلاسفة البراجماتية، تأثر به ساندر بيرس في المراحل الأخيرة من عمره، اهتم بالمذهب الواقعي وأوجد ما سمي (بالواحدية المحايدة).

٣) محمـــد عـــودة الريماوي (سيكولوجية الفروق الفردية والجمعية في الحياة النفسية) دار الشروق بيروت ١٩٩٤.

٤) (المرجع السابق) ص ١٥.

يخصـــص فصلاً يهاجم فيه نظام الزواج الكاثوليكي، وقانون الأحوال الشخصية الموجود في زمنه، ويرى فيه سر الكثير من معاناة المرأة.

ويظهر الاتجاه الليبرالي المميز عن الراديكالية لـــ (مل) في دعوته في ختام كتابه إلى "أن مـــرحلة الـــتجديد الأخلاقـــي للجنس البشري لن تبدأ حقا إلا عندما تطبق قاعدة المساواة العادلة على أساسيات العلاقات الاجتماعية" فهو لا يدعو إلى المساواة المطلقة، وهو يعترف بتفاوت طاقات الجنسين بالرغم مما قاله عن (دور التنشئة)، ويدعو إلى توزيع الأدوار في الأســـرة والمجتمع والمؤدي إلى تكامل الأدوار في النتيجة، لكنه يرفض إقصاء المرأة عن الحياة وعدم استقلال ذمتها، وتركز السلطة في يد الذكور سواءا داخل الأسرة أو في المجتمع ، وإن كان لا يمنع أن يستقل الرجل باتخاذ بعض القرارات داخل الأسرة في ظروف معينة لابد من حسم خيار معين فيها[1]

المطلب الثالث

الشيوعية والحركة الأنثوية

الشيوعية: مدرسة فلسفية شمولية، وعقيدة تناولت أمور الحياة الأساسية بالبحث والدراســـة، وكونـــت فيها آراء خاصة بدءاً من خلق الكون ونشوء الحياة ووجود الله والغيبـــيات، ومـــرورًا بتحلـــيل التاريخ البشري وتطور المجتمعات وطبقات الناس، إلى الاقتصـــاد وآليات التنمية وتوزيع الثروة، انتهاءً بالحديث عن الفن والأدب والأخلاق والسياسة والسلطة...الخ.

---

١) ممـــا ينبغي ذكره أن هناك تقدما واضحا نحو الراديكالية في أطاريح (مل) وخصوصا في علاقات القوة، والفروق بين الجنسين، والخلاف بينه وبين الراديكاليين يظهر عند العودة للكتاب بتأمل ولكن التشابه لا ينكر، هذا ولا ننسى أن كلا الفريقين يوجد داخلهما اختلافات وآراء متباينة أحيانا، فتجد الليبرالي يقول برأي قريب من الراديكاليين وكذا العكس، ولكن ذلك لا يعني انتقاله النهائي التام إلى التيار الآخر.

وقد تكاملت هذه المدرسة على يد الكثير من الفلاسفة والمفكرين بدءاً بالفلاسفة القدامى (قبل ماركس) الذي تطرقوا لأوليات الفكرة ومرورًا (بماركس وانجلز)[1]، وانتهاءاً بـ(لينين)[2] و(تروتسكي) و(ماوتسي تونغ)[3] وغيرهم من مختلف الجنسيات، وأخذت هذه الشمولية بعد تلفيق الكثير من الفلسفات والمدارس والآراء، وفيما يتعلق بقضية المرأة والأسرة والجنس والإنجاب، فقد وجد بعض التباين في وجهات نظرهم،[4] ولكن مع ذلك يجمعهم إطار فلسفي واحد، وأصول متقاربة، وأهم اختلاف يمكن ذكره في هذا المجال هو تباين المواقف بين الماركسيين القدامى الذين لم يتأثروا بالتيارات الفلسفية التي جاءت بعد الشيوعية ، وبين الماركسيين الجدد الذين تأثروا بتلك

---

١) إنجلز(١٨٢٠ -١٨٩٥م)، ألماني اشتراكي، كان زميلاً لماركس، من مؤلفاته (الاشتراكية، طوباوية وعلمية).

٢) فلاديمير إيليش لينين (١٨٧٠ – ١٩٢٤م) ، مؤسس الحزب الشيوعي في روسيا، أنشأ أول ديكتاتورية للبروليتاريا في العالم، قاد ثورة اكتوبر ١٩١٧م التي أدت لانتصار الشيوعيين في روسيا ثم حكم البلاد حتى وفاته.

٣) ماوتسي تونج (١٨٩٣ – ١٩٧٦م)، قائد ومفكر شيوعي صيني أصبح رئيسًا للصين بعد تأسيسه للحزب الشيوعي مع آخرين سنة ١٩٢١م، وبعد الاختلاف مع الاتحاد السوفيتي في الستينات عد نفسه المفسر الوحيد لتعاليم ماركس ولينين.

٤) فمثلاً فيما يتعلق بالحرية الجنسية ومشاعية النساء تنقل (كلارا زتكين) عن لينين (عندما كان يحدثها في لقاء بينهما) خلافًا بينه وبين قادة آخرين كانوا يرون في المشاعية الجنسية نقلة إلى الشيوعية الحقيقية، وينقل (لينين) عن بعضهم (نظرية كأس الماء) ويقول (موجهًا كلامه إلى كلارا): "أنت تعرفين بلا شك النظرية المشهورة القائلة إن تلبية الغرائز الجنسية والحاجة إلى الحب لن تعدو في المجتمع الشيوعي أن تكون أكثر من أمر بسيط تافه كاجتراع كأس من الماء، إن نظرية (كأس الماء) هذه قد جعلت شبيبتنا مستكلبة، مستكلبة بالمعنى الحرفي" ولابد من القول إن لينين في رفضه هذا كان ينطلق من الثورة البروليتارية، ومواجهة أعدائها، وضرورة تحويل اهتمام الشباب والمرأة إلى خدمة الحزب والثورة، وخصوصًا بعدما رأى الإباحية تفتك بالطاقات وبنى المجتمع، وليس عن قناعة راسخة بعدم صدق النظرية حتى وإن وصفها بأنها (غير ماركسية) وهذا واضح من سياق كلامه، وإن كان لا يؤمن بذلك حقًا فهذا رأيه الشخصي ، والنظرية متماشية مع الفكر الشيوعي في موضوع الجنس. يرجع للنص المنقول (المرأة في التراث الاشتراكي) ترجمة جورج طرابيشي، ص ١٥٦ دار الطليعة ، بيروت، ط الأولى ١٩٧٣م.

الفلسفات والنزعات الراديكالية الأنثوية الجديدة، وأفكار ما بعد الماركسية ومراجعات مدرسة فرانكفورت والبنيوية وغيرها.

الاشـــتراكية تعني: الكفاح من أجل مصلحة طبقة معينة في فترة تاريخية محددة من مراحل التنمية البشرية، وتركيز الماركسيين على الصراع الطبقي وإلغاء الملكيات الفردية والإطاحـــة بالرأسمالـــية والإقطاع أدى بهم إلى أن يرفضوا النضال من أجل المرأة كامرأة وجنس ، بغض النظر عن الطبقة التي تنتمي إليها المرأة، فهم تبنوا الكفاح من أجل الطبقة العاملـــة (البروليتاريا) ضد الطبقة البرجوازية، وهذا يحتوي بداخله كفاح بعض الرجال والنســـاء ضد بعض الرجال والنساء، فالمرأة في الصراع الطبقي تقف ضد المرأة من غير طبقـــتها، وفي هذا يقول (لينين): "يجب أن تشير الأطروحات بصورة حادة إلى أن تحرير المرأة الحقيقي غير ممكن إلا عن طريق الشيوعية، يجب دراسة مسألة الصلة التي لا تنفصم عـــراها بين وضع المرأة كإنسان وعضو في المجتمع، وبين الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج دراســـة معللـــة، وبذلـــك نضع حدًا فاصلاً مأمونًا بيننا وبين الحركة البرجوازية بصدد (انعـــتاق المرأة)، ثم إن هذا يرسي الأساس لدراسة قضية المرأة بوصفها جزءاً من القضية الاجتماعـــية العمالـــية، ويتـــيح بالـــتالي ربطها ربطًا متينًا بالنضال الطبقي البروليتاري والثورة...وأن تجندهن وتسلحهن من أجل النضال الطبقي للبروليتارية تحت قيادة الحزب الشـــيوعي"[1] و"كان ماركس يشير إلى طبقة تشكل ذوب جميع الطبقات، ودائرة ذات طابع شامل بآلامها الشاملة"[2] ويقصد طبقة العمال التي تذوب فيها طبقة النساء أيضًا لأنه يجمعها الاضطهاد كقاسم مشترك بين الجميع.

ولما قام الحزب الشيوعي البلشفي في روسيا بإنشاء قسم خاص للنساء في اللجنة المركـــزية للحزب عام١٩١٩م باسم(Zhenotdel) ليتولى تحديد السياسات المتعلقة

---

١) ترجمة جورج طرابيشي، المرأة في التراث الإشتراكي، ص ١٦١ – ١٦٢.

٢) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة)، مرجع سابق، ص٥٣.

بالمـــرأة في الحـــياة السياسية والاقتصادية، وانتشرت فروعه في المدن والولايات ، أدت القـــناعة الماركســـية التقليدية المذكورة سابقًا إلى حدوث معارضة شديدة من قبل لجان الحزب المسيطرة عليها من قبل الرجال، وفي النهاية أغلقت الفروع تمامًا بعد مدة وجيزة، وأدمجـــت في لجـــان الحزب باعتبارها تفتيتًا لقوى البروليتاريا وتركيزًا على خطاب غير متوافق مع المرحلة [1] .

يقـــول غـــارودي: "وفي هـــذا المجال نجد ثمة إحدى النظريات الكبرى لأي فكر اشتراكي بشأن هذه المسألة: فالصراع ضد السيطرة واستغلال المرأة من قبل الرجل، لا يمكـــن فصله عن الصراع ضد السيطرة واستغلال الرجل وتحرير النساء مرتبط بتحرير الـــرجال كمـــا أن النسوية مرتبطة بالاشتراكية"[2] ، ويقول بعد ذلك ناقدًا هذا الفكر والموقـــف الماركســـي التقليدي: "ولقد كان الخطر الأول متكررًا عند الماركسيين الذين يميلون بصورة عامة إلى بخس في نوعية المطالب النسائية، حتى إنهم كانوا يجدون فيها نوعًا من التحويل يجعل من المستحيل حل المسألة لأنه يرفض طرحها"[3]

ثم يقرر ويعترف بأن البلاشفة الروس لم يكن لديهم أي طرح نظري لقضية المرأة، بل وينتقد ممارستهم التي قاموا بها أيضًا ، ويقول ما معناه أنهم لم يفعلوا شيئًا سوى إخراج المـــرأة مـــن البيـــت لتكون خادمة في المقاهي والمطاعم، ومن الخياطة المنزلية إلى السرد والنسيج، وانتقلت من السهر على عائلتها إلى مهام الممرضة والمعلمة، ويقول إننا لا نحقق انتصـــارًا إذا نقلـــنا النساء من طبقة العمال المستغلين إلى طبقة الكادحين ذوي النصيب

---

١) أنتوني جيدنز، (جامعة شناسي)، مرجع سابق، ص١٩٤.

٢) غارودي، المرجع السابق، ص ١٠١.

٣) المرجع نفسه ، ص١٠٢.

الكامل، وينتقد وجهة نظر (إنجلز ولينين) اللذين تصورا ببساطة حل قضية النساء بدمجهن بالإنتاج وإخراجهن من البيوت فقط[1] .

ولكـــن بعـــد انتشار ما سمي بالماركسية الجديدة، والتي هي قراءة مختلفة للفكر الشيوعي إلى حد ما، تزامن مع ذلك أيضًا ظهور تيار نسوي جديد نشأ بعيدًا عن التأثر بالماركسية الأصلية أو القديمة، وتحت تأثير الأنثوية الراديكالية، ولذلك فقد دعا إلى تبني قضـــية المـــرأة بانفصال عن القضية الطبقية لأن هذه الحركة تعتقد وقوع ظلم متشابه (**Common Oppression**) وعـــام على المرأة في مختلف البلدان، أي أن النساء أخـــوات في الاضـــطهاد(**as a Sister in oppression**) وهذا مخالف للتفكير الشيوعي التقليدي.

"الراديكالـــيون يرجعون ظلم المرأة إلى الرجل والنظام الأبوي، ولكن الماركسيين يرون بأنه ناتج عن الطبقية (كما قلنا) وعند إلغاء الفوارق الطبقية فإن هذا الظلم سوف يـــزول، ويرون أن هناك اختلاف بين النساء عمومًا بشكل واحد، وإن إدعاء الليبراليين وبعض الراديكاليين بخصوص تشابه الظلم الواقع على المرأة غير صحيح"[2] .

في ضـــوء ما ذكرنا نقول إن الأنثوية الماركسية الجديدة تعتقد بأن إلغاء الفوارق الطبقية لا تؤدي إلا إلى تحسين وضع النساء فقط ، وهذا التيار يكافح ضد الرأسمالية لأنها تتضمن (السلطة الأبوية) وتتضمن تمكين القوي (الرجل) ضد الضعيف (المرأة) ولا تعطي فرصـــة للمساواة، وغارودي باعتباره من أنصار الماركسية الجديدة (كان كذلك) يدعو إلى أن إعمال الفكر من خلال أطاريح جديدة وجذرية لعلاج قضية المرأة لا تعتمد على التحليل الاقتصادي فقط ، كما هو شأن الفكر الشيوعي بل على التحليل الثقافي أيضًا،

---

١) المرجع نفسه، ص ١٠٢. للتفصيلات..

(٢) **Ramazan oglu (Feminism as Theory of Oppression) p.14**

ومــــدى دوره في خلــق واقع المرأة الحالي، ويدعو إلى علاجات تعيد للأنثى مشاركتها الحقيقـــية في كل مواقع الحياة والقرار مناصفة مع الرجل ومتكافئة معه لا بدعوة وإذن منه[1].

وعـــودًا على كلامنا (إن هذا التيار نشأ تحت تأثير الراديكالية) ويمكن أن نلاحظ تأثيرها في مجالين:

١ –مفهوم السلطة الأبوية وسطوة الرجال التاريخية على النساء بمختلف الأشكال واعتبار ذلك سبب الأزمة.

٢– مفهـــوم السياسة الجنسية، أو الكفاح العام للنساء ضد الرجال "والسياسة الجنســـية عبارة عن نظام من القوة (السلطة) الشخصية يسيطر بها شخص الرجل على شخص المرأة"[2].

ويجمع بين التيارين القديم والحديث مجموعة الأفكار الشيوعية الأساسية بخصوص هذا الموضوع ويمكن ذكر بعضها كالآتي:

إن تحرير المرأة كاملاً مرهون بزوال الرأسمالية والملكية الفردية وتحقيق الاشتراكية ومن ثم فإن آلام المرأة سوف تستمر حتى يتحقق ذلك.

إن المرأة إنسان، ومكافئة للرجل، ولها كل ما للرجل من حقوق، ولابد أن تكون حرة في جميع اختياراتها، وأن أنوثتها لا تمنعها عن أي شيء يمكن أن يقوم به الرجل.

---

١) هـــذا تعريض بـــ (لينين) ورد عليه حيث يقول (تدعي المرأة) وهو يقول لا تدعي من قبل الرجل لأنها مساوية له وإنما تأتي بنفسها..

(٢) Eisenstein Contemporary Feminist Thought – p.11 - 1984

إن حـــرية المرأة تقتضي أن تكون حرة في علاقتها الجنسية مع الرجال، ولا يمنعها الـــزواج من ذلك لأنها ليست ملكًا فرديًا للرجل، وهل تقبل الشيوعية بعد إلغاء الملكية الفردية للأشياء أن تعود وتقرها للأشخاص" يجيب (إنجلز) على سؤال مفاده :ما موقف الشـــيوعي مـــن الأسرة؟ فيقول: جواب -سوف يحول العلاقات بين الجنسين إلى مجرد علاقات شخصية لا تعني أحدًا سوى الأشخاص المرتبطين بها، ولا يكون من حق المجتمع أن يتدخل فيها، ويتحقق هذا التحول يوم يلغي النظام الشيوعي الملكية الفردية، ويشرع بتربـــية الأطفـــال تربية جماعية[1]، ويقوض بالتالي الدعامتين الرئيسيتين لمؤسسة الزواج الحالية: تبعية المرأة للرجل، وتبعية الأطفال للأهل"[2].

وهـــنا يثبت إنجلز بما لا يقبل الشك فكرة مشاعية النساء الموازية لمشاعية وسائل الإنـــتاج من حيث يريد -حسب زعمه- أن ينفيها، لزيادة توضيح هذا الأمر نقول إن الأمـــر الذي يقلق الشيوعيين (وهنا إنجلز) هو أن تكون للعلاقات الجنسية دوافع مادية (الـــبغاء) وإلا فإن كان بمحض اختيار المرأة "أو الشخصين الداخلين في العلاقة حتى وإن كانا من جنس واحد" فلا بأس بذلك.

ضـــرورة تهيئة الأجواء والفرص المناسبة لتمكن المرأة اقتصاديًا، وذلك بإخراجها مـــن البيت لتكون عاملة ومنتجة، وتخليصها من واجبات البيت والزوج، وما يسمى في هـــذه الأيـــام الأدوار النمطية والتقليدية التي يمكن أن تعيق هذا الأمر، ذلك عن طريق إنشاء المطاعم الجماعية، ودور حضانة الأطفال، والغسالات العامة وغيرها... وأن تكون تربية الأطفال من مهام الدولة لا من مهام المرأة.

---

١) ولا فرق بين الشيوعيين وغير الشيوعيين كما يقول في موضع آخر..

٢) المرأة في التراث الاشتراكي ، ترجمة جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص ٤٢.

يقـــول إنجلز: "ومن ذلك الحين اتضح أن انعتاق المرأة وتساويها مع الرجل أمر غـــير ممكـــن ، وســـيبقى غير ممكن ما دامت المرأة مقصية عن العمل والإنتاج الجماعي ومضطرة للاكتفاء بالعمل البيتي الخاص"(١).

يقول لينين بعد أن يصف المرأة بأنها (عبدة البيت): "إن تحرير المرأة الحقيقي، والشـــيوعية الحقيقية لا يبدآن إلا يوم يبدأ النضال الجماهيري ضد ذلك الاقتصاد المنزلي الصغير أو بتعبير أدق، عند تحوله بصورة مكثفة إلى اقتصاد اشتراكي كبير..." (٢)

ويســـمى بعد ذلك المطاعم الجماعية وغيرها من دور الحضانة، ورياض الأطفال ببراعم الشيوعية" التي لا تفترض شيئًا من الأبهة والتفخيم، والتي من شأنها واقعيًا أن تحرر المرأة، وأن تقلص وتمحو واقعيًا عدم المساواة بينها وبين الرجل، وأن تستجيب لدورها في الإنـــتاج الاجتماعي والحياة العامة"،(٣) ولكن هذا التحرر ظل حلمًا غير قابل للتحقيق كبقية أحلام الشيوعية .

المطلب الرابع

الوجودية والحركة الأنثوية

الوجوديـــة: هي فلسفة التجارب الشخصية والفردية، هي فلسفة ممارسة وتحقيق الـــذات، فلســـفة الشك والرفض قبل القبول واليقين، هذه الفلسفة أثرت على أجيال عديدة في العالم وخصوصًا أواسط القرن على يد (جان بول سارتر) (٤) ورفاقه ومنهم، بل

---

١) المرأة في التراث الاشتراكي ، ترجمة جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص٧٨..

٢) المرجع نفسه، ص ١٢٦ – ١٢٧..

٣) المرجع نفسه، ص ١٢٧.

٤) فيلســـوف وجودي فرنسي ولد في باريس سنة ١٩٠٥م، صاحب كتاب (الوجود والعدم) وهو قاص وروائي معروف أيضًا.

مـــن أنشـــطهم عشيقته أو شريكته-لأنهما عاشا من غير زواج- (سيمون دي بوافوار) صـــاحبة كتاب (الجنس الآخر) الخاص ببيان النظرة الوجودية في القضية النسوية، والتي نعتمد عليها وعلى كتابها الآن في بيان هذا الموضوع.

تتـــناول (سيمون) في مقدمة كتابها تعريف المرأة وقضيتها وتقول: "والمرأة تعرف بأنهـــا كائن انساني و ذات حرية مستقلة، وهي تكتشف نفسها، وتصطفي ذاتها في عالم حرص الرجال فيه أن تلعب دور (جنس آخر) دور الغرض والمتاع"[1].

ثم تحـــاول أن تجـــد الأساس الذي استند الناس عليه في نظرتهم للمرأة وتعريفها، وبـــيان قضاياها، وتتناول ثلاث آليات أو نظريات تصدت للموضوع، وتقوم هي بنقد هذه النظريات والرد عليها واعتبارها ناقصة، وهذه النظريات هي:

١-المدخـــل البيولوجي أو الاستناد إلى معطيات علم الحياة، وهل تصلح كنظرية لتفسير وضع المرأة وموقعها في المجتمع، والاستناد عليها في قرار تقسيم الجنسين؟ وتقول: "ولـــئن استعرضـــنا المعطيات البيولوجية، فلأنها أحد المفاتيح التي تسمح لنا بفهم المرأة ولكننا نرفض الفكرة القائلة: بأن المعطيات البيولوجية هي التي تقرر مصيرها نهائيًا، فهذه المعطيات لا تكفي لتحديد التمايز بين الجنسين، ولا تفسر لماذا تعتبر المرأة (الجنس الآخر) كما لا تحكم عليها بأن تحافظ إلى الأبد على هذا الدور الثانوي"[2].

٢- الفرويدية أو مدرسة التحليل النفسي: تدعي هذه المدرسة بأن حرمان الأنثى مـــن عضـــو الذكر ولد عندها مركب نقص يلازمها طوال حياتها، ويعتبر أصحاب هذه المدرسة الحقيقة الأولى للإنسان علاقته بجسمه الخاص، وجسم أمثاله ضمن المجتمع، ولكن

---

١) سيمون دي بوفوار (الجنس الآخر)، ترجمة لجنة من أساتذة الجامعة منشورات المكتبة الحديثة – بيروت، الطبعة السابعة ١٩٧١ ص١٠.

٢) سيمون دي بوفوار، (الجنس الآخر) ، المرجع نفسه، ص١٠.

الوجودية ترفض هذا الرأي وتعتبر "أن مدرسة التحليل النفسي تفشل بصورة خاصة في أن تفسر لماذا تكون المرأة (الجنس الآخر) ؟ لذلك نرفض التحليل النفسي مع اعترافنا أن بعـــض ملاحظاتهـــا ذات نفع"[1] ومن غير الوجوديين فقد وجه بعض علماء الاجتماع والنفس وبعض الحركات النسوية انتقادات مهمة لنظرية فرويد في هذا المجال منها:

أ- حصـــرت هذه المدرسة إدراك الأطفال لذواتهم وخصوصياتهم الجنسية بوجود آلة الذكورة أو عدمها، وهذا إهمال لعوامل أخرى أكثر أهمية وتأثيرًا في المسألة.

ب- الـــنظرية تـــنطلق مـــن أو تفترض أفضلية وأولوية آلة الذكر الجنسية على الأعضاء الجنسية التناسلية الأنثوية، وهذا تحكم (أي ترجيح بلا مرجح).

ج- يعطـــي فـــرويد دورًا كبيرًا للأب على حساب إغفال دور الأم، وهذا غير صـــحيح بل إن العالم النفسي المعروف (كار نانسي جودروف) يذهب إلى عكس ذلك تقريبًا[2].

يقـــول غارودي في نقد نظرية فرويد: "عندما تصدى في أواخر حياته لقضايا علم الـــنفس النسائي لم يتمكن من التغلب على الوهم الأكبر للثقافة الذكورية: فالرجل يمثل كامل الإنسانية، والمرأة بما أنها ليست رجلاً، أو أنها رجل ناقص جسديًا فإنها تعيش آسفة أن لا تكـــون رجلاً، أي ضمن إطار من قصر النظر العجيب بشأن تعريف تشريحي محض لاختلاف الجنس عند (فرويد)[3] متأتٍ عن كون المرأة ليس لديها قضيب"[1].

---

١) المرجع نفسه، ص ١٩.

٢) أنتوني جيدنز (جامعة شناسي)، (مرجع سابق)، ص ١٨٤.

٣) سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩م)، طبيب نمساوي، حقق ثورة في الأفكار الخاصة لكيفية عمل عقل الإنسان، أسس نظرية سيطرة الدوافع غير الواعية على السلوك، استخدم منهج التحليل النفسي وتعرف كمدرسة باسمه من كتبه (تفسير الأحلام)، (مقدمة في التحليل النفسي).

الشيوعية والمادية التاريخية: تقوم (سيمون) في البداية بالموافقة على بعض مفاهيم المادية التاريخية بخصوص تحليلهم للموضوع وتقول: "لقد أبرزت المادية التاريخية حقائق ذات أهمية بالغة، فالإنسانية ليست نوعًا حيوانيًا بل واقع تاريخي"[٢].

وهي توافق على وجود علاقة بين ظهور الملكية وتطور وسائل الإنتاج، مع ظهور وتكون الأسرة الأبوية، وتهميش المرأة اقتصاديًا، ومن ثم اجتماعيًا، ولكنها مع ذلك تنتقد أفكار (إنجلز) بهذا الخصوص وتقول: "لا شك أن تحليل إنجلز يشكل خطوة إلى الأمام إلا أنه يهمل كثيرًا من النقاط المهمة: إن محور التاريخ كله هو الانتقال من نظام المشاع القديم إلى الملكية الفردية، دون أن يقال لنا كيف حدث هذا الانتقال، بل إنجلز يعترف (بأننا لا نعرف شيئًا حتى الآن) فهو لا يجهل تفصيلات التاريخ فقط، بل إنه لا يوحي بأي تفسير له. كما أنه ليس واضحًا أن الملكية الفردية أدت حتمًا إلى عبودية المرأة . إن المادية التاريخية تعتبر الأشياء التي ينبغي تفسيرها أمورًا مفروغًا منها....المادية التاريخية التي لا يمكنها تقديم الحلول للمسائل التي عنيناها لأنها مسائل تهم الإنسان كله، وليس مفهوم (الإنسان الاقتصادي) التجريدي"[٣].

وترد على إنجلز وغيره من الشيوعيين الذين أخذوا من (باشومين أو باخوفين) الفرضية القائلة بوجود سيطرة حقيقية للنساء في الأزمنة البدائية **(matriarchy)** وأن السلطة الأبوية سبقت بسلطة أموية وتقول: "إن هذه الفترة الذهبية من تاريخ المرأة ليست سوى أسطورة"[٤]. وتقديس الأم ، وكون بعض الآلهة إناثا عند بعض الشعوب لا

---

١) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة)، مرجع سابق، ص ١٤٥.

٢) سيمون دي بوفوار، (الجنس الآخر) مرجع سابق ص٢٠.

٣) المرجع نفسه ص ٢٢-٢٣.

٤) سيمون دي بوفوار، (الجنس الآخر) ، المرجع نفسه ، ص ٣٥.

تــدل عــلى صــحة تلك الفرضية لأن "مكان المرأة في المجتمع لم يكن إلا المكان الذي خصصه لها الرجال"[1].

وأقــول: عرب الجاهلية الذين كانوا يعبدون آلهة إناثا (مثل اللاة ومناة) وغيرهما كــانوا في الوقــت نفســه يمارسون عادة وأد البنات، وليس هناك تلازم بين التقديس والســلطة الحقيقــية في المجــتمع وهي تطرح أسبابًا يمكن استخلاصها من مجمل وسياق كلامها تصلح حسب رأيها أن تكون تفسيرًا لوضع المرأة في المجتمعات:

عن ضعف المرأة الجسدي والعضلي وعدم تمكنها من منافسة الرجال في هذا المجال خصوصًــا بعد اكتشاف البرونز والحديد كان له دور أساسي ، وتقول في هذا "إن عجز المرأة جر إلى خرابها، لأن الرجل استحوذها من خلال سعيه للثروة والتوسع ، فمنذ نشأة الإنسانية أتاحت للذكور ميزاتهم البيولوجية أن يؤكدوا أنفسهم كسادة وحدهم وهم لم يتخلوا قط عن هذا الامتياز"[2].

"لــو لم يكــن في المرأة صفة (الجنس الآخر) أصلاً لما كان في وسع اكتشاف آلة البرونز أن يقود إلى اضطهاد المرأة"[3].

عــدم السماح للمرأة بالامتلاك جعلها لا تكتسب صــفة (الشخص) بل تصبح جزءا من أملاك الرجل" وبما أنها لا تملك شيئًا فهي لا تكتسب صفة الشخص بل تصبح جزءا من أملاك الرجل حتى إن الأب يستطيع قتل بناته بعد الولادة"[4].

---

١) سيمون دي بوفوار، (الجنس الآخر) ، المرجع نفسه ، ص ٣٨.
٢) المرجع نفسه ، ص٢٤.
٣) المرجع نفسه ، ص٣٨.
٤) المرجع نفسه ، ص٢٥.

عـــدم قدرة المرأة على التوفيق بين دورها الإنجابي ودورها الإنتاجي "إن السبب العميق الذي حصر المرأة في العمل المترلي في بداية التاريخ، ومنعها من المساهمة في تعمير العالم هو: استعبادها لوظيفة التناسل"[1].

بالنســـبة لدور الدين تقول بأنه كان محايدًا عندما لم يكن للآلهة جنس، ثم انحاز لصالح المرأة عندما أصبحت الآلهة المعبودة إناثا، ثم إن رجال الدين وتقصد به (النصارى) كانوا أعداء المرأة بسبب تفسيراتهم الذكورية للدين ونصوصه.

السلطة الأبوية في المجتمع وسيطرة الرجال على كل شيء حتى "إن تاريخ النساء كان من صنع الرجال لذلك كانت مسألة المرأة دائمًا مسألة رجال ، فهم الذين أمسكوا دائمًـــا المرأة بين أيديهم... والحركة النسائية لم تكن في يوم من الأيام حركة مستقلة بل كانت إلى حد ما أداة في يد السياسيين"[2].

إشـــكاليات تتعلق بالثقافة والتنشئة، حيث إن المرأة فئة منخفضة مقيدة اجتماعيًا والمـــرأة تعد للزواج لا للمشاركة في المجتمع والإبداع، وتقول عن دور التنشئة في خلق وضع المرأة " لا يولد المرء امرأة بل يصير كذلك"[3] وتقول: "إن سلوك المرأة لا تفرضه عليها هورموناتها ولا تكوين دماغها بل هو نتيجة لوضعها".

وأخـــيرًا تدعو المرأة إلى الرفض والثورة والتمرد على هذا الواقع وتدعو إلى جملة أفكار ، يلخصها غارودي نقلاً عنها: "عالم (تحلم سيمون به) يكون فيه الرجال والنساء متساوين... وسيعمل النساء وقد ربين ودربن كالرجال تمامًا، في إطار الظروف نفسها، وبالأجور نفسها، وستقر العادات الحرية الشهوانية، ولكن العمل الجنسي لن يعتبر خدمة

---

١) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة) مرجع سابق، ص ٥٦.

٢) المرجع نفسه، ص٥٨.

٣) المرجع نفسه، ص ٥٦.

مأجورة، وستكون المرأة ملزمة بتأمين مورد رزق آخر، وسيقوم الزواج على ارتباط حر بوسع الزوجين أن يلغياه متى شاءا، وستكون الأمومة حرة أي يسمح بمراقبة الولادات"،[1] وتقول في موضع آخر: "إن تطور وضع المرأة يفسر تضافر العاملين التاليين: المساهمة في الإنتاج، والتحرر من عبودية التناسل"[2] وهي تقر بأنه لا مجال للحديث الآن عن مساواة الجنسين أو مقارنتهما في ظل الظروف الحالية ، لوجود فروق كبيرة بينهما نتيجة الوضع الاجتماعي والتنشئة، وليس بسبب التفاوتات البيولوجية كما سبق وأوردنا.

المطلب الخامس

الراديكالية والحركة الأنثوية

لاشك أن الراديكالية يمكن اعتبارها نزعة وطريقة للتناول والمعالجة وليست مدرسة فلسفية تتميز برؤى فلسفية خاصة بإزاء الليبرالية والاشتراكية، وهي تعني: العلاج من الجذور، وفيها حدة وتطرف وميل للأساليب العنيفة والقاطعة وهذه النزعة موجودة في كل الفلسفات والأديان تقريبًا وبالنسبة للحركة الأنثوية فإن كل المدارس التي جاءت بعد الليبرالية كالاشتراكية والوجودية والبنيوية فإنها في الغالب كانت تتسم بنزعة راديكالية أو متطرفة بخصوص قضية المرأة، ودعت إلى علاجات اتسم الكثير منها بعدم الواقعية، والبعد عن التدرج، والانحياز المفرط للمرأة دون النظر إلى السياق الاجتماعي، والمصالح التي هي فوق الرجل وفوق المرأة أيضًا، ربما كان لذلك أسباب نابعة من جوهر فكر هذه المدارس، كما أن هناك أسبابًا أخرى يمكن وصفها بأنها كانت

---

١) غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، مرجع سابق، ص ٨٣.

٢) سيمون دي بوفوار ، (الجنس الآخر)، مرجع سابق، ص ٥٧.

ردة فعل عنيفة وخاطئة لواقع فاسد وظالم، وتشريعات جائرة، وعقائد باطلة....الخ والتي سنتطرق إليها لاحقًا.

ويمكننا الآن إيجاز وصف الراديكالية الأنثوية في النقاط التالية:

– تعـــتمد على تحليل تاريخي لواقع المرأة وأنها كانت مظلومة طيلة آلاف السنين بســـبب كونها أنثى، والذي قام بظلمها واضطهادها هو الرجل بسلطته وقوته الجسدية والاقتصادية.

– طالبـــت بتغـــيير جذري في مجموع علاقات الجنسين داخل الأسرة وفي المجتمع على حد سواءا بزوال السلطة الأبوية واستئصالها، ووصولاً إلى المساواة المطلقة وسيادة علاقات النوع في المجتمع أو ما يسمى "genderization of society".

وطالمـــا أننا تكلمنا كثيرا عن التيار الثاني، والمعني به هم الراديكاليون ، وأننا عند حديثـــنا عن الآراء الخطيرة للأنثوية نعود إلى آرائهم مرة أخرى فلا حاجة لتفصيل أكثر مـــن هـــذا، ولاشـــك أن هذا التيار أيضًا يحتوي على متطرفين ومن يمكن وصفهم بـــ (متطرفين جدًا) أو الأكثر تطرفًا وتشددًا.

الفصل الثاني

البيئة الفلسفية للأنثوية وأبرز آرائها

المبحث الأول: النسق الفلسفي والبيئة الفلسفية التي نشأت فيها الأنثوية

– العلمانية

– العقلانية

– المادية

– النفعية ومذهب اللذة

– العبثية والتشكيكية

– الصراعية

– الجنسانية

المبحث الثاني: أبرز وأخطر آراء الأنثوية المتطرفة (الراديكالية)

– المناداة بعداء الجنسين وإعلان الحرب ضد الرجال

– رفض الأسرة والزواج

– رفض الأمومة والإنجاب

- ملكية المرأة لجسدها

- إباحة الإجهاض

- الشذوذ الجنسي وبناء الأسرة اللانمطية.

- إعادة صياغة اللغة

- إلغاء دور الأب في الأسرة من خلال رفض (السلطة الأبوية)

الفصل الثاني

البيئة الفلسفية للأنثوية وأبرز آرائها

المبحث الأول

النسق الفلسفي والبيئة الفلسفية التي نشأت فيها الأنثوية

لا شـــك أن أية حركة اجتماعية أو سياسية... تحمل مجموعة من الأفكار فإنها تولد في جو فلسفي معين وتتأثر بالأفكار والمعتقدات الشائعة في زمنها، وربما تكون أصلا نتيجة طبيعية للأفكار الشائعة وتجسيدًا لها، وإذا أردنا أن نفهم آرائها ونُقَيِمُهَا فلا مناص من الرجوع إلى الجذور الأصلية لتلك المفاهيم.

والحـــركة النسوية أيضًا التي ظهرت في العالم الغربي، فلا شك أنها تعبر عن القيم والمفاهيم والنظريات التي سادت في زمنها في العالم الغربي، والتحولات التي طرأت على برامجها وأطاريحها ليست إلا استجابة لتغيرات أيديولوجية وفلسفية طرأت على الأفكار والقناعات.

ونحن هنا نحاول أن نعرج على أهم المبادئ والأفكار التي أثرت على الفكر الغربي مـــنذ ظهـــور عصر النهضة ثم التنوير ثم الحداثة وما بعدها، وأثرت بالتالي على الأنثوية كجزء وليد لهذه المنظومة الفكرية وأثرت على صياغة الحركة الأنثوية، وبلورت أفكارها مـــنذ الـــبداية، وجعلتها تخرج من مسارها الأصلي وتتحول إلى أيديولوجية خطيرة على القـــيم والأسرة والأخلاق وغيرها، وسوف نتحدث عن تحولات خطيرة ومهمة تشكل

نقاط انعطاف مصيرية في الفكر الغربي الحديث، وهي التي تفسر لنا غرابة بعض المطالبات الأنثوية.

المطلب الأول

العلمانية Secularism

العلمانية: بمعنى تغليب العقل البشري على النقل الإلهي، ورفض الدين كمرجعية عليا للقطع في الأمور والعودة إليه عند الاختلاف، بل تعدى الأمر بعد ذلك إلى الإلحاد وإنكار الخالق بالكلية وغير ذلك من الأفكار، ويبدو أن ذلك كان نتيجة طبيعية للكنيسة وممارساتها، والتي أصرت على تقديم أفكار بشرية معوجة باسم الدين المسيحي، ذلك الدين الذي لم يحافظ على ربانيته وسلامة نصوصه، وبالتالي كان قاصرًا أو غير قادر على مواجهة الواقع الجديد بتحدياته المتعددة المتشابكة.

لقد أدت الكثير من المكتشفات العلمية إلى خلق حالة من الشك في الدين، والذي بلغ ذروته في القرن الثامن عشر ، حيث أن الإيمان المسيحي كان مبنيًا على جهل بكثير من حقائق الكون، ولقد تم ربط حقائق الإيمان بهذه الجهالات، وجاء عصر الاكتشافات العلمية، وقام بعض العلماء ببيان السنن والقوانين التي يسير عليها الكون أمثال (كوبرنيكوس)[١] الذي أوجد نظرية (مركزية الشمس) بدل (مركزية الأرض) أو (الهيلوسنترية بدل الجيوسنترية)، ثم (جاليليو)[٢] الذي أوجد قوانين الحركة، ووضع أول

---

١) نيكولاس كوبرنيكوس (١٤٧٣ ١٥٤٣م)، عالم فلكي بولندي، طور نظرية دوران الأرض، يعتبر مؤسس علم الفلك الحديث.

٢) جاليليو: (١٥٦٤– ١٦٤٢م)، عالم إيطالي اشتغل بالفلك والرياضة والطبيعة، صنع عام ١٦٠٩ أول منظار فلكي أظهر به أن سطح القمر جبلي، وأوجد الكثير من الأقمار والنجوم، أيد نظرية كوبرنيكوس عن دوران الأرض حول الشمس.

تلسكوب فلكي ووجهه للقمر وشاهده، وشاهد الكثير من النجوم التي لا ترى بالعين، ثم (نـــيوتن)[1] وقوانيـــنه في الجاذبـــية، وحركة الأفلاك في المدارات وتفسير ذلك، وقبله (كـــبلر)[2]، ثم جاء (لابلاس)[3] وفسر ما عجز (نيوتن)عن تفسيره، وبين أن الكواكب هـــي التي تصحح نفسها باستمرار حسب قوانين محددة ولا تنجرف عن مداراتها بسبب وجود تلك القوانين، ثم جاء (أمانويل كانط)[4] لكي يفترض السديم الغازي الذي اعتبر أصلاً لنشأة المجموعة الشمسية...

أدت اكتشـــافات هـــؤلاء إلى زعزعة الإيمان المؤسس على الخرافات والأباطيل الكنسية، وخطورة هذه الاكتشافات كانت تكمن في أنها أدت إلى استبعاد الخلق الإلهي حســـبما استنتجه الناس وفهموه، وإذا كان (نيوتن) قد ترك تصحيح مسار الأفلاك لله، فقـــد جـــاء بعده (لابلاس) وسحب من الله هذا العمل والتدخل في الكون[5]. وبذلك اعتقدوا أنه لا حاجة إلى افتراض (الله) في تفسير الكون وحركته وتحولاته.

---

١) اســـحق نيوتن: (١٦٤٣- ١٧٢٧م)، إنجليزى أستاذ في الفلك والرياضيات والفيزياء، عرف باكتشاف قوانين الجاذبية.

٢) يوهـــانس كبلر: (١٥٧١-١٦٣٠م)، فلكي ألماني أستاذ الرياضة في جامعة (جراتس)، تأثر بكوبرنيكوس وتعاون مع جاليليو، عرف بقوانين كبلر في الاكتشافات الفلكية.

٣) بيير سيمون لابلاس (١٧٤٩- ١٨٢٧م)، فلكي رياضي فرنسي، كان أستاذ الرياضة في المدرسة الحربية بباريس، عرف بنظرية السديم ومعاملات لابلاس في تحليل المسائل الطبيعية.

٤) عمانوئيل كانط (١٧٢٤- ١٨٠٤م)، ألماني تأثر بالنزعة العقلية والنزعة التجريبية، من مؤلفاته (نقد العقل الخالص) ،كان له تأثير كبير على الآراء الفلسفية التي ظهرت بعده خصوصا الفلسفة المثالية الألمانية.

٥) لقد قال (نيوتن) أن عدم انفلات الكواكب من مساراتها هو بتدخل إلهي، فالله هو الذي يصحح مسارات الكواكـــب عند حدوث انحراف (وكان هذا لعدم استطاعته تفسيره بقوانينه فتركه لله)، ولكن لابلاس قال: إن الأفلاك هي التي تصحح نفسها بنفسها وفق قوانين، فاستنتج منه أنه لا حاجة إلي افتراض وجود الله ، كمـــثل قوم تعرفوا على كيفية تحرك آلة وقوانين عملها وادعوا بعد ذلك أنه لا حاجة لصانع طالما عرفوا سر عمله!!.

بعـــد هذا شاع الاعتقاد أو الفرضية الأخرى والأخيرة وهي (أن الله كان في الأزل خالقًـــا ثم تـــرك الكون لقوانينه ونأى جانبًا لا يتدخل فيه، فهو إذًا بعيد منا بُعد الأزل)، وكانـــت لهذه الفكرة الأثر الأعظم في فقدان الإيمان تأثيره على الحياة والأفعال اليومية، وانعدام استشعار الحضور الإلهي في الحياة، يقول (ولترستيس)[١]: "وهكذا نجد أن الله قد أصبح بعيدًا، ومنذ فترة طويلة مع بداية خلق الأشياء فلم يعد يؤثر فيها الآن، كما أنه يبعد تمامًا عن الأحداث الفعلية في حياتنا اليومية" ، غير أن هذه الصورة المتخيلة لله أصبحت عندئذ مجرد إيمان عقلي وربما أصبحت مجرد فرض لتفسير أصل العالم ولكن لا أهمية لها في شؤون حياتنا اليومية، هذا هو ما أصبحه الله عند الطبيعيين المؤلهة في القرن الثامن عشر[٢] وتلك نتيجة ترتبت على العلم عند نيوتن"[٣].

لقد تم تأليه الطبيعة ورد كل شيء لأسباب مادية، وحتى التي لا نعرف تفسيرها لا بد أن لها أسباب هي غير معروفة حتى الآن، فأدى ذلك إلى الاعتقاد: "بإله -ما دام لا يفعـــل شيئا في الطبيعة الآن فليس له أهمية عملية في حياتنا"[٤]، ثم "الأهمية العظمى التي أضفاها العلم في القرن السابع عشر على مفهوم (الآلية) -أي تفسير الكون بآلة تتحرك بقوانـــين ثابـــتة- دفعت ببساطة مفهوم الغائية (أي وجود غاية في خلق الكون) خارج العقول"[٥].

---

١) والـــتر ستيس (الدين والعقل الحديث) ، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح أمام، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٨م، ص١٠٧ و(والتر) فيلسوف أمريكي معاصر.

٢) الطبيعـــيون المؤلهة هم المفكرون والفلاسفة الذين آمنوا بالله، وأنكروا الرسل وذهبوا إلى أن "نور العقل" الطبيعي قادر على الوصول إلى الله بدون أديان ومنهم : جون لوك، وجان جاك روسو، وفولتير وغيرهم.

٣) ولترستيس، (المرجع نفسه) وسرد الإكتشافات العلمية وتأثيرها على الإيمان وفهم الناس في الغرب مأخوذ من الكتاب نفسه ولكن بتصرف واختصار.

٤) ولتر ستيس ، الدين والعقل الحديث، ص ١١١.

٥) المرجع نفسه، ص ١١٨.

"ومـــن المســـــلم به أن التقليل من الإيمان بالله يصاحبه التقليل من الإيمان بغرضية العالم ؛ لأن الفكرتين بالطبع ترتبطان ارتباطا وثيقا، فالوجود الإلهي والغرض الإلهي فيما يـــبدو يتضمن كل منهما الآخر"[1] يقول (برتراند راسل)[2] في فقرة شهيرة: "هو بإيجاز العالم الذي يقدمه العلم لكي نؤمن به، هو عالم يخلو من الأغراض، عالم لا معنى له"[3].

يقـــول (ولترستيس) —حول هذه العبثية التي شاعت بعد فقدان الإيمان بغرضية العـــالم وتصبغ العالم بصبغتها—. "أعتقد أن تيار الأدب والفن الذي يمكن بصفة عامة أن يعكـــس وجهة نظر العصر قد حملت الإحساس بعبث الأشياء وانعدام معناها، وإذا كان العـــالم ككل بلا غرض ولا معنى فسوف تكون كذلك الحياة البشرية، ويبدو أن (الحياة البشرية بلا معنى) هي الرسالة الأساسية التي قام بها معظم الأدب الحديث...

إذن ألا يـــروي الطـــابع الغريب للموسيقى الحديثة نفس القصة ؟ إن الموسيقى القديمة التي كانت أكثر انسجاما وتناغما تعكس فكرة عالم منسجم متناغم بإطاعته لخطة إلهية، في حين أن تيار الموسيقى الحالي بأنغامها المتنافرة المتضاربة توحي بأن الأشياء جميعا، والحـــياة كـــلها بغـــير معـــنى"[4]ونتج عن هذه الأفكار والتصورات العبثية والانفلات الأخلاقـــي، ومحاولة الناس لشق طريقهم بعيداً عن الله والدين فحصل ما عرف بالدنيوية والعلمانـــية (Secularism) وإقصاء الدين عن الحياة، وفقد الدين مرجعيته وهيمنته وحجيته في تعيين الخير والشر والحق والباطل والفضيلة والرذيلة.

---

١) المرجع نفسه، ص١١٦.

٢) برتـــراند آرثـــر ولـــيم رســـل (١٨٧٢)، فيلسوف إنجليزي درس بجامعة كمبرديج اشتغل بالرياضيات والفلسفة، من كتبه (الديمقراطية الاجتماعية الألمانية).

٣) المرجع نفسه، ص ١١٩.

٤) ولتر ستيس، (الدين والعقل الحديث)، مرجع سابق، ص١٢٠.

يقـــول (بول هازار) في كتابه (الفكر الأوروبي): "ولم يكتف القرن الثامن عشر بالإصلاح وإنما أراد أن يحطم الصليب، وأن يمحو فكرة الاتصال بين الإله والإنسان أي فكرة الوحي، وأن يقوض الإدراك الديني للحياة"[1].

وفي الصـــفحة نفسها يتحدث عن جرأة الفلاسفة الطبيعيين العقلانيين وكيف أنهم ســـعوا للبـــناء و " أنهم سيشيدون حقًا جديدًا لا توجد بينه وبين الحق الإلهي أية صلة، وأخلاقـــا جديدة مستقلة عن كل لاهوتية... وحينئذ تنزل السماء إلى الأرض... وترقى أجيال تصبح ولا حاجة بها إلى أن تبحث خارج أنفسها عن أسباب وجودها"[2].

وبعـــد علماء الطبيعة والفلاسفة جاء بعض علماء الاجتماع ليؤكدوا بنظرياتهم العـــرجاء النتيجة نفسها حيث "نجد أن أغلب نظريات الغرب –ليست الماركسية فقط– ولكن نظريات ما يمكن أن نطلق عليها علم الاجتماع الليبرالي الذي يمجد المجتمع الغربي بقـــيمه ونظمـــه وتنظيماته وسلوكياته وأهدافه...وتؤكد ارتباط الدين بالتخلف العلمي والإنساني والاقتصادي والاجتماعي، وأن التقدم والتنمية لن يتحققا إلا من خلال تقدم التفســـير العـــلمي المادي وتراجع التفسيرات الدينية، وأن أقصى درجات النمو ترتبط بالضـــرورة بســـيادة العـــلماء، وإقصـــاء الديـــن عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي"[3].

---

١) بـــول هـــازار (الفكـــر الأوروبي في القرن الثامن عشر) ترجمة د.محمد غلاب، دار الحداثة للنشر، مصر، ١٩٨٥، ص٢

٢) بول هازار ، المرجع نفسه، ص٢

٣) د.نبيل السمالوطي (الدين والتنمية في علم الاجتماع)، دار المطبوعات الجديدة، ١٩٩٢، ص٨.

لقــد تأثــرت الغالبية العظمى من المدارس الاجتماعية الغربية بنظرية (هيجل) [1] الــذي حدد مجموعة من المراحل التاريخية للمجتمعات تتعاقب وراء بعضها من (القبلية) إلى (الرق) إلى (الدين) إلى (الليبرالية).

ويلاحظ أن الدين يمثل المرحلة ما قبل الأخيرة، ويقول (أوجست كونت)[2] :
" أن الإنســان يــرتقي من (المناهج اللاهوتية) إلى (مناهج التفكير العقلي) إلى (مناهج الــتفكير العــلمي الوضعي) وهنا يصل الإنسان والمجتمع إلى أقصى درجات التقدم"[3].
وذهــب إلى نحــو هــذا كــل من (سبنسر) [4] و(دركهايم) [5] و(هيجل) و(نتشه) [6] و(ماركس) [7] ...

---

1) جورج فالهم فريدريك هيجل (١٧٧٠- ١٨٣١م)، ولد في ألمانيا، يعد واحدا من أعظم الفلاسفة الذين أثروا في عصور مختلفة، أثر في الماركسية والوجودية والبراجماتية.... مجموع مؤلفاته بالألمانية تبلغ عشرين مجلدا من كتبه (علم ظواهر الروح).

2) أوجست كونت (١٧٩٨- ١٨٥٧م)، فيلسوف فرنسي تأثر بالفيلسوف الاشتراكي (سان سيمون) من مؤلفاته المهمة (خطة للمؤلفات العلمية اللازمة لإعادة تنظيم المجتمع)، (محاضرات في الفلسفة الوضعية)، طرح موضوع ضرورة دين دنيوي إنساني استشعارًا منه بضرورة الدين في الحياة، وذلك من خلال كتابه (تعاليم الدين الوضعي)، ويعتبر مؤسس المذهب الوضعي.

3) المرجع نفسه، ص ٣٧.

4) هربــرت سبنســر (١٨٢٠- ١٩٠٣م)، إنجليزي، نال شهرة كبيرة في الشطر الأخير من القرن التاسع عشر، من كتبه (مذهب الفلسفة التركيبية) و(المبادئ الأولى).

5) امــيل دريكهــايم (١٨٥٨- ١٩١٧م)، رائــد عــلماء الاجتماع الفرنسيين بعد كونت، كان استاذًا بالســوربون، زعــم أن أصل الدين والأخلاق يعود إلى العقل المشترك الجمعي للمجتمع ، من مؤلفاته (تقسيم العمل في المجتمع) و(قواعد المنهاج الاجتماعي).

6) فريدريك نتشه (١٨٤٤- ١٩٠٠م)، ولد في روسيا، وقد أثر تأثيرًا عميقًا على الفلسفة الأوروبية خاصة في ألمانــيا وفرنسا، أول كتبه (مولد المأساة) ومن كتبه (هكذا تكلم زرادشت)، مات وهو مجنون، اهتم اهتمامًا أساسيًا بالدين والأخلاق.

7) كــارل مــاركس (١٨١٨- ١٨٨٣م) ولد في ألمانيا، وتوفي في لندن، اقتصادي معروف، زعيم المدرسة الماركسية.

و(فيـــبر)[1]. فجميع هؤلاء اتخذوا موقفًا إلحاديًا وعدائيًا من الدين، وقد ذهب هـــيجل إلى القـــول بمـــوت الإله وكذلك نتشه[2] وكررا المقولة المعروفة عن الفلسفة الإلحادية الوضعية (Positive Atheism) والتي تقول: "إذا كان الله قد مات فإن الإنســـان لابـــد أن يحـــل محلـــه ويملـــك قـــراره ومصـــيره "If God is dead man must take his place"[3]

وعـــودًا على بدء يمكن القول باختصار أن العلمانية ومنذ ظهورها الحديث بعد عصر النهضة في أوروبا فإنها قد مرت بثلاث مراحل ، تعبر عن ثلاث أنماط من التعامل مع الدين وهي:

المرحلة الأولى: الإصلاح الديني الذي بدأ على يد (مارتن لوثر وكالفن) وغيرهما والـــذي وصل في نهاية المطاف إلى أن يكون حركة باتجاه تطويع الدين ونصوصه للعقل البشـــري المحدود والقاصر بدعوى إعادة تفسيره على ضوء معطيات العقل والعصر مما عـــرف لاحقـــاً (عقلـــنة القول الديني)، وتعددت الأغراض التي من أجلها قام هؤلاء المفكرون بهذا العمل بين من يريد الالتفاف على نصوص الدين وتطويعه لهواه (أي الدين على الهوى)، وبين من كان يريد إعادة نفخ الروح في جسد التدين الميت، وتقديم الدين بصورة أكثر قبولاً وتخليصه مما علق به من خرافات وتفسيرات باطلة، بالرغم من توافق تلك التفسيرات الجديدة مع ثوابت الدين أو خضوعها لقواعد علمية معروفة وواضحة.

---

١) مـــاكس فيبر (١٨٦٣- ١٩٢٠م)، عالم ألماني من علماء الاجتماع، أخرج مؤلفات ضخمة اهتم بتطوير مـــنهج بحث علم الاجتماع، عارض النظرية الماركسية في إعادة الأمور كلها للاقتصاد، ربط بين انتشار الرأسمالية وظهور البروتستانتية في كتابه (الخلق البروتستانتي وروح الرأسمالية).

٢) المرجع نفسه، ص١٩.

٣) المرجع نفسه ، ص١٩.

المرحلة الثانية اعتبار الدين مصدرًا من مصادر المعرفة دون أن يكون المصدر الوحيد ولا القاطع في كل الأمور. وإخضاع نصوصه للنقد كأي نص بشري، وإنكار شمولية الدين وحصره في زوايا محددة للعلاقات بين الإنسان وربه في زوايا المعابد، أو لترسيم العلاقات داخل الأسرة وقوانين الأحوال الشخصية المطالبة فيما عدا ذلك بفصل الدين عن الحياة عمومًا والسياسة خصوصًا.

المرحلة الثالثة: إنكار صحة الدين بالكلية، وربطه بالتخلف، والدعوة لإزالته من الوجود، ومهاجمة أسسه وثوابته، واعتباره مسؤولاً عن تجميد العقل البشري، والسلبية والتواكل، والخضوع للخرافة، وتقييد الحريات وتلقين الطاعة العمياء، ومصادرة التنوير الفكري ونشر الظلامية والرجعية والتخلف .... سلسلة الاتهامات المعروفة التي يرددها دعاة هذا التيار.

وتعتبر الثورة الفرنسية أول نجاح سياسي للعلمانية حيث إنها لم تقتصر على الحد من سلطة رجال الدين، بل تعدت ذلك إلى "علمنة قوانين الدولة، واقرار فصل نهائي بين السلطة الدينية والسياسية، فحل التشريع المدني بدل التشريع الكنسي في الكثير من المجالات، ولعل أهمها ميادين التعليم، وقوانين الأحوال الشخصية، وإقرار الزواج المدني مع كل ما يرتبط بذلك من تغييرات اجتماعية وتربوية"[1]

ويبدو أن الحديث عن الثورة الفرنسية أدخلنا في موضوع الحركة الأنثوية وكيف أن أطاريحها نابعة من العلمانية، وتختلف درجة علمانية الحركات النسوية عن بعضها البعض ، بين محايدة من الدين ومدركة أن فيه جوانب إيجابية، وأخرى تراه سبباً من أسباب بؤس المرأة وتكريس سلطة الرجل عليها ...

---

١) الدكتور معن زيادة، (الموسوعة الفلسفية العربية)، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٨م عند كلمة (العلمانية).

والــذي يهمــنا هنا أن هذه الحركات لا تعتبر الدين مرجعًا ومصدرًا للاستلهام والأخــذ المعــرفي، والحركة الأنثوية تأثرت كغيرها من الحركات بما ذكرنا من أسباب الــتوجه للعلمانية، علاوة على أمور أخرى تتعلق بالنظرة الدينية الدونية والسيئة للمرأة وحقوقها في الديانتين السائدتين في الغرب النصرانية واليهودية بعد ما أصابهما التحريف والتــبديل البشري، وخصوصًا تحريفات (بولس)[1] والذي أدخل على النصرانية ثلاثة أفكــار تعتبر بالإضافة إلى تأثيرات الفكر اليوناني والروماني مصدر النظرة الدونية للمرأة وعاملاً مهمًا من تهميشها وهضم حقوقها وهذه الأفكار الثلاثة -بإيجاز هي:

١- الــرجل هو الوسيط بين الله والمرأة[2]: ولعل أشهر نص في هذا المجال ذلك المقطــع من رسالة بولس الأولى إلى أهل (كورنثوس) في حديث عن تغطية الرأس: "ذلك لأن الرجل عليه ألا يغطي رأسه، باعتباره صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل، فإن الرجل لم يؤخذ من المرأة، بل المرأة أخذت من الرجل، والرجل لم يوجد لأجل المرأة، بــل المــرأة وجــدت لأجــل الرجل لذا يجب على المرأة أن تضع على رأسها علامة الخضوع..."[3]

ويقــول في الرسالة نفسها في الإصحاح١٤/٣٥: "لتصمت النساء في الكنائس فلــيس مســموحًا لهن أن يتكلمن، بل عليهن أن يكن خاضعات على حد ما توصي به

١) بولــس الرســول (١٠- ٦٥أو ٦٨م) اسمه الحقيقي (شاول) كان يهوديًا متعصبًا من جماعة الفريسيين، وشــارك في تعذيــب المسيحيين ثم دخل في النصرانية ، يعتبر أول مبشر انتشرت أعماله خارج الشعب اليهودي، وقد حسبت الكنيسة المسيحية (بولس) من الرسل الإثنى عشر.

٢) لمزيد من التفصيل يراجع مونيك بيتر (المرأة عبر التاريخ)، مرجع سابق، ص١٠٦.

٣) الكتاب المقدس: الرسالة الأولى لأهل كورنثوث ١١/٧-١١ ص٢٥٣.

الشريعة أيضًا ولكن إذا رغبن في تعلم شئ ما فليسألن أزواجهن في البيت ؛ لأنه عار على المرأة أن تتكلم في الجماعة"[1]

٢- المــرأة كــائن خلق من أجل الرجل: والنص المذكور سابقا يدل على هذا المعنى بكل وضوح "بل المرأة وجدت لأجل الرجل" ، وقد فسرت مسألة خلق حواء من ضلع آدم تفسيرات سيئة في هذا المجال.

٣- المــرأة أصــل الخطيئة: ورد في سفر التكوين من العهد القديم حول أكل الشــجرة المحــرمة في الجنة: "هل أكلت من ثمر الشجرة التي نهيتك عنها؟" سؤال الرب لآدم "فأجــاب آدم: إنمــا المرأة التي جعلتها رفيقا لي.هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة فأكلت" ثم قال للمرأة: "أكثر تكثيرًا أوجاع مخاضك فتنجبي بالآلام أولادًا، وإلى زوجك يكــون اشــتياقك، وهــو يتسلط عليك"[2] هذا في عقوبة خطيئتها وإغوائها لآدم على حسب زعم كاتب التوراة[3].

والــيهودي يصــلي كل صباح صلاة الشكر لله لأنه لم يخلقه عبداً ولا وثنيًا ولا امرأة، ثم إن الشريعة اليهودية تعطي سلطة مطلقة للأب في الأسرة ،هي ليست إلا النظام الأبوي الجائر الذي كان موجودا زمن الرومان الذين أثروا بثقافتهم في الديانة اليهودية ، إلى حد أننا لا نجد تفسيرًا لبعض قوانين الأحوال الشخصية اليهودية (وكذا المسيحية) إلا بالــنظر إلى قوانين وأعراف الرومان التي ضمنت في كتب الديانتين، وهذه السلطة تصل حد "قتل الرجل أولاده وتقديمهم قرابين" وبيع بناته جواريًا، وجاء في سفر الخروج: "إذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد" والرجل في البيت (بعل —Ball) أي سيد

١) الكتاب المقدس: الرسالة الأولى لأهل كورنثوث ١١/٧-١١ص٢٥٣.

٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ، الإصحاح الثالث.

٣) نقول كاتب التوراة لأن التوراة لم يبق فيها من كلام الله إلا القليل الذي لا يمكن الجزم به ، وهذه الأقوال من كلام كتبة التوراة وزعمهم وتقولهم على الله دون شك.

وزوجته عبدة بل هي شيء من أشياء البيت بجانب العبيد والأبقار والحمير، فالمرأة تخاطب الـــرجل ســـيدي وغـــير هذا كثير[١]. وانتقل هذا النظام الجائر إلى النصرانية بعد ذلك باعتباره موجودًا في العهد القديم وهو جزء من الكتاب المقدس.

ثم إن الـــنظرة الرهبانـــية الســـيئة للجنس وعلاقات الزوجين واعتبار الممارسة الجنسية دناءة وقذارة كان له أثر كبير في اعتبار المرأة نجسا وشيطانا كما شاع عند بعض فلاسفة المسيحية في القرون الوسطى.

يقول القديس بونا فنتيرا[٢]: "إذا رأيتم المرأة فلا تحسبوا أنكم شاهدتم موجودا بشـــريا، ولا موجـــودا متوحشا لأن ما ترونه هو الشيطان نفسه، وإذا تكلمت فإن ما تســـمعونه هو فحيح الأفعى"[٣] ويقول (توماس الأكويني) [٤]: "لا وجود في الحقيقة إلا لجـــنس واحد، هو الجنس المذكر، وما المرأة إلا ذكر ناقص، ولا عجب إن كانت المرأة وهي الكائن المعتوه والموسوم بميسم الغباء قد سقطت في التجربة (إشارة للخطيئة الأولى) ولذلـــك يتعين عليها أن تظل تحت الوصاية"[٥]. هذا غير تشريعات الأحوال الشخصية الكاثوليكية القاسية بخصوص الزواج والطلاق والذمة المالية للمرأة وغير ذلك .

---

١) لتفصـــيل هذا الأمر يراجع: الدكتور إمام عبد الفتاح أمام، (الفيلسوف المسيحي والمرأة)، ص٢٨-٣١، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ولعل هذا الأمر هو الذي يفسر لنا وضع المرأة في العالم الغربي إلى عهد ليس ببعيد.

٢) بونـــا فينتيرا: (١٢٢١- ١٢٧٤م)، راهب فرنسيسكاني، ولد في إيطاليا، درس في باريس، عاصر توماس الإكويني، من رسائله المعروفة (سبيل النفس إلى الله) و(إرجاع الفنون إلى اللاهوت).

٣) المرجع السابق، ص٣١.

٤) تومـــاس الإكويـــني، حوالي ١٢٢٥- ١٢٧٣م، راهب دومنيكاني من مملكة صقلية ، ومن أشهر فلاسفة المسيحية في العصر الوسيط، تحتوي قائمة مؤلفاته على٩٨ كتابا، هناك الآن ما يعرف بالفلسفة التوماوية نسبة إليه.

٥) عصام الحرساني ومحمد الحسناوي، عالم المرأة ، دار عمار للنشر ، الأردن، ص:٩، بدون تاريخ.

كل هذا كان من الطبيعي أن يدفع بالحركة النسوية إلى أن تسلك سبيلاً علمانيا وأن يكون دافعها في ذلك السبيل أقوى من غيرها، طالما أن الدين قد أصبح دينا بشريا محرفا يكرس دونية المرأة. وإن تحرر المرأة وحقوقها مرتبطة بالتخلص من مرجعيته وهيمنته على وعي الناس وسلوكهم.

المطلب الثاني

العقلانية Rationalism

العقلانية صنو العلمانية وفلسفتها الجوهرية أو المركزية ونتيجة طبيعية لها ، لأنه بعـــد رفض الدين كمرجعية ومصدر للمعرفة والاعتقاد والتشريع فلا بد أن يكون هناك الـــبديل، فكان البديل في تأليه العقل الإنساني وتمجيده فظهرت الترعة العقلانية كرديف للترعة العلمانية بل مؤسسة لها وكان لها الدور الأعظم في صياغة العالم الغربي المعاصر في كـــل مجالاتـــه ولابد أنها قد تركت على واقع المرأة أيضًا والحركة النسوية آثارًا مهمة وجوهرية فهي من ناحية فلسفة للأنثوية تعتمد عليها، وهي من ناحية أخرى و بامتداداتها المتطرفة كانت وبالاً على المرأة حطت من قدرها كما سيأتي إلى ذلك .

"العقلانـــية: مذهـــب يقـــول بسلطان العقل وحده... فلا يفسح المجال للظواهر الوجدانية والإرادية في الأعمال الذهنية، ويرفض الحقيقة النقلية التي لا يقرها العقل"[1]

فهي وصف للنظريات والاتجاهات الفلسفية التي تجعل العقل المصدر الوحيد لكل ضروب المعرفة الإنسانية — فالإنسان لا يحصل على المعرفة من الخارج، بل من عقله هو وأحكام العقل المطلقة وهي فوق شروط الزمان والمكان، والمعرفة العقلية ضرورية وكلية،

---

١) (إشـــكالية التحـــيز) تحرير الدكتور عبد الوهاب المسيري، الجزء الأول، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص١٣٩ ، من بحث الدكتور محمد عمارة عن (الخصوصية الحضارية للمصطلحات).

وعامة ومشتركة بين جميع الناس، بل إن المذهب الغربي العقلاني قد ذهب إلى حد تأليه العقل عندما تحدث فلاسفته العقلانيون عن ما أسموه (العقل المكون) -بكسر الواو- Reason Constituante وهو الذي جعلوه المبدأ الواضع للقيم، وللقواعد العامة في النظر والعمل، وهو المنتج لجميع المقولات، والمشرف على تطورها أي الواضع والمنتج للعقل (المكون) -بفتح الواو- "Reason Constituee"[1]

لقد قام الفكر الغربي على العقلانية كمنهج ومصدر للمعرفة في كل مجالات الحياة منذ عصر النهضة وإلى الآن وقد تجسدت العقلانية الغربية في مجالات شتى منها:

١-عقلنة الفكر العلمي: من قبل علماء وفلاسفة أخذوا على عاتقهم محاربة التقاليد الكنسية معتمدين على الشرق بقطبيه اليوناني والعربي، وكم من علماء أعدموا في سبيل جرأتهم العلمية التي خالفت الاجتهادات الكنسية، وهذا جعل الدين في مواجهة العلم والعقل وأوجد صراعًا مفتعلاً بينهما وبين الدين.

٢- عقلنة الفكر السياسي: تجسدت في شكله النهائي عند (ميكافللي)[2] الذي أكد في نظريته السياسية على نقطتين محوريتين:

أ- الانفصال عن ميتافيزيقا التفكير في تدبير شؤون الدولة، وكذلك الابتعاد عن الطوباوية والمثالية الفلسفية في السياسة.

---

١) المرجع نفسه، ص ١٣٩.

٢) نيكولا ميكافيللي (١٤٦٩- ١٥٢٧م)، رجل دولة وكاتب إيطالي، يعتبره الكثيرون أبا علم السياسة الحديث، أحد مفكري عصر النهضة، دعا إلى استخدام كل الوسائل من أجل الحفاظ على الدولة بما فيها الخداع والقوة، وتعني كلمة (الميكافللية) الآن المكر والتجرد من الأخلاق، وأوضح أفكاره في كتابه (الأمير).

ب- الانفصـــال عـــن الأيديولوجـــيا الدينية ، باعتبار أن السلطة السياسية هي اجتماعية قبل كل شيء.

٣- عقلـــنة القول التاريخي بمعنى: "العودة القوية إلى الحضارة اليونانية واعتبارها نقطة انطلاق العقل الأوروبي، أو بتعبير آخر بداية تاريخ الغرب والعالم، وفي هذه العودة تحديـــات كـــبيرة وكثيرة لأطروحة الكنيسة التي تجعل للتاريخ اتجاها معينا، يبدأ بولادة المسيح وصلبه، ويظل يترقب عودته التي هي نهاية التاريخ الإنساني.

وقـــد ترمز هذه العودة أيضًا إلى محاولة تجاوز الاعتقادات والاعتماد أساسا على معقولية الخبر ومنطقيته، فالبحث في الذات الغربية من خلال العودة إلى العلوم والفلسفة الإغريقية يعني إثبات العقل ودحض التقاليد الكنسية"[١].

٤- عقلـــنة القول الديني: وهذه لا تعني استخدام العقل في فهم الخلق والكون والوجـــود فقط، وإنما تعني في المقام الأول قراءة النص الديني وفهمه عقليا وتفسيره من خلال معطيات العصر[٢] ، وهذه بدأت من فلاسفة عصر النهضة، واستمرت مع اللوثرية والكلفانية لتصل إلى (هوبز) [٣] ..

---

١) (فلســـفة الحداثة) للدكتورين فتحي التريكي، ورشيدة التريكي، منشورات مركز الإنماء العربي في لبنان ١٩٩٢.

٢) أن مثل هذا التفسير غير المنضبط بأصول التفسير والقواعد المقررة في علم أصول الفقه (بالنسبة للإسلام) يـــؤدي بالنهاية إلى تفسيرات علمانية محرفة للإسلام تلعب فيها نية إخضاع الدين للعقل البشري عاملا أساســـيا، وهناك الكثير من المفكرين يكتبون عن الإسلام بهذه الروح مثل محمد أركون ونصر حامد أبو زيد وفاطمة المرنيسي ومحمد شحرور في مجال الدراسات النسوية وغيرها.

٣) توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩م)، فيلسوف إنجليزي، تلقى تعليمه بجامعة أكسفورد، طاف أوربا ثلاث مـــرات كـــون خلالهـــا أفكـــاره، اهتم بالبصريات والهندسة المدنية، ألف (الرسالة الصغيرة) في المجالين المذكورين.

..و (هيوم)[1] و(كانط)، وقد لعب (توماس مور)[2] في ذلك دورًا هامًا وقد أدت هذه الحركة إلى الكثير من الشك في مفاهيم الدين الأصلية ذاته[3].

ومــن هــنا يمكن القول بأن عقلنة القول الديني، ومحاولة عصرنة نصوص الوحي المقــدس دون مراعاة ثوابت الدين، والآلية الصحيحة المعتبرة لتفسير النصوص تفسيرًا علمــيًا موضوعيًا وهي بداية العلمانية، وأول خطوة لاستبعاد الدين ورفضه بالكلية كما تبين ذلك جليًا في التجربة الغربية.

يشن روجيه غارودي حملة قوية في صفحات متعددة[4] ضد ما يسمى بالعقلانية الغربــية وأنهــا تطلــق على وجوه كثيرة من التعسف وتتضمن الكثير من التشوهات، ويتحدث عن الطغيان الذي تسببه جزمية (العقل السليم) ويقول: "أن جميع التحقيقات الجنائــية التعســفية كــان سببها المذاهب القطعية التي تعتقد بأنها تمتلك حقيقة مطلقة منجزة".

ويقــول: "أن العقــل لــيس كل شيء، وأنه لا يمكن أن يستجيب لكل قضايا الإنســان" ، ويــربط الموضــوع بالمرأة ويقول طالما أن المرأة اعتبرت غير كفؤ عقليا، واعتــبرت العقــل سيد كل شيء فإن نصيب المرأة من الإهمال والظلم والتهميش منذ

---

١) ديفــيد هيوم (١٧١١– ١٧٧٦م)، ولد في اسكتلندا، كان أديبا ورجل مجتمع، اشتغل في الدبلوماسية الــبريطانية في فرنسا واشتهر في تلك الفترة، كان شكاكا وخصما للأديان، من مؤلفاته (رسالة الطبيعة الإنسانية)، يمكن اعتباره من الفلاسفة التجريبيين.

٢) تومــاس مور (١٤٧٨– ١٥٣٥م)، قديس وفيلسوف وسياسي إنجليزي، عارض طلاق الملك هنري–٨ فأعدم، اشتهر بكتابه (يوتوبيا) أو (المدينة الفاضلة).

٣) هــذه النقول والترتيب مأخوذ من كتاب (فلسفة الحداثة) للدكتورين فتحي التريكي، ورشيدة التريكي، مرجع سابق، ص٣٠ وما بعدها بتصرف واختصار.

٤) (في سبيل ارتقاء المرأة) مرجع سابق، ص١٣٨ وما بعدها.

ســـقراط الـــذي لم يعتـــبرها أهـــلا للسياســـة "للرجال السياسة وللنساء البيت"، إلى (أغســـطين)[1] الـــذي أخضعهن للرجال كما يخضع العقل الضعيف للعقل الأقوى، إلى (توما الاكوين) الذي أعلن تفوق الرجل، إلى المعاصرون أمثال (نيتشه) الذي قال: "إذا قصـــدت النســـاء فخذ السوط معك" إلى (فرويد) الذي حكم: "بأن الرجل يمثل كامل الإنسانية، والمرأة بما أنها ليست رجلا، أو أنها رجل ناقص جسديا، فإنها تعيش آسفة أن لا تكـــون رجـــلا"، أو أنها تعيش طول عمرها متحسرة على عدم وجود قضيب عندها. وهكذا فإن العقلانية غير الملتزمة بهدي الوحي الصادق لا تستطيع إنصاف المرأة.

وأعـــود لأقول أن العقلانية كفلسفة للمعرفة والحياة أثرت تأثيرًا كبيرًا على رواد الحركات النسوية الذين نشأوا في البيئة الغربية المشبعة بهذه النزعة الفلسفية والتي ترجع إلى زمن اليونانيين تاريخيا، وقد ظهرت بشكل ملفت للنظر بعد عصر النهضة الأوروبية وتصاعدت موجتها بعد الانحسار التدريجي للدين.

المطلب الثالث

المادية Materialism

المادية ونعني بها التمركز حول المادة وعالم الدنيا المحسوس وإهمال الغيب والروح والعواطـــف، كانت ولازالت سمة مميزة للفلسفة الغربية منذ زمن اليونان والإغريق وإلى يومنا هذا، ولا أظن أن هذه دعوى صعبة الإثبات أو موضع جدل، حتى الديانة اليهودية التي يتوقع منها أن تأتي لتخفف من غلواء هذه النزعة حرفت مفاهيمها بعد فترة وجيزة مـــن انتشار الديانة لتصبح هي الأخرى عنصرًا داعمًا ومشكلاً للثقافة المادية التي كانت موجـــودة وســـائدة، وجـــاءت الديانة المسيحية أيضًا لتحارب هذه النقيصة في الفكر

---

١) القديس أغسطين (٣٥٤ – ٤٣٠م)، من فلاسفة القرون الوسطى المسيحية، ظهر بعض أفكاره عند كالفن ولوثر، والإصلاحيين البروتستانت، وأثر في باسكال وكانط وغيرهم، من كتبه (الاعترافات).

والسلوك البشري، ولكنها أيضًا تأثرت بالوثنية الرومانية وخصوصًا بعد مجئ أفكار بولس من ناحية، ودخول قسطنطين والوثنيين في المسيحية، والتي تحولت بعد ذلك إلى ديانة سلطوية خليطة بالوثنية والمادية عند أكثر معتنقيها.

وفيما بعد عصر النهضة برزت إلى السطح في أشكال متعددة منها رفض الغيب وكل ما لا يدخل في دائرة الحواس، ومنها تعلق الناس بالدنيا والمنافع وذبول الجانب الروحي والإيماني والعاطفي في الناس، ثم جاءت الفلسفات في عصر الحداثة لتكون أغلبها فلسفات مادية الطابع رافضة لما يسمى بالميتافيزيقا وما وراء الطبيعة، ولتضع قوانين ومعادلات لتفسير العالم، والتاريخ، وقضية المرأة، وتحولات المجتمع، وعمليات النمو والتنمية ولتفسر كل أمور الحياة تفسيراً ماديًا ميكانيكياً بحتًا، ولعل أبرز الفلسفات التي أثرت في الناس وأقوى مثل للمادية تجده في الشيوعية والمادية التاريخية ، التي تعتبر المادة أصل الأشياء والكائنات وحتى أصلاً للوعي والوجود. وزاد الأمر سوءًا في فلسفات ما سميت بما وراء الحداثة(**Post modernism**)..

وهكذا تأسست المدارس والمذاهب السياسية والعلمية والاجتماعية على المادية، وفسر العالم والإنسان تفسيرًا ماديًا، "ولنأخذ مثلاً من العلوم الاجتماعية، فهذه العلوم في الغرب تقوم على أساس أن الإنسان – وبالتالي المجتمع – كيان مادي، ولأن الإنسان يختزل إلى حدود المادة، فإن التطلع الإيماني، لا يفسر إلا بوصفه سلوكًا ماديًا وبالتالي فإن الدين عمومًا يصبح مرحلة متخلفة من التفكير البشري، وبهذا فإن تطبيق العلم الغربي المعاصر، يتعدى على قداسة الدين، يحاول أن يرسم صورة لأمتنا، ويشيع فهمًا جديدًا عنها يجعل التخلص من الدين أمرًا ضروريًا.

واتجه الفكر والبحث العلمي الغربي إلى منحى تقديسي للمادية واعتبارها من الثوابت المرجعية " ولنا أن نلاحظ أن العلم الغربي له مقدساته أيضًا ، فهو يبنى على

أساس الفهم المادي الميكانيكي الآلي، ويختزل الإنسان نفسه إلى مجرد مادة فيما يسمى بما وراء الحداثة"[1] وزاد من تمسك العالم الغربي بالمادية الإنجازات الكبيرة التي حققها الإنسان في مجال العلم واكتشافات الطبيعة واستخدام الموارد والزيادة المطردة في مجال استثمار المادة فأدى ذلك إلى تعلق الناس بها، وتنافسهم عليها ، وبالتالي انصبغت حياتهم بها، وجاءت الرأسمالية كفلسفة اقتصادية ليبرالية لكي تحول الفكر المادي إلى سلوك مادي ونمط للحياة ، فأصبح رأس المال والنمو والربح وتوسيع الإنتاج والمدخلات آلهة تعبد، وانقسم الناس في هذه المجتمعات على إثر تأليه المادة كحقيقة مرجعية أولى مطلقة إلى منتجين ومستهلكين، وأصبح الإنسان على حد تعبير (هربت ماركيوز) ذو بعد واحد، وهو البعد المادي.

ويصف المستشرق المسلم (محمد أسد) هذه السمة في الحضارة الغربية بأنها ديانة جديدة عنوانها (التعبد للرقي المادي) ويذكر لهذا التحول نحو المادية المفرطة سببين: " أولاً: وراثة أوروبية للمدنية الرومانية مع اتجاهها المادي التام فيما يتعلق بالحياة الإنسانية وقيمتها الذاتية. ثانيًا: ثورة الطبيعة الإنسانية على احتقار النصرانية للدنيا، وكبت الرغبات الطبيعية المشروعة في الإنسان"[2].

وهذه النزعة وكل هذه التحولات لها أعظم الأثر في تفكير وأطاريح الحركة الأنثوية حيث إنها أفكار وأطاريح مادية المرجع، ومادية الصياغة، ومادية المبتغى هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن المادية الرأسمالية وعبادة النمو التي ذكرناها ، والتي كانت لها الأثر الأعظم في شقاء المرأة وتعاستها ، كانت ذات أثر في الحركة الأنثوية ونوعية تلك المطالب التي تنبع من واقع كهذا، واقع قاسي على المرأة لا يؤمن للمرأة لقمة عيش

---

١) المرجع نفسه، ص ٧٧.

٢) محمد أسد ، (الإسلام على مفترق الطرق) ، ص ٤٦ ، دار العلم للملايين، بيروت، ترجمة الأستاذ عمر فروخ.

إلا بعـــد إضاعة أنوثتها، وإنهاك طاقاتها، بل وفي الكثير من الأحيان استغلالها جنسيًا من رب العمـــل واسترقاقها بشكل آخر، وأدى ذلك إلى انتشار البغاء ومن ثم تجارة الرقيق الأبيض وبيع النساء والصبايا في سوق نخاسة الجنس والدعارة.

المطلب الرابع

الفردية individualism

الفـــردية : هـــي تمجـــيد الفرد كحقيقة منفردة وحيدة تعتبر نفسها مركز جميع الأشياء، ومقياسها، في نطاق المنافسة والتصادم مع الآخرين"[1]

لقد كانت العلمانية والعقلانية سببًا في تأصيل نزعة الفردية في الإنسان، وتمحوره حول ذاته "إن هذا الفصل بين الدنيا والدين، بين السلوك الاجتماعي، والسلوك الديني قد عمل على تأكيد مبدأ الذاتية الفردية، والحرية الشخصية التي وجهت نظر الإنسان إلى الـــتفكير في ذاته، ومحاولة تأملها من أجل الوقوف على تحقيق سبل سعادتها الحاضرة في الحياة" [2].

لقد كرست الفلسفة الغربية الحديثة مفهوم الفردية بشكل رهيب إلى حد كادت تختفي مقولة أن الإنسان كائن اجتماعي ، وفرضية العلوم الغربية والإنسانية الدائمة هي الفردية للإنسان سواءا في السياسة أو علم النفس أو الاقتصاد أو غيرهما.

الليبرالية **Liberalism** فلسفة فردية لأنها فلسفة التمركز حول الإنسان، وأن الإنسان يمكن أن يحقق الكمال البشري، وأن الإنسان مقياس لكل شيء خيرًا أو شرًا،

---

[1] غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة) المرجع السابق، ص ١٥٧.

٢) الدكـــتورة راويـــة عبد المنعم عباس (ديكارت والفلسفة العقلية)، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٦، ص١٩٩

وأن الفرد يختار نظام القيم الذي يرتضيه [1] وأن الحرية الفردية مقدسة مطلقة ....الخ، في الليبرالية الاقتصادية مثلا كان (آدم سميث) [2] يبني فرضية مذهبه على أنه" إذا تابع كل امرئ مصلحته الفردية يتحقق الرخاء العام"[3].

وهـــذا الـــتمركز حول الذات والفرد الذي أصبح سمة معاصرة للحضارة الحالية يســـميه ميشال فوكو (عبادة الذات المعاصرة) [4] وكأنه يعيد تقرير ما قاله (محمد أسد) عن المادية.

حتى في مجال القانون والحقوق فإن الصياغة الليبرالية للفكرة الحقوقية في الغرب تنظر إلى الفرد كما لو أنه مستقل عن الجماعة في تصوره الأصلي أي أنه كان من البدء فـــردًا ثم دخل الجماعة متنازلاً عن بعض حقوقه لتحمي له حقوقه الباقية فظهرت فكرة الحق في تصور فردي[5].

وهكذا فالحضارة الغربية حضارة مغالية في الفردية، تعتبر الإنسان كيانا منفصلا عـــن الجماعـــة ومصـــالحه وقضـــاياه وتطلعاته، له وجوده في حد ذاته بغض النظر عن

---

١) راجـــع كـــتاب (أزمة الإنسان الحديث) للفيلسوف (تشارلز فرانكل)، ترجمة الدكتور نقولا زيادة ، دار مكتبة الحياة، بيروت١٩٥٩، فهو كتاب مفصل لمناقشة الفلسفة الليبرالية في أسسها وجوهرها.

٢) آدم سميـــث (١٧٢٣ –١٧٩٠م)، بريطاني مؤسس علم الاقتصاد الحديث ، كتابه الرئيسي (الثروة بين الأمم ١٧٧٦م) وهو أول عمل كامل عن الاقتصاد السياسي.

٣)غـــارودي (أمـــريكا طلـــيعة الانحطاط) ، ترجمة صياح الجهيم وميشيل خوري،لبنان، دار عطية للنشر ، ١٩٩٨، ص ١١٣

٤) أوبيردريفوس وبول رابينوف، (ميشيل فوكو مسيرة فلسفية)، ترجمة جورج صالح، منشورات مركز الإنماء القومـــي، بيروت بدون تاريخ، وفوكو فيلسوف فرنسي ومن مؤسسي المدرسة البنيوية وفلاسفة ما بعد الحداثة.

٥) المستشـــار طـــارق البشري، مقدمة كتاب (المرأة والعمل السياسي) للأستاذة هبة رؤوف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥ ، ص١٩.

الآخـــرين، ونظـــام الحـــياة في الغرب يكرس الفردية في جميع نظمه، وهناك بيئة ملائمة خصوصـــا في ظل التفكك الأسري الاجتماعي حيث ينفرد الإنسان تلقائيا ليواجه الحياة بكل تقلباتها وقسوتها، وساهمت جميع الفلسفات الغربية في خلق هذه الحالة.

فهذه الفلسفة (الفوضوية **Anarchism**)التي قدست الذات (الأنا) ورفضت السلطة بكل أشكالها السياسية والاجتماعية والدينية، ورفضت المعتقدات التي تحد الحرية الفـــردية الذاتية، واعتبرت الدين (جنونا جماعيا) على حد تعبير (باكونين) [1] والكنيسة (حانة سماوية) للتخدير وأخذ المسكنات، ضربوا بكل مفاهيم الأخلاق والعدالة والقانون والمجـــتمع عرض الحائط، واعتبروها على حد تعبير(ماكس شتينر) [2] أنها أمور وهمية أو (قشرة ضاغطة) فكل فرد عندهم هو مصدر الأخلاق والعدالة وغيرهما[3].

وأصـــبحت (الشخصـــانية **Personalism**) عنوانا لفلسفة خاصة لتقديس الفردية باعتبار الفرد الواقع الأول، والقيمة الروحية الأسمى، وقد انتشرت هذه الفلسفة في أمريكا وبريطانيا وألمانيا وفرنسا على يد فلاسفة مشهورين[4].

وجـــاءت (الوجودية **Existentialism**) كمذهب لتقديس الفرد وحريته وتجربته الشخصية، ووضعت حريته وممارسة ذاته فوق كل اعتبار، وأن الآخرين جحيم لأنهـــم يحدون من الحرية ويقيدون الانطلاق الفردي، وللوجودية بشقيها المؤمن والملحد

---

١) ميخائيل اليكسندرو فيتش (١٨١٤ – ١٨٧٦م) فيلسوف روسي وواضع أيديولوجية المذهب الفوضوي كتب (سلطة الدولة والفوضى) انتشرت فلسفته بقوة في إيطاليا وأسبانيا وغيرهما.

٢) اسـم مسـتعار ليوهان كاسبار شميت (١٨٠٦ – ١٨٥٦م) فيلسوف مثالي ألماني مؤسس النزعة الفردية الفوضوية ، في عام ١٨٤٤ نشر كتاب (الفردي والخاص).

٣) (الموســوعة الفلسفية السوفيتية)، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة ، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٩٧، في ص ٧٥، ص ٢٥٨، ص ٣٧٥.

٤) انظر المرجع نفسه ، مادة أو كلمة الشخصانية(**Personalism**).

فلاســـفة وأدبـــاء معروفون وكانت لهذه الفلسفة أثر كبير في صياغة ونشوء الكثير من الأفكار والحريات والسياسات على مستوى العالم.

وكانت (النزعة النسبية) عمادا قويا لترسيخ هذا المفهوم وإشاعته، والتي أثرت لقرون عديدة ولا يزال في الأفكار والعقائد، والتي اعتبرت التجربة البشرية الخاصة هي مقياس الخير والشر والأصل لترجيح القيم.

فإذا كنا قد بينّا سابقا أن بعض هذه المدارس الفلسفية أوجدت حركات نسوية تحمل اسمها مثل الأنثوية الليبرالية، والأنثوية الوجودية والبعض الآخر كانت مؤثرة على الفهـــم الشـــائع والـــثقافة في الغرب، فمن الطبيعي جدا أن تكون الفردية واحدة من المـــنطلقات الأساسية للأنثوية وأن تؤكد أيضًا على الفردية للمرأة وتجريدها من السياق الاجتماعي وإبرازها كند للرجل، وعدم ربطها لا بالأسرة ولا المجتمع ولا الأطفال.

المطلب الخامس

النفعية ومذهب اللذة Hedonism

هـــذه النزعة هي سمة من سمات الفرد والمجتمع الغربي، وهي نتيجة طبيعية للمادية والفـــردية، لأن الإنسان إذا كان ماديا فإنه لا يهمه إلا حصوله على قدر أكبر من المادة الـــتي هـــي المـــنفعة واللذة، وإذا كان فرديا فإنه يسعى إلى استمتاعه الشخصي بتلك الإمكانات ولا يبالي بغير ذلك، وهذه نزعة قديمة في الفكر الفلسفي الغربي، حيث تعود إلى قرون قبل الميلاد عند الفيلسوف اليوناني (أبيقور)[1] الذي نادى بأن الخير هو اللذيذ،

---

١) فيلسوف يوناني ولد في أثينا وعاش في الفترة (٣٤٣-٢٧٠ق .م)عرف بنظريته الخلقية في مذهب اللذة، وهي نزعة نراها في القرن التاسع عشر عند (بنتام جيرمي) فيلسوف إنجليزي عاش(١٧٤٨-١٨٣٢م) زعيم القائلين بمذهب المنفعة في كتابه (مقدمة لأصول الأخلاق والتشريع).

وأي فعـــل يعتبر خيرا بمقدار ما يحقق لنا من لذة، وقد مضى على هذا المبدأ نفسه (جون لوك)[1] الفيلسوف الإنجليزي المعروف، ثم أصبحت (فلسفة مذهب المنفعة) سمة ظاهرة للمدرســـة التجريبية الإنجليزية التي قررت "أن صواب أي عمل إنما يحكم عليه بمقدار ما سيســـهم به في زيادة السعادة الإنسانية أو في التقليل من شقاء الإنسان، ولا يهم شيء ســـواء ذلك من قبيل مطابقة الفعل للوحي، أو للسلطة، أو التقليد، أو للضمير والحس الأخلاقي، وربما للتعاقد أو التاريخ"[2]

ثم جـــاءت فلســـفة (البراجماتية أو الذرائعية **Pragmatism** على يد (وليم جيمس)، (وجون ديوي) وغيرهما والتي أصبحت ديانة أمريكية تؤكد على أن صواب أية فكـــرة أو خطأها يكمن في مدى تحقيقها للمنفعة عمليا عند تجربتها "وقد تجسدت هذه الأفكار في مقولات (هوبز) أيضًا الذي كان يقول: "أن ما يسعد إنسان ويسره خير، وأن ما يؤلمه شر "[3] وفي فترة ما بعد الحداثة قال (ميشال فوكو)[4]: " تستخلص الحقيقة من اللذة نفسها، المتناولة كممارسة والمجمعة كخبرة" ، ويقول: " تشكل اللذة غاية بذاتها، فهي لا تخضع لا للمتعة ولا للأخلاق ولا لأية حقيقة علمية "[5].

يشـــرح (محمد أسد) هذه الحقيقة في الحياة الغربية فيقول :" إننا نجد في التبدل الأساســـي الـــذي تخضع له الحياة الاجتماعية في الغرب الآن ، تلك الفلسفة الأخلاقية الجديـــدة المبنية على الانتفاع تبرز للعيان شيئا فشيئا، وكل الفضائل التي تتعلق مباشرة

---

١)جون لوك: (١٦٣٢-١٧٠٤م)، ولد في إنجلترا، تلقى التعاليم الأرثوذكسية الفلسفية العنيفة ومقتها بعد ذلـــك، تأثـــر بديكارت، عرف بالاهتمام بشكل أساسي بنظرية المعرفة، من كتبه المشهورة (مقال لوك) (المرجع نفسه).

٢)المرجع نفسه، ص ٤١٩.

٣) ولتر ستيس (الدين والعقل الحديث)، مرجع سابق، ص ١٣١.

٤) ميشال فوكو ويعرف بـــ(فوكلت)، فيلسوف فرنسي بنيوي معاصر معروف.

٥) أوبير دريفوس (ميشيل فوكو مسيرة فلسفية)، مرجع سابق، ص ١٥٨.

برفاهية المجتمع المادية –كالقدرة الفنية، والوطنية، والشعور القومي، هي اليوم موضع مديح وترفع قيمتها فوق ما هو معقول، بينما الفضائل التي ظلت تعتبر إلى اليوم من جهة قيمتها الخلقية الخالصة كالحب الأبوي، والعفاف، تخسر من قيمتها بسرعة أنها لا تهب المجتمع فائدة مادية محسوسة"[١]. ويقوم الدكتور إسماعيل الفاروقي بمحاولة لتحديد طبيعة الغرب فيرى أن الغرب قد غلا في الإنسانية وحمايتها بأن ألهها وجعلها وحدها الحقيقة، فأصبح إشباع رغباتها هو معيار الخير والشر[٢].

يقول الدكتور(جلال أمين) عن ذكرياته ومشاهداته الشخصية: "كنت في أواخر الستينات وأوائل السبعينات قد بدأت ألاحظ ما طرأ على الحياة في الغرب من نزعة استهلاكية متزايدة القوة، كنت أزور أوروبا على فترات متقاربة ، وبدأت ألاحظ هذا التغير المتسارع نحو الاعتراف بأي رغبة أو نزوة أو هوى طارئ قد يخطر بالبال، والاعتراف بحق أي من هذه الرغبات والأهواء في الإشباع.... كان الغرب يتحول إلى مجتمع شعاره المزيد من الاستهلاك، المزيد من الإباحية، كل شيء ممكن، وكل رغبة مباحة"[٣].

وهكذا أصبح ابتغاء اللذة والمتعة والتفنن في استجابة الشهوات معلماً للحضارة الغربية الحديثة وساعد على ذلك خروج الناس من حربين عالميتين أودت بحياة (٨٠) مليون شخص وحدوث رفاهية ونمو اقتصادي في الدول الغربية بعد الحرب بحوالي عقدين من الزمان، هذا بالإضافة للدور الجوهري والأساسي للفلسفات التي نتحدث عنها، ونتج

---

١) محمد أسد (ليبولد فايس) وهو مستشرق نمساوي دخل في الإسلام، وله كتب عدة منها: (الإسلام على مفترق الطرق) ترجمة الأستاذ عمر فروخ، دار العلم للملايين، ص ٤٨.

٢) منير شفيق (الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات) دار البراق – تونس ، ١٩٨٩م ، ص ٥٠.

٣) مجلة العربي العدد ٤٩٤ يناير ٢٠٠٠م ص: ١١٠ في مقال بعنوان (مرفأ الذاكرة) عن العلم والميتافيزيقا والنهضة ، والدكتور جلال أمين عالم اقتصادي ومفكر مصري معروف.

عن تقديس المنفعة واللذة واعتبارها غاية الغايات القيام بعملية تشكيك ومراجعة للنظم الأخلاقية والمعايير السلوكية الاجتماعية والمبادئ الدينية، وكل الثوابت والمقدسات التي تواضع الناس عليها. والتي يمكن أن تكون عائقا في سبيل تحقيق الإنسان لرغباته وأهوائه غــير المشروعة، وفي هذه الأجواء تعالت الصيحات الأنثوية أيضًا بالتشكيك من المعايير الخلقــية (norms) وحق المرأة في تملك جسدها، وحق المرأة في رفض الإنجاب، وحق المــرأة في رفــض الرضــاع والأمومة، وحق المرأة في عدم تربية ورعاية أولادها (كما ســنتحدث عنه مفصلا فيما بعد) وحق المرأة في إطلاق رغباتها الجنسية والحب الحر، بل وحق المرأة في الشذوذ والزواج المثلي أو(Hom sexual) ...الخ.

المطلب السادس

العبثية والتشكيكية (Scepticism)

الــتمرد على المقدسات، والتشكيك في الثوابت والمسلمات، والعبثية في الحياة والــتفكير، هــذه عناصر أساسية في تكوين الكثير من الاتجاهات الفكرية والفلسفية في الغــرب، مثل فلسفات السيريالية والعبثية والوجودية والتشكيكية والفوضوية والفلسفة النسبية، وقد صبغت هذه الأفكار الحياة والثقافة والفن الغربي بشكل واسع النطاق.

وليســت هــذه نزعة حديثة عندهم بل يمكن العودة بأصولها إلى زمن الفلسفة اليونانية القديمة التي سبقت ميلاد السيد المسيح عليه السلام، بين من شككوا في معطيات الحس، ومن شككوا في معطيات العقل، ومن شككوا في معطيات الاثنين معا.

وفي عصر النهضة لما قام بعض الفلاسفة والمفكرين بنبش الفلسفة اليونانية تجددت فلسفة الشك مرة أخرى بأثواب جديدة على يد أمثال (ميشيل دي مونتي)[1] وقد تطرق

---

١) وهو فيلسوف فرنسي عاش بين فترة (١٥٣٢ – ١٥٩٢م) .

هـــذا الفيلسوف بشكل مؤثر وحي إلى "موضوع الاستسلام لما تمليه الطبيعة والعادات عـــلى الإنســـان، بإرجاء دور العقل، وقد برر مسلكه ذلك بنسبية الأخلاق والعادات والأحكـــام.... ولذلك فقد انطوى مذهبه على دعوة لنسبية المعايير والقيم، بل ونسبية الضمير والأفعال الخلقية التي افترض أنها عامة ومطلقة"[1].

والتشكيكية أو الشكية يمكن تلمسها في الشك في الذات الإلهية، ثم الشك في غرضية العالم، ثم الشك في الأديان، ثم الشك في القيم والعادات، ثم الشك في الروايات التاريخية والنصوص الدينية" ، وهذه النزعة هي التي مهدت الطريق إلى اعتناق المادية"[2] وهذا التسلسل المنطقي لتطور الشكية كنزعة طاغية وشاملة، يقوم (ولتر ستيس) بتقديم إيضاح عنه ويقول –باختصار وتصرف–: "إنه عندما صدمت الكشوفات العلمية الإيمان الديـــني المـــبني عـــلى الخرافات الكنسية، وفقد الناس على إثر ذلك إيمانهم بالله، بدءوا يشكون في أن يكون للعالم هدفا وغرضا طالما أنه ليس هناك خالق ، ثم بدأوا يشكون في أن يكون للعالم الخالي من المعنى والغرض نظاما أخلاقيا ، بمعنى أنه إذا كان العالم ذو طابع عبـــثي غير هادف، فإن الأخلاق أيضا غير موضوعية ، لأنه ليست هناك مرجعية يستند إلـــيها بعد فقد المرجعية الإلهية، والغائية الإلهية في خلق الكون، وبذلك انتقلت الأخلاق من مرجعية إلهية موضوعية ثابتة إلى مرجعية بشرية ذاتية متغيرة، فحدث أول نقلة خطيرة في هذا المجال (الأخلاق) بأن تحولت القيم والأخلاق من موضوعية إلى ذاتية، ومن مطلقة إلى نسبية"[3].

---

١) الدكتورة راوية عبد المنعم (ديكارت والفلسفة العقلية)، مرجع سابق، ص ١٢٢.

٢) الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، راجع كلمة الشكية ، ص ٢٦٤.

٣) ولتر ستيس (الدين والعقل الحديث)، مرجع سابق، ص ١٢٩.

وقضـــية شـــيوع الفلسفة النسبية في مجال الأخلاق، وبشرية الأخلاق وذاتيتها كانـــت فعـــلا أمـــرا مهما وخطيرا (جون ديوى)[1] فيلسوف أمريكا البراجماتي: "يصر باســـتمرار بـــأن الأخـــلاق هي مسألة بشرية، تضرب بجذورها في الطبيعية البشرية"[2] وكذلـــك فلاسفة الوضعية المنطقية "فالعبارة الأخلاقية عندهم لا تعني سوى التعبير عن انفعـــال بشـــري أو عـــن موقف بشري"[3] ومن الطبيعي أنه بعد ربط الأخلاق بالبشر والـــذات يفقد قدسيته ومطلقيته وثباته ويصبح نسبيا ، يقول (هوبز): "ليس هناك شيء اسمـــه الخير المطلق ينظر إليه بغير علاقة"[4] وساد هذا الفكر بحيث أن كل من كان يقول خلافه كان يصنف (مثاليا مضى زمانه).

يقـــول (تشارلز فرانكل) عند نقده لفلسفة الليبرالية: "ففي الثقافة الحديثة كل شـــيء نســـبي وليس ثمة شيء مطلق، فليس لنا مبادئ أولية، ولا قيم نهائية، ولا عقائد راســـخة لا فكاك منها، ولا إيمان بوجود معنى غائي للحياة.....وقد ترتب على هذا أن خلـــت بيوتـــنا من النظام، ومدارسنا من الغايات الواضحة، وصارت سياساتنا الخارجية مائعـــة وضـــعيفة، وثمة تشكك واستخفاف في مقاييسنا الخلقية الشخصية، وانتهازية في سياستنا، وإحساس عام بالانسياق وانعدام الغاية في حياتنا اليومية، وشر ما في الأمر أننا استســـلمنا لهذه الحالة من الشك الذي يسير بنا قفزًا، واعتبرناها قضية مبدأ، وذلك أننا

---

١) جـــون ديـــوي (١٨٥٩ -١٩٥٢م)، فيلسوف أمريكي، كان شديد الاهتمام بان تكون الفلســفة عمليا ومؤثـــرا في الثقافة والاجتماع وضرورة إخراجها من كونها علم أكاديمي للنخبة إلى علم جماهيري، تأثر بوليم جيمس وبيرس، من فلاسفة البراجماتية، ومن كتبه (الطبيعة البشرية والسلوك).

٢) المرجع نفسه، ص ١٣٢.

٣) المرجع نفسه، ص ١٣٢.

٤) المرجع نفســه، ص ١٣٤.

نعيش تحت سحر فلسفة تعتبر احتقار السلطة فضيلة، وتملأ نفوسنا جميعا بالرعب من الأخذ بأية عقيدة"[1].

وينقل (تشارلز) عن أحد نقاد فلسفة التاريخ الليبرالية (ماريتان) فيقول: "فإن صورة التاريخ الناجمة عن ذلك (أي عن الفلسفة الليبرالية) إنما هي صورة قوم لا يفتأون يتخلصون من عقائد وقيم قديمة على أنها باطلة، ويتبنون عقائد وقيم جديدة، ثم لا يلبثون أن ينبذوها بدورها. والثقافة التي تفهم التاريخ على هذا النحو تقرر أنها مبنية على الرمل، أي أنه ليس للأمور التي يرتبط بها الناس – من مبادئ خلقية أو النظم السياسة أو القضايا أو العقائد– أي أساس وطيد يستند إليه، وباختصار فإنها تأخذ بفلسفة للتاريخ لا يطاق العيش معها، بل إنها تنحر الاعتقادات التي تجعل الاحتشام البشري، بل حتى النظام الاجتماعي البسيط أمرًا ممكنًا، وهذا ما فعلته الثقافة الليبرالية الحديثة ، وما التيار المنحدر الذي تنساق فيه المدنية الحديثة إلا ظلاً متطاولاً لفلسفة التاريخ الليبرالية، ولا يمكن تعديلها إلا بنبذ أسس تلك الفلسفة، فلا يمكن لأي مجتمع كتبت له الحياة أن يبني سلطته على شيء أقل من الحقائق الأبدية، لكن الفلسفة الليبرالية تجريبية وتقول بأنه يجب إخضاع جميع المعتقدات لفحص مبني على الملاحظة البشرية العادية ، وليس بهذا من نتيجة غير أن نحكم على الإنسان بأن لا يبرح ميدان الأشياء المحتملة فحسب، بل أن يلزمه إلى الأبد: لأن كل المعتقدات التي تبنى على الخبرة البشرية وحدها محدودة ويمكن تبديلها بنقائضها على ضوء خبرة مستقبلية"[2].

وتجسدت هذه النزعة التشكيكية الرافضة في فترة ما يسمى بما وراء الحداثة في البنيوية مثلاً حيث يقول صاحبها (ميشال فوكو): "عمل الفكر أن يجعل كل ما هو

---

١) تشارلز فرنكل، (أزمة الإنسان الحديث) ، ترجمة نقولا زيادة، بيروت:دار مكتبة الحياة، ١٩٥٩، ص ٥٦، .. وتشارلز أستاذ في الفلسفة في جامعة كولومبية وفيلسوف ليبرالي.

٢) المرجع نفسه، ص٥٨.

راسخ موضع إشكال"[١] وهكذا بلغ التطرف أوجه حين أصبح هدم الراسخ مهمة للفكر والفلسفة وعملاً أساسيا لها بغض النظر عن نوع ذلك المفهوم الراسخ.

ولا شـــك أن المآســـي التي مر بها العالم الغربي جراء حربين عالميتين، كانت لها أعظـــم الأثـــر في ترسيخ هذه النزعة التي هي انتحار للحضارة "عرض (مالفيتش) [٢] في ترميز لانتحار الحضارة والفن الذي يدعي بأنه انعكاس لها لوحة مربع أبيض على أساس أبيض ويعلق عليه: هذا ما عبرت عنه الحرب آنذاك، انهيار عالم بأخلاقه وديانته وفنه، بعد هـــذه الحـــرب المدمرة نشأت نزعات تمردية تريد القضاء على كل الأعراف والعادات، والتقالـــيد القديمة في مجتمع تفوح منه رائحة الأنانية بشكل مقزز، حتى شمل هذا التمرد الفن التشكيلي فنشأت المدرسة (الوحشية) في الرسم أو ما سمي بالتعبيرية المجردة، وشمل الفكر فانتعشت الفوضوية، والعبثية ، وتعالت الصيحات الوجودية"[٣]

وأخيرا نعود إلى الحركة الأنثوية فقد تبنت هي أيضًا هذه المفاهيم، وتأثرت بهذه النزعـــات الشكية والتمردية بمختلف طوائفها، ولكن بدرجات متفاوتة طبعًا، وأدى هذا التأثر إلى أن تلخص بعض هذه التيارات مبادئها بجمل من قبيل:

(١) موت الميتافيزيقا (الغيب والدين) **Death of metaphysic**

(٢) موت الرجل **Death of man**

(٣) موت التاريخ **Death of history**[٤]

---

١) (فوكو مسيرة فلسفية) مرجع سابق، ص ٢٠٤، مقتبس من مقابلة جرت معه سنة ١٩٨٣.

٢) كازمير مالفيتش رسام روسي (١٨٧٨ –١٩٣٥) رائد الفن التجريدي.

٣) غارودي (أمريكا طليعة الانحطاط)، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٤) Sey ben habib, feminist contention , Rout leadge 1993, p.17-19.

ويقولـــون أن كلمة التاريخ باللغة الإنجليزية عبارة عن دمج كلمتي **(his + story)** واللــتان تعنيان قصة الرجل أو (قصته) ولا اعتبار فيها للمرأة، وبالتالي لا صحة له لأنه مكتوب بتحيز.

ولما نشأ التيار الراديكالي الأنثوي نشأ في ظل هذه المفاهيم فشكك في كل ما هو قـــائم مـــن مصـــادر معرفة: (الدين + النظريات الاجتماعية والنفسية + القانون...) واعتبرها رجولية متحيزة، وشكك في النظم الأخلاقية السائدة والقيم والعادات واعتبرها متخلفة وبالية وتحتاج إلى تغييرات جذرية، وشكك في اللغة واعتبرها متحيزة وتحتاج إلى إعادة صياغة ونادوا بـــ **(Reconstruction of Language)** ، حتى الطبيعة البيولوجية للمرأة أنكرها وشكك فيها، وربطها بالبيئة الثقافية والتنشئة لا بحقيقة طبيعة المـــرأة وخلقهـــا على نحو معين، وشكك بعد ذلك في الأمومة كوظيفة طبيعية للمرأة، وشـــكك في الأســـرة كمؤسسة ضرورية للحياة وعلاقات الجنسين...الخ مما سيأتي إلى تفصيلاتها.

المطلب السابع

الصراعية

إن الفكـــر الغـــربي منذ نشأته الأولى زمن اليونان مبني على أساس مبدأ الصراع وعـــدم الانسجام وخلق التناقض بين الأشياء بدل إدراك أوجه التكامل والتشابه، وبني عـــلى أن الثنائيات الموجودة في العالم لا مجال لتعايشها و تكاملها، بل لابد من الصراع حتى يكون البقاء لواحد وهو الأصلح والأقوى.

إن الأســـطورة اليونانية المعروفة تقول إن (برميثيوس) سرق سر النار المقدسة من الآلهـــة وأعطـــاه للبشر وترتب على هذا أن حصل الإنسان على العقل والفهم وفنون

الحضارة كلها- استعمال المعادن، ومعرفة فصول السنة، والنجوم، والرياضيات، والموسيقى، والتاريخ، والشعر[1]. وهكذا نشأ الصراع بين الإنسان والآلهة بعد هذه السرقة للعقل، والذي لم تكن الآلهة تريد منحه للإنسان.وهكذا بدأت الفلسفة الغربية فصلها الأول بإقرار مبدأ أساسي من مبادئ فكرها سوف تكون له تجلياته وآثاره المهمة في جميع الفلسفات التي تتفرع من هذا النبع الأول.

بعد ظهور المسيحية كديانة أولى وغالبة في الحضارة الغربية ظهرت الثنائيات المتناقضة والمتصارعة فيها، بين الروح والجسد، بين الدنيا والآخرة، بين ما لقيصر وما لله. وهذه كانت تجسيدا للفكرة الصراعية والتناقضية بين الأشياء أو بين المفاهيم.

وفي العصر الحديث جاءت الفلسفات المتعددة مؤكدة أصالة هذه النزعة في الفكر والفلسفة الغربية، فالليبرالية السياسية والديمقراطية تقتضي صراع الأحزاب على السلطة، والليبرالية الاقتصادية عبارة عن سعي كل فرد في اتجاه مصلحته والبحث عن ربحه الخاص، وصراع الفرد مع الفرد، والتاجر مع التاجر، ولا يهم من الساحق والمسحوق، فالجدير بالبقاء يبقى ، والصراع يدفع للعمل والإنتاج، والاشتراكية هي مجموعة من الجدليات والصراعات بين طبقات المجتمع، الفقراء ضد الأغنياء أو البروليتاريا ضد البرجوازية والنتيجة ديكتاتورية البروليتاريا، فالشيوعية تصور التاريخ البشري كله على أنه صراع على الثروة والملكية، وحتى النظريات التي حاولت تفسير بدء الخلق مثل (الداروينية) لم تخرج من هذا الإطار بل أكدته، فتحدثت بالتفصيل عن قانون الصراع بين المخلوقات وأن البقاء للأصلح، والنازية- كمذهب سياسي شوفيني- جاءت لتغذي صراع الأعراق والأجناس البشرية ولتعلن تفوق الآرية والجنس الألماني، وقبله افتعل الغربيون زمن عصر النهضة والحداثة صراعا مفتعلا بين العقل والنقل وبين

---

١)تشارلز فرانكل، (أزمة الإنسان الحديث)، مرجع سابق، ص ٩.

الديـــن والعـــلم، وانتهى بالانحياز لجانب العقل والفهم ونبذ الدين والنقل جانبا وكأن الأمور إما أسود أو أبيض فلا مجال للتوفيق والجمع والاختيار.

وجاءت الإمبريالية والكولونيالية والاستعمار اقتناعا بمبدأ القوة والصراع من أجل مزيد من السيطرة، تأثرا بآراء (ميكافللي) و (هوبز) القائل: (الإنسان ذئب الإنسان) [1]

وأنك إذا لم تأكل أكلت، ويصور هؤلاء الفلاسفة العلاقات الدولية والحياة كلها بأنها صراع على مزيد من القوة، وسار على نهج هؤلاء علماء ومفكرون معاصرون أمثال (بكـــار) و(ســـبيكمان) الأمريكي و (مورجيناثو) [2] صاحب كتاب (السياسة بين الأمم Polisy Among nations) وأسسوا مذهبا على هذا في العلاقات الدولية تعرف بالنظرية الواقعية (Realism)

وليست نظرية (صراع الحضارات) للأمريكي المعروف (صموئيل هنتغتون) ببعيد عنا حيث صور الحضارات على أنها متصارعة والنتيجة غالب ومغلوب.

وكذلـــك فكرة انتصار الليبرالية ونهاية التاريخ التي طرحها(فوكوياما) لا تختلف عن سابقتها في الفكرة الصراعية بشيء إلا أنه استبق النتيجة فسارع إلى إعلان وحتمية غلـــبة الحضارة الغربية وسيادتها وهيمنتها على العالم، وهؤلاء يفهمون العولمة بهذا المعنى. يقـــول الشـــيخ ســـعيد النورسي[3]: "أوغلت الفلسفة في ضلالها حتى اتخذت دستور

---

١)أوراق المؤتمـــر العـــالمي عـــن بديع الزمان سعيد النورسي، من بحث (نظرة بديع الزمان للفلسفة) ، طبعة (nesil) ، سنة١٩٩٦،ص ٢٣٨.

٢)مورجيـــناثو، عالم ألماني في السياسة والعلاقات الدولية، أثر في الفكر الأكاديمي الأمريكي أثناء إقامته هناك، ومن مؤسسي المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية.

٣)كليات رسائل النور (الكلمات) ، تأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، نشر دار سوزلر ، استانبول ، ١٩٩٢، ص ٦٤٤.

(الصراع) هذا حاكما مهيمنا على الموجودات كافة فقررت ببلاهة متناهية" أن الحياة جدال وصراع .." [١].

وهذا الموضع رابطة قوية مع الفردية حيث أنه عندما نظرت الفلسفة الغربية إلى الفرد مستقلا ومجردا عن الجماعة، تحدثت أيضًا عن حقوقه بإزاء غيره وفي مواجهة معه وكأن حقوق الناس متعارضة بالضرورة " فصار حق الفرد ينتهي عندما يبدأ حق غيره، وحريته تقف عند بدء حرية غيره، وهكذا صار وجود الآخر يشكل قيدا وهو نوع من الانتقاص، ولذلك يصعب فهم الفكرة الحقوقية الغربية بدون فهم لمفهوم الصراع، وقد انصبغ ذلك على وضع المرأة في الغرب فصبغت حقوقها في مواجهة الرجل، وعلى أن كسبها يتأتى في صراع معه حق في العلاقة الزوجية، وغابت من هذا التصور فكرة المساكنة بين الزوجين التي أوردها القرآن، وفكرة البناء المشترك للأسرة كمؤسسة اجتماعية تتولد الحقوق فيها عن التكاتف والتآزر، وليس انتقاصا من حق الآخر" [٢].

وهكذا وتأثرا بهذا النسق الفكري والفلسفي بنت الأنثوية فكرها على الصراع بين الذكر والأنثى بعد أن نظر إليها نظرة فردية وجردها من سياقها الاجتماعي، وأسقطت الثنائيات الغربية عليهما (العام– والخاص)، (الطبيعة– الحضارة)، وأوجدت بين هذه الثنائيات صراعات وتناقضات والحل عندها العام لا الخاص الحضارة لا الطبيعة [٣].

---

١)بديع الزمان سعيد النورسي (١٨٧٣– ١٩٦٠م) ، عالم وفقيه ومتكلم معاصر، كردي من كردستان تركيا، أسس كبرى الحركات الإسلامية في تركيا والمعروفة بـ(جماعة النور).

٢)الأستاذ طارق البشري في مقدمة كتاب الأستاذة هبة رؤوف، (المرأة والعمل السياسي)، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص ٢٠.

٣) المراد بالعام والخاص، العمل العام الذي للرجل والعمل الخاص الذي للمرأة حسب المنطق السائد، والمراد بالطبيعة أي الأدوار الطبيعية التي تقتضيها الطبيعة البيولوجية للمرأة، وعكسه (الحضارة) يقصد بها الدور الآخر الذي هو مخصص للرجل حسب الثقافة السائدة والتي تقول الحركة الأنثوية أنها ثقافة ذكورية.

وتصورت الحركة الأنثوية التاريخ كله على أنه تاريخ الصراع بين الجنسين وتفسر الحضـارات وأديان واللغات و...على هذا الأساس، وسعت هذه الحركة ولا تزال على أن تكـون للمرأة (أيديولوجيتها) الخاصة بها والتي نحن نتكلم عنها، بل الأمر تجاوز هذا الحد الآن حيث بلورت أخيرًا (ابستمولوجيا) أو نظرية معرفية خاصة بها في تفسير العلوم وتحليـلها[1]، وفي المـرحلة الأخـيرة تجاوزت الحركة مفهوم الصراع إلى إعلان الحرب والعداء ضد الرجل كما سنسوق الأدلة على ذلك فيما بعد.

وإذا كانت الحركات النسوية العربية لم تتبن مفهوم (صراع الجنسين) على النمط الغـربي حسب ما تردد فإن بعض دعاتها لم تستطع أن تخرج من مطلق مفهوم الصراع، ولكن حولته إلى (الصراع بين الأجيال)، كما تقول فاطمة المرنيسي: "وحيث إن الرجال يسـتطيعون أن يروا كيف ينعكس اضطهاد النساء سلبا على الرجال فإن تحرير النساء يتخذ طابع (صراع بين الأجيال) – لا بين الجنسين"[2].

المطلب الثامن

الجنسانية

الجنسـانية أو جعـل المتعة الجنسية غاية عليا، أصبحت واحدة من ركائز المجتمع المعاصـر وسمـة بارزة فيه، أصبحت اللذة الجنسية غاية تسمو على الأخلاق والقوانين والأعـراف وأصبحت نزعة فلسفية عند الكثير من المدارس تفسر بها الدوافع والسلوك والتحولات المجتمعية الكبرى، وتقيم بها درجة انفتاح المجتمعات ورقيها ومدنيتها. جذور الفكـرة الجنسانية (بمعنى الإباحية والمشاعية الجنسية) ترجع إلى زمن اليونان وتحديدا إلى

---

١) هبة رؤوف عزت (المرأة والعمل السياسي)، المرجع السابق

٢) فاطمة المرنيسي، (ما وراء الحجاب)، ترجمة أحمد صالح، دار حوران، دمشق، ١٩٩٧، ص٨١.

أفكـــار (أفلاطون)[1] الذي دعا في جمهوريته إلى: "أن نساء محاربينا يجب أن يكن مشاعا للجمـــيع، فليس لواحدة منهن أن تقيم تحت سقف واحد مع رجل بعينه منهم، وليكن الأطفال أيضًا مشاعا بحيث لا يعرف الأب ابنه، ولا الابن أباه" ، ودعا إلى تعري النساء "تدريـــب النساء وهن عاريات تماما مع الرجال في الحلبة"[2] ويقول أيضا: "على نساء الحراس أن يقفن عاريات، ما دمن سيكتسين برداء من الفضيلة"[3] .

ويقـــول بعـــض الباحثين أن (أفلاطون) كان مشجعا للشذوذ الجنسي أو الزواج المثلي والذي كان شائعا في المجتمع اليوناني[4].

ثم جـــاءت اليهودية – بعد تحريفها طبعا– لكي تحدثنا عن زنا الأنبياء (حاشاهم ولعـــنوا بمـــا قالوا) ، ويحدثنا سفر الملوك الأول الإصحاح الحادي عشر عن : "وأولع ســـليمان بنســـاء غريـــبات كـــثيرات، فضلا عن ابنة فرعون، فتزوج نساء موابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات، وكلهن من بنات الأمم التي نهى الرب بني إســـرائيل عـــن الزواج منهم قائلا لهم: "لا تتزوجوا منهم ولا هم منكم، لأنهم يغوون قلوبكم وراء آلهتهم" ، ولكن سليمان التصق بهن لفرط محبته لهن[5] فكانت له سبع مائة زوجة وثلاث مائة محظية (أي جواري وسراري) فانحرفن بقلبه عن الرب" ..

---

١) أفلاطون (حوالي ٤٢٧ –٣٤٧ق.م)، ولد في أثينا من عائلة عريقة، أسس مدرسة للفلسفة والعلوم عرفت بـــ(الأكاديمية)، من تلامذته (أرسطو)، وأشهر مؤلفاته (المحاورات) و(الجمهورية).

٢) الأستاذ محمد رشدي عبيد عقرواي، مخطوطة بعنوان (المشاعية) ، نقلا عن جمهورية أفلاطون ، ص ٦٣ ، ٣٣٥.

٣) المرجع السابق، ص ٣٣٦.

٤) المرجع السابق، ص٣.

٥) معنى هذا الكلام أن هذا النبي العظيم قد عصى الله من أجل شهوته الجنسية ((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)) سورة البقرة .

وامــتلأت التوراة بمثل هذا الكلام الفارغ، بل بأدبيات خلاعية وداعرة كما هو واضح في (نشيد الإنشاد) المنسوب لسليمان عليه السلام زورا.

وجــاءت المســيحية لتخفف من غلواء اليهود وفسقهم وانحرافهم فدعت لنبذ الماديــة والإباحية ونبذ عبادة الجسد، ولكنها ما لبثت أن تأثرت بالمبادئ الغنوصية التي تقــول لا ســبيل لكسب المعرفة والتقوى إلا بنبذ الشهوات كلية وهجر الملذات تماما والــتعلق بعالم المثال والروح. وحرفت كاليهودية ولكن في الاتجاه المعاكس فاعتبرت أي مقاربة للنساء نوعا من الخروج عن المطلوب.

وابتدعــت النصــاري الرهبــنة واعتبر الجنس قذارة ودنسا لا يليق بمن يبغي المقــدس، ولكن هذا ما لم يكن موضع التزام لمخالفته للفطرة إلا نادرا، وكرد فعل لهذا التذمــت المسيحي وبعد عصر النهضة انفلت الناس من قيود الكنيسة الكاثوليكية ، بل وأفــرطوا في الطغيان الجنسي، وعندما جاءت فترة الإلحاد بعد الكشوفات العلمية زاد الطــين بلة، وفي فترة الحداثة شاعت النظريات الجنسية بشكل عجيب، ومن أبرز تلك النظريات الفرويدية ومدرسة التحليل النفسي، وكيف أنها فسرت كل شيء بالجنس حتى الأحلام وحتى مص الطفل الرضيع لثدي أمه له تفسير جنسي عند فرويد، والأدهى من ذلك أنه دعا إلى أن الجنس لابد له من مصرف وأن الكبت يولد أمراضا وسيئات كثيرة، وبهــذا فإن فرويد من حيث أراد أو لم يرد كان له أثر عظيم في نشر الجنسانية كفلسفة وتحليل ثم كفعل وممارسة.

وجــاءت الشيوعية لكي تنادي بالمشاعية والإباحية ولكي تعتبر العمل الجنسي في مذهــبها لا يعــدو أن يكــون (كشربة ماء)، ولكن تعتبرها مسألة شخصية جدا كما يقول(أوغست بيبل) – مفكر شيوعي ألماني– : "إشباع الغريزة الجنسية مسألة شخصية تمامــا شــأنها شأن إشباع غريزة أخري، فلا أحد يحاسب عليها أمام الآخرين، ولا يملك

قاض غير مفوض حق التدخل فيها وأنّ ما سآكله وكيف سأشرب وأنام وألبس هي من شــؤوني الخاصة، وكذلك الحال بالنسبة لمضاجعتي لشخص من الجنس الآخر"[1]. وتنبأ أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في عهد (لينين) وهو (الكسندرا كلونتاي) بأنـــه " سيصبح الحب عبادة الإنسانية المقبلة"[2]، ويقول (جان فرنسوا ريفيل) صاحب كتاب (لا ماركس ولا عيسى): "الواقع أن الكبت الجنسي يظهر وجود قيود استبدادية في ميادين مختلفة كالعائلة والدين والعلاقات بين الجنسين، وبين مختلف الأعمار، وبعكس ذلك فإن (الحرية الجنسية) هي دليل زوال علاقات التسلط في هذه الميادين المختلفة"[3] .

وهكذا " على الصعيد الفكري والاجتماعي، فقد سادت النصف الأول من هذا القرن ظاهرتان: الأولي طغيان التفكير في شئون الجنس وأحوال النفس (فرويد، إدلر[4]، يونغ[5]،....)[6].

ولقـــد كـــان لفلســـفة هربرت ماركيوز المسماة (النظرية النقدية) دور كبير في الإباحـــية والجنسانية ؛ حيث إن من أسسها "أنها تؤكد على انعتاق الغرائز الجنسية"[7]

١) المرأة في التراث الاشتراكي، ترجمة جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص ٩٠.

٢) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة)، مرجع سابق، ص٨٠.

٣) الكتاب مترجم بعنوان (رياح التغيير) تعريب فؤاد مويساتي، منشورات دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٣٨.

٤) ألفـــرد إدلـــر (١٨٧٠ – ١٩٣٧م)، طبيب نمساوي نفساني من مدرسة التحليل النفسي، سمي أفكاره الخاصة في النفس بـــ(علم النفس الفردي) ، ويعرف الآن بـــ(الإرادي).

٥) كـــارل جوستاف يونج (١٨٧٥– ١٩٦١م)، عالم سويسري مختص في علم النفس، قام بتطوير مجال علم النفس التحليلي، وقد تجاوز تأثير دراساته إلى الفلسفة واللاهوت وعلم الأجناس.

٦) عبد اللطيف شرارة، مقدمة ترجمة كتاب (نحو ثورة جديدة) لهربرت ماركيوز، دار العودة، بيروت ١٩٧١ ، ص ٧

٧) الدكتور حسن محمد حسن، (النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٢٥.

وقد استند ماركيوز على آراء الفلاسفة الذين دعوا إلى معارضة القمع أمثال (نيتشه) ، (فوريـــيه) [1]، (فريدرك فون شيلر) [2]، وقد استهدف من وراءه معالجته لهؤلاء المفكرين الثلاثة الكشف عن الأفكار والإشارات التي تنم عن دعواهم للاحتجاج الجنسي، وتأكيد الدافــع الشـــهواني"[3] ويعتبر ماركيوز أن التحرر الجنسي عنصر مكمل ومتمم لعملية الــتحرر الاجــتماعي، وتظهـــر كتابات الثلاثينات تعاطفا واضحا مع المذاهب المادية وخصوصــا مذهب اللذة Hedonism [4]ويدعو في قضية التحرر الجنسي إلى إطلاق الحـــرية الجنســـية بـــلا حـــدود، سواء في ناحية الكم أو الكيف، ويرفض ربط الجنس بالتناســـل، ويقر الانحرافات الجنسية (الشذوذ) ويمجدها باعتبارها ثورة وتمرد ضد قمع الجـــنس وربطـــه بالنسل، وضد مؤسسات القمع الجنسي، وفصل هذه العقيدة في كتابه (إيروس والحضارة) [5].

ويقول مترجم كتابه (عبد اللطيف شرارة) عنه: "لقد واجه ماركيوز فكرة الحرية مـــن زاويـــة الحياة الشخصية، مما جره إلى التفكير في الغرائز، والعواطف ، والشهوات والأحاســـيس الجمالية أي إلى عالم فرويد وأوحال الجنس"[6] وفي نفس هذا السياق سأل

---

١) شارل فوريه (١٧٧٢– ١٨٣٧م)، فيلسوف اجتماعي فرنسي، اشتراكي المذهب.

٢) فـــريدريك فـــون شيلر (١٧٥٩– ١٨٠٥م)، ألماني، شاعر، وكاتب مسرحي ومؤرخ وفيلسوف، ألف مجموعة من الكتب والقصص والمسرحيات، من مؤسسي الأدب الألماني الحديث، ويحتل – المكانة الثانية بعد (غوته) وكان معاصرًا له.

٣) الدكتور حسن محمد حسن، (النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز)، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٣٤.

٤) المرجع نفسه، ص١٣٥.

٥) عبد اللطيف شرارة، مقدمة كتاب (نحو ثورة جديدة) ، ص ١٣٩، ويقال أن ماركيوز قد رجع عن بعض آرائـــه وعـــن هـــذه النظرة تجاه توظيف الجنس في التحرر إلى نقيضه عندما أدرك أن المجتمع الرأسمالي الأمريكي يستخدم الإباحية لتخدير الشعوب وذلك في كتابه (الإنسان ذو البعد الواحد).

٦) مقدمة ترجمة كتاب (نحو ثورة جديدة)، مرجع سابق، ص٩.

الفيلسوف البنيوي (ميشال فوكو) مستنكرا ربط الجنس بالأخلاق: "لماذا يجعل السلوك الجنسي مسألة أخلاقية ؟ ومسألة أخلاقية مهمة ؟!"[1] وهكذا رفض فلاسفة الغرب الحداثيون ومن جاءوا بعدهم ربط الجنس بالدين والأخلاق، بل ربطوا قيده بالقيود العامة المستخلفة في المجتمع، وجعلوا من الإباحية مظهرا من مظاهر الانفتاح والانطلاق والتحرر والتقدمية والمدنية، والوثائق العالمية الآن تريد جعلها من الحقوق الأساسية الابتدائية للإنسان كما سنأتي إليه في الفصول اللاحقة.

وفي فترة الستينيات حدث ما سمي بالثورة الجنسية، وتغيرت المجتمعات الغربية تماما، حيث أصبح الابن يسوق عشيقته إلى بيت أبيه، والبنت تصحب حبيبها إلى غرفة نومها أمام والديها، والزوجة تحكي لزوجها ما تفعل مع أخدانها الكثيرين بلا حياء ولا تردد، وتفككت الأسرة، وشاعت العلاقات الجنسية خارج الزواج إلى حد أن إحدى الإحصائيات التي ترجع لبداية السبعينات تقول بأن ٩٥% من الجنسين في السويد عندهم تجارب جنسية ما قبل الزواج، ومن يستنكر هذا يعتبر رجعيا ومتخلفا، وهكذا أصبحت الجنسانية فكرًا وسلوكًا في آن واحد.

وكانت هذه التحولات ذات أثر عظيم على واقع المرأة حيث أدت إلى اختزال المرأة في البعد الجنسي والجسدي، وأدت إلى شيوع ظواهر البغاء وتجارة النساء، والاغتصاب وغيرها، والتسويق الإعلامي لجسد المرأة في الإعلانات والدعايات التجارية، وشيوع اهتمامات جنونية نحو الزينة والمكياج ومستحضرات التجميل، وعلى مستوي فكر الحركة الأنثوية فان هذا التيار الجارف أدى إلى أن تكون ثالوث النسويين المنادي به بلا كلل ولا ملل هو: الإصلاحات الاجتماعية، والمطالب السياسية، والحب الحر".

---

١) من كتابه (تاريخ الجنسانية)، نقلا عن كتاب "ميشيل فوكو مسيرة فلسفية"، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

وطالبـــت دعـــاة الأنثوية الراديكالية بمبدأ الحرية المطلقة، والتحرر الجنسي ، بل بالغـــت واحــــدة منهن بقولها: "فلو قدر للمرأة أن تحب، وأن تبادل الحب كما تشاء لما فكـــرت بمطالـــب أخري"، " وفي بريطانيا خاضت (آني بوزانت) حملة صاخبة من أجل التحرر الجنسي منتقدة بشدة الأسرة والزواج"[1]، "وطالب "فورييه" أب الحركة النسوية الفرنســـية والاشتراكي المعروف بتحرر المرأة على كل الأصعدة البيتي، المهني ، المدني، الجنسي". وترجع إلى طغيان وغلبة هذه النزعة والمطالبات الأنثوية بالزواج المدني وتهميش مؤسسة الأسرة، ونزع القداسة عن عقد الزواج والرباط الأسري والاستخفاف المستمر بعفة المرأة وأهمية غشاء البكارة ، لأنها جزء من الثقافة الذكورية التي تري في المرأة متاعا خاصا بالرجل.....الخ[2].

---

[1]) المرجع نفسه ، ص ١٩٨

[2]) حـــتى عند العرب الناقلين للثقافة الأنثوية الغربية نرى هذه الأدبيات الإباحية التي تنادي بالاستهزاء بالعفة وغشـــاء الـــبكارة، فمثلا جورج طرابيشي الشيوعي المعروف في كتابه(شرق وغرب رجولة وأنوثة) يقول في تعلـــيقه على رواية سهيل ادريس : " عقلية تكونت بصورة شبه نهائية في ظل مجتمع شرقي ، أبوي ، حنبلي، يضع الشرف الجنسي في رأس قيمه، ويربط هذا الشرف بغشاء البكارة لدى المرأة ..(ويعيد الكلام) ويكفي بحـــد ذاته للتدليل على مدى الأهمية التي يعلقها على غشاء البكارة، وعلى مدى التشويه الشرقي الذي يغلف تصوراته عن فعل الحب ، وعن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة..(ومرة أخرى) : الرجل الشرقي الذي يضع غشـــاء الـــبكارة فـــوق القيم جميعا. (ويوضح أكثر في تكرار ممل فج) : إن الشرق المتأخر، الأبوي، الحنبلي، التقليدي، يكمن كله في هذه العبارات القليلة. فأنبل رسالة للمرأة أن تبقى (بكرا) وحرام عليها أن تسلمه حتى لخطيبها، ويعتبر هذه أيديولوجية تحط من قدر فعل الحب وتعادي المرأة"(ينظر الكتاب المذكور طبعة ١٩٧٧ دار الطليعة بيروت ص ٨٣-٨٤). إذا فإن من يرفض الحب الحر والفواحش يعادي المرأة في نظره.

المبحث الثاني

أبرز وأخطر آراء الأنثوية المتطرفة (الراديكالية)

في البدء لابد من القول بأن الحركة النسوية التي قامت للدفاع عن قضايا المرأة في التيار الأول كانت حركة إيجابية بالرغم من وجود الملاحظات على بعض أفكارها ومنطلقاتها، فإنها قدمت للمرأة والفكر الإنساني دفعة جيدة ومهمة في سبيل مراجعة الأعوجاج والحيف والإجحاف الذي كان يلف حقوق النساء ويحول دون تمتعهن بالعدالة والإنصاف، ومشاركتهن مشاركة إيجابية وفاعلة في بناء المجتمعات البشرية، وخروجهن إلى الحياة العامة لأداء الرسالة وحمل الأمانة بجانب الرجال، دون تقليل من دورهن ولا إجحاف لحقوقهن، ودون تمردهن على أدوارهن الطبيعية الخاصة والتي لها الدور الأعظم في سعادة البشرية، ورقي المجتمعات وتمتعها بالرفاهية والاستقرار والأمن.

ولكن الحركة النسوية_ومع تصاعد درجات العلمنة والإباحية والأنانية والتخبط الفكري_ سرعان ما تحولت الكثير من فصائلها إلى حركات هدامة وشمولية وراديكالية متطرفة تجاوزت حدود اختصاصها وقضاياها إلى الحديث عن أيديولوجيا خاصة بالمرأة و(ابستمولوجيا) نسائية، بل حتى مجتمعات خاصة بالمرأة، وبدأت تتبنى مطالبات تتعارض مع العدالة والأخلاق والقيم والأديان، وتؤدي إلى الفوضى والعبث وتهدد الأمن الاجتماعي، وتستهدف الأسرة وحقوق الأطفال، وتدخل المرأة في متاهات وظلمات لها أول ولا أخر لها.

وفيما يأتي نسلط بعض الأضواء على بعض هذه الأسس الفكرية والمطالبات الأنثوية التي تنادي بها حركة (Radical Feminism) [1]:

---

[1] هذه آراء ومطالبات الجناح والفصيل المتطرف من الحركة النسائية الغربية تلك التي سميناها بالأنثوية، ولا تعبر عن أفكار جميع التيارات النسائية في الغرب والتي لازال الكثير منها معتدلة ومتوازنة وترفض أكثر هذه =

المطلب الأول

المناداة بعداء الجنسين وإعلان الحرب ضد الرجال

أعلنت الأنثوية حربًا شعواء ضد الرجل، ورفعت شعارات من قبيل (الرجال طبقة معادية) و(الحرب بين الجنسين)، بل وصل حد المطالبة (بالقتال من أجل عالم بلا رجال).

ووصـــل الحـــد بالمناداة باستعمال القسوة والعنف مع الرجال إلى حد أن هناك مـــنظمة أنثوية أمريكية معروفة بـــ(حركة تقطيع أوصال الرجال) تنادي باستئصال شأفة الرجال في المجتمع[1].

ولقـــد قامت الكاتبة الأمريكية (دروثي رو) بتأليف كتاب أسمته (العدو) وتقصد بذلـــك (الرجل)، وتحاول أن تحلل في شكل أسطورة صدق تسميتها وتبين سبب عداء الجنســـين فتقول: "إن المرأة في بدايات الحياة البشرية عندما رأت الرجل مخلوقا مخيفا له جثة ضخمة مغطاة بالشعر مكتظة بالعضلات، ومن عينيه نظرة وحش مفترس... خافت مـــنه، وهـــنا وقعـــت في الخطـــأ الكبير الذي سبب العذاب لكل البنات والنساء فيما بعـــد...لأن خوفهـــا قادها إلى أن تستسلم لهذا المخلوق الأقوى والأضخم، وتخضع له، فبدأت تتملقه إتقاءً لشره...بذلك علمت الرجل الغرور والإحساس بالقوة، وأتاحت له فرصة السيطرة والتسلط فوضعها في المركز التابع للمتبوع"[2].

وتؤكـــد الأنثوية على أن الرجل بطبعه قاسي وأناني وعنيف ومغرور ويحب الشر والدمـــار....إلخ ، كمـــا تقـــول بذلـــك رائـــدة الحـــركة النســـوية الإنجلـــيزية

= الآراء، بل وتعارضها في حركات تعرف بـــ (حركات مناهضة الأنثوية) وحركات (دعم الأسرة) وحركات (حق الحياة ومناهضة الإجهاض) والحركات النسائية الدينية وغيرها.

١) مجلة العربي، العدد ٤٩٤، يناير ٢٠٠٠م، مقالة الدكتور أحمد أبو زيد، ص ٦٥.

٢) مجلة كل الأسرة، في تحقيق صحفي لحنان جاد، ص ٢٥.

(اليزابيـــث ستانتون)[1]. وتؤكد وجود هذه النزعة في الحركة الأنثوية الغربية الدكتورة (بثينة شعبان) حيث تقول : "في الستينات والسبعينيات من هذا القرن، حين اتجهت المرأة الغربية توجهًا معاديًا للرجل واعتبرته مسؤولاً عن كل معاناتها"[2]. وهذه النزعة أدت إلى ردود أفعـــال مضادة من قبل باحثين رجال، فألفوا كتبًا للاستدلال على أفضلية الرجال عـــلى النســـاء على أسس دينية أو بيولوجية أو تحقيقات علمية أخرى، وردت النساء بـــالعكس، وثـــار جدل فارغ وكأن الرجل والمرأة متناقضان كما يقول أهل المنطق (لا يجـــتمعان ولا يرتفعان)، ولم تكن هذه الأفكار مجرد جدل لفظي أو تبادل شعارات، بل تجـــاوز إلى بروزه في الممارسة الواقعية في أشكال مختلفة فأدى أولاً إلى: تدهور رهيب في العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، خاصة في العلاقات الجنسية، وتم الهجوم بشكل مكـــثف على مؤسسة الأسرة باعتبارها مؤسسة قمع وقهر للمراة، ولا بد من الارتباط الحر والحرية الجنسية بل تجاوز الأمر إلى الدعوة إلى الشذوذ الجنسي (السحاق) باعتباره شكلاً ملائمًا محتملاً للخروج من سيطرة الرجل العدو.

ولا شـــك أن الـــنظرة الدونـــية التي لاقتها المرأة الغربية، أو كما تقول (زيغرد هونكـــه): "موقـــف الـــرجل الأوربي مـــن المرأة ، ونظرته إليها تلك النظرة التي تتسم بالازدواجـــية، والـــنفاق، والشهوانية، والتسلط، والتضارب في المفاهيم والأفعال"[3]. بالإضـــافة إلى ممارسة كافة أشكال العنف النفسي والجسدي والجنسي عليها" كل ذلك غـــرس فـــيها مشاعر العداء تجاه الرجل، والحقائق والأرقام الموجودة في دوائر الإحصاء ومراكز البحوث مهولة ومفجعة، ففي أمريكا مثلاً: تشير أرقام سنة ١٩٨٤ إلى ٢٩٢٨ حادثة قتل تمت على أيدي أحد أفراد العائلة، وثلث القتيلات في ذلك العام قتلن على يد

---

١) أنتوني جيدنز (جامعة شناسي)، (مرجع سابق)، ص ٣٨٠.

٢) مجلة النهج، العدد (٥)، ١٩٩٩م، ص ٨٩.

٣) الأستاذ محمد رشدي عبيد عقراوي (المشاعية) ، مرجع سابق، ص ٧.

الـــزوج أو الشـــريك". كما تذكر كل من (أوردين ونزبيت) أن أكثر من مليوني امرأة ســـنويًا تـــبلغ الشرطة عن حادث اعتداء زوجها أو شريكها عليها، فيما لا يعرف عدد الحـــوادث غـــير المبلغ عنها، وتقتل يوميًا أربع نساء بسبب الضرب المبرح في البيت في أمـــريكا، كمـــا يعزى ٥٩% من حوادث الطلاق في النمسا عام ١٩٨٥ إلى استخدام العنف في البيت... ويقدر بأن ما بين (٢ إلى ٤) مليون امرأة تتعرض للاعتداء سنويًا في أمريكا ... و أن ١,٥ مليون زيارة للطبيب سببها اعتداء الزوج، ويخمن أن ٩١% من الاعـــتداءات لا تبلغ إلى الشرطة ... أما في بريطانيا فإن أكثر من ٥٠% من القتيلات كن ضحايا الزوج أو الشريك، وارتفع العنف في البيت بنسبة ٤٦% خلال عام واحد إلى نهايـــة آذار ١٩٩٢ ... كما وجد بأن ٢٥% من النساء يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن أو شركائهن[1].

وبالنســـبة للاغتصـــاب تشـــير الإحصـــائيات الـــتي أوردتهـــا كـــل مـــن (Aburdene & Naisbitt) المذكورتـــان سابقًا عام ١٩٩٣م أن امرأة واحدة تغتصـــب في أمريكا في كل دقيقة، وغالب الضحايا في سن أقل من ١٧ سنة[2]. وهكذا فـــإن النظرة الدونية والمعاملة القاسية العدوانية التي تواجهها المرأة في الغرب تقويان — بالإضـــافة إلى عوامـــل أخـــري — فيها الروح العدائية، وتؤدي إلى أن تنظر إلى الرجل كوحـــش جنسي مفترس وقاسي. وهكذا يولد هذا الواقع أفكارًا والأفكار تولد وقائع جديدة وهلم جرا في دوامة الهلاك والضلال .

ولا ننسى أن الحركة الأنثوية عندما تتحدث عن تمكين المرأة (Empowerment) فإنها تعني تمكين المرأة في صراعها مع الرجل.

---

١) الدكتورة شذى سلمان، (المرأة المسلمة)، مرجع سابق، ص ٩٦، ص ٩٧

٢) المرجع نفسه، ص ١١٥.

المطلب الثاني

رفض الأسرة والزواج

كرد فعل لوضع المرأة في الغرب، وكرد فعل لقوانين الأحوال الشخصية المسيحية القاسية، وكرد فعل لقسوة الرجال وعنفهم، وكتحقيق للرغبة الجنسانية المستشرية في الغرب، وابتغاء للفردية وعدم التقيد، وهروبًا من أعباء البيت ومسؤوليات الأسرة، واعتقادًا بأن الأسرة قيد وعبء ولا ضرورة لها وتصنف المرأة في درجة أدنى، واحتجاجًا على حصر دور المرأة في الإنجاب والأمومة دون غيرها من الأدوار . كل هذه الأمور أدت ببعض أجنحة هذه الحركة (Feminism) إلى السعي للتخلص من الأسرة والزواج[1].

ومن فلاسفة الغرب الذين أدى بهم احتجاجهم على قوانين الأحوال الشخصية ووضع المرأة في الأسرة إلى رفض الزواج والأمومة (جون ستيوارت مل) الليبرالي المعروف والذي ينكر أن يكون الزواج والأمومة رسالة طبيعية للمرأة، ويعتبر ذلك فرضًا رجوليًا، وأن الرجال حصروا خيار المرأة في ذلك لضرورة المجتمع إليه، وإلا فإن المرأة لو أعطيت خيارًا آخر ما قبلت ذلك ويسميه (خيار هوبسن): (هذا أو لا شيء)[2].

---

1) مجلة المرأة العربية، بغداد العدد (٥)، ١٩٨٧م، من مقالة بعنوان (قضايا المرأة العربية في زحمة المفاهيم المشوهة). بقلم حامد عمار، ص ١١٧.

2) جون ستيوارت مل، (استعباد النساء)، مرجع سابق، في فصل بعنوان (الزواج).

والأنـــثوية تعتبر الأسرة والزواج مصدرا لتبعية المرأة، وأن الزواج لا يعكس فقط ســـيطرة الرجل في المجتمع، بل يصنف حقوق المرأة بشكل كبير، ويندرج تحته مؤسسات اجتماعية وممارسات أصبحت مصدرًا لتبعية المرأة اليوم[١].

تصـــور (ســـيمون دي بوفـــوار) الزواج كسجن أبدي للمرأة وانقطاع للأمل والأحلام، وختم للحياة وإعلان انتهائها حين تقول: "حينما تتزوج الفتاة لا يعود أمامها مســـتقبل آخر أو أبواب المنزل توصد من خلفها لتتركها مع حصتها في الدنيا، ... حين كانـــت فـــتاة كانت فارغة اليدين، ولكنها كانت تملك الأمل والأحلام وكل شيء. أما الآن فلها زاوية محدودة في العالم، فتفكر حينئذ في قلق ولسان حالها يقول : ليس لي سوى هذا إلى الأبد هذا الزوج وهذا المسكن"[٢].

وتطالـــب بنـــبذ الأســـرة والتوجه للعمل وتقول: "أن تعيد المرأة اكتساب أهمية اقتصادية كانت قد فقدتها منذ عصور ما قبل التاريخ، بحيث تتخلص من الأسرة، وتأخذ في المعمـــل قســـمًا جديدًا في الإنتاج"[٣]. ويقول إمام عبد الفتاح إمام " "باختصار فإننا نســـتطيع أن نقول مع (سيمون): أن اضطهاد المرأة يرجع إلى الرغبة في تخليد الأسرة، والمحافظـــة عـــلى الملكـــية الخاصة، وبمقدار ما تتحرر المرأة من الأسرة فإنها تتحرر من التبعية"[٤].

وإنجلـــز عندما يتحدث عن أصل الأسرة والزواج لا يبقي منها شيئًا حيث إن هم تربية الأولاد على الحكومة سواء كانوا شرعيين أو غير شرعيين، والمرأة تهب نفسها لمن

---

(١) "A. Armstrong et al., (1992) Uncovering Reality: Excavating Women's right in Africa Family Law.

٢) سيمون دي بوفوار (الجنس الآخر)، مرجع سابق، ص ١٨٣.

٣) مجلة النهج، مقالة عبد الهادي عباس، العدد ٤٩، شتاء ١٩٩٨م.

٤) الدكتور إمام عبد الفتاح (الفيلسوف المسيحي والمرأة)، مرجع سابق، ص ١٠.

تحـــب بلا تحفظ، والزواج والأسرة باقيان: "مدة تأجج الحب الجنسي الفردي ... وحين يســـتنفد المـــيل اســـتنفادًا كاملاً، أو حين يحل محله حب جديد مشبوب العاطفة، يغدو الطلاق عملاً حسنًا بالنسبة للطرفين، كما بالنسبة للمجتمع"[1]. أي تصور للزواج هذا الـــذي يطـــرحه انجلز، وأي ضمان لحق المرأة إذا كان الرجل بمجرد تغير ميله أو رؤية حســـناء يفسخ عقد الزواج (هذا إن وجد أصلاً) ويجري وراء ثانية، لعمري هذا جهل وظلم فاحش ينال المرأة دون الرجل، وهؤلاء الشيوعيون يرون أن الذي ألجأ المرأة لكي تقـــبل بالـــزواج – الذي يعتبرونه من بقايا السلطة الأبوية والبرجوازية، وتقسيم العمل المشـــؤوم في بدايـــة الـــتاريخ – هو العامل الاقتصادي، وحاجة المرأة للمعيشة لنفسها ولأولادهـــا، وهـــذا ما لا يبقى في النظام الشيوعي، لأن الكل تتولاهم الدولة فيسقط الأساس الذي يعتمد عليه الزواج والأسرة وتتحرر المرأة من قيودها.

ويقـــول إنجلـــز: "وبدأت الحاجة إلى تبادل الفائض من الإنتاج فظهر بذلك نظام التبادل، الذي ترتب عليه بالتالي نشأة نظام الملكية الخاصة، فشهد بذلك التاريخ الإنساني أول شـــكل مـــن أشكال المجتمعات الطبقية، ومعه ظهر النظام الأبوي، فتم إسقاط الحق الأمـــي، وكانـــت هزيمة تاريخية عالمية للجنس النسائي، فقد أخذ الزوج دفة القيادة في البيت، وحرمت الزوجة من مركزها واستذلت، وأمست أداة بسيطة لإنتاج الأولاد"[2].

وللشيوعيين أسباب أخرى في رفض الأسرة حيث يرون أنها تدعم النظام الطبقي والإقطـــاعي عـــن طريق الوراثة وتشابك المصالح، لأنه بالولادة تتحدد الطبقة والمكانة والديانة والمهنة، ويقولون إن الأسرة تشجع وتكرس العلاقات اللاعقلانية مثل علاقات الـــدم والعـــادات والتقاليد والعرف والدين، وكل هذه الأمور معادية للتغيير الشيوعي

---

١) جورج طرابيشي (المرأة في التراث الاشتراكي)، مرجع سابق، ص ٧٦.

٢) المرجع نفسه، ص ٧٦.

الذي يريدونه[1]، ولذلك فقد "كان أبرز المعادين للأسرة في أرض الواقع وساحة التنظير: الذين لا يؤمنون بالله، ثم الاشتراكيين والراديكاليين، ثم الانتهازيين والمستغلين للمرأة في الاقتصاد والإعلام والبغاء، ثم الحركات النسوية"[2].

يقـول ميخائـيل نوفـاك (Michael Novak) – صاحب كتاب (روح الرأسمالية الديمقراطية) نقلاً عن (إيغور شافار يفتش) – : "إن العملية الاشتراكية الرامية لتجانس المجتمع تهدف أصلاً لإفساد الأسرة وتحطيمها، ولن يكون ذلك إلا بتدنيس الحب الزيجي وتهشيم أحاديته (رجل واحد مع امرأة)، ومن هنا فإن الحركات الاشتراكية تسعى في مـرحلة التبشـير إلى التأكيد على حرية الجنس، وربما فرض بعض المتطرفين من قادة المنظمات قسرًا الاتصال الجنسي غير الشرعي بين أعضاء المجموعة، فيكون لكل فرد أن ينام مع الآخرين كلهم، وبذا تكون قرابة أي منهم بالنسبة للآخرين متساوية، وهذه قمة التساوي أو المساواة"[3].

وعلى ضوء هذا الاستهداف للأسرة اضطرب تعريفها وشاع مصطلح (القرين أو الشـريك) (Partner) أو (Spouse) بـدل مصـطلح الـزوج أو الـزوجة (Wife-husband) وسمـي الزواج الطبيعي المعروف بالزواج التقليدي أو النمطي (Traditional) وظهرت الدعوة إلى بناء الأسرة اللانمطية، وإعادة تعريف الأسرة.

وتحاول الأنثوية توسيع مفهوم الأسرة لكي يشمل أنماطًا شاذة ومنحرفة في داخله " وقـد تحدث أعضاء هيئة التخطيط في (مؤتمر البيت الأبيض) عن الأسرة سنة ١٩٨٠ علـنًا عن (أسرة الماضي) و (الأسرة التقليدية)، ويعنون بذلك الأسرة المكونة من رجل

---

١) ميخائيل نوفاك، (روح الرأسمالية الديمقراطية)، ترجمة عالية جودة (عمان :دار البشير١٩٨٩) ص ١٥٦.
٢) هبة رؤوف، (المرأة والعمل السياسي)، مرجع سابق، ص ١٧٧.
٣) المرجع السابق، ص ١٤٧.

وامـــرأة اتحـــدا في علاقـــة زواج وإنجاب أطفال، وقد اعتبروا كل بيت يؤدي ويشبع الحاجـــات الأساســـية الطبيعية — مثل علاقة اللواط، والزوجين العقيمين اللذان يعيشان سوية، والجماعات وما شابهها من مجموعات المصاهرة، على أنها أسر، ولا يبدو أن لديهم الرغـــبة في اســـتثناء أي ترتيـــب مـــن هذا القبيل، وكانت هذه النظرة مروعة لأنصار السلالات"[1].

ويلاحـــظ أن مـــثل هـــذه الـــتعريفات المطاطية المتوسعة هي التي تعتمد لتفسير الاتفاقـــيات والمواثـــيق الدولية المتعلقة بشؤون المرأة والسكان والأسرة والتنمية والتي صـــدرت عن الأمم المتحدة والوكالات الدولية. ... بل هي أحيانًا تكتب صراحة كما سنوضح ذلك لاحقًا.

ويرد (ميخائيل) — في كتابه سابق الذكر — على هذه التخرصات ومحاولة زعزعة مفهـــوم الأسرة ويقول : "ورغم كثرة الحقد الكلامي على الأسرة التقليدية، لا يبدو أن هـــناك كـــثيرًا من النقاد يوافقون على أن الحياة مع أحد الوالدين أفضل من الحياة مع كليهما، أو أن الإفراط في الفرقة والطلاق والخيانة له تأثير حسن، أو أن العيش معًا دون زواج شـــرعي، أو الـــزواج دون إنجاب أطفال يخدم الصالح العام بشكل أفضل، أو أن أفضـــل أشكال المجتمع تلك التي تشجع العلاقة المؤقتة، أو العقم ، أو إباحة الجنس بين الجمـــيع، ويلـــف الغموض انتقاد المعادين للأسرة بشكل فظيع، فما الذي ينوون وضعه محلها بعد (التحرير) و (الانفتاح)" [2].

ويمكنـــنا إيجـــاز الأمور التي نتجت من هذه الدعوة لنقض الزواج والأسرة على النحو التالي:

---

1) المرجع نفسه، ص ١٤٨.

2) ميخائيل نوفاك، (روح الرأسمالية الديمقراطية)، مرجع سابق، ص ١٤٩.

١ – اعتماد عملية التزاوج بدل الزواج، وزيادة هائلة في أعداد الذين يعيشون مع بعض دون رابطة قانونية "ففي بريطانيا ازدادت نسبة النساء اللاتي يعشن مع رجل دون رابطة رسمية من ٨% عام ١٩٨١ إلى ٢٠% ١٩٨٨م"(١).

٢– كثرة الخيانة الزوجية من قبل الزوجين واعتياد الناس عليها، بحيث لا تعتبر تهديدًا خطيرًا ولا جرمًا، وهذا يدل على أن الأسرة حتى لو بقيت فإنها شكلية لا أكثر.

٣– تربية الأولاد عند أحد الوالدين أو ما يسمى بعائلة الوالد المنفرد (Single Parent Family)، وتشكل النساء ٩٠% من هذه العوائل "في بريطانيا ارتفعت نسبة هذه العائلات المنفردة من ١٤% عام ١٩٦١ إلى ٢٧% عام ١٩٩١"(٢).

٤– زيادة رهيبة في نسبة الطلاق: وهذا الأمر يحتاج إلى توضيح لأن للطلاق أسباب كثيرة، ولذلك نقول إن واحدة من أهم دلائل رفض الحركات النسوية الغربية للزواج والأسرة كانت تتجلى في سعيها الحثيث للإطاحة بقانون الأحوال الشخصية، والمطالبة بتسهيلها أكثر فأكثر إلى حد أن يكون الزواج والأسرة شكليًا فقط، وحتى تتمكن المرأة من الحصول على الطلاق وهدم الأسرة بأيسر سبيل وأكثره اختصارًا وكلفة، دون الانتباه إلى الآثار السيئة لهذا الأمر، بل الاقتناع التام – أحيانًا – بجدوى هدم الأسرة في تحرير المرأة ".

ويعتبر غالبية الباحثين بأن بداية الستينات هي التاريخ الحقيقي لبدء انهيار الأسرة بمفهومها التقليدي في بريطانيا حين تحولت الحركة النسوية في نهاية الستينات من المطالبة بالمساواة إلى المطالبة بالتحرر، وتقول إحدى الناشطات في الحركة بأن على النساء لإثبات

---

١) الدكتورة شذى سلمان، المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٩٣.

٢) المرجع نفسه، ص ٩٦.

موقفهـــن مـــن (حـــركة التحرير) هذه أن يمتنعن عن (الزواج) ، وتنتقد النساء لأنهن يـــتزوجن، وتعـــتقد كـــل واحدة منهن أو زواجها سيستمر إلى الأبد، وتشير أرقام عام ١٩٨٤م إلى أن ٧١٪ مـــن طلبات الطلاق في بريطانيا قد تقدمت بها الزوجة، وحول أعـــداد الطـــلاق تشير الإحصائيات إلى أن "عدد حالات الطلاق السنوية في بريطانيا (١٦٠) ألف حالة مقارنة بسبعة آلاف قبل خمسين عامًا أي بزيادة حوالي ثلاثة وعشرين ضـــعفًا، وفي أمـــريكا توجـــد أعلى نسبة طلاق في العالم كافة حيث ينتهي نصف عدد الـــزيجات بالطلاق"[١] ، ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [٢]﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾ [٣] فعلاً إن هذا الواقع ميل عظيم بكل المقاييس.

المطلب الثالث

رفض الأمومة والإنجاب

إن الإصلاحات التي طرحتها الأنثوية لقوانين الأحوال الشخصية لم تقف عند حد معالجـــة جوانب الإجحاف والقصور الموجود فيها، بل أتت على أصولها وثوابتها، وتريد الآن تحويـــلها إلى نقيضـــها عندما تريد أن تعطي حقوق الأسرة المنصوص عليها في هذه القوانـــين إلى الشـــاذين جنسيًا، أو المجموعات التي تعيش في شكل إباحي، باعتبار ذلك داخلاً في تعريف الأسرة كما أسلفنا القول.

لقـــد بلغـــت الأنانية وعبادة الذات، وحب الاستمتاع بالشهوات، والتمرد على الطبيعة، ورفض المسؤولية والتهرب منها، والانحراف عن الفطرة، والتفسير السقيم ...

---

١)الدكتورة شذى سلمان، المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٨٣-٨٤.

٢) المؤمنون الآية ٧١.

٣) النساء الآية ٢٧.

بالحركة الأنثوية الراديكالية إلى درجة رفض الأمومة والإنجاب كخطوة لاحقة لرفض الأسرة والزواج. زعيمة الأنثوية الوجودية الفرنسية (سيمون دي بوفوار) تسمي هذا الواجب (بعبودية التناسل)، وكأن الأولاد للأب فقط ولا علاقة لهم بالأم!!.

كانت بداية التنكر للأمومة وتربية الأولاد عندما ناقشت الحركة "موضوع (الأنوثة) ذاتها، فبعد أن كان أنصار المرأة يؤكدون في البداية أن المرأة باستطاعتها أن تجمع بين العمل المنزلي والعمل الخارجي ونواحي النشاط الأخرى دون أن يؤثر ذلك على أنوثتها، أصبح أنصارها الحاليون يعبرون عن سخطهم على تعرض المرأة لتحمل كل هذه الأعباء، ويتساءلون عما إذا كان من واجب المرأة حقًا أن تثقل كاهلها برعاية الأطفال وبالرعاية المنزلية وكل تلك المظاهر التي اصطلح المجتمع على اعتبارها أدوارًا طبيعية للمرأة باعتبارها ربة بيت، وامتدت التساؤلات إلى معنى الأنوثة ذاتها، وعن حقيقة وجود تلك الفروق العضوية المميزة للرجال والنساء، وعما إذا كان من الممكن إرجاعها إلى عوامل بيئية وثقافية، وبالتالي تفقد أساسها البيولوجي، وتصبح مظاهر اجتماعية لا تستحق كل هذا الاهتمام الذي يثار حولها، وهذا معناه أن الحركة الجديدة لا تستهدف شيئًا أقل من ظهور امرأة جديدة أو نوع من النساء يختلف كل الاختلاف عما عهدته الإنسانية حتى الآن"[1].

وهكذا أرادت الأنثوية أن تجعل من المرأة مخلوقًا جديدًا وقللت من دور الإنجاب ورعاية الأطفال، يقول (ألكسيس كاريل)[2] مستنكرًا – في معرض حديثه عن التناقضات الموجودة في العالم الغربي وتأثير البيئة الاجتماعية على النشاط العقلي –

---

١) مجلة عالم الفكر ، المجلد التاسع ، العدد الرابع ، ص ٢٥٨ ،مرجع سابق.

٢) أليكسيس كاريل (١٨٧٣–١٩٤٤م)، جراح وبيولوجي أمريكي، ولد بفرنسا، انضم إلى معهد روكفلر ١٩٠٦م، منح جائزة (نوبل) للفسيولوجيا والطب عام ١٩١٢م، من كتبه المترجمة للعربية (الإنسان ذلك المجهول).

"والمراة التي أنجبت عدة أطفال وأوقفت نفسها على تعليمهم بدلاً من الاهتمام بمستقبلها الخاص تعتبر ضعيفة العقل"[1]، لأن ناضجة العقل عندهم هي المادية الأنانية الجنسانية التي تؤثر نفسها وتضحي بالناس وبأولادها من أجل مستقبلها الخاص، هذه هي العقلانية في فترة الحداثة والتنوير والتقدم الغربي.

لقد اتبعت الأنثوية طرقًا مختلفة لإبعاد المرأة عن الأمومة ودورها الفطري، ومن هذه الطرق ابتداع مصطلحات جديدة وتقسيمات جديدة كالأم البيولوجي والأم الاجتماعي والتفريق بينهما، وبالتالي إيجاد مصطلح الأسرة البيولوجية والتي هي الأسرة التي تقوم بإنجاب الأطفال وتربيتهم لفترة طويلة، ويكون الاعتماد الأساسي فيها على الأب من حيث الرعاية والنفقة والمعاش ... إلخ. هذه الأسرة تعتبر في نظرهم من آثار ومخلفات السلطة الأبوية، ومنتوج ثقافي غير طبيعي ولا بد من إزالتها من الوجود، تقول الكاتبة (Eisonstein, H.): "إن ثورة فمزم قد جاءت فقط عن طريق رفض الأسرة البيولوجية ... يجب القضاء عليها من خلال بناء خيار (الإنجاب الصناعي) وتنشئة الأطفال (بمشاركة أفراد المجتمع في ذلك)، (وتكرر قولها) : "فقط بإلغاء كل من المسؤولية الفيزيائية والسيكولوجية للمرأة في إنجاب الأطفال يكون ممكنا إنجاز تحرير المرأة"[2]، وفي هذا المعنى نفسه تقول (Rosemarie) "من الضروري التمييز بين الأمومة الاجتماعية والأمومة البيولوجية، فإذا عرفنا الأمومة بأنها: "العلاقة التي تعني بتنشئة الشخص ورعايته، حينئذ ليس من الضروري (حتمًا) أن تكون المرأة أمًا بيولوجيًا حتى تصبح أمًا اجتماعيًا"[3]، وفي المجتمعات التي تطغى عليها السلطة الأبوية ينشأ المرء

---

١) أليكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول)، مكتبة دار المعارف بيروت ١٩٨٦م ص ١٧٦.

(٢) Eisonstein, Contemporary Feminist thought, (1984) p. 18

٣) المقصود بالأم البيولوجي: الأم التي تنجب الطفل، وبالاجتماعي التي تتبناه وترعاه ، وجاءت هذه التسميات بعد انتشار ظاهرة استئجار الأرحام حيث تبيع الأم طفلها بعد الولادة لامرأة لا ترغب في

عـــلى أساس أن المرأة التي أنجبت الطفل أولى برعايته وتربيته، وهي أي (روسماير) تعتبر هذا خطأ بل حكمًا غير منطقي (Unreasonable) ويتسبب في تفتيت جسم المرأة وقدرتها!! [1].

وحدث جدل محتدم (Strong argument) بين الأنثويين الراديكاليين أنفسهم وفي الـــنهاية أيدت الغالبية معاداة الأمومة البيولوجية، تقول (Ann Dakley) وهي من هـــذه الطائفة: "إن الأمومة أسطورة ذات ثلاث قواعد هي: الأولى إن كل النساء بحاجة إلى أن يكـــن أمهات، والثانية: أن كل الأمهات بحاجة إلى أن يكون لهن أطفال، والثالثة: أن كـــل الأطفـــال بحاجة إلى رعاية وتربية الأمهات. وترجع القاعدة الأولى إلى التنشئة ودور البيت والمدرسة والكنائس، والثانية إلى قناعة الناس بأن المرأة تصاب بالإحباط إذا لم تشـــبع غريزة الأمومة" وهذا رأي باطل بزعمها لأن الأمومة تعلم وكسب لاحق ولا تولد مع المرأة"، وترجع الثالثة إلى فرضيات خاطئة من مثل حاجة الأطفال إلى رعاية الأم البـــيولوجي دون غيرها، وتزعم أن الأم الاجتماعي (المربية أو الحاضنة) تستطيع القيام بأعباء الأم الحقيقي، وتقول أخيرًا: "إن الأمومة البيولوجية صناعة ثقافية، وأسطورة، مع أهداف ظالمة ضد المرأة"[2].

وتقـــول (Shulamith Firestone) مؤيدة للفكرة السابقة: "إن الطفل يعـــني للرجل: بقاء اسمه، ملكيته، طبقته، بينما للأم يعني تبرير ضرورة علقها وارتباطها بالبيت"[3] وتزعم أن حاجة الأب إلى من يخلفه وحاجة الأم إلى تبرير ربطها بالبيت حالة

=الإنجاب مقابل أجر مادي يتم الاتفاق عليه ولا يحق لهذه الأم أن تسأل عن هذا الطفل بعد ذلك!! انظر مدى الاستخفاف بالإنسان وأين هذا من حقوق الطفل!!.

(١) Rosemarie Putnam Tong , Feminist thought, Westview Press U.S.A. (1998) p. 80

٢) المرجع نفسه ، ص ٨٠.

٣)المرجع نفسه ص ٥٨.

مرضية (Pathological)، لذلك ترى أن النساء أو الشابات لا يرين أن من واجبهن أن يلدن أو أن يكون لهن أطفال، وترى هذه الكاتبة أن تربية الأطفال أفضل أن تكون في مؤسسات جماعية بدل الأسرة، كما ترى أنه ليس من الضروري أن تنجب المرأة أطفالاً بل من الممكن أن تتبنى أطفالاً، أو أن يعيش بضع من المراهقين (الشباب) مع بضع من الأطفال ولفترة زمنية محددة اختياريًا دون أن تجبر المرأة على الإنجاب[1].

ويأتي هذا الرفض الأنثوي للإنجاب والأمومة في سياق رفض كلي وقاطع لوجود أي فرق بين الذكر والأنثى يمكن أن يستند إليه في إسناد دور معين للمرأة أو الرجل، وهذه واحدة من قناعات الحركة وتبني عليها أمورًا أساسية. وتستند في هذه إلى بحوث أنثروبيولوجية ونفسية واجتماعية، تقول : بأنه يمكن تعديل أنماطنا الجنسية بل واستئصال شأفتها!! وبينت أن الرجال والنساء يولدون ولديهم إمكانيات الشدة واللين، والعدوانية والسلبية، بل الذكورة والأنوثة!! فالدور الجنسي عندهم لا تحدده العوامل البيولوجية وإنما تحدده العوامل الاجتماعية، فالميل للتسلط مثلاً ليس سمة طبيعية مميزة للمرأة أو الرجل، وأن هذه سمات نتجت من خلال الدور الإنتاجي للفرد، وليس من خلال وبسبب تكوينه التشريحي والفسيولوجي، وهذا الزعم يخالف الحقيقة ويخالف آراء أغلبية علماء الفلسفة والنفس والاجتماع والتشريح، فعلى سبيل المثال كتاب (كيف نفهم الجنس الآخر) لكريسي إيفات يحصي ستين فرقًا بين الذكر والأنثى[2]..

وفي هذا السياق تتحدث الأنثوية عن مفهوم النوع (Gender) لتحديد العلاقة بين الجنسين وتوصيفها تحاشيًا وتهميشًا لمفهومي الذكر والأنثى، وتأكيدًا على

---

١) المرجع نفسه، ص ٨٥.

٢) إعداد قسم التأليف والترجمة في دار الرشيد، طبعة مؤسسة الإيمان، دار الجديد ، ١٩٩٦، وراجع لهذا الأمر أيضًا الكتاب الرائع لـ (ألكسيس كاريل) الإنسان ذلك المجهول في ص ١٠٨، وما بعدها عن دور الغدد الجنسية في تشكيل شخصية كل من الجنسين.

المفهوم السابق الذكر في رفض أي نوع من التمييز بينهما، أو رفض أي نوع من توزيع الأدوار حتى داخل الأسرة على أساس الجنس (**Sex**) البيولوجي، وتسعى الأنثوية الآن لتعمـــيم علاقات ومفهوم النوع أي تقوم بـــ (الجندرة أو **Genderazation**) في جميع مناحي الحياة ومؤسسات المجتمع[1].

المطلب الرابع

ملكية المرأة لجسدها

نادت الحركة النسوية وخصوصًا من بعد فترة الستينات إلى شعار مؤداه أن المرأة تملك جسدها أو جسدك ملكك "**Your body is your own**" وهذه الدعوة الخطرة تقتضي أمورًا عدة منها:

١ – الدعوة للإباحية الجنسية وقد ساق الباحث أدلة كثيرة في مبحث الجنسانية على هذا ويمكن هنا لزيادة التوضيح والتأكيد أن نقول:

لقد بدأت الرائدات الأوائل للحركة النسوية حركتهن في سبيل مكاسب سياسية وقانونـــية، ولم يكـــن في خلدهن إطلاقًا أن تكون بانتظار ثورقمن السياسية ثورة نسائية أخرى تحمل اسم (الثورة الجنسية) أو (الثقافة الجديدة)، هذه الثورة الجنسية التي شاعت بين الشباب الأمريكي والأوربي منذ الستينات من هذا القرن"[2] ولهذه التسمية (الثورة الجنســـية) مـــبرراتها المنطقية لأن هذه الحركة تحدت وهاجمت جميع نطاقات المؤسسات

---

(١) يـــراجع كتاب **Eisenstein H., Contemporary Feminist Thought, (1984) p.7**

٢) مجلة عالم الفكر، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

والقـــيم التي حددت من حرية المرأة وانطلاقها سواء كانت هذه القيم والمؤسسات دينية أو مجتمعية أو سياسية أوقانونية.

وهذه الإباحية أدت إلى تداعيات كثيرة وخطيرة في المجتمع" وقد نقل الباحث فيما ســـبق إحصائية ترجع إلى السبعينيات في السويد تشير إلى أن ٩٥ % من الناس عندهم تجارب جنسية قبل الزواج" وهذه المسألة ليست قضاء نزوة أو شرب ماء أو لذة عابرة ولكنها تخلف أعقد المشاكل في المجتمع، ومن المشاكل التي خلفتها هذه الظاهرة:

(١) أمهـــات غير متزوجات وأغلبهن في أعمار المراهقة وهذه المشكلة تجعل المرأة في مواجهة خيارات كلها ثبتت بالدراسة والتحليل والإحصاء فشلها بل خطورتها وهذه الخيارات هي:

أ- الـــزواج من الأب المفترض، هذا في حالة قبول الشاب بهذا الحل، وقبولها هي بـــه زوجًـــا، وتوفر ظرف مناسب لتكوين أسرة، وتواجه هذا الحل أمور عدة ؛ منها أن الشـــاب غالبًا غير واثق من نسبة الطفل إليه، ومنها عدم قبول تبعات الزواج والأسرة، ومنها أن الزواج جاء في ظرف إجباري فهو آيل للسقوط حتمًا .. إلخ.

ب- تربـــية الطفـــل مع امتناع المرأة عن الزواج، وهذا يصطدم بعدم أهلية الأم للتربـــية، وتعارضها مع دراستها ومشاريعها الأخرى، وسؤال الولد عندما يكبر عن أبيه ذلك السؤال القاتل، وصعوبة زواج المرأة مع وجود الطفل معها إن أرادت ... إلخ من التعقيدات.

ج- تـــرك الطفل لمؤسسات التبني أو بيعه (في الحقيقة) لمن يتولون رعايته وتربيته وانقطاع صلته بعد ذلك بأمه تمامًا، وارتكاب هذه الفرية والتدليس الخطير الذي يكون أثره وصدمته للطفل قاسيًا جدًا، هذا إذا عاش الطفل أصلاً ولم يمت تحت القسوة والعنف

الموجود في الأسرة الغربية والذي يؤدي إلى هلاك الأطفال الأصلاب ، فكيف بالأطفال المتبناة، الذين لا تربطهم بالأسرة وشيجة ولا رحم.

د- أن تقوم المرأة بالإجهاض، ولأهمية هذا الموضوع وخطورته وكثرة طرحه هذه الأيام في مؤتمرات دولية سوف نخصص له نقطة خاصة.

(٢) الأمـــر الثاني الذي ينشأ من الإباحية وهو أمر خطير جدًا الارتفاع الهائل في المواليـــد غير الشرعية أو أطفال الزنا، وهذه واحدة من المشاكل العويصة التي توجد في المجـــتمعات المعاصرة لكثرة الجرائم التي تأتي من وراء هؤلاء الأطفال، حيث أنهم يتربون تربـــية مشـــوهة، ويعـــانون من الكثير من العقد النفسية، ويتربون على حقد الآخرين والسوداوية والقسوة ، ولا تعرف الرحمة طريقًا إلى قلوبهم إلا نادرًا ، وغالبًا ما يصبحون فريســـة سهلة للعصابات وشبكات تنظيم الجنس والجريمة ولذلك فهناك الآن ظاهرتان عالميتان معروفتان يشكل هؤلاء الأطفال أساسًا كبيرًا لهما:

أ- الاتجـــار الجنسي أو الاستغلال الجنسي للأطفال من الجنسين على حد سواء وتشـــير بعض الإحصاءات إلى أن وارد الولايات المتحدة من تنظيم هذا العمل الوحشي المقزز يصل إلى حوالي ملياري دولار سنويًا[١].

ب- جرائم الأحداث وعنفهم ومشاكلهم وتعلمهم فنون اللصوصية والإرهاب، والاعتداء الجنسي، والاتجار بالمخدرات وتعاطيها وغير ذلك. وهذه مشكلة باتت تؤرق العالم المتقدم (صناعيًا وماديًا) حيث إن أعلى معدل لهذه الجرائم يوجد في الدول الصناعية الأكثر رفاهية، وأصبح هؤلاء الأطفال يشكلون نسبة مقدرة من عدد المجرمين الإجمالي ، حيـــث أن ربـــع مجرمي النرويج مثلاً هم صغار الشباب[٢]. وزاد عدد الجرائم بشكل

---

١) أنتوني جيدنز، جامعة شناسي، مرجع سابق، ص ٢١٢.

٢) الدكتورة شذى سلمان (المرأة المسلمة)، مرجع سابق، ص ١١٣.

رهيب حيث لا يكاد يمضي أسبوع خلال عام ٢٠٠٠ إلا وتهز إحدى جرائم المراهقين الإعلام العالمي، وخصوصًا في أمريكا، حيث أطفال المدارس الابتدائية يعتدون على مدرسيهم أو يفتحون النار عشوائيًا على زملائهم أو غير ذلك، وحوادث العنف في ملاعب الكرة والرياضة، والفتك بالعجزة والمسنين الذين لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم والتمتع بتعذيبهم، وجرائم السطو والسرقة والخطف، وتفشي المخدرات، والانتماء للجماعات المنحرفة العنيفة والمتمردة مثل جماعات عبادة الشيطان المنتشرة حاليًا وجرائمهم الفظيعة وغير ذلك كثير.

هذه كلها من نتائج الإباحية المؤدية إلى تفكك الأسرة وزيادة أولاد الحرام، وحرمان الأطفال من رعاية ومراقبة الأسرة، والإحصائيات المتعلقة بأعداد الأولاد غير الشرعيين مهولة. حيث نشرت مجلة العربي الكويتية في عدد نوفمبر ١٩٩٣ ص ١٩٨ تحت عنوان (أهي حضارة ومدنية أم تقهقر إلى عهود الهمجية) أرقامًا صارخة عن الدول السبعة الغنية في أوروبا وهي الدانمارك، فرنسا، بريطانيا، ايرلندا، ألمانيا ، هولندا، إيطاليا ... وجمعت الدانمارك أعلى الأرقام، حيث ارتفعت نسبة المواليد غير الشرعية فيها من ٥ % عام ١٩٦٠ إلى ١١% عام ١٩٧٠ ثم إلى ٣٣% عام ١٩٨٠ لتصل إلى ٤٦% عام ١٩٩٠ أي أنها تضاعفت تسع مرات خلال ثلاثين عامًا، وفي الكثير من الأحيان يأتي هؤلاء الأطفال عن طريق مراهقات حيث تشير الإحصاءات في هذا المجال عام ١٩٩٥ إلى وجود ٦٥٠٠٠ حالة حمل سنويًا لفتيات مراهقات تقل أعمارهن عن السن المسموح به للزواج. [١]

٢- رفض الإنجاب: وهو الأمر الثاني من تداعيات اعتبار المرأة جسدها ملكها، يقول غارودي: "تميزت الحركة ببروز عنيف لمطالب النساء في سبيل السيطرة على

---

١) د.شذى سلمان، المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٨٦ -٨٧.

جسدهن الخاص، والسيطرة على عدد وتوافر مرات الحمل ورفضه أو توقيته وفي سبيل استقلال حياتهن الجنسية"[١].

٣- رفض الحجاب والستر، والتبرج والتزين والتعري: ولقد تخلص العالم الغربي مــن الســتر والحجاب منذ زمن قديم، وأصبح الحجاب خاصًا بالراهبات والمتنسكات العازفــات عن المتعة والزواج، ولا تعير الكنيسة اليوم أدنى اهتمام لهذا الأمر المهم، ومن تناقضــاتها الغربيــة أنها تعتبر الحجاب عبادة وفضيلة للراهبة أما لغيرها فلا حديث ولا اهتمام بل تعري وتزين فاحش مع اختلاط ورقصات حتى داخل دور العبادة.

ولما أن المرأة الغربية قد اقتنعت بأنها تملك جسدها فإنها ترى أن من حقها أن تلبس مــا تشــاء وكــيف تشاء وأين تشاء وأن هذا أمر خاص بها ، ولا يحق لأحد ولا حق للمجــتمع أن يقرر في ذلك شيئًا مهما لبست ، بل تعدى الأمر ذلك حيث إن الأنثوية الغربية تنكر الحجاب وتسخر منه وتعتبره رمزًا لخضوع وذلة المرأة، وأنها خاصة بالرجل وملــك له، وتعتبر أن أي نوع من القوانين في هذا المجال باطل ونوع من الإيذاء والعنف والكبت يوجه ضد المرأة، ولا تكف في هذا المجال عن الحديث بكل قسوة وفجاجة عن الحجاب الإسلامي (أي الذي تلبسه المرأة المسلمة) حتى وإن كانت المسلمة تلبس ذلك باختيارها واقتناعها" بالرغم من تشدقهم وتشدقهن دائمًا بحق الاختيار والحرية الشخصية وحــق الإنسان في اختيار ثقافته ونمط حياته"[٢] ولقد تأثرت بهذه الأفكار الكثيرات من ناشطات الحركة النسوية العربية وساير هذه الموجة.

---

١) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة) مرجع سابق ، ص ٦٠.

٢) تقــول الروائــية العراقية (فاطمة المحسن) المقيمة في لندن في لقاء مع مجلة (الأهرام العربي): "عندما أستقل حافلة في لندن وإذا بإحدى الفتيات الحسناوات تصعد وهي لا تكاد تلبس شيئًا يستر عريها، ومع ذلك أجــد الشباب حولي لا يلتفت إليها ولا يلقي لها بالاً، ولو مجرد نظرة عابرة من باب الفضول وأكون أنا الوحيدة التي أنظر إليها في دهشة واستغراب، ما أريد أن أقوله (والقول لها) هو أن الشباب الأوربي تربى

وهـذا الخطـاب يعتـبر الحجاب والالتزام بالعفة وغيرها ثقافة ووصاية ذكورية متناسـين ومتجاهلين أن الحجاب[1] أمر رباني ديني لتهذيب علاقة الرجل والمرأة إلا إذا كـانوا يعتـبرون الدين نفسه إبداعا ذكوريًا في سبيل بسط الهيمنة على الإناث، وقمع المقاومـة تحت وقع الكاريزما الدينية، وهذا ما قاله – بصراحة – دعاة الأنثوية المتطرفة عـربًا وغربـيين[2] ويربط هؤلاء – بشكل تعسفي وغير منطقي – الحجاب بالتخلف ، والحجـاب بالعنف ضد المرأة، والحجاب بالتبعية، والحجاب بالقمع والكبت، والحجاب بالإرهاب، والحجاب بالرجعية وغير ذلك من الألقاب والأوصاف التي تتكرر في أدبيات الغربـيين ومـن يقلدونهم في بلادنا، بل وصل الأمر بحكومات غربية مثل فرنسا تدعي حقـوق الإنسان وتعتبر نفسها أم الحريات أن تهز العالم كل سنة بقراراتها ومحاكماتها لمنع الحجـاب في المدارس.وتقليدًا للغرب منذ زمن بعيد منعت تركيا الحجاب وقهرت المرأة عـلى التعري لتتشبه بالمرأة الغربية ، ولحقت بها تونس بعد ذلك والمضايقات مستمرة في أكثر البلاد الإسلامية."من جانب وكلاء الغرب فالمطروح في الخطاب المعلن، هو قدر من الحداثة وقدر من الحرية. فمن حيث البداية، فإن صورة الحجاب والنقاب، وأيضًا صورة

=على مفهوم (أن المرأة تملك جسدها) وهى حرة تمامًا فيه، بعكس العربي الذي يحتقر المرأة بطبعه، ويعتقد اعـتقادًا راسـخًا أن جسـد أمه وأخته وزوجته ملك له، وحق لا ينازعه فيه أحد، بحجة الحفاظ على الشرف، والخوف من الفضيحة وسط المجتمع" وتقول نعمة خالد (أديبة فلسطينية): "مبدئي في الحياة هو أنـني إذا اختفـت همومي الجسدية سأمتلك حريتي"، مجلة الأهرام العربي، العدد ١٣٦، السنة الثالثة، أكتوبر ١٩٩٩م، ص : ٦٦، وفي المجلة نفسها يدعو الروائي السوري (نبيل سليمان): إلى أن تصل المرأة إلى الحرية المنشودة والتي هي (حرية جسدها وروحها) وحرية خروجها من الهيمنة الذكورية.

١) المقصود من الحجاب اللباس الشرعي السابغ لجسم المرأة ، لا عزل الجنسين ، ولا نقصد بالحجاب النقاب وستر الوجه أيضًا.

٢) تقول سيمون دي بوفوار : "ومن مصلحة الرجل أن يدعم بضمان الإله مجموعة القوانين التي يصنعها بيده. وخاصـة لما كان يمارس على المرأة سلطة الحاكم المطلق فمن المستحسن أن تكون هذه السلطة ممنوحة له من الكائن الأعلى المطلق، إن خشية الله تخنق عند المضطهد كل رغبة في الثورة " في كتاب الجنس الآخر ص ٢٧٣.

الـــزي الشـــعبي، في خطاب التحديث الغربي، أنها أشكال للتخلف والتأخر حيث بات واضـــحًا، أن الخطاب المتغرب يربط بين حجاب الرأس ، وحجاب العقل، وكان الأول مفض إلى الثاني، وتلك مغالطة صارخة"[1].

"وأهم المشكلات التي تثار في الخطاب العلماني، أنه يعتبر الحجاب تخلفًا، وبالتالي ينادي بنزع الحجاب، لأن سفورها طريق للتقدم، ومن هنا يصبح الحجاب خارج دائرة ممارســة الحرية، لأنه تخلف، ولا حرية في ممارسة التخلف، وعلى نفس هذا المعنى[2] فإن الخطـــاب العلماني يؤكد على أن زي المرأة الشعبية جزء من مظاهر البدائية والتأخر ... ومـــن هنا تصبح الحداثة اختيارًا فوق الحرية، اختيارًا يفرض علينا أن نتخلى عن الزي الشعبي، والحجاب ، وبالطبع النقاب، لأنها مظاهر للتأخر"[3].

ولكن مما ينبغي أن نقوله هنا، هو أن الأنثوية الغربية بالرغم من الاعتقاد المذكور سابقًا فإنها رفضت مسابقات ملكات الجمال والتعري الفاضح واعتبرت ذلك من اعتبار المـــرأة مـــتعة جنسية للرجل، وتزيد من بؤسها ووقوعها تحت سيطرته، وتكون خادمة شـــهوته، ورفضـــت فصائل عديدة منها أيضًا المبالغة في الزينة واستعمال مستحضرات التجميل واعتبرت ذلك أيضًا جزءًا من إشاعة ثقافة تهدف إلى إشباع غريزة الرجل على حساب المرأة وكون المرأة دمية شهوة وزينة ومتعة، واختزالها في بعدها الجسدي الحيواني، وأن المـــبالغة في الزينة من أخلاق وسمات المومسات، تقول (سيمون دي بوفوار): " إن المجـــتمع نفسه يطلب من المرأة أن تجعل من نفسها متاعًا جنسيًا، وأن هدف الأزياء التي تخضع المرأة لها ليس أن يبرزها كفرد مستقل، بل ليقدمها فريسة لرغبة الذكور... ليست

---

١) د. رفيق حبيب (المقدس والحرية) ، القاهرة ، دار الشروق، ١٩٩٨، ص ٩٥.

٢) والصحيح لغويًا أن يقول (على هذا المعنى نفسه) لأن المؤكد لا يسبق المؤكد وهذا من الأخطاء الشائعة في اللغة العربية المعاصرة ويقال خطأ أيضًا (نفس الحق ونفس الشيء..إلخ).

٣) المرجع نفسه ص ٩٦.

الزينة تبرجًا فقط بل هي أيضًا تعبير عن وضع المرأة الاجتماعي، والمومس وحدها تظهر الناحـــية الأولى فحسب لأن مهمتها أن تكون متاعًا جنسيًا، وما كانت تعلن عن مهنتها ســـابقًا بتغطـــية ثوبها بالورود فإنها تعلن عنها اليوم بالأحذية العالية والساتان (الأقمشة البراقة اللماعة) الملتصق بجسمها، وبتبرجها الفاضح، وعطرها الثقيل"[1].

وتدعـــو (ســـيمون) للتوسط في الزينة، لا التشبه بالرجال ولبس الخشن كما هو عـــادة المساحقات الشاذات جنسيا، والتي تشير إلى الخروج من الجنس النسائي وسوء الـــنوع، ولا التبرج والزينة الفاضحة والتي هي سمة المومسات من النساء وتقول: "وإذا كانت المرأة التي تستثير بوضوح رغبة الرجل توحي بسوء النوع، فإن التي تنفره ليست أحســـن مـــنها إذ تبدو كأنها مساحقة تقتدي بالرجال أو مصروعة تحاول لفت النظر، والأعراف هي التي تتكفل بتعيين الحد الوسط بين الحشمة وعرض المفاتن"[2].

وتؤكد الكاتبة نفسها مرة أخرى أن الجرأة في الزينة تؤكد التبعية والمتاعية للمرأة لا أكثر وتقول: "ومما يلفت النظر أن المرأة (المتحررة) في كثير من الروايات تبرز نفسها بجـــرأتها في الزيـــنة التي تظهر صفتها كمتاع جنسي، أي أنها تبرز تبعيتها"[3] وتواصل في شـــرح سيئات التبرج، والتزين وتبين ثمنه وضريبته القاسية التي تدفع من القيم وكرامة المـــرأة، بل تقول : "ولكنها عبودية في الوقت نفسه، لأن القيم التي تنجم عن الأناقة لا تأتي مجانًا، بل يجب دفع ثمنها غاليًا، لدرجة أن مفوضي الشرطة يفاجئون أحيانًا في المخازن الكـــبرى إحـــدى نســـاء المجتمع، أو إحدى الممثلات وهي تسرق عطورًا أو جوارب

---

١) سيمون دي بوفوار، كتاب الجنس الآخر، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

٢) المرجع نفسه ، ص ٢٣٤.

٣) المرجع نفسه، ص ٢٣٥.

حريرية... وبعض النساء يتعاطين البغاء أو (يقبلن المعونة)[1] كي ما يلبسن ، والزينة هي التي تحدد مقدار حاجتهن للنقود[2].

٤ – حق المرأة في إجهاض جنينها وهو مادة المطلب اللاحق.

المطلب الخامس

إباحة الإجهاض

إن الغربيين عندما اعتبروا أن المرأة تملك جسدها وهي حرة في التصرف فيه وتهب نفسها لمن تهوي من غير قيم ولا ضوابط إلا رغبتها وميولها الذاتية، وأن ذلك فعل فردي شخصـــي لا يحق للمجتمع أن يقيده ويتدخل فيه، عند ذلك زادت حالات الحمل غير الشرعي، وأصبحت مشكلة متعددة الأوجه والأبعاد، كما تحدثنا في الصفحات السابقة عن الخيارات الأربعة وما يترتب عليها من مشاكل، وبدلاً من أن يفكر الغربيون بمعالجة أصل الداء وجذره، أصبحوا يبحثون عن حلول لأعراضه، وكأن الزنا والإباحية أصل لا يمـــس ، وثابت من ثوابت المجتمع لا يتغير، وفي مسعاهم للحل طرحوا أمورًا عدة منها: تســـهيل الحصول على موانع الحمل ورفع الحظر عنها، وتوفيرها في الجامعات والمدارس، بأســـعار رمـــزية أو بـــدون سعر، وتمكين المراهقات من الحصول عليها حتى دون سن الزواج، ومنها تحمل الحكومة للنفقات الباهظة لرعاية المولود وأمه لفترة كافية بل ضمانه لحـــد البلوغ ، وعدم حرمان المولود وأمه من أية حقوق متوفرة للأم والمولود الشرعي، وتوفر دور حضانة لرعايته حتى لو تخلت الأم عنه، ومن الحلول التي طرحتها أيضًا مسألة إشاعة التربية الجنسية والتناسلية وجعلها من مطلوبات المدارس حتى في المرحلة الابتدائية لتعريف الأطفال بالعملية الجنسية المأمونة وطرق المنع، ولكن يبدو أن هذا لم يكن كافيًا

---

١) وتعني بيع الجسد دون درجة البغاء.

٢) المرجع نفسه ، ص ٢٣٥.

فطرح الإجهاض أيضًا كحل مقبول بل وضروري من قبل الحركات النسوية ومن أيدها، وطالبت الأنثوية الحكومات بإصدار تشريعات متساهلة بحق الإجهاض ، وفي فترات لاحقة طالبن بإصدار تشريع مطلق وحاسم في سبيل اعتبار الإجهاض حقًا أساسيًا من حقوق المرأة، لأنها حرة في التصرف في جسدها والجنين جزء منها فهي التي تقرر مصيره وسمت هذا (حق المرأة في الاختيار).

ويعد الإجهاض الآن أحد أهم مطالب الحركة الأنثوية في العالم تتجلى في كل مشاريعها وبرامجها ومؤتمراتها وحتى مواثيقها الدولية ، وقد كان هذا الموضوع واحدًا من أهم القضايا التي أثارت جدلاً واسعًا في مؤتمري (السكان والمرأة) في كل من القاهرة وبكين، ولقد وقف كل من الأزهر والفاتيكان موقفًا واحدًا في رفضه وإدانته، بل إن هناك الكثير من الحركات النسوية المحافظة والحركات النسوية المضادة للأنثوية (Antifeminist)، وجمعيات حقوق الإنسان ومنظمات الأسرة والحقوقيين وغيرهم في العالم الغربي يدينون هذه الفعلة المنكرة خصوصًا بعد اكتمال نمو الجنين في الجسم ويعتبرونها جريمة قتل متعمدة، فحين يعرف أنصار الأنثوية الإجهاض بأنه: عملية إنهاء حمل غير مرغوب فيه، يعرفونه هم: بأنه عملية قتل جنين غير مرغوب فيه[١]، والإحصائيات تشير إلى أن حوالي ٤٠ إلى ٦٠ مليون امرأة في العالم تحاول إجراء عملية إجهاض جنين غير مرغوب فيه وهذا يعني قتل ٤٠ إلى ٦٠ مليون جنين[٢]، إذاً فإن المسألة خطيرة جدًا، وتحتاج لوقفة حازمة إزاء هذا التدني المريع في أخلاقيات البشر في عصر وقرن يدعي حقوق الإنسان، بل حقوق البيئة والحيوان، وتفتخر البشرية بإنجازات هائلة في كل المجالات على حد الزهو والإعجاب المفرط الذي يدعي نهاية التاريخ.

---

١) دكتورة شذى سلمان، المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٨٨.

٢) المرجع نفسه، ص ٨٨.

ومما ينبغي الإشارة إليه هو أن الإجهاض بالرغم من تشريعه وإباحته في روسيا عام ١٩٢٠ وبريطانيا عام ١٩٦٧ وكندا عام ١٩٦٩ وألمانيا الغربية عام ١٩٧٦ وأمريكا ١٩٧٣ ... إلخ فإنه لم يؤد إلى انخفاض في الولادات غير الشرعية بل ظلت هي أيضًا في زيادة وارتفاع.

ولا يعــزي تأخــر بعض هذه الدول أو ترددها في تقنين الإجهاض إلى الآن إلى أســباب أخلاقــية أو دينية بقدر ما يرجع إلى خوفها الشديد من النقص السكاني، وقلة الخصــوبة الموجودة عندهم – بالرغم من تكدس ثروات العالم لديهم– بالمقارنة بالدول النامــية الفقيرة والتي تشهد طفرات هائلة في الزيادة السكانية تهدد المستقبل الديموغرافي في العــالم من وجهة نظر الأغنياء في الغرب ، وليس أدل على ذلك تأييد هذه الدول بل وصياغتهم المواثيق الدولية الداعية لتنظيم الأسرة وتحديد السكان سواء بموانع الحمل أو الإجهاض أو غير ذلك من الوسائل ، فالهدف التقليل قدر ما أمكن من عدد السكان في الــدول النامــية حتى لا يتزاحم الفقراء على موائد الأغنياء، وهذا التوظيف السياسي للإجهــاض يــبرز أكثر حينما يتعلق الأمر بالشرق الأوسط الإسلامي لوجود الصراع الإسلامي – الصهيوني، وتخوف الصهاينة ومعهم الأمريكان وبعض الدول الأوربية على مستقبل اليهود وسط المحيط السكاني الإسلامي.

ولكن بالرغم من التسييس السابق الموجود، فإن جهد الحركات الأنثوية لا شك كــان له الدور الأعظم على المستوى المحلي للدول، وللحركات هذه أكثر من سبب في دعم الإجهاض وإيجاد مخرج قانوني له، ومن هذه الأسباب: رفض الأسرة والإنجاب أصلاً كمــا ســبق بــيانه ســواء بطريق شرعي أو غير شرعي، ثم تعويق الولادة لحرية المرأة وانطلاقها في تحقيق ذاتها، غلبة دورها الإنجابي على الدور الإنتاجي، والمشاركة القيادية في مجــالات الحــياة العامــة، ومــن الأسباب زيادة الفقر والحاجة في الوسط النسائي بعد الــولادات. وهذا الأمر الأخير كان مهما أكثر عندما لم تكن هناك ضمانات اجتماعية

كافـــية، وأهميته باقية في الدول التي لا يوجد فيها هذا الضمان حتى الآن، ومن الأسباب المهمة أيضًا لجوء المرأة إلى الإجهاض بشكل سري وفي عيادات غير مؤهلة صحيًا وعلميًا أو لجوء المرأة إلى طرق خطرة وغير علمية في الريف للتخلص من الجنين طالما كان الحظر باقـــيًا، ومن الأسباب أيضًا فقدان المرأة بالولادة بعضًا من جمالياتها الجسدية والتي تعتبر رأس مال مهم في زمن التنافس على الإغراء ، والتسابق في المتعة والزينة ... وهلم جرا.

وأخـــيرًا بقي أن نقول إن من شدة اهتمام الأنثوية بهذا المطلب أن هناك منظمات نســـائية حملت مثل هذه الأسماء: "الرابطة القومية لممارسة حق الإجهاض" أو بالإنجليزية: **National Abortion Rights Action League** ويعـــتقد مؤيدو هذه الحركات أن المرأة هي التي تلد ، وهي التي تتحمل نتائج الولادة، وأن الجنين جزء منها فبالـــتالي الإجهاض يكون من حقها فقط ولا يحق للأطباء ولا للآباء البيولوجيين وبطريق أولى ليس لغيرهم (مثل المجالس النيابية والمحاكم) أن تصدر قانونًا يمنع المرأة من هذا الحق، وقـــالوا إن النســـاء يمارسن هذه العادة بالرغم من وجود حظر قانوني، ومارسنها مئات الآلاف مـــن المرات وسيمارسنها مستقبلاً مع بقاء القانون. والفارق هو أنهن يمارسنها في وضـــعيات خطرة وأماكن غير مؤهلة وبالتالي تشكل خطرًا على صحتهن ولن يستطيع القانون منعهن، إذًا الأولى فك هذا القيد والحفاظ على هيبة القوانين بإلغاء قانون هو غير عملي ولا يطبق فعليا بل ينتهك كل يوم في كل مكان[1].

ورد مخـــالفوهم عـــلى هذه الادعاءات، والجدل ساخن إلى هذه اللحظة، ولعل الـــدول الغربـــية وخصوصًا أمريكا لا توجد فيها قضية أكثر سخونة وجدلية من هذه القضـــية مـــن بعـــد السبعينات وإلى الآن، ولا زالت تدرج كقضية مهمة في البرنامج الانـــتخابي للأحـــزاب وخصوصًا الحزب الديمقراطي الذي يناصر الإجهاض والشذوذ

---

١) عبد الله محمدي، (حكومت أشنايي باعلم سياست)، مرجع سابق، ص ٢٥.

وغيرهما من فضائح المجتمعات المعاصرة، "ولقد وصل الخلاف في أمريكا حول هذه المسألة إلى حد المواجهة المسلحة، فقد شهدت البلاد الكثير من الاغتيالات ضد الأطباء الذين يقومون بإجراء تلك العمليات، وانفجرت عشرات القنابل في عيادات الإجهاض، كما تم تخريب العشرات منها، وتلقى العاملون فيها والراغبات في إجراء العملية خطابات تهديد، واضطر الأطباء إلى ارتداء القمصان الواقية من الرصاص، كما قام مناهضو الإجهاض بتنظيم مظاهرات عديدة وترديد شعارات صاخبة لعدة ساعات أمام العيادات والمستشفيات"[1].

المطلب السادس

الشذوذ الجنسي وبناء الأسرة اللانمطية

الشذوذ الجنسي ظاهرة قديمة جدًا وخصوصًا في المجتمعات الغربية ومنذ زمن اليونان كان هناك فلاسفة يعترفون به ويدعمونه بالتبريرات الفلسفية، ويقال بأن أفلاطون كان منهم[2].

جاءت الأديان لتعتبر أن هذه فعلة شيطانية منكرة تأباها النفوس الطاهرة، بل حتى الحيوانات لا تعرف مثل هذه المعاشرة ولعل انشغال نبي الله (لوط) عليه السلام بمحاربة هذه السيئة جعلها تعرف (باللواط) [3].

---

١) مجلة السياسة الدولية، العدد (١١٨)، أكتوبر ١٩٩٤، ص ٧٧.

٢) "سيد الفلسفة الإغريقية (أفلاطون) كان يأسف إنه ابن امرأة وظل يزدرى أمه لأنها أنثى، وكان يرى أن الحب الحقيقي هو ما كان بين الرجل والرجل، ويرى الجمال المبهج في الشبان" نقلاً عن فؤاد زكريا دراسة لجمهورية أفلاطون (المرأة واللغة) عبد الله محمد الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٧، ص ٢٧.

٣) وهذه تسمية منكرة لربط الفاحشة (حسب التسمية القرآنية) بهذا النبي العظيم وأصله (عمل قوم لوط).

ومـــع تصاعد الموجة الجنسانية الحديثة، وتمرد الغربيين على كل القيم والأعراف والأديان، وميلهم لتقديس كل نزواتهم وغرائزهم والاستجابة لها بأية وسيلة، ثم الإباحية المفرطة التي أدت إلى انصرافهم عن النساء بحثًا عن تنويع اللذة وتكثير التجربة الجنسية، كل تلك وغيرها دفعت بهم إلى معاداة هذه الفاحشة وعلى نطاق واسع وبشكل جماعي، كتـــيار جـــارف شمـــل كل شرائح المجتمع، ففي حين كانت هذه الفاحشة فردية وسرية أصـــبحت منذ الستينات جماعية وعلنية ونظم أهلها أنفسهم في تنظيمات متعددة وبأسماء متعددة للمطالبة بحقوقهم أو بحقوقهن سواء الذكور الذين يعرفون بـــ (Gay) والإناث اللاتي يعرفن بـــ(Lesbian) ويطالبون بأمرين:

(١) الاعـــتراف بهذه الفعلة كأمر طبيعي والنظر إليها كحرية شخصية، بل نوع خـــاص مـــن المعاشـــرة، وأنها حق من حقوق الإنسان ويعتبر الاعتراف بها إنجازًا قانونيًا وإضافة للحريات الإنسانية الأساسية (في نظرهم ونظر من يؤيدهم).

(٢) إصـــدار قوانـــين تعـــترف بهؤلاء كأسر شرعية تملك كل الحقوق الطبيعية للأسرة.

وتطـــور هـــذا الأمر في العالم الغربي إلى حد أن تورطت فيه شخصيات كبيرة في المجتمع الغربي من السياسيين وأهل الفن والإعلام والرياضيين وأساتذة الجامعات ورجال الأعمـــال، بل حتى وصل الأمر إلى رجال العبادة في الكنائس وفي أعلى المراتب الكنسية "، فقد عين في نهاية عام ١٩٩٤ في (درم) وهي مدينة تاريخية عريقة في شمال شرق انجلترا أسقف (مطران) كان قد حكم عليه في قضية شذوذ ارتكبها قبل ثلاثين عامًا، والمنصب الـــذي احـــتله باحـــتفال تقليدي ضخم حضره كبار رجال الكنيسة الإنجليزية وقاطعه بالصياح مناصرو الشذوذ لأنه نفى عن نفسه تهمة الشذوذ فاعتبروه يتنصل عن طبيعته، ومنصـــبه أحد أهم أربعة مناصب في الكنيسة الإنجليزية. كما أن جمعية مناصري الشذوذ

هـــذه أعلنت أنها بعثت برسائل إلى عشرة أساقفة في بريطانيا ترجوهم فيها الإعلان عن مـــيولهم الحقيقية (كالشذوذ) وعدم إخفائها، وقد أدى ذلك إلى إعلان اثنين منهم، وهما أســـقف (غلاســـكو) الكردينال (هيوم)، وأسقف لندن (ديفيد هوب) عن انتمائهما إلى صـــنف معاشـــري المثل"[١]. وهذه الأمور أدت ببعض الكنائس إلى إباحة الشذوذ وعقد زيجات من هذا النوع[٢] .

وأما ما يتعلق بالحركات الأنثوية فإنها تنظر إلى المسألة علاوة على ما سبق وبالقدر المتعلق بالمرأة السحاقية على أنها:

- وسيلة لكي تتخلص المرأة من تبعيتها للرجل.

- تخلص المرأة من سطوة الرجل وعنفه.

- تخلصها من مشاكل الولادة والإنجاب والأمومة.

- تثبـــت المرأة من خلالها أنها تستطيع أن تستقل بذاتها وتستغني عن الرجل تمامًا وفي كل شيء وهي بهذه الطريقة تثبت نديتها ومساواتها المطلقة.

---

١) د. شـــذى ســـلمان، (المـــرأة المسلمة)، مرجع سابق، ص ١٢٣، ومعاشرة المثل أو المثليين تعبير آخر عن الشذوذ وأصحابه..

٢) كمثال أصدرت الكنيسة البروتستانتية في النمسا قرارًا يقضي بإفساح المجال أمام عقد الزيجات الشاذة التي ترفضـــها الكنيسة الكاثوليكية، والدوائر الحكومية في البلاد على حد سواء ، صدر هذا القرار في مدينة (بـــريجنز) عاصمة مقاطعة (فورالبرج غربي النمسا) - مجلة المجتمع العدد ١٣٧٧، الصادرة في ١١/٣/ ١٩٩٩، ص ١٤.

– المساحقة مسألة غريزية فطرية لدى المرأة حسب زعمهن. [1]

– أسلوب من أساليب التمرد يلجأ إليه الفرد المتمتع بالسيادة والمتحكم في مقومات حياته ضد تحوله إلى فريسة جسدية، وهذا يفسر انتشار السحاق بين الرياضيات[2] وكذا النساء (ذوات الرأس والملك) اللواتي يصبح الاستسلام بالنسبة إليهن غالبًا أمرًا صعبًا أو مستحيلاً ولو كان بشكله الجسدي، ويجد هذ التحليل دليله ومبرره في أي معاشرة حيوانية تختزل إلى حد المتعة الجسدية للرجل فقط من دون أن تجد المرأة فيها حظها من المتعة والرقة والحنان، فهي تشعر بالتالي بأنها تخدم نزوات الرجل وأنها فريسة ودمية[3] أما المعاشرة الإنسانية الصحيحة التي تجد فيها كل طرف متعة وحنانًا وحبًا فلا يمكن فهمها على أنها استسلام.

وإذا كانت (سيمون دي بوفوار) لم تجزم بكون السحاق المخرج المفضل للمرأة بل اكتفت بقولها: "إنما هو موقف تتخذه المرأة كرد فعل على أوضاعها في المجتمع .. وقد يؤدي في بعض الحالات إلى عدم التوازن والفشل والكذب والرياء، أو يكون على العكس مصدرًا للتجارب الخصبة في حياة المرأة"[4] فإن الأنثوية المعاصرة بعد الموجة

---

1) تقول سيمون دي بوفوار في (الجنس الآخر)، ص ١٤١ "أن يديها (أي المرأة) لتحن إلى ضم الجسد الناعم، واللحم الغض، وأنها لتتمنى في جميع فترات حياتها أن تمتلك كرًا مماثلاً للكر الذي تمنحه للذكر، وهذا يفسر لنا بقاء بعض الميول السحاقية لدى عدد كبير من النساء".

2) حسب تحليل سيمون دي بوفوار في المرجع نفسه، ص ١٤٣

3) تريد دعاة الأنثوية بهذه الفاحشة المنكرة أن ينشدن المساواة والتخلص من علاقة الخضوع والسيطرة الموجودة بين الرجل والمرأة ولكن من المعروف أن السحاقيات أيضًا ينقسمن إلى من تمارس دور الذكر ومن تمارس دور الأنثى في هذا النوع من المعاشرة أيضًا حسب قوة شخصية إحداهما أو جاهها أو ثروتها أو طبيعتها النفسية أو التوافق .. إلخ.

4) كتاب (الجنس الآخر) ص ١٤٥، وقد ألفت هذا الكتاب في الخمسينات.

الراديكالية" اعتبرت الشذوذ الجنسي شكلاً محتملاً للخروج من سيطرة الرجل، وبديلاً ملائمًا للتخلص من هيمنته، أي تم الانتقال من المساواة إلى الاستعلاء ثم الاستغناء ...

ثم اكتسبت (حركة الشذوذ) في ظل النسوية أبعادًا فلسفية، إذ بدأت دراسة الشذوذ تتجاوز الأبحاث التطبيقية المتناثرة إلى دراسات تنظيرية، ثم تطور الأمر إلى أن أصبح الشذوذ النسوي (رؤية معرفية) ذات أبعاد مختلفة منها البعد السياسي، حيث تم طرح فكرة (مجتمع نسوي خالص) وقدمت تصورات للسلطة والدولة"[1] مجتمع نسوي "يوفرن فيه سائر متطلبات حياتهن دون حاجة إلى الارتباط بالرجال بأية صورة من الصور"[2] وتحقيقًا لهذا الهدف وتوفير مثل هذا المجتمع فإن منشورات الخلايا النسائية كانت تتضمن مبادئ مثل "حض غير المتزوجات على البقاء من غير زواج، والمتزوجات بهجر أزواجهن، وتحذير النساء من العلاقات الجنسية (أي مع الرجال) ، ومن الحمل، ومن شراء أدوات التجميل"[3].

وتطور الأمر بعد ذلك ، وصَعَّدَت الأنثوية لهجتها، واعتبرت العلاقات الجنسية الطبيعية (Hetero Sexual) أمرًا مرفوضًا بشكل قاطع لأنها مفروضة على المرأة من قبل السلطة الأبوية (Patriarchy) لأن المرأة تستطيع إشباع رغباتها عن طريق المرأة كما تقول (Julia Kristeva)[4]. بل وصل الأمر إلى حد أن يعتبر السحاق شرطًا لاعتبار المرأة من مؤيدي قضية المرأة أو أن تكون أنثوية حقيقية حين قالت (Adrienne Rich) في مقالتها عن (الممارسة الجنسية الشرعية) بأنه إذا

---

١) هبة رؤوف، (المرأة والعمل السياسي)، مرجع سابق، ص ٦٤.

٢) مجلة عالم الفكر، (مرجع سابق)، ص ٢٦٩ ، مقالة فتحية محمد إبراهيم.

٣) من الأمور التي رأتها المؤلفة (سارا ديفيد سون S. Davidson في منشورات الخلية النسائية رقم (١٦) في بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية ، كما تنقلها فتحية محمد إبراهيم في المرجع نفسه.

٤) Rosemarie, Feminist Thought ، مرجع سابق، ص ٧١..

أرادت المرأة أن تكون أنثوية حقيقية (True Feminist) فعليها أن تكون سحاقية أو (She must became a Lesbian) حسب التعبير الإنجليزي، وعليها أن تتخلى عن كل الأفكار التي تؤرقها وتجعلها تحس بأنها شاذة ومريضة ومجنونة، فقط لأنها تمارس الجنس مع النساء بدلاً من الرجال(١).

المطلب السابع

إعادة صياغة اللغة

أو ما يسمى في الغرب بـــReconstruction of Language

وهـــذه الدعوة تجد مبرراتها في اللغات عامة واللغات الغربية والإنجليزية خصوصًا حيث إن هناك أكثر من دليل على أن صياغتها تعكس النظرة والثقافة الغربية التي لم تنظر إلى المرأة نظرة مساواة وأنها إنسان سوي مثل الرجل، بل كانت الدونية تلاحقها، وبنيت المجتمعات على أساس إقصائها من الحياة وأن تكون وظيفتها خدمة الرجل وإشباع رغباته وحاجاته.

ولإثـــبات ما يمكن تسميته بالتحيز للذكر يمكن ملاحظة الكلمات الآتية في اللغة الإنجلـــيزية والتي تدل على تبعية المرأة للرجل وعدم إمكان وجودها مستقلاً كإنسان إلا من خلال الرجل:

---

١) المـــرجع نفســـه، ص ٧٠، ولقد تطور الاهتمام الأكاديمي بالشذوذ في الغرب إلى حد إصدار موسوعة من جزئين عن كل ما يتعلق بالموضوع تاريخًا وفلسفة وممارسة، ويذكر المحرر في مقدمتها أنها "خطوة من أجل فهم وتفهم الدراسات الأكاديمية للشذوذ في إطار السعي لتكريس التسامح تجاه الشواذ فكريًا وواقعيًا" انظر هبة رؤوف (المرأة والعمل السياسي) ص ٦٤.

Wo-man

Man **Hu-man**

Man-Kind

حيث تكون المرأة مجرد إضافة لفظية إلى الرجل، ولو حذفنا كلمة رجل **(man)** لضاعت وسائل المرأة من الوجود في اللغة، وكذا مصطلح الإنسان **hu-man** ومصطلح البشرية **man kind**، إن الرجل في مركز التكوين اللغوي، وتدور حوله سائر المصطلحات، فهو القطب والمركز مثلما أنه ضمير اللغة وسر تركيبها المورفولوجي (الفيزيائي والصرفي)[١] وإذا أريد في الإنجليزية مثلاً أن يشار إلى كاتبة قالوا **(Woman writer)** لأن الأصل فيها هو المذكر (كاتب) ولإجراء التأنيث يجب إلحاق اسم (المرأة) وهكذا (عالم امرأة، فنان امرأة، وعامل امرأة ...إلخ)، وبسبب اختزال الإنسان في الرجل عند الأوروبيين يقع مترجمونا في التباسات كثيرة عند النقل من إحدى اللغات الأوروبية فيثبتون كلمة (رجل) في مصطلح قد يكون مشتركًا بين الجنسين[٢]. ويظهر هذا الانحياز الذكوري في كلمات أخرى كثيرة، في أسماء البشرية أيضًا **(fore fathers)** و **(average man)** وفي أسماء المهن يقال **(chair man)** بدل

---

١) عبد الله محمد الغذامي، (المرأة واللغة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٢..

٢) هادي العلوي (فصول عن المرأة)، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٠ ويقول (هادي العلوي): "اللغات السامية من أكثر اللغات تمييزًا بين المذكر والمؤنث، ويتقاسم التذكير والتأنيث مفرداتها وأدواتها بالمناصفة، وليس ذلك بسبب الحاجز الاجتماعي بين الجنسين كما يزعم الأكاديميون الغربيون الذين يبحثون في أمور الشرق بأسلوب الصحف الشعبية في بريطانيا، وإنما يرجع إلى المكانة التي تمتعت المرأة بها في الحضارات السامية... انعكس ذلك في التشريع كما انعكست في بروز التأنيث في لغاتها ولا تعكس اللغات السامية ما تعكسه اللغات الأوروبية من ذكورة طاغية لظهور الأخيرة في مجتمعات أبوية مكتملة، فالرجل في اللغات الأوروبية هو الإنسان، والإنسان هو الرجل".

(chair person) و (male man) بـــدل (male carrier)، وأخـــذت الـــترجمة الحرفـــية في العربـــية فيقال كلمات مثل (رجال الإطفاء، رجال الدين، رجال الأعمال، رجالات الدولة، رجال السياسة ... إلخ) ، وكل هذا تقليد للظاهر الوارد في اللغـــات الأوروبـــية، وفي الفرنســـية ترى هذه الظاهرة بالحكم نفسه فيقال للجنسين (homes) ويستخدمون تعبير (homme droites de) والذي يدل على حقوق البشـــر عامـــة وحقوق الرجل خاصة بدل (l'droits des humains) الشامل للجنسين[1].

وقـــد تحدثنا فيما سبق عن تحليل كلمة التاريخ (his-story) والتي تعني تاريخ الرجل دون المرأة. ولا شك أن اللغة تعبير عن الثقافة والرؤية المعرفية الخاصة، وتعبر عن مفاهـــيم الحضارة التي تنشأ فيها هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن اللغة أداة خطيرة لتكريس ثقافة معينة وإشاعة معانيها بين الناس وذلك للإرتباط المحكم بين الدال والمدلول وتداعي المعاني المرادة للذهن مع النطق بالكلمة.

في هـــذه الأجواء وبعد إدراك الغبن السابق في اللغات الأوروبية ، وخطورة دور اللغـــة في التبشـــير بمفاهيم الأنثوية ، فقد سارع دعاة الحركة إلى طرح انتقادات واسعة للغات الغربية والنصوص الأدبية وحتى النصوص المقدسة الدينية، وطالبن بإعادة صياغة اللغة، وإعادة صياغة الكتاب المقدس والضمائر الموجودة فيه، وفي هذا المسعى "أسهمت الحركات النسائية في تشجيع إصدار طبعة جديدة من كتب العهد القديم والجديد أطلق علـــيها الطبعة المصححة politically corrected bible في عام ١٩٩٤، وتم فيها تغيير الكثير من المصطلحات والضمائر المذكرة، وتحويلها إلى ضمائر حيادية مراعاة

---

١) أندره ميشيل (بيكار باتبعيض حينسي)، ترجمة محمد جعفر بيونده، مؤسسة انتشارات نكاه، طهران، ١٣٧٦ هـــ ش ، ص ١١٤ و ص ١١٧.

للفمـــترم ، كما خفف تأثير الكلمات التي تصف الشذوذ الجنسي عند الناس[1]. وهناك مـــن جهلـــة المســـلمين المتأثرين بهذه النزعة، أو بعقدة الأنوثة والذكورة في كل شيء، ولجهـــلهم بطبيعة اللغة العربية يتساءلون عن سبب استخدام القرآن لضمير المذكر عند الحديـــث عـــن الله ، وربما يكون هذا وارد في الديانة المسيحية التي حددت جنس الإله (الابن) واستعملت (الأب) لله وغير ذلك، – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا – ، وهذا التذكير لله تعالى سبب ولا شك في إحداث لبس في الفكر الغربي كما أنه سبب لتكريس وتقديـــس الســـلطة الأبوية بالمفهوم الذي كان سائدًا في المجتمعات الرومانية واليهودية والذي استمر فيما بعد إلى عهد قريب عن طريق انتقال المفهوم للديانة المسيحية والإرث الـــثقافي الغـــربي عمومًـــا، ولكن القرآن نزه الله عن ألفاظ الابن والأب وكل ما يوحي بـــالذكورة والأنوثـــة، وضـــمير المذكر راجع للفظ الجلالة الذي لا توجد فيه علامات التأنيث المعروفة في اللغة العربية.

وفي هـــذا السياق تأثرت الأنثوية بالمدارس الفلسفية المعاصرة وخصوصًا مدرسة (التفكيكية **Deconstructionalism**) والتي تذهب إلى نسبية اللغة، انطلاقًا من شـــك مطلق في دلالات الألفاظ، واتهام اللغة بأنها تفتقر إلى الصلة بين الدال والمدلول، وأنـــه لا توجد علاقة حتمية بين الدال والمدلول، الأمر الذي يؤدي إلى مراجعة كل لفظ ومفهوم بشكل كامل ويؤدي للحيلولة دون استقرار المفاهيم وتراكمية العلم.

---

١) الدكتورة شذى سلمان، (المرأة المسلمة)، مرجع سابق، ص ١٢٢، وتعقب على ذلك وتقول: ولا عجب في هذا فالتغيير في كتبهم المقدسة هي ممارسة مستمرة عندهم منذ أن كتبت هذه الكتب لأول مرة. لذلك اعـــتمدت كـــل كنيسة العديد من الطبعات على مر تاريخها، إضافة إلى اختلاف الطبعات الخاصة بكل كنيسة، ولقد ذكر الله هذه الممارسة في القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنًا بقوله الكريم: ﴿"فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾، (البقرة : ٧٩).

انطلقت الأنثوية المعاصرة من مقولة (ميشال فوكو): "أن من يملك السلطة يملك اللغة"، وبهذا فسروا اللغات الأوروبية ونصوص الكتاب المقدس وشككوا فيها لأنها (من صنع الرجل)[1]. وليست هناك خطورة في مراجعات كلمات معينة أو مصطلحات غير دقيقة الصياغة أو كتابة نصوص تحابي المرأة بضمائر التأنيث، وإنما الخطورة تكمن في أن الأنـثوية تحـاول أن تفرض كلمات معينة ومصطلحات خاصة وجديدة تعبر عن رؤيتها للعـالم وفكرها الخاص عن كل القضايا التي طرحناها (وهي شاملة ومتعددة الجوانب). وبهـذا الشـكل فإنها تريد تزييف المعارف الإنسانية والتمهيد لترسيخ ثقافة خاصة بها، وخلـق قـيم جديدة وتكريسها عبر الوعاء اللغوي وعلاقة الترابط الموجودة بين الدال والمدلول.

إن اللغة لا تأتي من فراغ وعملية صياغة وتحرر المصطلحات الآن أصبحت علومًا وتخصصـات، وعـند صـياغة أي مفردة تتم دراسة علاقتها بالجذور الفلسفية وظلالها وإيحاءاتهـا الفكـرية والثقافية وحتى النفسية، ولا بد من دراسة علاقة المصطلح بالبيئة والـتجربة التاريخـية لمجتمع معين "وهو ما جعل مدخل الغزو الثقافي والتمكين للسيطرة الأجنبية هو إحلال مفاهيم الأمة بمفاهيم الآخر التي يتم تسويقها سياسيًا وأكاديميًا، كي يمكن احتلال عقل الأمة ووعيها تمهيدًا لاحتلال أبنيتها واستلاب حضارتها"[2].

يـبين الدكـتور (محمـد عمـارة) خطورة أن نأخذ القول القائل "لا مشاحة في الاصطلاح" على عمومه وشموله، وأن لا ننتبه إلى المضامين التي تحملها المصطلحات والتي هـي أدوات وأوعـية لحمل رسالة معينة، ومضمون معين نشأ وولد وترعرع في سياق فكري وحضاري محدد ، ويقول : "وإغفال هذا التمايز ، عندما تعبر المضامين والمعاني عن التمايز الحضاري للحضارات المختلفة، هو باب واسع للخلط والتشويه المعرفي يجعل من

---

١) هبة رؤوف، (المرأة والعمل السياسي)، مرجع سابق، ص ٧٠-٧١

٢) د.شذى سلمان ، المرأة المسلمة، مرجع سابق، ص ٧١

القـــاموس – المعـــرب مـــثلاً – والذي لا ينبه على تمايز مضامين المصطلح الواحد في الحضارات المتمايزة أداة لتزييف وعي أبناء الحضارة المتلقية لهذا القاموس، تزييف لوعيهم بالمضـــامين المتميزة لهذه المصطلحات في حضارتهم، وأداة تبعية وإلحاق لهم بالحضارة التي أحل هذا القاموس مفاهيمها لهذه المصطلحات محل المفاهيم المتميزة لها في حضارتهم التي ينتسبون إليها"[1].

ويقـــول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "مزاوجة الدال بالمدلول اختيار واجتهاد وتحـــيز، ولا يهم من منظور هذا البحث (بحثه هو) إن كان التحيز واعيًا أم غير واع " ، ويقول: "حينما ننتقل إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية فالصورة تصبح مركبة إلى أقصى حد للأسباب التالية:

١– كـــل دال مـــتجذر في تشكيل حضاري فريد، له لغته المعجمية والحضارية الفريدة، لذا فالدال مرتبط بسياق حضاري محدد ويشير إلى ظواهر بعينها دون غيرها.

٢– الـــدال بطبيعة الحال لا يشير إلى مدلول خارجي وحسب، وإنما يحتوي على وجهـــة نظر من صكه وزاوية رؤيته واجتهاداته، وتزداد الأمور تعقيدًا إذا كانت الدوال ذات طابع عقائدي من مصلحة فريق ما الترويج لها"[2].

---

١) (إشـــكالية التحـــيز)، تحرير الدكتور عبد الوهاب المسيري، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، في أمـــريكا ، الجـــزء الأول، ص ١٢٧، مـــن بحـــث للدكتور محمد عمارة حول: (الخصوصية الحضارية للمصطلحات).

٢)(إشـــكالية التحـــيز)، تحرير الدكتور عبد الوهاب المسيري، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، في أمـــريكا ، الجـــزء الأول، ص ١٢٧، مـــن بحـــث للدكتور محمد عمارة حول: (الخصوصية الحضارية للمصطلحات)، ص ١٦٦

عندما تطرح الأنثوية كلمات من مثل: (Gender) لوصف علاقة الجنسين أو كلمة (Partner)، أو (Spouse) للتعبير عن الزوج، وكلمة (Feminism) للتعبير عن حركة النساء و (Biological Father) للأب الشرعي، وتسمي أي تدخل للوالدين في صالح أبنائهم وتربيتهم (Patriarchy)، وتسمي دعم المرأة (Empowerment)، وتسمي الطاعة الزوجية بـ (Power relation) وتوسع مفهوم الأسرة (Family) لتكون هناك (Traditional) تقليدية وأسرة غير تقليدية، أو لا نمطية خاصة بالشاذين جنسيًا أو مجموعات إباحية تعيش مع بعض ... إلخ، فإن الذي تغير ليس حروفًا وكلمات وإنما مضامين ومعاني وثقافة وفكر، وإن إشاعة هذه الكلمات وترسيخها والدعوة إليها سوف تؤدي إلى ترسيخ (Family)، وتسمي الطاعة الزوجية بـ (Power relation) وتوسع مفهوم الأسرة (Family) لتكون هناك (Traditional) تقليدية وأسرة غير تقليدية، أو لا نمطية خاصة بالشاذين جنسيًا أو مجموعات إباحية تعيش مع بعض ... إلخ، فإن الذي تغير ليس حروفًا وكلمات وإنما مضامين ومعاني وثقافة وفكر، وإن إشاعة هذه الكلمات وترسيخها والدعوة إليها سوف تؤدي إلى ترسيخ أفكارها وتغير المفاهيم والقيم التي استقرت عليها حتى الآن، والأمر يكون أخطر عندما يتعلق الأمر بصياغة المواثيق الدولية الخاصة بالسكان والمرأة والطفل وغير ذلك، لأنها بعد المصادقة عليها تصبح ملزمة، وتفسر الكلمات الواردة فيها حسب معجم الأنثوية واضعي هذه النصوص والذين يسمون الأشياء بغير أسمائها تمهيدًا لاستباحتها، فلا يقولون الإجهاض وقتل الجنين، وإنما يقولون (حق المرأة في الاختيار) وغير ذلك[1].

---

١) ولقد أشار القرآن في آيتين إلى خطورة التلاعب بالألفاظ عندما تحدث عن أخلاقيات اليهود في هذه المجال:
﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الآية ٤٦ سورة النساء وورد في سورة البقرة الآية (١٠٤):

المطلب الثامن

إلغاء دور الأب في الأسرة

من خلال رفض (السلطة الأبوية)

الأبوية تعني: حكم الأب المطلق داخل الأسرة، وتركز القرار كله في يده، وهذا مفهوم خاص بالغرب وراجع إلى إرث الحضارة الرومانية ومن بعده الأسرة اليهودية التي كرست المفهوم وأكدته، وانتقل جيلاً عبر جيل حتى بدأ يزول مع الحداثة، وبعد مراجعة ونقد ذاتي للقيم الغربية من رؤى مغايرة.

والديانة المسيحية – التي كانت من المفترض لها أن تقوم بدور ضبط هذا المفهوم وتصحيح ممارسته – زادت من ترسيخ المفهوم وإصباغ الشرعية عليه بعد التحريفات التي حصلت فيها عبر الكثير من الطرق منها: التأكيد على مفهوم الإله الأب والابن (أي الذكر) وتسمية وتشبيه المولى (عز وجل) بالأب وإطلاق كلمة الأبناء على عبيد الله، وهكذا يتبادر إلى الذهن أن الأب سلطته مطلقة كما أن الرب الأب سلطته مطلقة ... ومن خلال عدم الاحتفاء بالنساء في الإنجيل بتدوينه البشري وعدم تسجيل مجاهدات المرأة وحتى عدم حضور يذكر للسيدة مريم العذراء، ومن خلال الصياغة والتفسير المنحازين[1] الذين يعكسان قوة نظام الأسرة الأبوية في ذلك الزمان ورسوخه، ويعكسان تهميش المرأة وعدم حضورها في الساحة ... إلخ، حيث "إن هذه المجتمعات (اليونانية) و

= ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. وتناول هاتين الآيتين بدراسة مستفيضة أمر مهم لبلورة رؤية واضحة في هذا الموضوع.

١) صياغة الإنجيل الموجود حاليًا لا شك في أنه بشري كتب بعد وفاة السيد المسيح عليه السلام بفترة طويلة جـدًا، ولهذا فلا غرابة أن يحدث أي شيء من مثل أن تراعى الصياغة أو تعبر عن قيم كانت سائدة في تلك المجتمعات وذلك الزمان.

(الرومانـــية) لم تتسم بالانتشار الأقصى للرق فحسب، بل باستبعاد بالغ القسوة للمرأة، والمـــرأة اليونانـــية تحبس في الحريم ولا تساهم بشيء في الحياة الاقتصادية والسياسية أو الثقافية للمدينة باستثناء الحالات النادرة جدًا المتعلقة ببقايا الترف والمحظيات، وفي روما ليس للعبد كما ليس للمرأة أي كيان في القانون الروماني"[1]

قلنا إن السلطة الأبوية (البطرياركية **Patriarchy**) مرتبطة بواقع تأسس زمن اليونان والرومان، حيث كانت الأسرة في ذلك الزمان لا تحتوي الوالدين وأبناءهما فقط وإنمـــا الرجال عدد من الأزواج والسراري والأولاد من الزوجات والجواري وزوجات الأولاد والأحفاد والعبيد ... ويرأس هذا كله أب مسيطر متنفذ ومن صلاحياته:

١– يحق له أن يتخلص من المولود المعاق أو المشوه أو الأنثى أو غير المرغوب فيه بالغطس أو الخنق أو رميه للوحوش ... إلخ.

٢– رب الأســـرة هو الذي يملك فقط والبقية كلهم من أولاد وزوجات وعبيد وخيول وأثاث ... كلها تعتبر من أملاكه، وهو حر في التصرف فيها، وله أن يحرم الأبناء أو بعضـــهم أو يفضـــل بعضهم على بعض ، أو يزوجهم ، ويطلقهم، ويفصل بين الابن وزوجـــته، ويحـــاكم زوجته بأية تهمة، ويحكم عليها، وينزل العقاب بنفسه أو عبيده ولو كان موتًا، وكذا الأبناء يملك حق حياتهم وموتهم، وبيعهم في الأسواق كالرقيق ... إلخ.

٣– الـــزوجة طائشة في نظرهم، وتعامل كالطفلة أو كالقاصر، ولا تقرب الخمر ولا محله وإذا فعلت ضربت حتى الموت.

---

١) كما يقول غارودي. (في سبيل ارتقاء المرأة) ، مرجع سابق، ص ٢٦.

٤- المـــرأة بعد الزواج تدخل في دين زوجها وتترك دينها وعشيرتها وكل شيء ســـابق لـــزواجها وتحمـــل اسم زوجها وعشيرته ودينه ... [١] والأسرة اليهودية أيضًا تشـــكلت على الهيئة نفسها، فالأب الرئيس يسمى (روش) أي الرأس، وهو يختار وريثه كما يشاء، ويتصرف كما يريد ويمكنه بيع بناته جواريا كما ورد في سفر الخروج: "إذا بـــاع رجـــل ابنـــته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد"، ويمكنه قتل أولاده وتقديمهم قرابين للـــرب، والرجل اسمه (بعل Baal) أي سيد في اللغة العبرية[٢] والمرأة تخاطبه (سيدي) والطاعـــة عليها مطلقة، والحقوق معدومة، بل هي شيء بجانب الأشياء الأخرى، عبيد، أبقـــار، أنعام، خيول ... إلخ ، وإذا تركت منزل الزوجية لا تأخذ معها شيئًا لا أولادها ولا شـــيئًا من المتاع، وكل أموالها وممتلكاتها تنتقل للزوج بعد الزواج، وهي تخرج منها صفر اليدين، وفي المسيحية أضافوا عليها أشياء أخرى منها أنه لا يحق لها أن تتزوج بعد ذلك أبدا، فلا مصير لها إلا التشرد أو القبول بأن تكون خادمة مطيعة لمعذبها، والمتسلط على رقبتها، والمستولي على أموالها، وهذه الوضعية كانت باقية إلى القرن الماضي في بلاد المسيحية في أوروبا وأمريكا. [٣] فمثلاً بخصوص الذمة المالية المستقلة للمرأة في ألمانيا، فإنها

---

١) حمـــل اسم الزوج باق إلى هذه اللحظة وإن كان البعض الآن يفضلون تركه، وفي بعض الدول الإسلامية وكتقلـــيد غـــربي جاهلي وأعمى انتشرت هذه العادة السيئة في بعض الأوساط المتغربة كنوع من هوس التقليد، وبعض الغربيين وجدوا حلاً آخر وذلك بأن تذكر المرأة اسم عائلتها مع اسم عائلة زوجها على التوالي.

٢) أمـــا في اللغة العربية وفي الاستخدام القرآني تحديدًا فالكلمة تدل على التكافؤ الجنسي وحسن تصرفها مع بعض في الحقوق الجنسية، وهي كلمة تطلق على الذكر والأنثى بلا فرق.

٣) لتفاصـــيل هذا الأمر ينظر إلى كتاب (الفيلسوف المسيحي والمرأة) للدكتور إمام عبد الفتاح إمام (مرجع ســـابق) ص ٢٨-٣١ ، وكـــتاب الفيلسوف الإنجليزي (جون ستيوارت مل) بعنوان (استعباد النساء)، مرجع سابق ص ١٦-١٧.

لم تحصل عليها إلا منذ منتصف القرن العشرين[١]. وهكذا عاشت المجتمعات الغربية تعاني أشــد المعاناة من النظام الأبوي المتغطرس الذي يحرم المرأة من حقوقها الإنسانية، ويحرم الأولاد من المبادرة والاستقلال والحرية ويكبت طاقات الفكر والإبداع... إلخ.

ومع عصر النهضة والتمرد على هذه المخلفات الحضارية قام الغربيون بشن حملة واسعة على هذا النظام، وانتقدوا سيطرة الأب داخل الأسرة، وكان الإنجليزي (روبرت منــلمر) في القرن السابع عشر أول من استخدام نموذج الأسرة الأبوية في تحليله لنظام الحكــم، ثم شــاع بعد ذلك المفهوم خاصة في الكتابات الماركسية، كما إنه يعد مفهومًا محوريًا وإطارًا تحليليًا في نقد (الأنثوية) لسيطرة الرجل في الأسرة والمجتمع والدولة[٢].

"ويرتــبط استخدام مفهوم الأبوية (كأداة تحليل في العلوم الاجتماعية) في الغرب بتــيارين رئيسيين: تيار العلمانية، والذي يرى في الدين الدعامة الأساسية لتبرير الممارسة الأبويــة للــرجل ، وإضفاء الشرعية عليها، حيث إن الرب ذاته سلطوي وأبوي، كما اســتخدمه التــيار الماركسي في نقد هيراريكية المجتمع والدولة[٣]، ورأى أنها كلها أبنية

١) يقــول الدكــتور (مراد هوفمان) صاحب كتاب (الإسلام كبديل): "المرأة المسلمة تتمتع بمزايا الاستقلال الاقتصــادي الذي يصون أموالها وممتلكاتها منذ ألف وأربعمائة عام، بينما لم يتح ذلك للمرأة الألمانية إلا منذ منتصف القرن العشرين بفضل تدخل المحكمة الدستورية الألمانية التي حررت الزوجة من إطلاق يد الــزوج في إدارة أموالها وممتلكاتها" ص ٢٠٢، منشورات مجلة النور الكويتية، ١٩٩٣، ترجمة الدكتور غريب محمد غريب.

٢) هبة رؤوف، (المرأة والعمل السياسي)،مرجع سابق، ص ٢٠٣.

٣) ومــن نمــاذج الكتابات الماركسية التي جعلت من مفهوم الأبوية إطارًا تحليليًا ليست لقضية المرأة فقط بل لتفســير كــل ظواهر السياسة والاجتماع (من غير إدراك أن هذه ظاهرة غربية وإطار تحليلي فقط بل لتفسير كل ظواهر السياسة والاجتماع (من غير إدراك أن هذه ظاهرة غربية وإطار تحليلي غير منسجم مــع واقعنا وأنساقنا التاريخية) كتاب هشام شرابي (النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي) بيروت ١٩٩٢، مركــز دراسات الوحدة العربية. وهو كتاب طافح بروح العداء للدين –والتفسيرات المتغربة والتقســيمات التعســفية البعــيدة عن الواقع الحضاري والتاريخي ومنها: اعتباره عهد الجاهلية وزمن

أبويـــة؛ الدولـــة ، الاقتصـــاد، الأسرة ... أي أن الأبوية كمفهوم يرتبط في الاستخدام المعاصر برفض الدين (العلمانية) ونقض الدولة (الماركسية)[1] .

* ولا شـــك أن الأنثوية نشأت تحت تأثير هذين التيارين بالدرجة الأولى، ولذلك فقـــد اســـتخدمت مفهـــوم (الأبوية) كإطار تحليلي (Frame work) لقضية المرأة ووضعها، ولا تكاد تجد كتابًا في قضية المرأة والحركة النسوية إلا وقد تكررت فيه الكلمة مئات المرات.

وخطـــورة تبنى الحركة النسوية شعار معاداة (الأبوية) بالمعنى الذي سقناه لا غبار علـــيه، حيـــث من الواضح أنه نظام جاهلي وظالم، وربما هذا من محاسن الأنثوية. ولكن الخطورة كامنة في أمور أخرى وهي:

١- الأنـــثوية لم تقـــف في حد مهاجمة النظام الأبوي الجاهلي، بل تعدى ذلك إلى الهجوم على الأسرة ونظامها وأصل تكوينها والتشكيك في جدواها.

٢- تعدى ذلك إلى رفض أي سيطرة للأب داخل الأسرة على الزوجة أو الأبناء، واعتـــبار ذلـــك من الأبوية وفي هذا الإطار رحبت بالأسرة المدارة من قبل الأم وحدها (Mother-Only Family) واعتبرت (تأنيث الأسرة) أمرًا إيجابيًا في صالح المرأة ســـواءا كـــان ســـبب تأنيـــث الأسرة لجوء المرأة لرفض العلاقة مع الرجال (الزواج) واســـتخدام (الإنجـــاب الصناعي) للحصول على الأولاد، أو كان سبب التأنيث هجرة الـــرجال، أو تـــرمل المرأة أو حصولها على الطلاق أو غير ذلك، وفي هذا السياق أيضًا رحبت بالأسرة الشاذة السحاقية.

الرسول= ﷺ الخلفاء الراشدين هذا كله مع بعض عهد البطركية القديمة ص ٣٨ واعتباره الأسطورة والإيمان بطركي في مقابل الفكر والعقل الذي هو حداثي ، ص ٣٠ وغير ذلك كثير جدًا.

١) المرجع السابق، ص ٢٠٤.

٣- تأثـرًا بالحركة العلمانية والماركسية جعلت الأنثوية أيضًا هذا المفهوم إطارًا تحليليًا شاملاً فتحدثت عن الأبوية في الدين وأنه ظهر لتبرير الأبوية وترسيخها، واعتبرت الدولة أيضًا امتدادًا للأبوية.

٤- رفضـت الأسـرة الممتدة (قبل رفض الأسرة النووية) باعتبارها شكلاً من أشـكال (الأبوية) بالرغم مما تتيحه هذه الأسرة للمرأة من عون وسند، ومصدر لتحمل بعـض أعبائها ومسؤولياتها البيتية والاجتماعية، "في ترتيب أمور البيت ورعاية الأطفال وغـير ذلك مما يتيح للمرأة الوقت للخروج للمشاركات الاجتماعية والسياسية والعمل العام"[١].

سـاهمت هذه الأدبيات المعادية للأبوية على خلق حالة من النفرة والعداء للأب والحساسية بقبول أي توجيه من توجيهاته، والتمرد عليه، كما ساهمت في صياغة القوانين الغربـية القاسـية جـدًا في منع الأبوين من تأديب أولادهما، وهذا انتهاك لحق الأبوين وحرمان لهما من حقهما في تنشئة الأولاد[٢].

---

١) ولا شـك أن الأسـرة الممتدة أيضًا وبالشكل الموجود في بعض المناطق تخلق بعض العوائق والإشكالات ليسـت لـلمرأة فقط وإنما لعموم الأسرة، ولكن هذه الإشكالات لا ترقى إلى ضرورة الحفاظ على هذا الكيان الحيوي وترشيده حتى يمارس مهامه الحضارية في التنشئة الفكرية والسياسية والاجتماعية، وحماية الفـرد من تغول السلطة وقسوة المجتمع وتعقد الحياة وطغيان المادية، وتوفير ملاذ وملجأ للأسر النووية الصـغيرة والحديثة عندما تحتاج لدعم أو حماية أو ترشيد أو مواساة أو إصلاح ... إلخ ، والأسرة الممتدة التي نحرص عليها لا علاقة لها أبدًا بالأسرة الممتدة الأبوية الغربية.

٢) صـحيح أن هـناك قسـوة وعنف في الأسر الغربية، وحالات كثيرة تعرض الأولاد إلى الإهمال والقسوة والظلم ... ولكن هذا كله لا يبرر القوانين القاسية التي تصدر ضد الآباء لصالح الأبناء.

الفصل الثالث

أثر الأفكار الأنثوية على حركات تحرير المرأة العربية

المبحث الأول: مراحل الحركة النسوية العربية

- المرحلة الأولى أو ما يسمى بعصر النهضة.
- المرحلة الثانية
- المرحلة الثالثة

المبحث الثاني: أفكار سوقت باسم حقوق المرأة

- التشكيك فى صحة الدين
- الطعن فى صحة بعض الأحاديث بالهوى
- الفقه الإسلامى ذكورى
- الاجتهاد بدون مجتهدين
- المساواة المطلقة
- نقد نظام الزواج والأسرة الإسلامية
- ملكية المرأة لجسدها
- التناقض بين التحديث والإسلام

الفصل الثالث

أثر الأفكار الأنثوية على حركات تحرير المرأة العربية

مدخل عام

فى هـــذا الفصـــل نرى ضرورة أن نتطرق إلى انعكاسات هذه الحركة الأنثوية الغربية فى العالم العربى، فندرس كتابات وآراء دعاة الحركة النسوية وتحرير المرأة، وكذلك الأفكار التى سوقتها حركات تحرير المرأة وبشرت بها، لكي نلاحظ درجة التأثر والأخذ، ومثل هذه الدراسة تحقق لنا عدة أمور:

- الاطلاع على المرجعية التى استقى منها دعاة الأنثوية أفكارهم والتى هـــى مرجعـــية غربية غير إسلامية ولدت ونشأت فى سياق حضارى وفكرى مخالف لسياق حضارتنا وثقافتنا.

- فهـــم أبعـــاد تلـــك الأفكـــار والإلمام بتفاصيلها ودرك مآلاتها عند مقارنـــتها، حيـــث أنها تطرح مجزأة ومتناثرة ومع كثير من الغموض المقصود أحيانا حتى لا تصطدم بالقناعات الموجودة فتلفظ.

- حـــتى تكـــون دراستنا هذه قريبة الصلة بواقعنا حيث أن عدم طرح الأفكـــار الشـــائعة فى بيئتنا، والاكتفاء بنقد الفلسفة الغربية الأنثوية يجعل البحث غير مكتمل الفائدة.

وسوف نتناول فى هذا المبحث الحركة النسوية العربية [1] فى ثلاث مراحل هى:

١-بدايات ظهور الحديث عن المرأة وحقوقها حيث كان الحديث عن قدر محدود من الحقوق لها فى مجال التعليم وغيره.

٢-الحديث عن حقوق متساوية للجنسين فى مجال التعليم والعمل وضرورة مشاركة المرأة فى الحياة العامة وغير ذلك.

٣-الحديث عن المساواة المطلقة للجنسين، واعتماد مبدأ النوع (gender) وضرورة تبنى المرجعية الغربية، والسعى لتغيير جذرى فى المجتمعات الإسلامية، واستعارة الأطر التحليلية الغربية والأدوات التعبيرية الخاصة بهم فى دراسة قضية المرأة والكتابة عنها.

وسوف يستدل الباحث على هذا التقسيم برموز الحركة النسوية ويصنف أقوالهم وكتاباتهم التى تدل على انتمائهم لصنف من هذه الأصناف الثلاثة أو مرحلة من المراحل المذكورة، وليس معنى قول الباحث "مرحلة" أن التى جاءت قضت على التى سبقت أو جاءت بعد اختفائها وانتهائها، ولكن المقصود هو غلبة الخطاب اللاحق على الخطاب السابق وخروجه عليه بأفكار جديدة لم تكن مطروحة سلفا، وإلا فالتجاور بين المرحلتين الأخيرتين والتزامن لا زال قائما، حيث نستطيع أن نصنف دعاة تحرير المرأة إلى قسمين رئيسيين،

---

(1) المدروس هنا هو الحركة العربية ، ولكن تقاس الحركات النسوية الباقية فى البلدان الإسلامية عليها لأن واقع المجتمعات متشابه من حيث الاستعمار والتبعية والتقدم الثقافى والاقتصادى والفكرى.. الخ، عليه فإن ما ينطبق على الحركة النسوية العربية من تغيرات ومراحل.. غالبا ما ينطبق على غيرها فى بلدان المسلمين مع فارق قليل .

وهـــم المنادون بأفكار المرحلة الثانية، والذين يتبنون أفكار المرحلة الثالثة أو الموجة الثانية والثالثة -كما يمكن أن تسمى أيضاً.

وفى المبحـــث الـــثانى ســـنورد أهم الأفكار التى دعت إليها الحركات النسوية العربية والدعاة المساندون لها.

المبحث الأول

مراحل الحركة النسوية العربية

المطلب الأول

المرحلة الأولى أو ما يسمى بـــ "عصر النهضة"

الـــتى تبدأ من منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، حيث زاد اختلاط العـــرب بأوروبـــا، وتوســـع انفتاحهم على حضارها وثقافاها، وأوفد بعض النخـــب المـــثقفة كطلاب للدراسة فى جامعاها، كما فعل محمد علي باشا فى مصـــر بإرســـال مجموعـــة من خريجى الأزهر لتلقى العلم فى فرنسا، وكثرت البعثات العلمية والتبشيرية مع بداية الحملة الاستعمارية الفرنسية إلى مصر فى نهايـــة القـــرن الـــثامن عشر" والتى فشلت عسكريا ولكنها أحدثت هزة فى المجتمع"، ثم مبادرة الغربيين إلى فتح جامعات ومدارس فى بلاد الشام وغيرها (جامعة القديس يوسف، الجامعة الأمريكية). كل هذه الأمور أدت إلى انبهار ســـلبى بالحضـــارة الغربية، فتنادت مجموعة من المثقفين العرب (من مسلمين ونصـــارى) إلى الأخـــذ والاســـتلهام من الحضارة الغربية المتقدمة فى محاولة لـــلخروج مـــن حالـــة التخلف والأمية والفقر الموجود فى بلاد العرب، وأن يســـلكوا فى هـــذا المســـعى ســـبيل الغـــرب الغالب الذى انبهروا بمنجزاته التكنولوجية والصناعية والعمرانية وبالتالى الثقافية، ولما كانت الثقافة الغربية تـــتحدث عـــن حقـــوق المرأة، وضرورة تأهيلها ومشاركتها فى الحياة العامة

واستقلالها اقتصاديا وخروجها للعمل وحريتها فى الاختلاط [1].. الخ، فقد اهتم هؤلاء المثقفون بموضوع المرأة، ولأنها فعلا كانت تعيش فى جهل وتخلف مريعين، وظلم اجتماعى فى أكثر من مجال، ولقد تميزت هذه المرحلة بالآتى:

١-إنها كانت أول شرارة لهذه النزعة، وطرح قضية المرأة فى الفكر العربى.

٢-كانت متأثرة بالغرب وحياة المرأة الغربية كنموذج وخصوصا فى مجالي التعليم والعمل.

٣-تناولت قضية المرأة كجزء ملحق بموضوع النهضة وكمسألة ثانوية لذلك تكاد تنحصر مطالب ممثلى تلك المرحلة على حق المرأة فى التعليم[2].

([1]) فى سياق التجربة الغربية فى حقوق المرأة فإنها (أى المرأة) كانت مضطهدة فى العالم الغربى فى ذلك الزمان وكما قدمنا تفصيل ذلك عند بيان تجربتها فى الفصل الأول من هذا البحث، ولكن الحقوق التى نالتها فى ذلك الزمان كانت محصورة فى التعليم والعمل، وموضوع حقها فى العمل والاستقلال الاقتصادى، كان وراءه حقيقة أصحاب الأعمال والشركات الصناعية والاقتصادية التى توسعت بعد الثورة الصناعية وكانت تحتاج إلى أيدى عاملة رخيصة وغير متمردة فوجدتها فى النساء فكانت تستغلهن أبشع استغلال من حيث قلة الأجور، وعدم تهيئة ظروف صحية للعمل، وعدم وجود إجازات مناسبة، وساعات طويلة للعمل مرهقة ومنهكة، والابتزاز الجنسى لحد ربط أجر المرأة واستمرارها فى العمل بضرورة إرضاء نزوات أرباب العمل الجنسية.. الخ من الأمور التى فاضت بذكرها الكتب التى أرّخت لأوضاع المرأة. ولكن يبدو أن هؤلاء النهضويون لم يكونوا يرون هذه الحقائق فى عالم الغرب ولعل رفاعة الطهطاوى لم يتح له معرفة هذه الحقائق عندما كتب "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" أو تجاهلها عن عمد. الله أعلم بذلك.

([2]) بوعلي ياسين (حقوق المرأة فى الكتابة العربية منذ عصر النهضة) دار الطليعة الجديدة، دمشق ١٩٩٨، ص١١.

٤-التعليم الذى كانوا يطالبون به للمرأة كان محدودا أيضا حيث يهدف إلى تهذيب المرأة وتحدثوا عن "العمل" أيضا ولكنهم لم يجعلوه شاملا مطلقا كما عند الآخرين اللاحقين بهم.

٥-طالبوا بالاختلاط بين الجنسين، وعدم إنزواء المرأة فى البيت، لأن ذلك من مقتضيات التعلم والعمل.

٦-لم تطرح قضايا مناقضة لثوابت الدين ومسلماته، ولم ينسب إلى الدين نفسه دور فى تخلف المرأة أو وضعها الاجتماعى المتدنى.

٧-كتابات هذه المرحلة لم تؤيد فكرة مساواة الجنسين بل أحيانا حذرت المرأة من تقليد الرجل ومحاولة أن تضع نفسها هذا الموضع.

٨-غياب العنصر النسائى كداعية لحقوق المرأة وقد كان من أبرز رموز هذه الفترة:

١-رفاعة بن رافع الطهطاوى.[١]

([١]) رفاعة رافع الطهطاوى: (١٨٠١-١٨٧٣م) ولد فى قرية طهطا من صعيد مصر، تخرج من الأزهر، وعمل مدرسا، وفى عام ١٨٢٦ أرسله محمد علي باشا مع بعثة علمية إلى فرنسا بصفته إمام البعثة. وهو أول من أثار موضوع (تحرير المرأة) وحقوقها فى مصر، بعد معايشته المجتمع الفرنسى لمدة خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) (محمد بن أحمد بن اسماعيل (عودة الحجاب)، دار طيبة للنشر، الرياض، بدون تاريخ ، ص٢٥، والتأثر بطريقة حياة الباريسيات حيث الحرية فى الحركة، والإقبال على الجامعات والاهتمام بالشأن العام، والمشاركة فيه.. الخ ، وكتب كتابين معروفين فى مجال الدفاع عن المرأة "تخليص الإبريز فى تلخيص باريز" و "المرشد الأمين فى تربية البنات والبنين" الأخير صدر عام (١٨٧٣) وفيه يقول: "ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معا، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فإن هذا مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن =

٢-خير الدين التونسي[١].

٣-بطرس البستاني[٢].

٤-أحمد فارس الشدياق[٣].

٥-فرنسيس مراش[٤].

= بالمعارف أهلا، يصلحن به فى المشاركة مع الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم، ويعظم مقامهن، وليمكن المرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها، فكل ما تطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن، وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق، ويقربها من الفضيلة، وإذا كانت البطالة مذمومة فى حق الرجال فهى مذمة عظيمة فى حق النساء) (حسين العودات (المرأة العربية فى الدين والمجتمع)، الأهالى للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٦، ص١٢١).

(١) خير الدين التونسي ولد وعاش بين (١٨٠٠-١٨٩٠) كان وزيرا تونسيا ثم أصبح صدرا أعظم فى الأستانة (اسطنبول) والذى دعا إلى توفير تعليم أولى (ابتدائى) للمرأة لمساعدتها فى أن تصبح ربة بيت ومربية نموذجية للأطفال.

(٢) بطرس البستانى: من مواليد قرية الدبية فى لبنان سنة ١٨١٩ وتوفى ١٨٨٣م، من أوائل من دعا إلى فصل الدين عن الدولة، ودعا إلى الوطنية السورية. وهو مارونى الأصل، اعتنق البروتستانتية، وقد تحدث عن وضع المرأة المتدنى وضرورة تعليمها، وأن الله لم يعط طاقات العقل والفهم للمرأة عبثا، ودعا إلى تعليم المرأة أولا: الديانة، ثانيا: اللغة، ثالثا: القراءة، رابعا: الكتابة، خامسا: علم تربية الأولاد، سادسا: الاعتناء بالبيت، سابعا: الجغرافيا، ثامنا: التاريخ، تاسعا: الحساب (يراجع بوعلي ياسين (حقوق المرأة فى الكتابة العربية منذ عصر النهضة)، مرجع سابق، ص١٥).

(٣) أحمد فارس الشدياق: (١٨٠٤-١٨٨٧) م ولد فى لبنان وعاش فى تونس والأستانة، وكان أديبا وصحفيا، جال فى أوروبا وأصدر جريدة (الجوائب).

(٤) فرنسيس مراش (١٨٣٦-١٨٧٣م)، طبيب حلبى، وكان صحفياً درس فى فرنسا.

٦-فرح أنطون[1].. الخ.

المطلب الثانى

المرحلة الثانية

وتبدأ هذه المرحلة منذ نهاية القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين، على الاحتمال الأول نظرا إلى صدور كتاب (مرقص فهمى) سنة (١٨٩٤م) بعنوان "المرأة فى الشرق"، والذى أحدث هزة كبيرة لكونه نقل موضوع حقوق المراة إلى ميدان المواجهة مع المعتقدات الإسلامية (فى بعض ما قال) عندما طرح الأهداف الآتية:

١-القضاء على الحجاب الإسلامى.

٢-إباحة الاختلاط بين الجنسين.

٣-تقييد الطلاق وإيجاب وقوعه أمام القاضى.

٤-منع الزواج بأكثر من واحدة.

٥-إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط.

---

(١) فرح أنطون (١٨٧٤-١٩٢٢) أديب وصحفى عاش فى لبنان ومصر وأمريكا، ربط بين إصلاح المجتمع وتربية النساء، ولكن كان يرى أن المرأة للبيت وخلقت لتكون أما وزوجة.

وصدر بعده كتاب المستشرق الإنجليزى (الدوق داركور) بعنوان "المصريون" هاجم فيه بعض المعتقدات الإسلامية، وشدد النكير على مثقفى مصر بسبب أوضاع المرأة[1].

وإذا اعتبرنا البداية بالقرن العشرين فلصدور كتاب "المرأة الجديدة" عام (١٩٠٠م) لقاسم أمين[2]، والذى دعا فيه إلى اقتفاء أثر المرأة الغربية، ونحا نحو العلمانية الليبرالية فى طرح قضايا المرأة[3]، والتزم بمناهج البحث

([1]) محمد أحمد إسماعيل (عودة الحجاب) ، دار طيبة للنشر، ١٩٩٨، ص٢٨-٢٩.

[2]) قاسم أمين: ولد فى مصر سنة ١٨٦٣م لأب كردى، وأم صعيدية مصرية، درس الحقوق فى القاهرة، ثم فى مونبيليه بفرنسا فى الفترة (١٨٨١-١٨٨٥م)، مارس المحاماة والقضاء، تتلمذ على يد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، التقى بامرأة فرنسية خلال تواجده فى فرنسا كان لها أثر عظيم فى أفكار قاسم كما يذكر هو فى مذكراته، وقد زاملته هذه المرأة واستمرت علاقتهما حتى غادر فرنسا، توفى ١٩٠٨، يعتبر كتابه (تحرير المرأة) من أكثر الكتب التى أثارت ضجة فكرية فى هذا القرن وكثر الرد عليه حتى وصل قرابة مائة كتاب وبحث كما يقول صاحب كتاب عودة الحجاب (محمد أحمد اسماعيل)، ويقال أنه رجع عن دعوته لتحرير المرأة فى حديث لمجلة (الظاهر) عام ١٩٠٦ أى قبل وفاته بسنتين أو على الأقل ندم على بعض نتائجها السلبية وتوقيتها، ومن الجدير بالذكر أن زوجته بقيت منقبة ولم تستجب لدعوة زوجها، يقول الدكتور محمد عمارة إن الفصول الأربعة المتعلقة بالحجاب، والتعدد، والزواج، والطلاق فى كتاب تحرير المرأة هى من تأليف الشيخ محمد عبده "محمد عمارة - الأعمال الكاملة لمحمد عبده، بيروت، ص١٠٥ - ص١٠٩، ولكنى فى الحقيقة وبالقدر المتعلق بكتابه (تحرير المرأة) لم أجد فيه شيئا يمكن أن يحسب خارج الإطار الإسلامى، وما أثير على هذا الكتاب كان بدافع سوء الفهم أو التزمت.

([3]) أما كتابه (تحرير المرأة) والذى حاول فيه الدفاع عن حقوق المرأة بحجج شرعية وقواعد أصولية، فسأذكره عند حديثى عن الطرح الإسلامى لقضية المرأة لاحقا. لأن هذه محاولة إسلامية بالرغم من الاتفاق معه أم لا، ونحن هنا نتحدث عن الذين طرحوا الموضوع من مرجعية علمانية ولهذا السبب استبعدنا ذكر الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى =

الاجتماعى الغربى، واستشهد بأقوال كثيرة لمفكرى وفلاسفة الغرب، وأعلى مـــن قيمة (العلم) وضرورة تحكمه فى كل نواحى الحياة والاحتكام إليه عند اختلاف العادات والمدنيات[1].

شـــهدت هـــذه الفترة تحكم السيطرة الاستعمارية وتوسع الإرساليات والمـــدارس التبشـــيرية وظهور الأحزاب الوطنية وحركات التحرر، وانتقال الفكـــر الغربى إلى البلدان العربية، والرد عليه بالمقابل من الأحزاب الوطنية وأحـــيانا تبنـــيه بشكل من الأشكال وعموما يمكن أن نقول أن هذه الفترة تميزت بالأمور الآتية:

١-تبلور فكر أكثر وضوحا عن حقوق المرأة وتصاعدا فى درجة علمنته وتغـــربه، ويتبين ذلك فى كثرة الكتابات التى ألفت فى هذه الفترة، وأكثرها

= والكواكبى وآخرون لكى نتحدث عنهم لاحقا حسب الاقتضاء وإلا كان من المطلوب أن نذكرهم مع المرحلة الأولى.

(١) ولا شك أن عدم التفرقة بين العلم التجريبى أو الكونى المتعلق بتفسير الماديات والحوادث، والعـــلم الإنسانى المتعلق بتفسير وتبيان نظم الحياة وأحوال المجتمعات والقيم، خطأ كبير وقـــع فـــيه قاسم حيث أدى انبهاره بالعلم الأول إلى الدعوة للإقتداء بالنوع الثانى من العـــلم الـــذى هـــو فى الحقيقة فلسفة ونظريات مختلفة وليس علما جازما محددا بالمعنى المعروف للعلم الذى لا يحتمل تعدد الآراء بعد بلوغه غايته، ولا شك أنه من المطلوب أن يأخذ المسلم الحكمة والعلم من أى وعاء خرج، وأن يستفيد من المناهج الغربية حتى فى العلـــوم الإنســـانية ولكن بعد استكمال أدوات التبصر والوعى الكافى بما يأخذ ويدع، ومشـــكلة المســـلمين فى اعتقادى فى هذا القرن كان واحد =من اثنين، إما عالم بالدين بالقدر الكافى الذى يمكنه من عدم الضياع ولكنه غير عالم بالعلوم الأخرى الدنيوية، أو عـــالم بـــالعلوم الدنيوية غير عالم بالدين، ولهذا احتار المثقفون، والكثيرون منهم ضلوا الطـــريق، أو قدمـــوا الفكـــر الغربى بإعوجاجه فى لباس الدين بعد ترقيعات وترميمات لجهلهم بالدين الصحيح.

كانـت تنادى باللحاق بركب الحضارة الغربية فى هذا المجال واعتماد المرأة الغربية نموذجا.

٢-تناول حقوق جديدة للمرأة لم تطرح سابقا مثل: "المساواة فى جميع مرافق التعليم للجنسين لأن ملكات الجنسين متساوية[١]، المساواة فى الحقوق السياسية والنيابية بأن يكون للمرأة حق الانتخاب والترشيح ودخول البرلمان وكانـت دريـة شفيق[٢] فى مصر شديدة الحماس لهذا المطلب باعتباره حقا دسـتوريا لابـد مـن الحصول عليه، بل زاد سلامة موسى[٣] فى الدعوة إلى

---

(١) يقول قاسم أمين: (إن التشريح الفسيولوجى والتجربة فى البلاد التى منحت المرأة حريتها قـد أثبتـت أن المرأة مساوية للرجل فى الملكات) نقلا عن (عودة الحجاب)، محمد أحمد اسماعيل، ص ٦٤.

(٢) درية شفيق: مصرية توفت بل انتحرت عام ١٩٧٥م، تخرجت من جامعات مصر وسافرت إلى فرنسـا وحصـلت على الدكتوراه ورجعت إلى مصر وشكلت حزب (بنت النيل)، تعتبر أنشط امرأة مصرية فى الحركة النسوية بعد هدى شعراوى، وشاركت فى العديد من المؤتمرات الدولية النسائية مثل مؤتمر (أثينا) الدولى عام ١٩٥١ بالنيابة عن نساء مصر، كانت على علاقة قوية بسفارة أمريكا وبريطانيا فى مصر ومنظمات دولية ودول غربية وتسـتلم الدعم المادى والأدبى منهم، وكانت شديدة الحماس فى الدعوة للإقتداء بالمرأة الإنجلـيزية المـتحررة وسـلوكها فى الحياة، وكانت راديكالية فى أفكارها (انظر "عودة الحجاب") محمد أحمد اسماعيل ص١١٨ وما بعدها.

(٣) سـلامة موسى: ولد بمصر عام ١٨٨٧م وتوفى عام ١٩٥٨م، نال تعليمه العالى فى إنجلترا وهـناك تبنى الفكر الاشتراكى، بدأ بالكتابة منذ وقت مبكر عام ١٩٠٩م وبلغ مجموع مؤلفاتـه قريـبا مـن أربعـين فى الأدب والسياسة والفلسفة، شارك فى تأسيس الحزب الاشـتراكى فى مصـر، يقال أنه أول من كتب عن الاشتراكية والتفسير المادى للتاريخ والتحلـيل النفسى، كان دائم الدعوة للإندماج فى ثقافة أوروبا، ربط بين حجاب المرأة والشذوذ الجنسى، وحجب المرأة وحرارة الجو فى بلاد العرب، وحجب المرأة والشؤم من

(المساواة فى الميراث)، والمطالبة بإصلاحات قانونية فى نظام الأحوال الشخصية مثل منع تعدد الزوجات، تقييد الطلاق، إباحة زواج المسلمة من القبطى.. الخ.

٣-على المستوى العملى تأسست الاتحادات النسائية أى نظمت المرأة نفسها لنيل حقوقها مثل (جمعية الاتحاد النسائى) لهدى شعراوى[١]، و (اتحاد بنت النيل) للدكتورة درية شفيق، الأولى تكونت عام ١٩٢٣ والثانية عام ١٩٣٩م، وكذلك (الاتحاد النسائى الإسلامى) برئاسة (بشيرة مراد) عام ١٩٣٦م فى تونس، وتوالت بعد ذلك فى البلدان العربية الأخرى الاتحادات

= الدم فى زمن الصيد الأول.. الخ ، انظر: بو علي ياسين (حقوق المرأة) مرجع سابق ص ١١٠.

[١] هدى شعراوى: (١٨٧٩-١٩٤٩م) هى نور الهدى محمد سلطان باشا، أخذت اسمها من اسم زوجها (علي باشا شعراوى) تقليدا للغربيين، تربت فى عائلة مرتبطة بالاحتلال الإنجليزى والثقافة الغربية، تعتبر أول من رفعت النقاب عن وجهها، وألقت النقاب وداسته برجلها بعد عودتها من مؤتمر النساء الدولى الذى عقد فى روما سنة ١٩٢٣، شجعت بعض الفتيات للسفر إلى أوروبا حتى يعدن حاملات للثقافة الغربية، سافرت شرقا وغربا لحضور منتديات ومؤتمرات المرأة ممثلة لمصر، كانت شديدة الإعجاب بـ (أتاتورك) ولما عقد مؤتمر النساء الدولى الثامن عشر فى اسطنبول عام ١٩٣٥م التقت به وسمته (أتاشرق) أى أبو الشرق وأشادت بما قام به أتاتورك فى تركيا بخصوص تحرير المرأة (انظر "عودة الحجاب" لمحمد أحمد اسماعيل ص١٠٦ وما بعدها)، وهدى هذه حدثت فى حياتها أمور كانت لها أثر كبير فى اتجاهاتها حيث زوجتها أمها وأسرتها وهى فى الثانية عشر من (علي) الذى كان له أولاد يكبرونها، من غير أخذ رأيها حتى أن الترتيبات والاستعدادات كانت تجرى فى البيت وهى لا تدرى لمن تقام هذه المناسبة، وإذا يدخل عليها اثنان من البشوات يخبرانها ويطلبان منها أن توكل واحدا منهما لتزويجها، وكانت هدى بعد الزواج بائسة لم تشعر بالسعادة لسوء الزوج معها، ثم طلقت وعاشت ثمانى سنوات مطلقة، ثم عادت إلى زوجها. انظر (نجلاء حمادة فى كتاب (زمن النساء والذاكرة البليدة، ملتقى ذاكرة المرأة ١٩٩٨م، ص٢٨٣).

والمنظمات النسائية[1]، وكانت الفترة السابقة قد شهدت ميلاد بعض الجمعيات الخيرية النسائية فقط، وتكونت جمعيات أخرى، وزاد عدد مدارس البنات ودخلت البنات الجامعات بعد ذلك، وشاركت الاتحادات النسائية فى مؤتمرات عالمية لدراسة وضع المرأة، وخرجت المرأة فى المظاهرات ضد الاحتلال الإنجليزى عام ١٩١٩م، ونزعت المرأة الحجاب (النقاب) فى تلك التظاهرة كما فعلت هدى شعراوى وغيرها، وصدر العديد من المجلات التى تؤيد القضية، وصدر قرار من البرلمان المصرى بتحديد سن (السادس عشر) كأدنى سن للزواج، وكانت وراء هذا القانون جهود الاتحادات النسائية.. وغير ذلك مما يدل على أن هذه المنظمات النسائية أصبحت جزءا من القوى المؤثرة على حركة المجتمع وبنائه الفكرى والثقافى والسياسى والاجتماعى.

٤-ظهرت المرأة فى ميدان التأليف والكتابة للدفاع عن حركة المرأة بخلاف الفترة السابقة حيث كان مقتصرا على الرجال، بل ومنهم من قامت كذلك للوقوف فى وجهها أو فى وجه بعض مطالبها، ومن المعارضات أنيسة شرتونى (١٨٨٦-١٩٠٦)[2].

٥-انقسام القوى السياسية حول هذه الدعوة، ففى حين وقف ضدها (مصطفى كامل) ومعه (الحزب الوطنى المصرى) إذ تحسس وراءها أصابع بريطانية استعمارية تهدف لتنفيذ مخططات معينة، فى الوقت الذى قام (لطفى السيد وأحمد فتحى زغلول)، ووراءهما قيادات (حزب الأمة) بالدفاع عنها

---

(١) بو علي ياسين (حقوق المرأة) مرجع سابق ص٨٦.

(٢) نفس المرجع ، ص٨٦.

والشـــد من أزرها[1]، وكذلك انقسم أهل الفكر والرأى من علماء وكتاب وشعراء بين مادح مؤيد، وقادح منكر محذر.

٦-محاولـــة بعض دعاة حقوق المرأة توظيف الدين فى القضية وتطويع نصوصـــه لصـــالح دعوتهم، أو محاولة استبعاده والبحث خارجه عن مرجعية لحقـــوق المـــرأة إذا استعصـــت نصوصـــه على التفسير والتأويل، وطرحت موضوعات تناقض الدين بشكل واضح مثل المساواة فى الإرث، وعلاقات قبل الـــزواج، وتعرى المرأة وحريتها فى اللباس.. الخ مما سنأتى إلى بسطه مفصلا، ومـــع محاولة استبعاد الدين إلا أنه لم تظهر رؤية فلسفية شاملة وبديلة تملك الإطـــار التحليـــلى والأدوات التعبيرية الخاصة كبديل للدين إلا إذا اعتبرنا العلمانـــية والتغريـــب بديلا، وهى لا شك رؤية ضبابية وهلامية وعامة جدا ومشـــتركة بـــين العديد من الرؤى الفلسفية المتباينة. ومن أبرز كتاب هذه الفترة عدا قاسم أمين ، ومرقص فهمى[2]:

١-هدى شعراوى.

٢-درية شفيق.

٣-سلامة موسى.

٤-أمينة السعيد رئيس تحرير مجلة (حواء).

---

(١) (عودة الحجاب) لمحمد أحمد اسماعيل، مرجع سابق ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) مرقص فهمى: محامى، مصرى، نصرانى، صاحب كتاب "المرأة فى الشرق" الذى صدر عام ١٨٩٤م فى مصر.

٥-مصطفى أمين (من خلال الصحافة).

٣-إحسان عبد القدوس عن طريق الروايات وبعض المقالات.

٤-نــزار قــبانى عن طريق الشعر وبعض المقالات.. وآخرون يصعب حصر أسمائهم.

المطلب الثالث

المرحلة الثالثة

وتبدأ من الخمسينات من هذا القرن، حيث زادت الأحزاب التى تتبنى الإيديولوجــية العلمانــية، والشيوعية، وانتشر نفوذها، بل واستولت على الســلطة فى الكــثير من البلاد العربية (الانقلابات العسكرية فى سوريا عام ١٩٤٩م، حركة الضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر عام ١٩٥٢، نجاح عبد الكريم قاسم ومعه الشيوعيون فى إسقاط الملكية فى العراق ١٩٥٨م..).

وفى هــذه الفــترة بــدأت الدول العربية بعد جهاد طويل تتحرر من الاستعمار المباشر دولة فدولة، بعد عقود طويلة من الرضوخ والحياة تحت نير الاحــتلال الغربى الذى لم يرحل إلا بعد أن مكن الثقافة الغربية من العقول، والمــناهج، والدساتير والقوانين.. وتمكن من تغريب مجموعة قيادية فى المجتمع من الذين سلم لهم زمام الأمور بعد رحيله.

ولكــن مــن الأمــور المهمة التى قادتنا إلى اعتبار هذه الفترة مرحلة مســتقلة هى الحركة الثقافية النشطة التى أدت إلى ترجمة الكثير من الأدبيات

الفكرية والفلسفية التى نقلت الفكر الشيوعى، والوجودى، والليبرالى.. التى تخص تحرر المرأة ومعالجة قضيتها من رؤية فلسفية مغايرة للإسلام.

يقـــول (بوعلي ياسين): "منذ الستينات، وخاصة منذ أوائل السبعينات نشـــطت أكثر فأكثر الترجمة لأعمال يسارية، ماركسية فى المقام الأول حول تحـــرر المرأة، فكانت ذات فائدة كبيرة للكتاب المحليين، ناهيك عن فوائدها لعامـــة القراء، فقد قدمت للكتاب العرب أساسا نظريا، ونماذج من الأبحاث يمكن الاسترشاد بها، وقد كان من الكتب المهمة التى ترجمت فى هذا المجال هو "الجنس الآخر" لسيمون دى بوفوار ومن أشهر الكتب التى ترجمت فى أوائل السبعينات:

-فدريش إنجلز: (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) ضمن مختارات
-ماركس وإنجلز (موسكو ١٩٧٠) ثم مستقلا (موسكو ١٩٧٢).

-(لينين والمرأة) ترجمة: زينب نبوة (١٩٧٠).

-هربرت ماركوز: (الحب والحضارة) ١٩٧٠ و (نحو ثورة جديدة)[١] (١٩٧١).

-(الاشتراكية والمرأة) ترجمة: جورج طرابيشي (١٩٧١).

-رايموت رايش (النشاط الجنسى وصراع الطبقات) ترجمة: محمد عتبانى (١٩٧١).

-بالوش هورفات (الثورة الجنسية) ترجمة: سامية أسعد (١٩٧٢).

---

(١) ترجمة عبد اللطيف شرارة.

-ويلهام رايش (الثورة الجنسية) ترجمة : محمد عتباني (١٩٧٢).

-الكســـندر كولنتاي (تحرير المرأة العاملة) ترجمة: طرابلسي والحسيني (١٩٧٢).

"وكانــت الــترجمات في هـــذه الفترة بصورة شبه حصرية عن اللغتين الإنجليزية والفرنسية ومنذ أواسط السبعينات نشطت أيضا الترجمة عن اللغة الروسية"[١].

في هذه الفترة انتقلت أفكار الثورة الجنسية واليسارية المتطرفة كما هو ملاحـــظ مـــن الكتب المترجمة، فسادت أجواء الشك في الدين والقيم، وعم التـــبرج والتعرى، وندر من المثقفين من يصلى أو لا يشرب الخمر، وتسرب الإلحـــاد إلى عقول الناس، وقويت الدعوة للبحث عن حياة جديدة (تقدمية) كمـــا كانت تسمى بقيم جديدة لا تمت للدين والتقاليد بصلة، وسمى الدين والتقاليد بالرجعية والتخلف، وشاعت الفوضى، وأقم الدين بكونه سببا في تخلـــف المجـــتمعات وبالـــتالي سببا في دونية المرأة واضطهادها وما تعيشه من أوضاع.

ويمكن إيجاز ملامح هذه الفترة كالآتي:

١- المطالـــبة بـــتحرير المرأة كانت متزامنة مع المطالبة بإقصاء الدين ونعته بالرجعية عند أنصار الفلسفات الحديثة.

---

(١) بوعلي ياسين (حقوق المرأة) مرجع سابق ص١٢٠.

٢- انتقلت حركة تحرير المرأة من مرحلة التأثر ببعض الأدبيات الفلسفية، ونمط الحياة الظاهرى والعملى للمرأة الغربية إلى استلهام تلك الرؤى الفلسفية وجعلها إيديولوجيا وعقيدة للمرأة فى حركتها، وتفسير وضع المرأة على ضوء أسسها والاشتراك معها فى المقدمات والنتائج، باعتبارها إطاراً تحليليا بديلا للرؤية القديمة التى اعتبروها تقليدية ورجعية، وكانت الإيديولوجيا الشيوعية أكثر الفلسفات تأثيرا فى هذه المرحلة.

٣-الأدبيات التى نشرت بعضها ربطت بين تحسن وضع المرأة أو تغييرها وبين تغيير شامل وجذرى فى قيم المجتمع ونظامه الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، وهذا يعنى التحول إلى مطالبة راديكالية شمولية لمسألة المرأة، ومن الكتاب الذين دافعوا ولا يزالون عن هذا النهج (نوال السعداوى) وكثيرات مثلها وكثيرون من الرجال.

٤-بعد نكسة ١٩٦٧ زاد إقبال الناس على الحركات الإسلامية المعارضة والاشتراكية على حساب الحركات القومية والأحزاب التقليدية ، وهذا أدى إلى قوة التيارين وسيطرتهما على الساحة الفكرية والثقافية، وصراع هذين التيارين أدى إلى نشاط فكرى وثقافى وجدل وصراع، أدى بدوره إلى ظهور العديد من الكتب والدراسات فى شأن المرأة وترجمة العديد من الدراسات الغربية.

٥ - وفى غمرة صراع التيارين الاشتراكى -الإسلامى ظهر إلى الوجود تيار ثالث سمى بالاشتراكية الإسلامية ، والتى حاولت التلفيق بين الاثنين لكى يخرج بمنتوج وفكر إبداعى وشمولى يجمع بين (الجديد والأصيل) بين (التراث

والعصـــر) فى إطـــار فكـــرى واحد (على حسب زعمهم طبعا)[1]، وهؤلاء بدورهـــم أدلوا بدلوهم فى خصوص المرأة أيضا وحاولوا لي أعناق النصوص كلما شعروا بحرج فى التراث الدينى الإسلامى (على حسب تعبيرهم) ، وهذا الاتجـــاه الآن مستمر لدى بعض الكتاب المشهورين ، ولكن ليس تحت الاسم القـــديم ومن أبرز من يمثل هذا التيار فى شكله الحديث فى قضية المرأة (محمد شحرور) و (فاطمة المرنيسى) إلى حد ما، وهو محاولة لعصرنة الإسلام عندما رأوا أن بين الإسلام وبين مقتضيات العصر الحديث فجوة وبينا، وسنأتى إلى الحديـــث عـــنه لاحقا، وهكذا أصبح الموقف من الدين إما رفضه أو محاولة الإلتفاف عليه.

٦-فى نهايات هذه المرحلة (وهى مستمرة حسب رأيي إلى الآن ، ونقصد فى هذا العقد الأخير من القرن) زاد الاهتمام بدراسة مفهوم النوع أو (Gender) حسب ما يطرح فى الدراسات الغربية التى تتنكر لطبيعة الأنثى وخصوصـــياتها، وتقـــول بالمســـاواة المطلقة فى كل مجالات الحياة حتى داخل الأسرة، وتطرح الآن (Gender) إطارا تحليليا لقضية المرأة فى الدراسات النســـوية الحديثة والندوات والمؤتمرات التى تعقد فى الدول العربية[2] بدعم وتشجيع مستمر من الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

---

(١) يقـــول بوعلي ياسين عن هذا التيار: "ومما ساعد اليسار الاشتراكى فى الصراع (أى مع اليمين الدينى) هو تحوله منذ منتصف السبعينات بصورة منهجية مركزة للاهتمام بالتراث العـــربى الإســـلامى. فى فترة تالية برز ما يمكن تسميته (اليسار الدينى)، وهو اتجاه دينى عقـــلانى يذكـــر بالمعـــتزلة ومحمد عبده من حيث استفادته من العلوم العصرية ومحاولة التوفيق بين الإسلام ومتطلبات الحياة الحديثة" ، انظر المرجع نفسه ، ص١٤٥.

(٢) مـــثل "ملـــتقى ذاكرة المرأة" التى قدمت فيه بحوث كثيرة هدفت إلى إعادة قراءة التاريخ العربى والإسلامى من منظار النوع الثقافى. (Gender).

ولكـــن الذى يراه الباحث أنه لا توجد حركة نسائية عربية أو كاتب معـــروف فى مجال المرأة تبنى كل الأفكار الراديكالية للحركة الأنثوية الغربية بالشكل الذى سقناه ، لأنها فى مجتمعاتنا ليست خاطئة فقط وإنما بشعة أيضا، وحتى إن وجد من يعتقدها فلا يجرؤ على تبنيها.

بخصوص مدى حقوق المرأة فإن الحركات النسوية تتبنى المرجعية الغربية مـــن خـــلال التأكيد على المواثيق والاتفاقيات التى تصدر من الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة مثل اتفاقية (CEDAW) والتى تتحدث عن مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة، والوثائق الصادرة عن مؤتمرى بكين والقاهرة وغيرهمـــا، وهذا يعنى الكثير ، وسيأتى بيان أن المدى والمقدار وهمى ومطاطى وأنه يضمن فى الوثائق الدولية كل فترة وأخرى حقوقا جديدة حسب اشتهاء الإباحـــيين والشـــاذين جنسيا، وأعداء الأديان والقيم الإنسانية..[1] وكتاب هذه المرحلة كثيرون ولعل أبرزهم :

١-نوال السعداوى[2].

---

(١) البروفســـيرة (كاثـــرين) – التى شاركت فى مؤتمر المرأة والعولمة الذى عقد فى الخرطوم بإشراف وترتيب الـــرباط النسائى العالمى– كانت تقول إن لجنة المرأة تسيطر عليها ثلاث مجموعات هى: الشاذون جنسيا ومؤيدوهـــم، أعداء السكان والإنجاب، والفمنست المتطرفون ولذلك تجد صدى لحقوق ومطالبات هذه الفئات فى المؤتمرات والمواثيق الدولية.

(٢) نوال السعداوى طبيبة مصرية نفسانية ، ماركسية المنحى كتبت العديد من البحوث والدراسات المتعلقة بالمـــرأة مـــثل (الأنـــثى هى الأصل)، (المرأة والجنس).. وتكتب الرواية والقصص أيضا وتتميز كتاباتها بالجـــراءة والحدة فى التعبير، والحديث المباشر عن الجنس وما يتعلق به، عرفت منذ السبعينات ولا زالت مستمرة فى الكتابة، تعرضها لأزمات معينة فى حياتها من الطفولة وكونها أديبة وطبيبة، كل ذلك ساهم فى صـــياغة أســـلوبها، ذهبت إلى آراء كثيرة وغريبة منها: أن تكوين الأنثى أقوى من الذكر، وأن هنالك حقـــائق بيولوجية تثبت ذلك، وأن أصل الأمومة والأبوة طارئة، ومن هنا انطلقت من موقف المعادى =

٢-فاطمة المرنيسى[١].

٣-محمد شحرور[٢].

٤-هشام شرابى[٣]. وآخرون كثيرون قد نستشهد بأقوالهم وكتاباتهم.

= للرجل كرد فعل متطرف للفكر المعادى للمرأة، ومن الآراء الغربية أيضا زعمها بأن المرأة أقوى جنسيا من الرجل وأقدر، ولا شك أن هذا الزعم باطل علميا وواقعيا، ولعلها فى هذا الرأى تريد أن تبطل حجة من حجج تعدد الزوجات.

(١) فاطمة المرنيسى أستاذة فى علم الاجتماع، مغربية الأصل، ولكنها تعيش فى فرنسا وتكتب بالفرنسية، ترجم أول كتاب لها للعربية سنة ١٩٨٢م بعنوان "السلوك فى مجتمع إسلامى رأسمالى تبعى" وفى عام ١٩٩٠ ترجم كتابها "الحريم السياسى - النبى والنساء"، وهى أيضا كالسعداوى تنطلق من مفاهيم اشتراكية وتتبنى المساواة المطلقة، وبخلافها تحاول أن توظف السيرة والحديث والآيات القرآنية فى تحليلاتها ولكنها وقعت تحت تأثير مجموعة من المستشرقين اليهود المتعصبين ضد الإسلام أمثال (جولد زيهر) و(جب) و (شاخت) وغيرهم كما يتبين فى كتاب "ما وراء الحجاب" . والقارئ لكتبها كثيرا ما يحتار هل هى ضد الإسلام أو معه، وذلك لعدم وجود منهجية واضحة لها فى تناول الدين ونصوصه.

(٢) محمد شحرور، كاتب سورى (مهندس) ظهرت له بعض الكتابات مع التسعينات مثل (الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة، توزيع دار الأهالى، دمشق، ١٩٩٠) يعتمد على تفسير لغوى للقرآن أشبه ما يكون باتجاه الباطنية القدامى، يخلط بين معطيات علمية معاصرة كالمفهوم الرياضى للحدود عند نيوتن مع قواعد أصولية واجتهادات فقهية، وهو فى هذا أشبه ما يكون بفلاسفة ما بعد الحداثة الذين يخلطون مصطلحات العلوم المختلفة فى سياق نص واحد من غير وجود علاقة علمية تفرض ذلك الهدف منه انبهار القارئ ومحاولة الإيحاء له بعمق التحليل الموجود فى النص وقوة النص العلمية والفلسفية، والحقيقة خلاف ذلك، وسنعود لأفكاره لاحقا فى الفصل الخاص بالمعالجة الإسلامية للقضية.

(٣) هشام شرابى: مفكر عربى (من أصل فلسطينى) مقيم فى أمريكا، اشتراكى وماركسى النزعة، له كتب ومقالات منشورة، علمانى وتغريبى مغالى، من كتبه "البنية البطركية، دار الطليعة ، بيروت ،١٩٨٧م.

المبحث الثانى

أفكار سوقت باسم حقوق المرأة

المطلب الأول

التشكيك فى صحة الدين

التشكيك فى صحة الدين عن طريق بث الشبهات التالية:

أ/ كون الدين سببا فى تخلف المرأة واضطهادها، وأنه كرس دونية المرأة بتشـــريعات ذكوريـــة، واعتبر المرأة ناقصة العقل، ناقصة الكينونة الإنسانية ولابـــد مـــن وصاية الرجل عليها، واستدلوا على ظلم الإسلام للمرأة بحجج تافهة منها:

١-القوامة.

٢-نقصان حظ المرأة فى الميراث.

٣-نقصان شهادتها.

٤-جواز تعدد الزوجات.

٥-وجوب ستر بدنها.. وغير ذلك مما هو معروف.

ولقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية مقالة عن مؤتمر نسوى عقد فى اليمن بـــرعاية المـــنظمات الدولـــية العام الماضى (١٩٩٩) قدمت فيه أوراق عمل

كثيرة، بعضها هاجمت التشريعات الإسلامية بوضوح، بل وانتقدت آيات من القرآن باعتبارها لا تساوى بين الجنسين ومنها الآية الكريمة: ﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ حيث جاءت كلمة (الذكور) معرفةً فى حين وردت كلمة (إناث) نكرة!!، وأحدث المؤتمر ضجة فى المجتمع اليمنى مما أدى بالقائمين عليه إلى الإخفاء والتستر على هذه الأوراق[1].

ب/ يثيرون قضية أنوثة وذكورة لفظ الجلالة (الله)، ويتساءلون لماذا يشير القرآن إلى (الله) بضمير المذكر دون ضمير المؤنث.

ج/ عدالة الله فى تقسيمه البشر إلى مذكر ومؤنث، وجعل الضعف والأذى من نصيب المرأة -على حسب زعمهم- وإعطائه القوة والسلامة للرجل تقول (نوال السعداوى): "شعرت أن الله تحيز للصبيان فى كل شئ"[2].

د/ تحيز الخطاب القرآنى للذكور على حساب الإناث ويستشهدون بآيات من مثل ﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ تقديم الزانية على الزانى وقوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ والآية التى سبقت ﴿يهب لمن يشاء إناثا﴾، وهذا كله جهل مطبق أو تجاهل وإلا فالملاحظ أن سبق الإناث فى الآية الأخيرة وكذا الذكور فى قوله: ﴿والسارق والسارقة..﴾ كل هذا ليس دليلا على الأفضلية والأولوية، والآية الثانية قول امرأة عمران وردت على لسانها، وهى حديث عن خدمة بيت المقدس وكون الذكر أقدر

---

(١) المجتمع -(مؤتمر نسائى مشبوه) العدد ١٣٧٠ ، الصادر فى ١٩٩٩/١٠/٥م، ص٦٠.

(٢) بو علي ياسين (حقوق المرأة) مرجع سابق ص١٤٧.

على رعاية البيت وأكثر أهلية وليس حديثا مطلقا.. ولا أطيل لأن مقامنا هذا ليس مقام رد على هذه الجهالات التى تحتاج لبحث خاص[1].

ولا شك أن تسويق هذه الأفكار الشكية الإلحادية فى الحديث عن المرأة، القصد منها زعزعة الإيمان بعصمة الدين وصحته حتى يتسنى لهم التخلص منه كمرجعية لقضية المرأة وإحلال العلمانية والمناهج الوضعية محلها وسيأتى بيان ذلك أيضا، ومن الأمور المتعلقة بهذا الموضوع والمكملة لهذا القصد هو محاولة تشويه أو تحريف بعض التشريعات المتعلقة بالمرأة من مثل الحجاب، والزواج، والمهر، وغير ذلك مما سنشرحه واستكمالا لحلقات هذا المسلسل فقد قام البعض برفع راية الاجتهاد فى الدين لتزييف شرائعه والالتفاف حول مقاصده، وتحوير نصوصه وسيكون لنا حديث عن هذا أيضا فى لاحق الكلام موجزا ومفصلا.

المطلب الثانى

الطعن فى صحة بعض الأحاديث بالهوى

الطعن فى بعض الأحاديث والإدعاء بأنها غير صحيحة لكونها معلولة فى المتن، من غير اعتماد الأسلوب العلمى الصحيح فى نقد السنة النبوية التى هى

---

(١) أغلب الناشطات فى الحركة النسوية تركن مثل هذه المقولات التافهة التى تنطلق من منطلق عداء للدين، وليس من منطلق الحرص على المرأة، لأنه لو صح ما قالوا وأن القرآن قد أكد دونية المرأة فهذه نتيجة خطيرة يستسلم غالب الناس لها بدل أن يخرجوا عليها، لأنه وحى ودين، بل إن الكثير من الناشطات الآن يتصفحن كتب الفقه والحديث والتفسير ليبرءوا الإسلام من هذه الأقوال المغرضة وبأسلوب علمى متين، وتوجد بعض المقالات الجادة من هذا النوع فى كتاب (زمن النساء والذاكرة البليدة).

الوحى الثانى بعد الوحى الأول (القرآن)[1]، والسبب الحقيقى من وراء ذلك قد يكون إما سوء الفهم وعدم القدرة على الفهم الصحيح للنص النبوى لكونه يفهم بعيدا من سبب الورود، أو كونه مجازا ظاهره غير مراد، أو كونه فى سياق يصرفه إلى معنى آخر.. ويقول الشاعر:

وكم من عائب قولا صحيحا *** وآفته من الفهم السقيم

أو قد يكون الغرض محاولة إبعاد الشك عن الدين عند الناس بسبب نص غير مفهوم أو عدة نصوص التبس عليهم معانيها ، وقد يكون السبب توجيه الطعن إلى مجمل السنة النبوية وكونها مصدرا غير دقيق للأحكام، وتحكيم العقل (الهوى) البشرى فيها، وفتح الباب لإفساد أحكام الدين من هذا الباب. وأعداء السنة كثيرون وأغراضهم شتى ولهذا أمثلة كثيرة منها: حديث البخارى ومسلم:"يا مَعْشَر النِسَاء تَصَدَقْن فإني رأيتكن أكثر أهل النار.. فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تُكْثِرْنَ اللعن وَتَكْفُرْن العَشِير، فما رَأَيتُ من نَاقِصَات عَقْلٍ ودين أَذْهَبَ للُب الرجل الحازم من إحْدَاكُن، قلن: وما نُقْصَان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة نصف شهادة الرجل. قلن: بلى، قال: فذلك من نُقْصَان عقلها، أليس إذا حاضت المرأة لم تُصَل ولم تَصُمْ، قلن: بلى، قال: فذلك من نُقْصَان دينها" وهذا الحديث لا شك يحتاج إلى توضيح قد أطال العلماء الكلام فيه.

(١) هذا الكلام لا يقصد به جهود مشكورة لفقهاء ومحدثين معاصرين تناولوا نقد متون بعض الأحاديث المتعلقة بالمرأة أمثال الشيخ محمد الغزالى والدكتور يوسف القرضاوى لأن هؤلاء المشايخ متخصصون.

وخلاصة الأمر وموضع الشاهد هو أن دعاة حقوق المرأة لم يفهموا الحديث على الوجه الصحيح فقد فهموا منه أن المرأة ناقصة العقل وناقصة الدين، وغفلوا عن أن ذلك (مجاز) فسره الرسول ﷺ فى الحديث نفسه بما هو مدح للمرأة وتميز لها حيث أنها تستطيع بقدرتها العاطفية والشعورية أن تستميل قلب (الرجل) ولكن ليس أى رجل وإنما الرجل (الحازم)، وهذه الميزة العاطفية من خصائص الأنوثة التى خلقت لتكون مصدرا للحنان والدفء والحب والعاطفة الجياشة، وهذه من مستلزمات الأمومة وإثراء للحياة ولكنها إذا لم توجه توجيها صحيحا فسوف تصبح مصدرا للشر والفتنة، فالرسول ﷺ يخوف المرأة بالنار ويحثها على أن تنتبه إلى هذه الميزة وتحسن توظيفها. ويلفت الرسول ﷺ انتباه المرأة إلى ميزة خلقية أخرى قد تكون مصدر شر إذا لم تنتبه المرأة وهى العادة الشهرية حيث تتعرض المرأة إلى انقطاع عن العبادات الشعائرية(صلاة، صوم، طواف..) وهذا الانقطاع بالإضافة إلى تعرض المرأة لاضطرابات جسدية وعاطفية قد يكون داعيا لنوع من الوحشة مع الله، تؤدى إلى آثام إذا لم تنتبه المرأة ولم تهتم بالأنواع الأخرى من العبادات التى لا تمنع منها العادة الشهرية كالصدقة المذكورة فى الحديث (تصدقن) وكذلك الذكر والأدعية المأثورة وتعلم العلم والدعوة إلى الله.

من هنا يتبين أن الرسول ﷺ سمى زيادة العاطفة والحنان وقوة الجذب والاستمالة الموجودة عند المرأة بنقصان العقل، وسمى العادة الشهرية بنقصان الدين، وكلتاهما مجاز وذلك لوجود الرابطة القوية بين الأمرين عند عدم التفات المرأة لنفسها، وفى هذا تقرير لواقع موجود لا يمكن التغاضى عنه، وليس تنقيصا لشأن المرأة أبدا، والذى يفهم الكلام على نحو التنقيص سواءا كان إسلاميا مغاليا أو علمانيا متطرفا فهو متعسف، وغير المؤمنين يتبعون ما

تشـــابه مـــنه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، أما المؤمن الغالى فيتنطع وقد روى البخارى عن الرسول ﷺ: "هلك المتنطعون"[1].

ولا شك أن هناك روايات كثيرة موضوعة وضعيفة فيها تنقيص للمرأة لابـــد من الإشارة إليها ونقدها لتطهير الكتب الإسلامية منها، ولكن هذا لا يعنى فتح الباب للهوى والتشهى لرفض روايات صحيحة والطعن فيها بحجة عـــدم موافقـــتها لعقـــل أحد أو مجموعة من الناس، وعند وجود تعارض بين الحديـــث والقـــرآن أو حديث صحيح لابد من العودة إلى القواعد والأصول التى وضعها العلماء للتوفيق والترجيح لدرء التعارض بين النصوص.

---

(1) وهذا الحديث ورد فى العيد، وليس من خلق الرسول الكريم ﷺ أن يؤذى مشاعر نساء الأنصار بتعـــبير يفهـــم فى وقـــته على أنه تنقيص وإيذاء، وخصوصا إذا كان الكلام مشافهة مع نساء الأنصـــار اللاتـــى تـــرحم الرسول ﷺ عليهن كثيرا لإخلاصهن للإسلام وتضحياتهن المشهودة ورجاحـــة عقلهن وفقههن فى الدين.. الخ، ولذا وكما قال بعض العلماء يمكن حمل الكلام على نـــوع مـــن الصيغ الغريبة التى تنفع فى إثارة انتباه المخاطبين وحسن تلقيهم للكلام وهذا أمر واضح لمن تتبع صيغ الرسول ﷺ فى بيانه، وهناك تأويلات أخرى لا مجال لسردها جميعا هنا.

ويلاحـــظ كذلك أن هذه العبارة لم ترد فى القرآن ولا فى موضع آخر من السنة النبوية وفى هذا دليل على أن ظاهرها غير مراد وأنها سيقت لغرض غير ذلك، بل فى القرآن والسنة ما يدل دلالة قاطعة على كمال أهلية المرأة العقلية والدينية، وموضوع الشهادة خاص بالمعاملات المالـــية الـــتي كانـــت المرأة في ذلك الزمان لا تعرف منها شيئا يذكر ، وإلا فإن شهادة المرأة مـــنفردة تقـــبل حجة فى الأمور التى هى خاصة بالنساء، وأحيانا لا يقبل شهادة الرجل ولهذا الكلام تفصيل فى كتب الفقه والفكر الإسلامى المعاصر، وخير كلام موجز يقطع الشك هو أن أمثال هذه المواضيع (الشهادة، الميراث) لو كانت قواعد مطردة فى كل الأحوال على أن الأنثى دائمـــا شهادتها نصف شهادة الرجل أو أن الأنثى تأخذ فى الميراث دائما نصف ما يأخذ الذكر لكانـــت أدلة مقنعة ، ولكن العارف بقوانين المواريث يعلم أنه فى حالات عديدة الأنثى تأخذ أكـــثر من الذكر، وهناك حالات مساواة عديدة أيضا وهكذا فالأمر عبارة عن حالات خاصة لعلل وحكم معينة ولا تصلح دليلا للتقول على الله.

المطلب الثالث

الفقه الإسلامى ذكورى

نقـــد الفقـــه والفقهاء، واقامهم بالجمود والتخلف والذكورية، وأنهم عاشوا فى عصر الظلام كما قالت (أمينة السعيد): "كيف نخضع لفقهاء أربع ولـــدوا فى عصــــر الظلام ولدينا الميثاق"(١)، والهام الفكر الإسلامى بأنه فكر معـــاد للمرأة وذلك بحجة وجود بعض الإسرائيليات فى بعض كتب التاريخ والتفسير، أو روايات ضعيفة أو موضوعة لم يتيسر لعلماء مجددين تمحيصها فى حيـــنه، أو أقوال لبعض الفقهاء لم يتم صياغتها بشكل دقيق، أو فعلا تأثروا بالبيئة التى عاشوها وصدرت منهم هفوات أو اجتهادات أخطئوا فيها (وجل من لا يخطئ)، وفى أحيان كثيرة لم يخطئوا ولكن أقوالهم تحمل ما لا تحتمل، أو تقتطع من سياقها لتنتزع منها معانى ودلالات غير مرادة، فهذا كاتب يقول: "غـــير الفقهـــاء (هكــــذا بالتعميم) تغييرا نوعيا فى موقف الإسلام من المرأة، وتجـــاهلوا فى حـــالات عديـــدة نصوصا قرآنية صريحة.."(٢)، ونقول له على رســـلك فلـــيس كل الفقهاء كذلك، والتعميم آفة فكرية ومنهجية تقدح فى علمية ومصداقية أهل الرأى والفكر.

---

(١) محمد أحمد اسماعيل (عودة الحجاب - القسم الأول) مرجع سابق، ص١٢٦.

(٢) حسين عويدات (المرأة العربية) ، دمشق، دار الأهالى للطباعة والنشر، ١٩٩٦، ص٩٠.

المطلب الرابع

الاجتهاد بدون مجتهدين

الدعـــوة لأن يكون الاجتهاد مباحا متاحا بغير ضوابط أصولية معروفة عـــند العـــلماء ومذاهـــب المسلمين، أو بعبارة أخرى الدعوة لقراءة جديدة معصــــرّنة للإسلام، وهى قراءة علمانية وعقلانية تقوم على أساس لي أعناق النصـــوص حتى تتوافق مع هوى المجتهد الذى هو فى الحقيقة مشتهى مثقف لا يملـــك أدوات النظر فى النصوص ولا يتحلى بإخلاص وورع العلماء، بل فى أحيان كثيرة ليس ملتزما حتى بالشعائر الإسلامية، ويعتقد أن حقائق الإسلام مـــتحركة غـــير ثابـــتة وكأنها مبنية على الرمال، يسميهم البعض بالمتنورين والحداثـــين واللوثـــريين ويطلقـــون الألقـــاب على أنفسهم كيفما يشاءون، منطلقهم الأساسى أنهم يعتقدون "ان القرآن والسنة لم يقررا المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، ولم يعطياها كامل حقوقها"!![1]، وهم يكملون للمرأة ما لم تستطع ظروف النبى ﷺ التاريخية من استيعابها، ولذلك لم يتمكن النبى ﷺ إعطائها لهن، وهكذا فهى حركة تطويعية تحاول استنطاق النصوص لتستوعب مطاليب المرأة فى كل زمان ومكان بإسم الدين المنزل نفسه، ولولا أن القرآن معصـــوم محفوظ بحفظ الله فى كل حرف منه لأصدروا طبعات جديدة للقرآن تـــراعى الأنـــثوية وروح العصـــر المتميع كما تفعل بعض المجامع والكنائس النصـــرانية، والذين يخالفونهم من علماء الأمة فهم "رجال الدين التقليديون

---

[1] المرجع نفسه ، ص١٣٥.

الذيـــن دأبـــوا عـــلى نقل الناس القهقرى إلى ما قبل ألف وأربعمائة سنة فى الزمان والمكان وشروط الحياة والمعرفة، كى يصلوا بهم إلى الإسلام"[1].

وإذا كانـــت العلمانـــية العربـــية لا تستطيع إصدار طبعة منقحة من القـــرآن!! (حاشـــا لكلام الله وتتريهه عن كل ذلك) فإنها طالبت وتساءلت (كمـــا تســـاءل هشام شرابى): "ماذا تراه يحصل لو ترجم القرآن إلى اللغة العامية ومقولاتها فى المعرفة، بحيث يمكن فهمه فهما مباشرا، كما حصل فيما يـــتعلق بالكـــتاب المقدس فى بدء العصر الأوروبى"[2]، وهو نفسه يحدد آلية الـــتعامل مع النصوص المقدسة فيقول: "الخطاب الإسلامى يتركز على النص لتأكيد حقيقته وصحته، وهو تأكيد يحقق هدفين فى آن واحد: تثبيت سيطرة النص (المصدر) ومنع إمكانية نقده، أو إبداله وذلك بالتعبير عن معان لم يعبر عنها بعد فى النص ذاته أو بواسطته"[3].

هـــذا هو المنهج والموقف من النصوص الشرعية طريقتان لا ثالث لهما نقـــد النص أو إبداله وتجاوزه، ويقول (نصر حامد أبو زيد) عن هذا المنهج: "جعل العلوم الدينية جزءا من منظومة المعرفة الإنسانية بمعنى أنها علوم يجب أن تخضـــع لـــنفس الآلـــيات والإجـــراءات المنهجـــية فى الفهـــم والتفسير والتحلـــيل"[4]. وهـــو يدعو بهذا إلى خضوع جميع النصوص للعقل البشرى

([1]) بوعلي ياسين (حقوق المرأة)، مرجع سابق، ص١٨٧.

([2]) هشام شرابى (البنية البطركية)، بيروت، دار الطليعة ،١٩٨٧، ص٩٠.

([3]) المرجع نفسه ص٨٩.

([4]) نصر حامد أبو زيد (دوائر الخوف قراءة فى خطاب المرأة)، المركز الثقافى العربى، بيروت ١٩٩٩، ص٦٦.

باعتـــباره حكما عليها يستعصى عليه استنطاق النصوص أو التقول عليها أو جرحها أو رفضها باعتبار أن زمنها قد فات، وأن دلالتها نسبية.. لا فرق بين ثوابـــت ومـــتغيرات ولا ظنيات وقطعيات.. الخ. نكتفى بهذا القدر وسنعرج عليه مرة أخرى فى الفصل الأخير.

المطلب الخامس

المساواة المطلقة

الدعوة إلى المساواة المطلقة: والذين ينادون بهذا المطلب طائفتان:

١ -إمـــا علمانـــيون يصرحون بالمرجعية الغربية فى تفكيرهم وآرائهم، ويعتقدون أن الإسلام ليس دينا صالحا لكل زمان ومكان ولا ينبغى أن يكون مصـــدرا للتشـــريع فى العصر الحديث بعد تطور البشرية!!، ولذلك ينادون باعـــتماد المـــنهج والتشريع الغربى فى الحياة، ويعتقدون أن هناك تناقضا بين حقوق المرأة وشرائع الإسلام، و "أن الفمترم والإسلام غير متوافقين بالطبيعة، وأن أى تقدم للفمترم ولوضع المرأة لا يمكن أن يتم إلا كما فعل (أتاتورك)[1] باستئصـــال التقالـــيد الإســـلامية"[2]. والذى قام به أتاتورك على حد قول (يوســـف حـــوراني) – المعجب به – هو : "وكانت أول فكرة قاموا بها هى إعـــادة الـــنظر فى مركـــز المرأة، وفرض السلوك واللباس الأوروبيين عليها، فأصبحت تؤم المدارس، وتشترك فى الأمور العامة، وفى الحفلات الراقصة مع

([1]) الغـــازى مصطفى كمال باشا (١٨٨١-١٩٣٨م)، أول رئيس جمهورية لتركيا بعد إلغاء الخلافة، قام بتحويل تركيا إلى العلمانية وأفسد فيها فسادا كبيرا فى العقائد والأخلاق.

([2]) شذى سلمان (المرأة المسلمة) ، مرجع سابق ، ص٤٩.

الـــرجال بعد إصلاحات أتاتورك"[1]. وهكذا فإن الذى ينشد مساواة المرأة للرجل فى الحفلات الراقصة يسمى ما قام به أتاتورك (إصلاحات)!!، وتقول عـــنه أمل رسام : "إلغائه (أى أتاتورك) القوانين الشرعية المتعلقة بالاحوال الشخصية التى تعمد إلى التمييز فى معاملة المرأة"[2].

٢-علمانيون يريدون (تحديث الدين) حتى لا تفقد المرأة المسلمة الإيمان بدينها كما تنصحنا بذلك إحدى داعيات الحركة النسوية ، والتى تقول: "إن عدم قبول تحديث الدين الذى تقترحه سيؤدى إلى تحول النساء المسلمات عن دينهن، أو جعله هامشيا فى حياتهن على أقل تقدير"[3]، وهذه الباحثة الغربية التى تدعى (ثيودورا فوستر كارول **Carroll**) تتحسر على عدم تمتع المرأة المسلمة بالحرية فى العلاقات قبل الزواج وبعده، ولا تتمتع بالاستقلال ..وأنها متمسكة بالعفة، والحجاب، وتعدد الزوجات، والحرمان من التعليم.. (انظر إلى هـــذا الخلط)!! وتقول بأن "تقّبل القيم الغربية التى يساء فهمها تكسب الإسلام القوة وتمنحه الإيجابية والحيوية التى يفتقد إليها!!"[4].

ولعـــل الكثيرين سمعوا النصيحة جيدا فانبروا إلى تحديث الدين بحماسة فقـــالوا كمـــا يقـــول الكاتب المصرى (أحمد بهاء الدين): "لابد من مواجهة

---

(1) يوسف حورانى (الإنسان والحضارة - مدخل دراسة) ، بيروت ، المكتبة العصرية، مرجع سابق ، ص ١٣٨.

(2)أمـــل رســـام، بحث فى مجموعة بحوث اليونسكو (الدراسات الاجتماعية عن المرأة فى العالم العربى)، المؤسسة العربية للنشر ، ١٩٨٤، ص٢٤١.

(3)شذى سلمان (المرأة المسلمة)، مرجع سابق، ص٤٤.

(4) شذى سلمان ، المرجع نفسه، ص٤٤.

الدعوات الإسلامية فى أيامنا مواجهة شجاعة بعيدا عن اللف والدوران، وأن الإســـلام كغــيره من الأديان يتضمن قيما خلقية يمكن أن تستمد كنوع من وازع الضـــمير، أما ما جاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية فقد كانت من قبيل ضرب المثل، ومن باب تنظيم حياة نزلت فى مجتمع بدائى إلى حد كبير، ومن ثم فهى لا تلزم عصرنا ومجتمعنا"[1].

ومن هذا المنطلق بحثوا عن تشريعات ونظم تتوافق مع عصرنا فوجدوها فى المساواة الكاملة أو المطلقة التى تقتضى الآتى:

١-المســـاواة فى الإرث على خلاف ما هو منصوص عليه فى الشريعة: يســـتنكر (حسين عويدات) على هدى شعراوى وغيرها من رائدات الحركة النسوية الأول، والتنظيمات النسوية، أن مطالبها" لم تصل إلى طرح المساواة بـــالإرث"[2]، "وأنهـــا كانـــت متواضـــعة.. لم تصـــل إلى المطالبة بالمساواة الكاملة"[3].

وقـــد جعـــل مصـــطفى أمـــين[4] (المساواة فى الإرث) من جملة أهدافه الرئيسية فى الدعوة لحقوق المرأة، وكذلك سلامة موسى، وأمينة السعيد التى

([1]) محمد أحمد اسماعيل (عودة الحجاب القسم الأول) ، مرجع سابق ، ص٨.

([2]) حسين عويدات (المرأة العربية) ، مرجع سابق ، ص١٤٤.

([3])نفس المرجع ، ص١٤٨.

([4]) محمد أحمد اسماعيل (عودة الحجاب، القسم الأول) ، مرجع سابق ، ص١٤٥.

قالـــت: "إنـــى لا أطمــئن عـــلى حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل فى الميراث"[1].

٢-المساواة فى الطلاق: بأن تكون المرأة قادرة على حل عقد الزوجية فى أى وقت تشاء مثل الرجل سواءا بسواء، وهذا واضح ومؤكد عليه فى كل المشـــاريع التى تقدم لتغيير قوانين الأحوال الشخصية، وهذا الأمر لا بأس به إذا كانت المرأة شرطت ذلك فى العقد أو لجأت إلى المخالعة، أما جعله قانونا عاما ملزما للزوج فهذا مصدر لشر غير يسير.

٣-المســـاواة فى الإنفاق على الأسرة: ويقصدون من ذلك أن المرأة لا تخضع بعدها للرجل، ويلزمها أن تخرج من البيت للعمل حتى تحصل على لقمة العـــيش، والمـــرأة إذا استقلت بمالها الخاص تمكنت من مواجهة الرجل، وفى الإسلام العمل حق للمرأة لا واجب عليها إلا فى حالات نادرة.

٤-المساواة فى الحياة الجنسية: وتشمل منع الرجل من تعدد الزوجات، وحرية المرأة فى الارتباطات الجنسية إذا كان الرجل حرا، وحريتها فى مباشرة عقد الزواج من غير حاجة لولى[2] أو إشهار.. الخ.

---

(١) المرجع نفسه ، ص١٢٦.

(٢) مـــن الفقهـــاء من أجاز للمرأة أن تباشر عقد النكاح بنفسها من غير حاجة لولى. وهذا معروف فى فقه الأحناف وغيرهم، ولكن لا ننسى أن المرأة غالبا هى التى تتضرر فى حالة عدم وجود الولى والإشهار فى النكاح، وهذا معروف فى من يدرس أحوال الزواج العرفى وغـــيره المنتشـــر هذه الأيام، والرجل إذا لم يكن يخشى الله فإنه قادر على إغواء المرأة بسهولة، فالولى فى الفقه الإسلامى هو ضمان وحماية وخط رجعة للمرأة، وليس قيدا على حريتها وحقوقها، وإن أساء الولى التصرف أو منع المرأة من حقها فهى حرة وتتمكن أن تتصرف فى نفسها.

٥-المساواة فى السكن والسفر: وتعنى حرية المرأة فى اختيار موضع سكنها حسب مشيئتها وما يلائمها وعدم تبعيتها للرجل فى ذلك، وحريتها فى السفر خارجيا وداخليا من غير حاجة لإذن الزوج، أو ولى الأمر سواءا كان أبا أو غيره، وهذا يعنى أن تكون الأسرة صورية لا التزامات فيها، وهو نوع من تفكيك الأسرة.

٦-التساوى فى حق الطاعة والنشوز: بشكل تتوافق مع هوى المرأة لا مصلحة الأسرة.

وغير هذه النقاط المذكورة، هناك الكثير على شاكلتها قد لا يسع المقام لذكرها وشرحها ويجمع تلك كلها مفهوم (المساواة الكاملة) التى تقول (نوال السعداوى) عنها: "تربية جديدة ترتكز على المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى جميع مراحل العمر منذ الولادة حتى الممات، مساواة فى الحقوق والواجبات، خارج البيت وداخله وفى تربية الأطفال"[1].

وتزامن مع هذه الدعوة إشاعة مسألة التشكيك فى الذكورة والأنوثة، وأن تكون هناك فروق بيولوجية وفسيولوجية ذات شأن بين الجنسين، وعن حتمية الأدوار الموزعة بين الجنسين وإن إمكانية تغييرها عبر تنشئة مغايرة..

يتساءل الدكتور (حيدر إبراهيم): "هل تولد المرأة أنثى أم المجتمع هو الذى يجعلها كذلك؟ وهل الاختلافات النفسية والعضوية التى تقوم عليها

([1]) هشام شرابي (البنية البطركية) ، دار الطليعة، بيروت ،١٩٨٧ ، ص٤٤.

الأنوثة هى معطى طبيعى ثابت، أو أن العلاقات الاجتماعية والثقافية هى التى تعمقه وتكرسه وتجعله أداة فارقية مهمة؟"[1].

وهكـــذا غـــالى الـــبعض وأنكروا البديهيات، وفى شدة الحماس تبنوا أحكامـــا مطلقـــة سطحية وساذجة، فادعوا أنه لا فرق إطلاقا بين إمكانيات الرجل وإمكانيات المرأة، وشاع مصطلح النوع الاجتماعى (Gender) فى التسعينات [2] فى الدول العربية كمنتج غربى لتأكيد المساواة المطلقة.

وحـــتى تـــتمكن الحركة النسوية من الوصول إلى المساواة المطلقة فإن الدكـــتورة بثيـــنة شعبان عندها اقتراح مهم تعتبره إحدى المهمات الأساسية الوطنية!! للقرن القادم وتقول: "واعتقد أن إحدى المهمات الأساسية الوطنية للقرن القادم التى يجب أن يضطلع بها على السواء النساء والرجال الحريصون عـــلى إنصاف المرأة، ومستقبل هذه الأمة، هى أن يتم فصل شؤون المرأة عن المواضـــيع الدينـــية، فموضوع المرأة موضوع اجتماعى خاضع لتطور الزمان والمكان ، ويجب أن يفهم ويعالج على هذا الأساس"[3].

والدكـــتورة مـــارى إلـــياس تحدثت عن عدم اجتماع الحداثة مع نص الشـــرع، وعـــدم نجاح أى حل يعتمد التوفيق والتلفيق بين القديم التقليدى (الشـــرع) والحديـــث التحديثى ؛ لأن النتيجة (حسب رأيها) تكون "تعميق استلاب المرأة وتشويه مطالبها أو حتى إغفالها".. وتقول بعبارة أوضح : "لا

---

(1) مجلة (المرأة العربية) ، بغداد ، العدد (٥) ، مقالة الدكتور حيدر إبراهيم ، ص٥٢.

(2) د. بلقـــيس بـــدرى (المساواة بين الجنسين والإنصاف والعدل وتمكين المرأة) ورقة مقدمة للمؤتمر العربى حول "تنفيذ برنامج عمل المؤتمر الدولى للسكان"، بيروت ١٩٩٨ ص١.

(3) مجلة النهج (سوريا) ، العدد (٥٥) لسنة ١٩٩٩ ، ص٨٩.

يمكن مثلا أن نتكلم عن مجتمع حديث يضمن حقوق المرأة، ويقبل فى الوقت نفسه بتعدد الزوجات بحجة أن هذا التعدد قد نص عليه الشرع"[1] مثل هذا القانون للأحوال الشخصية هو ذلك الذى يروج له باسم (القانون المدنى الاختيارى)[2]، والذى تسعى له الحركات النسوية العربية.

المطلب السادس

نقد نظام الزواج والأسرة الإسلامية

انتقاد نظام الزواج والأسرة الإسلامية، واعتباره نظاما أبويا، ذكوريا يحسم علاقات الجنسين على أساس خضوع المرأة للرجل وفقدها حريتها واستقلالها وسلب حق تقرير المصير منها، وليس النقد هذا موجها إلى نظام الأسرة الحالى فقط وإنما منذ زمن الرسول ﷺ حين تأسست الأسرة الإسلامية لأول مرة .

تقول (فاطمة المرنيسى): "لقد هدفت البنية الأسروية الإسلامية الجديدة (أى بعد العصر الجاهلى وظهور الإسلام) التى شكلت ثورة على تقاليد الجزيرة العربية ما قبل الاسلام، إلى إقامة بنية أسروية ترتكز على سيادة الرجل وانفراده بالمبادرة فيما يخص الزواج والطلاق. فالتعدد، والطلاق، وتحريم ارتكاب الزنا، وضمانات الأبوة، كلها مؤسسات ساهمت فى تسهيل الانتقال من البنية القديمة التى كانت فيها الأسرة على نوع من حق المرأة فى

---

(1) المرجع نفسه ، ص٩١.

(2) د. بلقيس بدرى (المساواة بين الجنسين) ، مرجع سابق ، ص ٢١ ، وهو مشروع مقترح فى لبنان.

تقريــــر مصيرها، إلى البنية الجديدة التى ترتكز الأسرة فيها على مبدأ سيادة الرجل"[1]. وأقول: "لقد قدس الزواج الإسلامى هيمنة الرجل المطلقة"[2].

وتنقل (فاطمة) عن (روبرتسون سميث) من كتابه (القرابة والزواج فى فجــــر الإسلام) قوله: "أن مجيء الإسلام رافقته مجموعة من العلاقات الجنسية التى تسير فى اتجاهين: الأول أمومى يطلق عليه زواج الصديقة.. والآخر أبوى ويطلق عليه زواج البعل أو زواج الملكية.. كان زواج الصديقة يتميز بحرية المرأة الجنسية التى ترمز إلى سلطتها المطلقة على بيت الزوجية أى الخيمة التى كانــــت تســـتقبل زوجها فيها.. وكانت النساء أو بعضهن يطلق الرجال فى الجاهلية"[3]، ثم تتحدث فى السياق نفسه عن الأنواع الأربعة من النكاح التى كانت موجودة فى الجاهلية وهى:

١-نكاح الاستبضاع: (إرسال المرأة إلى رجل شريف أو وسيم رغبة فى نجابة الولد).

٢-نكـــاح الرهط: (يجتمع الرهط ما دون العشرة كلهم يدخلون على المرأة، ثم المرأة بعد الولادة تنسب الولد لواحد منهم حسب ما تشاء).

---

(١) فاطمة المرنيسى (الجنس كهندسة اجتماعية) ، ترجمة فاطمة الزهراء، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء ،١٩٩٦، ص٤٦.

(٢) المرجع نفسه ، ص٤٩.

(٣) المرجع نفسه ، ص٥٣.

٣-نكـــاح الـــبغايا: "وهـــن ينصبن الرايات، ويدخلن عليهن الرجال أعـــدادا كـــثيرة فإذا ولدت دعوا القائف لكى يلحق الولد بمن يرى حسب الشبه والخبرة.."

٤-نكاح الناس اليوم.

وتعلق على هذه الأنواع بقولها: "ويبدو أن أبوة الدم غير ذات أهمية فى ثلاثـــة أنمـــاط من بين الأنماط الأربعة، ويترتب على ذلك غياب مفهوم العفة فـــيها، وفى نمطين منها نجد تعدد الأزواج حيث كان للمرأة الحق فى الارتباط بعدد من الأزواج حسب رغبتها (٢-٣-..)"[١].

وتـــستنتج (فاطمـــة المرنيســـى) من هذا الكلام أيضا: "كانت النساء يتوفرن على حريتهن الجنسية فى الارتباط بأكثر من رجل واحد، أو الانفصال عـــنه، وذلـــك خلال فترة واحدة أو تباعا. لقد كان بإمكان المرأة أن ترتبط برجل واحد لمدة معينة وبشكل مؤقت كما هو الشأن فى زواج المتعة، أو أن تستقبل عدة أزواج فى فترات مختلفة"[٢].

وكأن لسان حالها يقول لنا: إن الإسلام ألغى النظام الأمومى الذى كان يتضـــمن حقوقا وحريات واسعة للمرأة، ومن الغريب جدا لمدافع عن حقوق المـــرأة أن تسمى بيوت البغايا والمومسات (تعدد الأزواج) وحرية!! وتسمى العملية الوحشية التى يجتمع فيها الرهط دون العشرة لكى يقفوا فى صف فى

---

(١) فاطمة المرنيسى (الجنس كهندسة اجتماعية) ، ترجمة فاطمة الزهراء، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء ،١٩٩٦، ص٥٦.

(٢) المرجع نفسه ص٥٧.

الغـــرفة المجـــاورة ويتوالوا الدخول على المرأة الواحدة ويستمتعوا بها (حرية وتعـــدد أزواج)، لأن المـــرأة في الجاهلية كانت تتبع تقليدا جاهليا شائعا فى بيئـــتها، ولأنها كانت تفعل ذلك برضاها!!، إن هذه العملية الهمجية تسمى اغتصابا جماعيا مشينا تتقزز منها النفس ولو تصورتها أية امرأة واعية لأصيبت بـــالدوار وقاءت تقززا واستقذارا، فهل هذه هى الحقوق والحريات؟، هل أن زواج المتعة الذى هو نوع من تجنيس العلاقات الزوجية، واختزالها فى الجسد والشهوة، والضحية هى المرأة التي تتحمل نتائج استمتاع عابر السبيل، هل في هـــذا ما يتأسف عليه لأن المرأة كانت مساوية مع الرجل فى عقد الزواج وفســـخه؟!، وهـــل إنهاء مثل هذا السخف المذكور من أنواع الأنكحة يعتبر سلب حق تقرير المصير من المرأة وتقديس سلطة الرجل المطلقة؟!، لا شك أنها (أى المرنيســـى) لم تصرح بكل هذه الاستنتاجات ولكن طريقة سوقها للكلام تدل على الكثير إيحاء وتضمنا.

وتقوم (المرنيسى) بربط الماضى القديم هذا بالحاضر، وتعتبر أن "النساء اللائى يبحثن عن الشواهد والأجور فى المجتمعات الإسلامية الحديثة، ويصرفن قدرا كبيرا من طاقتهن فى تطلعات فردية بالأساس، يبعثن فى الذاكرة الرمزية أشباح نساء الأرستقراطية العربية الجاهلية.. وتشكل المرأة بمبادرتها وتقريرها لمصيرها، جزءا مكونا رمزيا محملا بالجاهلية القديمة والحديثة أى تلك التى تبدأ مـــع العصـــر الحديث"[1] أى خلط هذا بين هذا التقرير للمصير وذلك الذى كـــان قديمـــا، وبـــين الخـــبط الجنسى القديم والبحث عن الشواهد والأجور والاهتمام بالتطلعات الفردية الحديثة؟!.

---

(1) فاطمة المرنيسى (الجنس كهندسة اجتماعية) ،المرجع السابق، ص٦٤.

وفى سياق تشويه مؤسسة الزواج الإسلامية تم تحريف معنى (المهر) الذى هــو عطــية ونحلة وهدية، وضمان اقتصادى يطيب به خاطر المرأة، وتطمئن نفســها بــه، ويحقــق الكــثير من الحكم والمعانى الجليلة، ولكن "الكثير من الكــتابات الغربية قد أساءت فهم معنى (المهر) ووظيفته الاجتماعية، ويبدو مدى سوء الفهم من نفس تسميه المهر فى الكتب الإنجليزية والأمريكية حيث يشــيرون إلــيه بكلمة (ثمن العروس Bride-Price)، والتى أصبحت من المصــطلحات الأنثروبيولوجية المعترف بها رغم أن الزوجة فى العصور القديمة كانت تُشترى"[1]، وربما لهم الحق فى ذلك ؛ لأن "الزواج عند قدماء اليونان كــان يــتم بشــراء المرأة بعدد من الثيران أو ما يساويها"[2]، وانتشار هذه العادة (ثمن العروس) فى أفريقيا .

والفهــم الأوربى الخاطئ لها أدى إلى استياء البعثات التبشيرية فى تلك المجــتمعات وكان الرجال يشاركونهم فى الرغبة من التخلص من هذه العادة دون النســاء اللائى قاومن للإبقاء عليها لما كن يرين فيها من ضمان وتأمين لحسن المعاملة فى المستقبل وعدم الاستهانة بهن من قبل الرجال[3].

وممــا ينبغى قوله هنا علاوة على ما ذكر أن المهر لم يقوي موقف المرأة فى الأســرة والمجتمع فحسب، وإنما ساهم ولا يزال بشكل ملحوظ فى حسن استقبال المولود الأنثى، سواء وقت ولادته أو بعد انتقاله إلى عش الزوجية.

([1]) الدكــتور محمــد يسرى إبراهيم (الأسرة فى التراث الدينى والاجتماعى) ، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥،ص١١

([2]) المرجع نفسه ص١١.

([3]) المرجع نفسه ص١١.

وللـــتأكد مـــن هـــذا القول يمكن قراءة هذه الفقرة الواردة فى إحدى منشـــورات الأمـــم المتحدة المتعلقة باتفاقية (CEDAW) المعروفة حيث تقـــول: "فى بعـــض مناطق العالم بما فى ذلك الصين والهند وجمهورية كوريا، ينتشر اللجوء إلى استخدام فحص السائل الأمينيوسى والأشعة فوق الصوتية من أجل معرفة جنس الجنين واللجوء إلى الإجهاض الانتقائى، مما يجعل النسب بين أعداد الذكور والإناث متفاوتة، ونجد جذور هذه الممارسات فى المعتقدات الثقافـــية والاجتماعية التى ترتبط بإنجاب البنات، والتكاليف الباهظة لتزويج البنات، وقد لجأت بعض الدول كالصين إلى إصدار تشريعات للحد من هذه الممارسة"[1].

وكذلـــك فـــإن الكتاب العرب الذين انطلقوا من منطلقات ماركسية واشـــتراكية فى تفسيراتهم لهذه القضايا وقعوا فى خطأ فاضح عندما أرادوا أن يفســـروا الحـــياة الأســـرية بنظريات الملكية ووسائل الإنتاج وتوريث المال وصـــراع الطـــبقات وغـــير ذلـــك أمـــثال (المرنيسى والسعداوى وشرابى) وغيرهم...

تقـــول (نـــوال السعداوى):- معترضة ومحاولة تشويه مفاهيم القوامة والمهـــر والـــنفقة وملوحـــة بنقص فى الإصلاحات التى كان لابد للإسلام أن يـــتمها-: "وقد حارب الإسلام الرق والظلم والفساد والبغى وشرب الخمر ولعـــب الميسر والربا، إلا أن الرجل فى ظل الإسلام هو السيد وهو (القوام) على المرأة، والزواج فى الإسلام ظل أشبه ما يكون بعقد تمليك، يملك الزوج

---

(1) منشورات منظمة الأمم المتحدة للأطفال المكتب الإقليمى للشرق الأوسط وشمال أفريقيا – عمان.

زوجـــته بحكم الصداق (المهر) والإنفاق"[1] ثم تقول عن قيمة العفة ودورها: "لقد فرضت على النساء العفة والعذرية، والإخلاص الزوجى بكافة القوانين الســماوية والأرضــية الممكنة حتى لا يتسرب إلى الرجل المالك أى شك فى اشتراك طفل غريب مع أطفاله فى ميراث أمواله"[2]!!.

وتقول (المرنيسى) فى تحليل صراع الحجاب (بين رجال أصوليين ونساء لا أصوليات) على حد تعبيرها: "وهنا علينا أن نحدد من هم هؤلاء الرجال، ومن هن هؤلاء النساء اللواتى اخترن نبذ الحجاب، فصراع الطبقات تعبر عن نفسها أحيانا من خلال انشقاق حاد يركز على الجنس"[3].

وهكـــذا وبكـــل ســـطحية وعدم دقة، يتم ربط الأمور ببعضها البعض وتحليلها بأطر تحليلية لا تتناسب مع مجتمعاتنا وظروفها التاريخية، بل هى غير صحيحة فى أى مجتمع على الإطلاق وإن كان يتضمن جزء يسيرا من الحقيقة أو بعدا واحدا من بين أبعاد كثيرة ومتعددة.

بعـــد هـــذا العرض نستطيع أن نتبين بكل سهولة أن الخطاب النسوى العــلمانى يعــادى مقومات الأسرة الإسلامية، وتتصاعد لهجة العداء بمقدار تصاعد درجة العلمنة والتطرف فيها واستلهام تجارب الغرب والتأثر بأدبياته،

([1]) نوال السعداوى (الوجه العارى للمرأة العربية) ، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ص٣٢.
هل هذا بحق هو التقييم الصحيح لمشاعر الأبوة ورغبة الرجال فى الإنجاب، وهل الرجل الذى لا يملك مالا يورثه يوافق أن يلحق به أى طفل؟!!.

([2]) المرجع السابق، ص٢٩.

([3]) فاطمة المرنيسى (ما وراء الحجاب) ، ترجمة أحمد صالح ، دار حوران، دمشق ، ١٩٩٧ ، ص١٥.

ومظاهر هذا العداء كثيرة منها الدعوة للزواج المدني Civil Marriage والتي تعني نزع القداسة عن عقد الزواج، وجعله ارتباطا دنيويا يؤدى بالنهاية إلى تحويله إلى رابطة نفعية غريزية لا تقتضى الدوام، ومنها الحديث الذى سبق ضد (المهر) و (الإنفاق) و (القوامة)..، ويدخل فى هذا الباب أيضا الإصرار على تيسير الطلاق (مثل الرجل تماما) من غير النظر إلى مآلات هذا الأمر على تفكك الأسرة[1].

ومن الأمور التى تدخل فى هذا الباب الحديث عن تقليص دور الأبوين فى تنشئة الأولاد، وإعطاء المراهقين الحق فى دخول الحياة وتجاربها باستقلال عن سلطة الأبوين، وكذا الحديث عن الأسرة الممتدة وذمها واعتبارها نظاما أبويا متخلفا، دون تفريق أو تمحيص فى معنى الأسرة الممتدة.

وأخيرا نقول ومن منطلق تجربة الغرب نفسه: إن الحديث عن الزواج المدنى وتساوى الزوجين تماما فى حق الطلاق، وعداوة الزواج الإسلامى تؤدى فى مرحلة لاحقة إن فازوا بهذا إلى ظهور تيارات معادية للزواج والأسرة والارتباط الشرعى والإنجاب.. كما حصل فى الغرب، والتدرج من سيئ إلى أسوأ فى الهبوط والسقوط الحضارى.

---

(1) وهذا الكلام لا يعنى عدم تمليك المرأة حق الفسخ أو التفريق القضائى أو الخلع.. ولكن الخطاب العلمانى يتجاوز هذه الأمور إلى أبعد منها.

المطلب السابع

ملكية المرأة لجسدها

من الأمور التى تثيرها الحركة النسوية الحديث الدائم عن الحرية الشخصية للمرأة فى كافة المجالات، حتى سميت هذه الحركة بتحرر المرأة لجوهرية هذا المفهوم عندها، فالمرأة حرة فى العمل، حرة فى اختيارها للزى، حرة فى علاقاتها، حرة فى حضور المناسبات، حرة فى عقد العقود وفكها، حرة فى التصرف ببكارتها وعفتها وجسدها، وهى حرة فى الإنجاب وعدمه، وإذا حبلت فهى حرة فى تقرير مصير جنينها وإجهاضه، وهى حرة فى الخضوع لرغبة الزوج جنسيا وطاعته.. الخ، قائمة طويلة وهى فى تزايد مستمر طالما أن استيراد الأفكار واستعارة الأدبيات مستمرة.

كيف لا والعصر عصر غلبة الليبرالية على العالم، أو عولمة الليبرالية فى السياسة، والاقتصاد، والإعلام، والاجتماع والحياة الشخصية، وهذا الحديث عن الحرية ليس حديثا عن حرية مقيدة بالثوابت ومنضبطة بالقيم وغير متعدية على الصالح العام ولو كان كذلك فلا بأس، لأن الحرية أساس الإيمان والتكليف والحياة السليمة للرجل والمرأة، وهى من القيم العليا التى لابد من حمايتها من أى تغول واستبداد وتفسيرات متعسفة.. ولكنه حديث عن (حرية مطلقة) مرجعيتها هى الليبرالية التى تؤله الإنسان، وتقدس نزواته ورغباته ولو كانت حيوانية وضارة، وتمجد اختياراته ولو كانت عبثية ومدمرة..

وهذه الحرية المطلقة دعمت فى الكتابات العربية بحجة "أن المرأة تملك جسدها" وهى كما سبق أن ذكرناها فهى ترجمة حرفية لشعار :

الذى ابتدعته الأنثوية الغربية، (Your body is your own) وتؤكد هذه الكتابات على أن المجتمع لابد أن يغير قيمه ومفاهيمه ويتقبل هذه الحرية باعتبارها حقا مشروعا لشخص يتصرف فى شئ خاص به (أى تصرف المرأة فى جسدها).

تقول نوال السعداوى: "المفروض أن كل إنسان يمتلك جسده، والمفروض أن تمتلك المرأة جسدها لأنها إنسان، فهذا أول حقوق الإنسان"[1].

وهذه الحجة معناها واسع وتتضمن أمورا كثيرة تحوم حولها هذه الأدبيات النسوية منها:

١ –حق المرأة فى ستر جسدها وعدمه: والأصح أن نقول حق المرأة فى كشف جسدها فقط، أما الستر وعدم الكشف فذلك محارب باعتباره تخلفا ورجعية وتزمتا ورديفا للظلامية والإرهاب، وسببا للحرمان من الكثير من الحقوق والامتيازات فى المجتمع[2]، يصل فى بعض الأحيان إلى الحرمان من التعليم وحتى العلاج، ولما كان أنصار الحداثة والتغريب يرون تلازما بين حجاب الجسد وحجاب العقل، ويعتبرونه سمة التخلف، فلا تحديث ولا نهضة ولا تنمية من غير التخلص من هذه العادة البالية!! فإنهم يقررون بكل بساطة

---

(١) نوال السعداوى (الوجه العارى للمرأة العربية)، مرجع سابق، ص٢١٥.

(٢) فى تركيا التى تدعي الديموقراطية منعت (مروة قاوقجى) من حقها فى البرلمان كنائبة شرعية منتخبة من الجمهور لأنها ترتدى الحجاب وتستر شعرها، وفى تونس تمنع الفتيات المسلمات من العلاج فى المستشفيات والتعليم فى المدارس والجامعات بل المشى فى الشوارع والأسواق إذا لم يوعن الحجاب، هذه هى الحداثة العلمانية، وسعة صدرها لقيم الأمة وممارسة الحرية الشخصية.

أنـــه لا مجـــال لممارســـتها، وكان المنطق يفرض أنه طالما أن الحديث هو عن خيارات المرأة وحريتها فيلزم أن يكون أمر الستر والكشف سيان.

ولقد أتى العلمانيون (نقلا عن الغربيين طبعا) بآراء غريبة فى موضوع الحجاب بقصد تشويهه وإخراجه عن مغزاه الإسلامى منها ربط غطاء الرأس وستر المرأة بدنها بملكية المرأة للرجل وخضوعها وانقيادها وانكسار شوكتها، وأنـــه من بقايا الأسرة الأبوية واضطهاد المرأة لا من تشريع إلهى كما يقول الدكتور إمام عبد الفتاح إمام[١].

وبعضـــهم يـــربط الحجاب بالملكية الخاصة، وأن الرجل عندما أراد أن يحصـــل عـــلى ذريـــة خالصـــة يورثهم ملكيته، قام بلف المرأة بثياب كثيفة وتعقيمها وإبعادها عن أنظار الرجال!! وهذا منطق د.نوال السعداوى ورفاق الاشتراكية.

وربطـــوا بين الحجاب وكبت المرأة وقهرها، وربطت (فاطمة المرنيسى) بـــين الحجاب والخوف من الطاقة الجنسية الكامنة فى المرأة والتى هى خطيرة على الرجال، وتريد بهذا استنتاج معنى مفاده بأن القدرة الجنسية عند المرأة أكـــثر انطلاقا وقوة مما هى عند الرجل، وتريد أن تتقول على الإمام الغزالى مثل هذا القول الذى هو ليس غريبا فقط وإنما باطل أيضا[٢].

---

(١) الدكتور إمام عبد الفتاح إمام (الفيلسوف المسيحى والمرأة) مرجع سابق ، ص٣٦.

(٢) انظـــر فاطمة المرنيسى (الجنس كهندسة اجتماعية) ، مرجع سابق ، ص١٤ وما بعدها .
وخلاصـــة النتيجة التى توصلت إليها (المرنيسى) بعد مقارنة الإمام الغزالى بفرويد هى: (فالمـــرأة قوة هدامة للنظام الاجتماعى إما لكونها فعالة تبعا للإمام الغزالى، أو سلبية فى رأى فرويد) المرجع نفسه ، ص ٢٨.

وذهب الخطاب العلماني إلى أن عدم ستر المرأة بدنها دليل على عكس ما ذكرناه جميعا، حتى غالى (يوسف حوراني) وقرر أن عرى المرأة تطيل بقاء الحضـــارات، واستخدامها في المهرجانات وصالات العرض للتمتع والشهوة تعتـــبر كســـبا مهمـــا للمرأة يدل على مكانتها. حين قال: "أكتاف الفتيات الجمـــيلات العاريـــة في مدرجات وصالات التمثيل حيث يجتمع سراة روما، وهذا مما يرينا نشاط المرأة في نهاية الحضارة الرومانية، ويعطينا تعليلا للنزاع الطويل المدى لتلك الحضارة"!![1].

٢-حرية المرأة في علاقاتها الجنسية: فلها أن تختلط بالرجال بمقتضى أو بغير مقتضى من غير أن يكون هناك قيود على هذا الحق المزعوم، ففي التعليم مـــن الابتدائية إلى الجامعة من غير استثناء حتى لمرحلة المراهقة، وفي الأعمال كذلك، وفي الأفراح والمناسبات، وفي السفرات والرحلات والزيارات.. وفي كل الأحوال لها أن تلبس ما تشاء، وتجلس وترافق الرجال كما تشاء.

وخلاصـــة الخطـــاب العلماني هي إباحة كل شئ في مجالات العلاقات الجنسية التي هي دون الجماع، فاللباس حرية شخصية والاختلاط هو الأصل، والحب والمداعبة والغرام غرائز طبيعية بريئة، والعيون لابد أن تكون جريئة!! طالمـــا أن النظرات بريئة!! والمهرجانات والحفلات الغنائية ترفيه واسترواح، والجلسات الفردية بل الخلوات المستمرة تعارف وتخطيط للمستقبل ولا شك أن التخطـــيط يحـــتاج إلى جلسات طويلة (وهذا التخطيط يبدو أن شبابنا لا يحســـنونه إلا في الغـــرام)!!، أمـــا المراقصة فهي رشاقة وأناقة وجمال وصقل

([1]) يوســـف حـــوراني (الإنسان والحضارة) مرجع سابق ص١٣١. وهو نفسه الذي قال كما نقلنا عنه أن الحرية الجنسية تفقد الحضارة البشرية قوة دفع مهمة في الإبداع الذي مرده إلى تمنع المرأة.

للذوق وخصوصا إذا كانت على الطريقة الأوربية كما يقول سلامة موسى: "وأنا لا أقول بالرقص للسيدات المتزوجات، ولكنى أقول به للآنسات وللشبان!! وأعنى بالطبع الرقص الأوربى"[1]. ويقول: "الرقص يدرب كلا منهما تدريبا اجتماعيا على المؤانسة، والشهامة، والرشاقة، كما أنه سبيل للتعارف.. ولا ننسى أبدا أن الراقص لا يمكن أن يقع فى الشذوذ لأن الرقص يعوده على الاتجاه نحو المرأة، والمرأة فقط، ولكن الشاب الذى يحيا نحو ٢٥ أو ٣٠ سنة وهو لا يختلط بالجنس الآخر، ولا يرقص فإن احتمال سقوطه فى الشذوذ كبير جدا"[2].

ويؤكد سلامة موسى عشرات المرات فى كتاباته أن اختلاط الجنسين والرقص يمنع الشذوذ الجنسى، وتهافت هذا الرأى واضح بالنظر إلى عشرات الملايين من الشاذين جنسيا فى أوروبا وأمريكا ودول الإباحية الأخرى ، وحيثما حلت الإباحية والتبرج والاختلاط الذى لا يقصد به خيرا ، ولا تضبطه قواعد شرعية فإن الشذوذ الجنسى بأشكاله نتيجة طبيعية وحتمية، وإذا لم يكن هذا واضحا فى الستينات عندما كتب سلامة ذلك أو تجاهله فإنه الآن من أكثر الحقائق المرة الجلية فى حضارة الجسد والشهوة الغربية، وما يمكن تسميته بالنظام الجنسى العالمى الجديد.

([1]) سلامة موسى (المرأة ليست لعبة للرجل)، بدون ناشر ولا تاريخ، ص١١٣.

([2]) المرجع نفسه، ص١١٤.

ولم يقـــف الخطـــاب العلماني عند هذا الحد، بل تعدى إلى استبعاد أن يكون النشاط الجنسي للإنسان مسألة دينية خاضعة لأحكام وقوانين إلهية كما ترى ذلك المرنيسي في كتابها (ما وراء الحجاب)[1].

وتجـــاوز ذلـــك للإستخفاف بالعفة والبكارة والشرف، واعتبار الغيرة عاطفة برجوازية ووصاية مرفوضة من الرجل على المرأة، تقول سلوى خماش: "تعود غيرة الرجل على شرف العائلة إلى عاملين أساسيين:

أولهما: فكرة أن المرأة من ممتلكاته لا يحق لأحد الاقتراب منها، وأن المـــرأة كمملوك مدفوع الثمن (بالمهر) ليس لها حق التصرف بنفسها خارج إرادة الرجل.

ثانيهما: تحديد شرف البنت كلية في احتفاظها بعفتها الجسدية"[2].

ولا أظن أن هناك أدنى شك في كون هذا القول دعوة صريحة لحق المرأة في التصرف في جسدها خارج إرادة الزوج، وأن تزوج المرأة لا يعني قصرها عـــلى الزوج، بحيث لا يحق لأحد الاقتراب منها، وأن العفة الجسدية ليست مسألة مهمة قبل الزواج!!.

وتقـــول (ســـلوى خمـــاش) أيضا: "ويشكل هذا المفهوم أحد العوامل الرئيســـية الـــتي تكمن وراء قلق وخوف الفتاة من أن تنشئ علاقة حقيقية وإنسانية مع الجنس الآخر، إلا إذا كانت قد ضمنت وقوف المأذون على بعد

([1]) انظر (ما وراء الحجاب)، مرجع سابق، ص٩٠.

([2]) بوعلي ياسين (حقوق المرأة)، مرجع سابق، ص١٥٨.

خطـــوة مـــنهما، الأمر الذى يجعل كثيرا من العلاقات سطحية ومبتورة"[1].
ومعـــنى هذا أن الزنا أحيانا تكون علاقة حقيقية وإنسانية مع الجنس الآخر!!
وعلاقات الزواج سطحية ومبتورة!!

يخاطـــب نـــزار قبانى فى شعره: "فتاة تعيش فى وسط برجوازى منفتح لكنها تحمل فى ذاتها كوابح ومعيقات تمنعها من إقامة علاقة حب وجنس حرة وصادقة"[2]، لأن المجتمع هذا (بكارة الأنثى عقدتهم وهاجسهم) ويتساءل: "ما هذا الشرف الذى يصادر أحلام النساء، ويحجر على عواطفهن؟"[3].

ولعـــل (نـــزار قبانى) الملقب بنصير المرأة أكثر دعاة النسوية جرأة فى الدعـــوة إلى الحـــب الحر، والعلاقات خارج الزواج، والتعرى.. وهو الذى يدعـــو (كمـــا يقـــول بوعلى ياسين): "المرأة إلى التمتع بالحب، مركزا على المداعـــبات أكثر من الجنس (الكامل) ، فهذا (أى الجنس) يأتى نتيجة الحب، يقـــول لقارئـــته: "تقدمـــى وتحررى وحبى، ولا تهتمى لكلام الناس، فبالحب تكـــبرين. لا تخـــافى ولا ترتابى فما من غضاضة فى الهوى. وهذا النهد الذى تخفينه أثمن ما فى العالم، فلمن هو يكبر ويتكور أليس قطك أسعد منك؟ عيشي مفـــاتن هـــذه الحـــياة، أتريدين أن تكونى عقيمة ومقفرة؟ وأن تكون أيامك مكـــررة مضجرة ؟ حبى وتعرى ولا تخجلى فهذا شئ طبيعى" وفي هذا يقول نزار:

---

(1) المرجع نفسه، ص١٥٩.

(2) المرجع نفسه، ص١٣٣.

(3) المرجع نفسه، ص١٣٢.

فغـــــدا شـــــابك يـــــنطفى مـــــثل الشـــــعاع المضـــــرم
وغـــــداً ســـــيذوى الـــــنهد والشـــــفتان مـــــنك فـــــأقدمى
لا تفـــــزعى.. فاللـــــثم للشـــــعراء غـــــير محـــــرم
مجـــــنونة مـــــن تحجـــــب الـــــنهدين أو هـــــى تحـــــتمى
مجـــــنونة مـــــن مـــــرّ عهـــــد شـــــبابها ولمـــــا تلـــــثم"[1]

وغريب أن يعتبر (قبانى) نصيرا للمرأة وغالب أشعاره تختزل المرأة إلى الجسد والشهوة والمتعة ، وبعض مقطوعاته الشعرية لا تختلف كثيرا عن أغلفة مجلات الجنس التى تمتهن المرأة[2]. والمرأة التى دافع عنها نزار هى تلك الشابة المغرية الفاتـــنة الـــتى تسجن وتمنع عن انطلاقها الغريزى وإبراز مفاتنها، والتى تمتع نظرات الرجال مثله، والنهد عنده ليس مصدرا لسعادة الطفل ومخزنا لأسرار الحياة ولكنه تفاحة مكورة جميلة تتأرجح بين أصابع الرجال، ولا يتحدث عن الحقوق السياسية والاقتصادية للمرأة (على مقدار علمى واطلاعى) !!.

نـــترك (نزار) وشأنه ونعود إلى موضوعنا.. حيث ترى (المرنيسى) أن الحفاظ على البكارة أصبحت مستحيلة فى الواقع الراهن، وأن الرجل يطلب المســـتحيل!! ولذلـــك تلجأ الكثيرات من النساء فى المغرب إلى إجراء عملية جراحية لاستعادة غشاء البكارة، وتقول أن هذه (البكارة الاصطناعية): "رمز

([1]) المرجع نفسه، ص١٢٩، (من ديوان قالت لى السمراء ١٩٩٤).

([2]) فى الحقـــيقة إن نـــزار القبانى من حيث الموهبة الشعرية إنسان مبدع ومتمكن وله بعض الأشـــعار السياســـية الرائعة وكذلك له من الغزل ما هو عفيف ومقبول، و ليته وظف شعره وإبداعه كله فى اتجاهات مثل ذلك.

إلى قلق قديم قمع رغبة الجنسين فى أن يتبادلا الحب والاحترام، ومصدر هذا القلق -هو انعدام المساواة الجنسية- الذى يعادى الطبيعة والمجتمع"!![1].

ولقد أدلى (جورج طرابيشى) بدلو كبير فى هذا المجال سواء عن طريق الأدبيات التى ترجمها أو التى كتبها هو، يقول فى تعليقه على رواية سهيل إدريس (الحى اللاتينى): "إن الشرق المتأخر، الأبوى، الحنبلى، التقليدى، يكمن كله فى هذه العبارات القليلة: فأنبل رسالة للمرأة أن تبقى (بكرا) وحرام عليها أن (تسلم) جسدها إلا لبعلها فى الشرع، ولا يجوز أن تسلمه حتى لخطيبها.."[2]. وهو كلام لا يحتاج إلى تعليق، ولو استطردنا فى مثل هذه الشواهد وتتبعناها فى كتبهم ما وسعها كتاب كامل، ولابد من الإشارة إلى أن هذه الأفكار صيغت فى قصص وروايات ومسرحيات أكثر من تدوينها فى البحوث الفكرية ولذلك تجد الروايات طافحة بهذه الأفكار الناشزة.

ودعما لمسيرة الحرية المطلقة فإن (السعداوى) وجدت حلا لمشكلة حقيقية، فماذا لو أدت العلاقة الجنسية (قبل الزواج) أو الحرة إلى جنين فى بطن المرأة؟ والحل يقوم على أساس أن: "أى طفل يولد فهو شريف وشرعى ومن حقه أن يحصل على اسم أمه أو أبيه، ويتساوى اسم الأم مع الأب فى الشرف الاجتماعى والأخلاقى، وبهذا يمحى من الوجود الظاهرة المسماة بالأطفال غير الشرعيين.."[3].

---

(1) المرجع نفسه، ص١٧٦.

(2) جورج طرابيشى (شرق وغرب - رجولة وأنوثة)، مرجع سابق، ص٨٤.

(3) نوال السعداوى (الرجل والجنس) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بغداد ١٩٨٦، ص ١٩٦.

٣-حـــرية المـــرأة فى التصرف بجنينها: أى الحديث عن حق الإجهاض بالنسبة للمرأة، ولعل القليلين ذهبوا هذا المذهب، والآخرين اكتفوا بالحديث عـــن حـــق المرأة فى الامتناع عن المعاشرة، وحق المرأة فى تحديد مرات الحمل وتوقيته.

ولكن نوال السعداوى التى تتصف كتاباتها بالانفعالية والثورية والجرأة الزائدة فتقول منطلقة من مبادئها الماركسية: "إن المشكلة الأساسية فى حياة المـــرأة أن جسدها هو الوسيلة الوحيدة لإنتاج البشر، ومن أجل أن تسيطر الدولة على وسائل الإنتاج وتخضعها لمصلحة النظام الاقتصادى السائد، فقد ســـيطرت على أجساد النساء وأصبحت المرأة لا تملك جسدها، وإنما الذى يملكـــه هو الدولة التى ورثت فى العصر الحديث كثيرا من سلطات الرجل فى الأسرة الأبوية البدائية.." [1]، ثم تواصل: "إن الأم وحدها هى صاحبة الحق الأول والأخـــير فى تقرير بقاء الجنين فى جسدها أم إسقاطه، وهذا شئ طبيعى لأن الجـــنين قـــبل أن يولد ليس إلا جزءا من جسد الأم، وليس هناك من هو أحق بامتلاك هذا الحق، والمفروض أن كل إنسان يمتلك جسده، والمفروض أن المرأة تملك جسدها لأنها إنسان فهذا أول حقوق الإنسان"[2].

---

[1]) نوال السعداوي، الوجه العاري للمرأة العربية، مرجع سابق، ص٢٠٥

([2]) نوال السعداوى (الوجه العارى للمرأة العربية)، مرجع سابق، ص٢٠٥.

المطلب الثامن

التناقض بين التحديث والإسلام

الحديث عن وجود تناقض بين التحديث والإسلام، والمقصود بالتحديث العدالـة والمسـاواة والتنمية.. تقول (المرنيسى): "ينادى المغرب (أى دولة المغـرب) بـأن يكون حديثا وعربيا ومسلما. وكل واحدة من هذه الصفات الثلاث تتصل بسلسلة مترابطة من الحاجات والتطلعات التى كثيرا ما تكون متناقضـة أكثر منها متكاملة"[1] ، وتقوم بالاستدلال على هذا التناقض من خـلال بـيان تـناقض قوانين الأحوال الشخصية المستمدة من الإسلام مع القوانـين الدولية من قبل ما يسمى بالشرعية الدولية التى يراد لها أن تكون شريعة دولية بعد عصر الهيمنة الغربية والتى تسمى (العولمة) .

وتقـول: "والمغـرب كدولة حديثة عضو فى الأمم المتحدة، وقّع على الإعـلان العـالمى لحقوق الإنسان الذى ينص فى المادة (١٦) المتعلقة بتنظيم الأسرة على أن: للرجال والنساء البالغين والبالغات الحق فى الزواج وإنشاء الأسـر بغـض الـنظر عن دينهم أو عرقهم أو جنسيتهم، وهم متساوون فى الحقـوق داخل القفص الزوجى، وعند حدوث طلاق ومع ذلك، وكمجتمع إسـلامى يؤكـد رغبـته فى الحفـاظ عـلى العائلـة فى إطـار الشـريعة الإسلامية!!..هناك خرق فاضح آخر للإعلان العالمى لحقوق الإنسان، فالمادة (٢٩) مـن القـانون المغربى الخاص بالعائلة يحرم على المرأة اختيار زوج من خارج الجماعة الإسلامية، بينما يسمح بزواج المسلم من غير المسلمة"[2].

([1]) فاطمة المرنيسى (ما وراء الحجاب)، مرجع سابق، ص٦٤.

([2]) المرجع نفسه، ص٦٦.

وتقــول: "فى هذا الكتاب (ما وراء الحجاب) أريد أن أبين أن هنالك تناقضـــا أساسيا بين الإسلام كما تفسره السياسة الرسمية، وبين المساواة بين الجنسين، الحق أن المساواة الجنسية تخرق إحدى مقدمات الإسلام التى جعلتها الشـــريعة أمرا واقعا، والتى تقول أن الحب المتبادل بين الجنسين يشكل خطرا عـــلى الـــنظام الإلهى !! ذلك أن الزواج الإسلامى قائم على سيطرة الرجل، كذلك تشكل إزالة الحواجز بين الجنسين خرقا للأيديولوجية الإسلامية الخاصة بوضع النساء فى النظام الاجتماعى. أى لضرورة خضوع النساء لسلطة الآباء أو الأزواج أو الأخـــوة، وبمـــا أن الله يعتـــبر النساء عنصرا مدمرا!! لذلك يتوجـــب احتجازهن فى فضاء خاص بهن وإقصائهن عن القضايا التى لا تتعلق بالعائلة"[1].

ويلاحظ على كلامها هذا فساد فى التفكير والتعبير، فهى تقيد الإسلام بـــــ (كمـــا تفسره السياسة الرسمية) لعلها بهذا القيد تنفى عن نفسها اتهام الإســـلام كديـــن ولكنها بعد عدة كلمات فقط تقول: (مقدمات الإسلام)، و(جعلتها الشريعة)، و(أن الله يعتبر).. ولا أدرى كيف تقولت على الله هذا القول الغريب (كونه –عز وجل– يعتبر النساء عنصرا مدمرا)!! –تعالى الله عمـــا تقول–. وتقول: (إزالة الحواجز) أى نوع من الإزالة هذه؟ ومن الذى قال: يتوجب احتجازهن وإقصائهن بهذا الإطلاق والتعميم بله أن ينسب ذلك القول إلى الله؟!

وتقـــوم بعد سطور بتبرئة الإسلام عن الاعتقاد بدونية المرأة، وتقول: "الإسلام، خلافا لما يفترضه الكثيرون لا يطرح مقولة دونية متأصلة فى النساء

([1])فاطمة المرنيسى (ما وراء الحجاب)، مرجع سابق،، ص٧٩.

إنه على العكس يؤكد إمكانية مساواة الجنسين.."[1]، وعندما ترتاح نفسك إلى هذه النتائج والقرارات تفاجأ أنها تقول: "هنالك نظام مبنى بأكمله على افتراض أن النساء كائنات قوية وخطرة"!! و"غير أن الأيولوجيا الإسلامية التى ترى أن الرجال والنساء أعداء.."[2]، وكأنها تتبع سياسة الرفع ثم الكبس كما فى الكرة الطائرة، فعباراتها مرتبكة ومربكة، سلبية ثم إيجابية ثم سلبية وهكذا.

ومن البديهى أن نقرر أن الخطاب العلمانى يعتبر الإسلام كمرجعية مناقضة للحداثة ؛ لأن الحداثة تنبنى على (العلمانية) و (العقلانية) والتى تعنى أسبقية العقل على النص، وعدم التحاكم إلى النص الدينى سواء كان الإسلام أو غيره، وأن الدين كغيره من مصادر المعرفة قابل للرد والنقد والإبدال.

وقد شدد (عادل ظاهر) النكير على بعض العلمانيين استخدامهم النصوص الإسلامية فى الاستدلال على مواقفهم وأفكارهم ، وقال فى معرض رثائه على تراجع العلمانية فى العالم العربى: "والأخطر من كل هذا والأكثر تدليلا على تراجع الفكر العلمانى عندنا ما نشهده من محاولات حثيثة من قبل المفكرين العلمانيين لدعم موقفهم عن طريق اللجوء إلى الإسلام نفسه -إلى القرآن والسنة- غير مدركين أنهم إنما يقدمون بهذا أكبر التنازلات للحركات المناوئة للعلمانية وأنهم -وهذا هو الاخطر- إنما يناقضون أنفسهم أيما تناقض إذ يجعلون النص الدينى مرجعهم الأخير فى مجال دفاعهم عن علمانيتهم، بينما

---

(1) فاطمة المرنيسى (ما وراء الحجاب)، ص٧٩.

(2) المرجع نفسه، ص٨٢.

العلمانية تقوم، فى المقام الأول، على مبدأ أسبقية العقل على النص"[1]، يقول إنه لابد للعلمانية أن تكون "حركة أعملت أدواتها النقدية فى شتى المجالات، فى القيم والدين والسياسة والاجتماع، وحاولت أن تصل إلى فهم أعمق للقضايا المختلفة التى ترتبط بهذه المجالات وأن تستشف العناصر المكونة لطبيعة القيم والدين والسياسة"[2]. باختصار يقول: إنه كان ولابد من نزع القداسة عن القيم والدين.. الخ، والقيام بحملة تشكيك وإرباك معرفى فى كل النواحى والمجالات حتى نستعير الظرف التاريخى الغربى الذى ولد العلمانية، لأن استيراد العلمانية من غير التمهيد لها باستيراد تاريخ مشابه لا تنجح، ولعمرى إنه لكلام غريب لأنه إن أمكن استيراد الحاضر فكيف يمكن استيراد الماضى!!، ولكن هذا هو رأى عادل ظاهر.

تتحدث مقدمة كتاب (زمن النساء والذاكرة البليدة): "عن أنه فى بداية القرن وبعد الاهتمام بالحداثة ثار سؤال مهم كان مؤداه كيف نتحول إلى دولة حديثة دون فقدان هويتنا؟ ويقول (كاتب المقدمة) أن الناس قد انقسموا إلى ثلاث فرق بعد أن افترض السؤال وجود تناقض حتمى بين

([1]) عادل ظاهر (أسس الفلسفة العلمانية) دار الساقى، بيروت ١٩٩٨ ، ص٥. وعادل ظاهر هو أستاذ فى الفلسفة (مصرى) وهو من العلمانيين المتطرفين، يرفض وجود أى علاقة ضرورية بين الدين والحياة (السياسة) ويقول: "إن الذين يصرون على أن العلاقة بين الإسلام والسياسة هى علاقة ضرورية تفرضها ماهية الإسلام كدين، إما مخطئون فى فهمهم للإسلام أو أن الإسلام متناقض داخليا"!!، نشر عدة بحوث منها (الإسلام والحداثة) ، دار الساقى ١٩٩٠، (الأخلاق والعقل) ، دار الشروق١٩٩٠، وهما مضمنان فى هذا الكتاب.

([2]) المرجع نفسه، ص٦.

الـــتراث والعصر- فريق انحاز للحداثة والعصر ورفض التراث، وفريق انحاز للتراث ورفض العصر، وفريق ثالث خافت الصوت أراد التوفيق بينهما"[1].

ونقـــول: طالمـــا أن حقوق المرأة استندت إلى مرجعيات بشرية خالصة وعقلانـــية بحـــتة غير مستهدية بهدى الوحى، واعتبر العلمانيون أن النموذج الغربى بكل أبعاده ومعطياته، هو النموذج المحتذى به للتحديث والتنمية فإن التـــناقض فعـــلا قائم، وهذا الخطاب يستبطن فكرة مفادها أن التغريب هو الأصـــل وتتـــبعه حقوق المرأة، لا أن حقوق المرأة وسعادتها أصل تطلب أنى وجدت أخذ بها، وهذا الخطاب يهمه الشطر الأول من السؤال (كيف نتحول إلى دولة حديثة؟) ولا يهمه (دون فقدان هويتنا) ليس فقط لأن أمر الهوية لا يعنـــيهم كثيرا ولا يعرفون ترتيب أولويتها فى حاجات الفرد والأمة والمجتمع والدولة، ولكن لاعتقادهم أنه من الممكن انتزاع حلول مستوردة من سياقات تاريخـــية واجتماعية وحضارية معينة، وتطبيقها على المجتمعات دون الالتفات إلى الفوارق والخصوصيات والشروط الحضارية بعد أن اعتقدوا بل افترضوا وقـــرروا مسبقا من غير فحص أن هذه الحلول صحيحة لا غبار عليها. وأن الحل المنبثق من هويتنا وديننا غير مجد وذلك بعد أن حمل الإسلام كل سيئات العـــادات والتقالـــيد والأوضاع القائمة والإرث الفقهى الذى يعود لعصور الجمود والانحطاط من الاجتهادات والأقوال التى لا تليق بعصرنا ولا تتوافق مع مقاصد وفحوى ديننا.

---

[1] (زمـــن النساء والذاكرة البليدة)، مجموعة أبحاث ملتقى ذاكرة المرأة، تحرير هدى الصدة وأخريات، ١٩٩٨.

الفصل الرابع

العولمة الاجتماعية

وانعكاسات الفكر الأنثوي على المؤسسات الدولية

المبحث الأول:العولمة الاجتماعية

- تعريف العولمة
- العولمة والهيمنة
- الفلسفة التي تقع وراء عولمة القيم الغربية

المبحث الثاني: أهداف العولمة الاجتماعية

- هدف ثقافي وعقائدي
- هدف سياسي وأمني
- هدف اقتصادي
- هدف اجتماعي

المبحث الثالث: آليات العولمة

- نوادي اتخاذ القرار
- المؤتمرات الدولية

● القوانين الدولية

● المنظمات الأهلية

● الإعلام

● الضغوطات (التدخلات، الاجراءات)

المبحث الرابع: قراءة عاجلة لمؤتمر السكان واتفاقية(CEDAW)

● مؤتمر السكان في القاهرة (قراءة سريعة)

● بعض المفاهيم التي وردت في بنود الوثيقة

● اتفاقية مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة

● قراءة سريعة للجنة سيداو ونماذج من تفسيراتها وأسئلتها

الفصل الرابع

العولمة الاجتماعية

أو انعكاسات الفكر الأنثوي على المؤسسات الدولية

المبحث الأول

العولمة الاجتماعية

مدخل عام

بعـد أن درسـنا انعكاسات الفكر الأنثوي على الثقافة العربية أو اجترار الفكر الأنـثوي في العالم العربي بتعبير أدق، لابد لنا أن ندرس أثره على المستوى العالمي وذلك عبر محاولة قراءة البعد الاجتماعي للعولمة والنظام العالمي الجديد ، والذي يعبر عن هيمنة القـيم الثقافـية الغربـية بما فيها الفكر الأنثوي المتطرف ، وإن المنظمة الدولية وبعض أجهـزتها ووكالاتها وميزانيتها تسخر للتبشير بالفكر الأنثوي والثقافة الغربية ، ولا شك أن بعضا من القيم والثقافة المراد عولمتها لا تتفق مع قيم الفطرة البشرية التي ترسخت من خلال الأديان والفلسفات ، ونحن في العالم الإسلامي نعتبر هذا الأمر تهديدا حقيقيا لهويتنا ومسـتقبل مجتمعاتنا، ونرى أنه لا يمكن أن يكون التطرف الأنثوي إلا تعبيرا عن التخبط الفكري واستسلاما للأهواء والشهوات ، وتكريسا لواقع انهيار الأسرة وتفككها وضياع القيم لدى الكثيرين في المجتمعات الغربية.

المطلب الأول

تعريف العولمة

العولمة ترجمة لكلمة(Globalization) الإنجليزية، ويقال أحيانًا الكوكبة باعتبار أن العملية الخاصة بالكوكب الأرضي أو شاملة له... والمعنى الذي يستفاد من مدلول الكلمة اللغوي هو جعل المحلي عالميًا، أو القفز بالمعلومات أو المعارف أو السياسات أو التقانة من ضيق محدد إلى نطاق عالمي لا محدود أوهى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله[1].

إن فكرة العولمة تعني ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم وإلغاء الحواجز والحدود في وجه تبادل السلع والخدمات أو انتقال رؤوس الأموال والأيدي العاملة، أو انتشار المعلومات والأفكار، وبالتالي تأثرت الأمة بقيم وعادات أمة أخرى، ويمكن ملاحظة آثار العولمة في زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات، وكذلك في نقص سيادة الدول على الكثير من مجالات السياسة والاقتصاد والإعلام والثقافة، وفي تغول المنظمات الدولية والشركات العابرة للقارات أو المتعددة الجنسيات، وفي مجموعة الشركات الغربية المسيطرة على صناعة الإعلام المقروء والمسموع والمرئي...

من الجدير بالقول إن من الصعوبة وضع تعريف جامع ومانع لمفهوم العولمة شأنها شأن بقية الظواهر الاجتماعية التي يختلف الباحثون في تعريفها بحسب اختلاف أيديولوجياتهم، ودرجة انحيازهم معها أو ضدها، وكذلك زاوية رؤيتهم أو البعد الذي يركزون عليه من التعريف، ولا شك أن حداثة ظهور أي مفهوم تحدث نوعًا من الارتباك في التعريف والتحديد حتى يتجلى كل أبعاده ومضامينه تمامًا.

---

[1]) لجنة في وزارة التخطيط الاجتماعي في السودان، بحث غير منشور بعنوان (الآثار الاجتماعية للعولمة) ، مايو ٢٠٠٠م، ص٢.

ولكـــن وبالـــرغم مـــن الاختلاف في تعريفها إلا أن هناك أمرًا اتفق عليه معظم الباحـــثين في أرجـــاء العالم، وهو أن كون دول الغرب الشمالية هي التي تطرح مفهوم العولمـــة وتجري ورائها وتحاول تأسيسها على أركان راسخة، وهي في حالها المعروف من الغنى الفاحش اقتصاديًا، والسيطرة الواسعة سياسيًا وإعلاميًا وتكنولوجيًا بحيث لا يكون هـــناك مجـــال للمنافســـة، فـــإن النتيجة الطبيعية للعولمة هي الرضوخ للسياسة الغربية والاقتصاد الغربي والنموذج الثقافي الغربي بقيمه وفلسفاته وطريقته في الحياة ولا يعنى هذا إلا كمـــا يقـــول محمـــد عابد الجابري: "إن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الـــرأسمالي، بـــل ايديولوجـــيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم فهي نفي للآخر، وإحلال للاختراق الثقافي على الصراع الأيديولوجي"[1]، أو كما يقول محمود عوض: "إن العولمة هـــي نوع من الهيمنة الرأسمالية المتوحشة التي تضع الفرد قبل المجتمع، والاستهلاك قبل الإنتاج، والمال قبل القيم"[2].

ولقـــد ارتفعت أصوات الكثيرين من العالم الغربي نفسه محذرة من مغبة العولمة هـــذه، منهم الفيلسوف الاقتصادي الألماني (وولف جانج ساجن) الذي يقول: "إن أسوأ مـــا يمكن حصوله هو أن تنجح مساعي العولمة لأن المستفيد منها هم أقلية صغيرة محاطة بمجموعة متملقة لها علاقات اقتصادية مع هذه الأقلية.. أما بقية البشر فليس لهم إلا أن يتشـــاحنوا ويتقاتلوا، فليست العولمة ناديا تأهيليا للجميع يمكن أن يدخله الغني للبحث عـــن فرص الاستقواء، ويدخله الفقير للبحث عن فرصة غنى... بل ناديا يدخله الأغنياء والأقوياء ولا يدخله سواهم"[3].

---

[1]) مصطفى الطحان (العولمة تعيد صياغة العالم) ، المركز العالمي للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٩٩٨، ص٧.

[2]) المرجع نفسه ، ص ٧٥..

[3]) المرجع نفسه ، ص ٦٩.

نعـود إلى تعريف العولمة حيث إن وزارة التعليم العالي السوداني قامت بتعريفها عام ١٩٩٩م كالآتي: "هي تعبير عن انسحاق الإنسان أمام سطوة الآلة والتقدم العلمي، وتركـز رأس المال، وانعدام القيم الإنسانية والأخلاقية، وسيادة منطق الربح والازدهار الفردي، والبقاء للأقوى من خلال تجارة السوق والمعلوماتية والاستلاب الثقافي للشعوب والدول والقوميات"[١].

المطلب الثاني

العولمة والهيمنة

إذا كانت العولمة تعني إلغاء الحواجز والحدود، وتعني الاستلاب، وتعني تأثر أمم بقـيم وعـادات وثقافة أمم أخرى، فالسؤال : من الغالب ومن المغلوب في ظل الواقع العـالمي؟ والجـواب لا شك أن الغرب غالب بحكم تفوقه المعروف ، وخصوصًا أمريكا بسـبب سيطرتها العالمية المعروفة ، والتي أدت إلى تذمر العالم حتى دول الغرب، بل دول القارة الأمريكية التي تعيش بجوارها مثل كندا والمكسيك ..

ولـيس أدل عـلى خوف هذه الدول أيضًا من سيطرة وغزو الثقافة الأمريكية ومحاولـتها للاحتفاظ باستقلالها وهويتها من المؤتمر الذي عقد في كندا (أوتاوا) بمشاركة وزراء ثقافـة (١٩) بلدًا في مطلع شهر تموز عام ١٩٩٨م. خصص للبحث في مشاريع الإلحـاق الثقافي والحيلولة دون (أمركة) الحضارة العالمية، والكل أكد أنه من الضروري الحفاظ على التنوع الحضاري الإنساني كضمان للتقدم والإبداع، وكان ملفتًا للنظر أن الـذي دعـا للمؤتمر هو وزارة الثقافة الكندية، وأن المكسيك دعت إلى توسيع المؤتمر

---

[١]) بحث وزارة التخطيط الاجتماعي السودانية، (مرجع سابق)، ص٦.

وعقده في العام المقبل على أراضيها، فالبلدان المجاوران للولايات المتحدة، والعضوان في سوق أمريكا الشمالية الحرة (نافتا) يعارضان هيمنتها على الآخرين[1].

ولكن هذه الدول نحسبها جميعًا وقلوبها شتى قد تختلف فيما بينها على أمور كثيرة، ولكـــنها بالنسبة لنا وفي موقفها منا أمرها واحد، وتعبر عن قيم ثقافية مشتركة إلى حد كـــبير وتـــتفق على أمور أساسية نحن نعتبرها ونسميها القيم الثقافية الغربية، والتي سبق القول في بعض تفصيلاتها، وهي متناقضة مع قيمنا وديننا في الكثير من مقدماتها ونتائجها، في مقدماتهـــا المبنـــية عـــلى العلمانية والإلحاد والعقلانية والفردية والليبرالية والجنسانية والصـــراعية...ونـــتائجها في هدم الأسرة والأخلاق وتحلل الروابط الاجتماعية وتشييئ المـــرأة والإنســـان عمومًا ، وتحويله إلى مسمار في دولاب الصناعة والاقتصاد والربح، وجعـــل الـــنمو الاقتصادي والبحث عن اللذة والمنفعة والمصالح آلهة تعبد من دون الله، والتضحية بالدين والأخلاق والإنسان والمرأة والثقافات والهويات... وتقديمها قرابين لهذه الآلهة المادية الرأسمالية، ثم طرحت العولمة والتي تعني التضحية بـــ ٨٠% من سكان العالم وتجويعهـــم وتذويبهم واللعب بمصائرهم، وإفساد أسرهم وتكوينهم الاجتماعي، وتحطيم دفاعـــاتهم الثقافـــية، ونقل الأمراض الاجتماعية والأخلاقية الناشئة في المجتمعات المترفة إليهم[2]..في سبيل ٢٠% من سكان العالم بل في سبيل بعض التجار الجشعين والمحتكرين الدولـــيين وأصـــحاب الشركات الكبيرة والسياسيين المستفيدين...والذين لا يقدرون بـــ١%من العالم.

[1]) مصطفى الطحان، العولمة تعيد صياغة العالم، مرجع سابق، ص٢٦.

[2]) الحديـــث السلبي هنا وفي غيره من هذا البحث عن العولمة موجه إلى العولمة باعتبارها وسيلة هيمنة للدول الكـــبرى عـــلى الصـــغرى، ولـــيس موجها للعولمة باعتبارها ظاهر ة معاصرة ناتجة عن تقدم وسائل الاتصال الجمـــاهيري، وزوال الحواجز المصطنعة بين الشعوب...والتي هي فرصة لتعارف الشعوب وتقارب الثقافات، وهي فرصة أيضا لتعريف العالم بديننا وحضارتنا.

المطلب الثالث

الفلسفة التي تقف وراء عولمة القيم الغربية

منذ أن شعر الرجل الأبيض الأوربي والأمريكي بقوته وغلبته، وهو يريد أن يهيمن ويسيطر، ويعلن سيادته على العالمين، منذ ذلك الحين عبروا عن هذه الزوايا. بأسماء مثل (الاستعمار) الذي هو في الحقيقة استغلال واستحمار، وقالوا بأن الشعوب الأخرى الملونة ليست قادرة على حكم نفسها ولابد لنا أن نقوم برسالتنا التاريخية في نقل المدنية والعلم والتقدم والسلام إليها، وأعطوا الحق لأنفسهم أن يصفونا بالهمجية والتخلف، وأن يصفوا ثقافتنا بالرجعية والظلامية والخرافة...الخ ، وهكذا فلسفوا كل ما قاموا به من جرائم بشعة وقتل وامتصاص للدماء.

يتحدث (ريتشارد جاردنر) في كتابه (نحو نظام عالمي جديد) عن مواثيق الأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان، ويتساءل: "ما الذي يجب أن يكون عليه موقف الولايات المتحدة تجاه هذا البرنامج المتعدد الجوانب للأمم المتحدة في ميدان حقوق الإنسان؟ ويجيب: أن الاعتبارات التي لابد منها لزعامة الولايات المتحدة واضحة وملزمة!! وهي مستمدة في بعضها من طبيعة المجتمع الأمريكي، فمنذ الاستقلال، والولايات المتحدة تهب نفسها سعيا وراء حقوق الإنسان والحريات الأساسية لا لمجرد الأمريكيين بل ولكافة البشر، لقد كان (توماس جيفرسون)[1] يعبر عن إيمان آبائنا —الذين أقاموا دعائم

---

[1]) توماس جيفرسون (١٧٤٣ -١٨٢٦م)، سياسي أمريكي من واضعي إعلان الاستقلال الأمريكي ، ثالث رئيس جمهورية للولايات المتحدة (١٨٠١ – ١٨٠٩م).

بلادنـــا– العميق عندما تنبأ بأن (نيران الحرية وحقوق الإنسان) سوف تنتقل من شواطئ أمريكا لكي تنير مناطق أخرى من الأرض"[١].

يقـــول المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي شارحًا لنوايا الإمبريالية الجديدة: "إن الـــنظام الأمريكي يجب أن يكون سائدا، إن إي شيء أقل من ذلك لا يعتبر مقبولا، ولا يمكـــن التسامح مع أي تحد!! خاصة من قوى الشر العالمية مثل: القوميين، والشعوبيين، ودعاة الأصولية الإسلامية والإرهاب، والخصومات العرقية"[٢].

ولم تكـــن نظـــرة الأمريكـــيين لأنفسهم جديدة عليهم، بل انطلقت مع وجود دولـــتهم، الروائى الأمريكي (هيرمان ميلفيل ١٨١٩ – ١٨٩١) قال: "نحن رواد العالم وطلائعـــه اختارنا الرب، والإنسانية تنتظر من جنسنا الكثير، بات لزاما على أكثر الأمم أن تحتل المؤخرة" وقال (جورج واشنطن)[٣] في خطابه الرئاسي عام ١٧٨٩: "إنه موكل بمهمـــة عهدهـــا الله إلى الشـــعب الأمـــريكي" أما الرئيس (توماس جيفرسون) فقال: الأمريكيون شعب الله المختار، لهم الحكم والهيمنة اختيارا أو قوة أو قسرا"[٤].

---

[١]) ريتشـــارد جاردنر (نحو نظام عالمي جديد – السياسة الخارجية الأمريكية والمنظمات الدولية) ترجمة أحمد شناوي، مكتبة الوعي العربي، وريتشارد هذا كان وكيل وزارة الخارجية لشؤون المنظمات الدولية من (١٩٦١ – ١٩٦٥) وكان من منظري ومخططي هذه السياسة.

[٢]) مصطفى الطحان (العولمة تعيد صياغة العالم) ، مرجع سابق ، ص ١٦.

[٣]) جورج واشنطن (١٧٣٢ – ١٧٩٩م)، قائد وسياسي أمريكي، قاد حرب الاستقلال ضد الإنجليز، أول رئيس جمهورية للولايات المتحدة (١٧٨٩ – ١٧٩٧م).

[٤]) مصـــطفى الطحان (العولمة تعيد صياغة العالم) ، المرجع نفسه ص ١٧، ولعل من المناسب هنا أن نشير إلى روح الاستعلاء الأمريكية في تناولها للقضايا وكيلها بمكيالين واعتبار نفسها فوق العالمين من خلال القصة التي وردت في دوريـــة (السياســـة الدولية)، الصادرة من مؤسسة الأهرام المصرية، العدد(١١٧) يوليو١٩٩٤ ، ص٧٤، وفيها أنه أدين شاب أمريكي (ثمانية عشر عاما) في سنغافورة بتهمة التخريب العمدي لممتلكات الغير وحكـــم علـــيه بالسجن (أربعة أشهر) وغرامة توازي ألفي دولار أمريكي، بالإضافة إلى ضرب بالسياط ست ضربات موجعة حسب قوانين سنغافورة، فقامت قيامة الإعلام الأمريكي، وشنت بعض القوي السياسية حملة =

يقول روجية غارودي: " من الضروري في الوقت الحاضر التدقيق بشكل أساسي في ثقافة الغرب وحضارته، ومسلماتها، ودور الغرب المدمر للثقافات الأخرى انطلاقًا من الفكرة البغيضة بأنه (شعب مختار) التي يستتبع رفضًا للآخر وإبادته، وقد تبناها الغرب لينكر غيرية الأشكال الإنسانية الأخرى أو ليدمرها، فانحطاطه النهائي سيشكل خطرًا على مستقبل الإنسان بالذات"[1].

ولتوريث هذه العقلية في الأجيال زرعوها في المناهج العلمية حيث يذهب (توماس كون) -وهو من منظري فلسفة العلم- إلى أن العقلية الأسطورية تهيمن على الكتب العلمية الجامعية في الغرب بحيث توهم القارئ بتفوق الإنسان الغربي الأبيض وعظمته وأفضليته، واتجاه مسيرته العلمية إلى أمام دائمًا[2].

ولقد قام الفلاسفة وعلماء الاجتماع الغربيون بطرح النظريات الواحدة تلو الأخرى لتأكيد سيادة النموذج الغربي وضرورة تعميمه باعتباره أرقي ما يمكن أن يصل إليه البشر، وهذه نزعة معروفة في الدراسات الغربية يطلق عليها التمركز حول الغرب أو (Euro-merican centerism)، حيث إن كل النظريات التي تناولت

ضد هذا البلد بحجة الوحشية والبربرية وانتهاك حقوق الإنسان ووصفت قرار المحكمة بـ(الهمجية الآسيوية)!! عبرت عن استعلاء حضاري واضح، وأعلن الرئيس (كلينتون):أنه من الخطأ أن تقوم سنغافورة بتنفيذ عقوبة الجلد بالسياط، وأعرب عن أمله ورغبته في أن يستطيع (جورج بوش – الرئيس السابق) -وكان في زيارة لهناك- أن يضغط على الحكومة لوقف التنفيذ، وأن تقوم الشركات الأمريكية العاملة بالضغط على الحكومة للغرض نفسه. وهذه القصة لها دلالات عميقة لابد من الوقوف عندها، ولعل هذا كله في سبيل ست سياط في ظهر شاب أمريكي؟!! وكانت حجة الولايات المتحدة أن هذه العقوبة غير موجودة في قانونها الداخلي ولكنه وفي العام الماضي (١٩٩٣) حكمت محاكم الولايات الأمريكية على رجل مكسيكي بالإعدام ولم يثر الحكم أية ضجة بالرغم من أن المكسيك ألغى هذه العقوبة في قوانينه عام ١٩٢٩م!! ولكن يبدو أن الأمريكان مقدسون، وأن أي قانون ألغوه لابد من أن يلغي في العالم كله، لأنه لا عقل فوق عقل الأمريكان!

[1]) روجيه غارودي (أمريكا طليعة الانحطاط)، مرجع سابق، ص ١١٦.

[2]) محمد رشدي عبيد عقراوي (الحداثة والمرأة) بحث مخطوط.

التنمية والتغيير الاجتماعي والاقتصادي والتحديث بدأ بنظرية (هيجل) التي تحدثت عن المـــراحل التاريخـــية للـــتقدم البشري، وجعلت من الليبرالية قمة تلك المراحل، ومرورًا بمؤســـس عـــلم الاجتماع الديني الغربي (ماكس فيبر) ونظريته المعروفة بـــ(نظرية الفعل الاجـــتماعي والتوجيهات القيمية)، ثم نظريات التحديث المنسوبة لـــ(بارسونز) وغيره، والنظريات التي اعتمدت مبدأ تقسيم التاريخ إلى مراحل (تأثرًا بهيجل) والتي ظهرت على يـــد (روســـتو، فيربـــانك، إيكشتين)، وانتهاءً بنظرية (نهاية التاريخ) المعروفة والمنسوبة لفرانسيس فوكوياما، فكل هذه النظريات تشترك في جملة أمور كما يقول الدكتور نبيل الســـمالوطي، وهـــي كلها توضح مدى رسوخ نزعة التمركز حول الغرب، والانحياز الأيدلوجي لليبرالية في هذه النظريات، ومن هذه الأمور[1]:

١-أنها تضع خصائص المجتمع الغربي كسقف نهائي للتنمية، وبالتالي تمثل النموذج المثالي للدول النامية.

٢-تـــتجاهل الظروف التاريخية المحلية والعالمية التي نمت خلالها المجتمعات الغربية، وتـــتجاهل الفـــرق بينها وبين الظروف المعاصرة والتي تحاول خلالها المجتمعات المتخلفة والنامية تنفيذ برامجها الإنمائية.

٣-تتجاهل العلاقات الدولية بين الدول كداعم أو معوق للتنمية.

٤-التركـــيز عـــلى الأبعاد الاقتصادية والثقافية والبنائية، فالتقدم والتنمية -عند أنصـــار نظريات التحديث يعني الإيمان بالقومية، والرأسمالية، والديمقراطية، والعلمانية أو العقلانية، وإقصاء الدين والتفسيرات الغيبية عن واقع العلاقات والتعاملات الاجتماعية

---

[1]) للتفصيلات يراجع البحث القيم للدكتور نبيل السمالوطي (الدين والتنمية في علم الاجتماع) مرجع سابق ، ص١٥، ص٢٥، ص٦٦.

والاقتصـــادية والسياسية واليومية، وهذا ما أطلق عليه بعض الباحثين (التحديث الثقافي) أو Cultural Modernization.

٥-ربط بعض الباحثين مثل (جندزير Gendzier) بين نمط نظريات التنمية في أمـــريكا خلال الخمسينات، وبين اهتمامات أمريكا بإحكام السيطرة على العالم الثالث ومقاومة المد الشيوعي سابقًا (والآن المد الأصولي الإسلامي) وتناول (جندزير) هذا الأمر في دراســـة شجاعة بعنوان (إدارة التغيير السياسي العلماء والعالم الثالث) وقد كشفت هذه الدراسة أنه خلال الخمسينات والستينات كان هناك تعاون كبير بين المشتغلين بعلوم الاجـــتماع، وبـــين وزارتي الخارجـــية والدفاع الأمريكيتين من خلال إعداد دراسات وتقارير، وعقد اجتماعات، وعقدت حلقات دراسية شارك فيها أكاديميون من جامعات شيكاغو، وهارفارد، وبرنستون وM.I.T. وتمخضت عن دراسات رفعت للحكومة.

ومـــن المشـــاريع المعروفة في هذا المجال مشروع (كاميلوت Camelot) الذي تبنـــته وزارة الدفـــاع الأمريكية لدراسة الظروف المختلفة داخل العالم الثالث، من أجل تحديـــد عوامـــل التفكك الاجتماعي، وصياغة برامج في مجالات التنمية توجه التغييرات داخـــل هذه الدول وجهة محددة، أو بمعنى آخر لضبط اتجاهات التغيير في مسارات تخدم أهداف الغرب، وقد كشف أحد علماء الاجتماع في أمريكا اللاتينية أمر هذا المشروع، وكمـــا يتضـــح من الدراسة المذكورة سابقًا فقد كانت هناك علاقة بين اللجنة المنظمة لمؤتمرات الحرية الثقافية (بعثة إلى العالم الثالث) وبين هيئة المخابرات الأمريكية C.I.A. التي كانت تمولها وتوجهها...

وهكذا ارتبطت نشأة نظريات التحديث بالتوظيف السياسي في خدمة السياسة الغربية، ومحاولة نشر النموذج الليبرالي[1].

٦ – وهكذا يأتي العالم اليوم لكي يواجه ليس نظريات ودراسات، وإنما إرادة سياسية دولية في شكل صياغات قانونية ومواثيق تريد أن تمكن لهذه الثقافة الليبرالية وتوطد أركانها ليس على حساب سيادتنا وثرواتنا فحسب، بل على حساب أعراضنا وأسرنا وأجيالنا القادمة، وفوق كل ذلك على حساب قيمنا وعقائدنا.

وهكذا فالغرب يحتج بأمور كثيرة لتمرير سياساته وخططه، ويغير الأشكال والألوان ولكن الجوهر شيء واحد، والحجة حجة واحدة، ألا وهي تفوق الإنسان الغربي وتمجيد اختياراته، وعظمة ثقافته وقيمه، وضرورة إخضاع الناس له بأي ثمن، وليس هذا استجابة لشهوة السيطرة والغلبة فقط، وإنما هناك أهداف كثيرة أخرى يمكن إيجازها في المبحث القادم تحت عنوان أهداف هذه العولمة من بعدها الاجتماعي.

---

[1]) نبيل السمالوطي، المرجع نفسه، وقد اطلعت أثناء إعداد هذا البحث للطباعة على دراسة قيمة كتبتها (فرانسيس ستوفر سوندور) بعنوان (الحرب الباردة الثقافية)، ترجمها إلى العربية طلعت الشايب، ونشرها المجلس الأعلى للثقافة في مصر، وتتحدث عن العلاقة بين دعاة الحداثة الغربية ووكالة المخابرات =الأمريكية المركزية، وكيف أن هذه الوكالة كانت تدفع الأموال وتدعم المشاريع المختلفة في سبيل تحقيق نصر أو إبراز فكر أو صناعة رمز يريدون من خلاله اختراق البنيان الفكري والثقافي والسياسي لمجتمعات العالم المختلفة، وردت أسماء لرموز من مختلف أنحاء العالم تعاونوا مع الأمريكان أو اُستخدموا دون وعيهم لذلك الغرض من سارتر إلى أدونيس.

المبحث الثاني

أهداف العولمة الاجتماعية

المطلب الأول

هدف ثقافي وعقائدي

وذلك بالسعي إلى سيادة الحضارة الغربية وقيمها الاجتماعية على العالم وتذويب الحضـــارات الأخرى في النموذج الغربي "إن وقائع محاولة تنظيم العالم تحت هيمنة دولية، غربية في أساسها، أمريكية في صدارتها، تؤكد أن المقصود من النظام العالمي الجديد، هو توحـــيد نمط العالم، على غرار قيم الغرب، ولذلك فإن الغرب ممثلاً في دوله، ومؤسساته الدولية، وأممه المتحدة، يختار بعض القضايا التي يبدأ بها عملية تغريب العالم وتوحيد نمطه وسحق حضاراته المغايرة للنموذج الغربي، ومن هذا المنطلق أصبح توحيد شروط التجارة الخارجية، والمعروفة باسم الجات (GATT)[1] مثله مثل توحيد أوضاع المرأة المعروفة بإسم حقوق المرأة"[2].

لاشـــك أن العولمة عندما تريد التبشير بثقافة معينة والإعلاء من شأنها والتمكين لهـــا فإنهـــا بالضرورة تسعى إلى تشويه باقي الثقافات والحضارات الأخرى كعملية لابد مـــنها، لأن التخلية تسبق التحلية، ويتم هذا التشويه عبر ربط الثقافات الأخرى بمعاداة الحقـــوق الإنسانية للمرأة والحيلولة دون رقيها وحريتها، وكونها متناقضة مع متطلبات

---

[1]) (GATT) كـــلمة مختصـــرة مـــن بداية حروف الكلمات التي تعني (الاتفاقية العامة للتجارة والتعرفة) وكانـــت واحدة من النتاجات الثلاثة لمؤتمر (بريتون وودز) والذي عقد في ١٩٤٧م بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وأفرز المؤتمر (الجات) و(البنك الدولي) و(صندوق النقد الدولي)، وقد تحول (الجات) هذه إلى منظمة التجارة الدولية الآن (w.T.o).

[2]) الدكتور رفيق حبيب (المقدس والحرية) مرجع سابق، ص١٠٠.

التنمية والتحديث.. ولقد استغل أعداء الإسلام والحاقدين عليه -وما أكثرهم- هذه الفرصة وأعلنوا حربا شعواء علي الإسلام وأحكامه وعلى المرأة المسلمة وأوضاعها وطريقة حياتها ومعاناتها من ما يسمونه بالنظام الأبوي الذكوري الإسلامي، وتباكت دعاة الحركة الأنثوية الغربية ومن ورائهن المنظمات الدولية، وكل من لا يروق له الخير للإسلام والمسلمين، ونشط الإعلام الصهيوني والصليبي كما هو نشط دوما في معاداة كل ما يمت للإسلام بصلة، وتشويهه عن قصد وبأساليب مختلفة.

ولست مغاليا في هذا . فهذه (عزيزة هبري) -المعجبة بالفكر الغربي الليبرالي- لا تستطيع أن تصبر على كل هذه الحملات العدائية غير المبررة، والتي تتخذ من حقوق النساء حجة ومبررا ، وتقول: " إن الاتجاه المركز الذي ظهر مؤخرا لدي بعض الكتاب وأنصار حقوق الإنسان الغربيين للدفاع عن حقوق المرأة المسلمة يثير القلق، ذلك لأنه ينتقد الشريعة الإسلامية كما تجسدها مختلف قوانين الأحوال الشخصية في البلدان الإسلامية دون أي معرفة حقيقية بعلوم الشريعة أو بالقرآن والحديث، وهذا الاتجاه يدمغ الشريعة بالتمييز والنزعة الأبوية والابتعاد عن الرأي العام العالمي، بل إن بعض الكتاب لجأوا حتى إلى الاستشهاد بترجمات غير منصفة لآيات قرآنية وذلك لتدعيم رأيهم، في حين دعا آخرون إلى إيجاد حلول دولية لمشكلة المرأة المسلمة، وقد حدا ذلك بإحدى الطالبات الجامعيات المسلمات إلى أن تسألني خلال رحلتي الأخيرة إلى دول الخليج: (لماذا يكره الغرب الإسلام؟)، وغيرها من النساء كن "أكثر تحديدا إذ سألنني عن مصداقية هذه (الحملة النسوية الغربية)[1].

---

[1]) عزيزة هبري (مجلة الاجتهاد) ، الصادرة في بيروت، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة النشر، العددان (٣٩-٤٠) السنة العاشرة صيف وخريف ١٩٩٨، ص٢٩٥، و(عزيزة) كاتبة علمانية، يمكن تصنيفها مع المرنيسي ونصر حامد، وغيرهما من التيار الذي يحاول التلفيق بين الإسلام والفكر الغربي المعاصر في مجال حقوق النساء، (انظر لتفاصيل هذا التيار الفصل الأخير من هذا البحث، وهو تيار تميع وعلمنة الإسلام).

وتقـــول: "ويتســـاءل المـــرء عندئذ عن دوافع النسويين الغربيين وأنصار حقوق الإنســـان الذين يفضلون التركيز على مشاكل النساء المسلمات في حين أنهم يواجهون مشاكل أكثر إلحاحا في بلدانهم"[1]، وتواصل "ظلت المنظمات الدولية لفترة طويلة تحدد مشـــكلات النســـاء المســـلمات، وأولوياتهن ضاربة عرض الحائط باعتراضات النساء المســـلمات، بل إنها أقدمت حتى على اختيار نساء مسلمات يتخذن مواقف تستحسنها النساء الغربيات كناطقات بلسان المسلمات جميعا وأغدقت عليهن الأموال والجوائز"[2].

يدرك كل ملاحظ للثقافة التى تنشر في العالم الآن والتى فيها حديث عن التنمية أو التحديـــث أو المرأة أنها غالبا ثقافة تنطلق من موقف متحيز ضد الإسلام والمسلمين، ومغـــال في تقديـــر حجـــم قضية المرأة من جملة قضاياهم، وقد لاحظ الدكتور (محمد المخزنجي) في استطلاعه لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب هذا الأمر في الجناح الخاص بالعـــرب أي الأدبيات الغربية التي تتحدث عن العرب حيث هناك –كما يقول– شعار ممـــل معـــروف (اضطهاد المرأة –في بلادنا– أو تخلفها...الخ) يتصدر العناوين ويغطي عليها، ولا يكتفي النظام العالمي الجديد بأقلامه ومراكز بحوثه ودور نشره والأدبيات التى خلفها المستشرقون، بل راح يستأجر الأقلام من بين المسلمين، من الذين يحبون أن تشيع الفاحشـــة في الذين آمنوا، ويشتري ضمائر الكتاب لكي يصبحوا أبواقا ويؤدوا وظيفة رجـــع الصدى والاجترار لما يقال في الغرب عن الإسلام، والذي لا ينم عن جهل كبير بقدر ما يكشف عن حقد وتجاهل لحقائق كثيرة –ليست متعلقة بسوء فهمهم وتجاهلهم لحقائق ديننا فحسب– بل تتعلق بواقعنا ونظامنا الاجتماعي ونسقنا التاريخي، ويدل على

---

[1]) المرجع نفسه ، ص ٢٩٧.

[2]) المـــرجع نفسه، ص٣٤٠، وهذه التفاتة مهمة من (عزيزة) تشكر عليها عندما تحرص على صورة الإسلام الحقيقـــية وصورة المرأة المسلمة ، ولكنها مع الأسف لم تستطع أن تتخلص تماما من الفكر العلماني في منهجها التحليلي، وبالتالي وقعت فيما نهت عنه.

فقدهم لقدرة التميز بين الحسن والقبيح والصالح والطالح بعد فساد عقائدهم وأمزجتهم.

لقد قام العالم الغربي عموما والأمريكي خصوصا بوضع علاجات ومواثيق وحلول هي نابعة من فلسفاته ومستوحاة من طبيعة مشاكله ثم عممها -جاهزة- على الناس وطالبهم بالتصديق عليها، وهي في الحقيقة علاجات لمشاكلهم هم، وما أفرزته طريقة حياتهم من قضايا وهموم، وعندما يقوم الآخرون بمناقشتها والرد عليها، يستنفر كل ما لديه من إمكانيات لكي يصف ثقافات الآخرين بالجور والتخلف والجمود...ومن هذا المنطلق تمت إثارة زوبعة كبيرة وجدل طويل وعريض، وعلامات استفهام متعددة أثناء مؤتمري بكين والقاهرة حول صلاحية الشرعية الإسلامية، وكونها ترفض الإجهاض[1] والإباحية والشذوذ والتفكك الأسري...الخ والتي كانت في صلب محتويات وثيقتي المؤتمرين المذكورين كما سنبين.

المطلب الثاني

هدف سياسي وأمني

وهي علاقة تحرير المرأة، والأمومة، والإنجاب، والسكان بالأمن القومي الأمريكي والغربي، ودوره في خلخلة توازن القوى مستقبلا، "منذ الستينات من هذا القرن وأمريكا في إطار الحرب الباردة تستجيب لنتائج البحوث والدراسات والتقارير التي تحذرها من مغبة زيادة سكان العالم، حتى اقتنع القادة والزعماء الأمريكان بأن زيادة السكان في العالم الثالث تعد تهديدا للأمن القومي الأمريكي، وخصوصا أن نسبة عدد سكان أمريكا إلى عدد سكان العالم تتناقص من ٦% سنة ١٩٥٠ إلى٥% سنة ١٩٨٨ إلى ٤% حسب

---

[1]) المقصود برفض الإسلام للإجهاض هو قتل الجنين بعد دخول الروح فيه أي بعد (١٢٠) يوما ، لأن هذا هو القدر المجمع عليه بين العلماء، ولهذا تفصيل سيأتي.

المستوقع سنة ٢٠١٠م، في الوقت الذي يزداد عدد سكان العالم الثالث ليصبح ٨١% عام ٢٠١٠ حسب المتوقع، بعد أن كانت هذه النسبة ٧٥% في الستينات من هذا القرن... ومن هنا عقدت الوكالات الدولية والأمريكية بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للإسكان وبعض الجامعات مجموعة من الندوات والمؤتمرات في أماكن مختلفة من العالم"[١].

عرضت وثائق في التسعينات عن القرار الذي اتخذه (هنري كيسنجر) – مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون– في ١٩٧٠ والذي أوصى فيه بأن تقترح أمريكا على الأمم المتحدة إعداد دراسة عن "مشكلات السكان العالمية والإجراءات اللازم اتخاذها لعلاج هذه المشكلات باعتبار هذا الأمر من الأمور ذات الأولوية العليا في حقبة التنمية الثانية.. وبعدها بأربع سنوات أرسل كيسنجر مذكرة بشأن الأمن القومي تحمل رقم (٢٠٠) وهي بعنوان (متضمنات النمو السكاني العالمي للأمن الأمريكي والمصالح الخارجية) إلى كل من وزير الدفاع ، ووزير الزراعة، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية، ونائب وزير الخارجية، ومسؤول وكالة التنمية الدولية، وإلى رئيس قيادة رؤساء الأركان، ثم إلى الرئيس الأسبق (جيرالد فورد)، مع التأكيد على الحاجة إلى القيادة الأمريكية في مسائل السكان، ولم ينس هذا التقرير أن يؤكد على خطورة الزيادة السكانية في مصر، في إشارة واضحة لأمن إسرائيل ربيبة أمريكا"[٢].

وأكدت على المعني نفسه تقارير (ولستر) حول التخطيط الاستراتيجي أثناء ولاية كل من الرئيس (ريجان) و(بوش) والأرقام التى تذكر عن الدول الغربية عموما تدل على تناقص سكاني مستمر بسبب العزوف عن الزواج، والاستغناء بالعلاقات العابرة أو

---

[١]) قضايا دولية –تقرير سياسي أسبوعي كانت تصدر من معهد الدراسات السياسية في باكستان، العدد ٢٤٦ ، ص٤، "سياسة السكان والتسكين" بقلم أ. كمال الهلباوي.

[٢]) المرجع نفسه ، ص٥.

الشاذة، والعزوف عن الإنجاب حتى بعد الزواج، وخروج المرأة للعمل وبحثها عن الرزق والاستقلال الاقتصادي، والمعيشة المادية صعبة التكاليف ومشاكل تربية الأولاد عندهم في ظل تعقيدات الحياة، والجري وراء الكسب، وعدم توفر الأمن في المجتمع... ولذا فإن الغربيين خائفون على أن ينافسهم الشرقيون شأن كل غني شحيح جشع يخشى الفقراء أن ينافسوه على مائدته وثروته ومصالحه، ولهذا الأمر تفاصيل أخرى ليس هذا البحث محلها، ولكن الذي لا شك فيه أن لموضوع السكان أبعاد سياسية واضحة ، لأن الغرب يشجع الإنجاب عنده ويستقبل الهجرة لزيادة ثروته البشرية ولكنه في غير عالمه يسعى لتقليله والحد منه والسيطرة عليه[1]، ويستدل الغربيون بقلة الموارد في العالم ، ويتجاهلون أن الفرد الغربي يستهلك ويلوث البيئة ويقضي على الموارد بمقدار ٤٠-٥٠ ضعفا في مقابل فرد من الدول الفقيرة وأن خمسين مليون في بريطانيا أو أمريكا يعني خمسمائة مليون في أجزاء آسيا وأفريقيا[2].

---

[1]) إجمالي ميزانية الحد من السكان وصلت ١٧ مليار دولار عام ٢٠٠٠م.

[2]) يراجع سلسلة مقالات في المرجع نفسه (حول السياسة السكانية في العالم) والتي كتبت بمناسبة مؤتمر السكان في القاهرة، ومن المعلومات المفيدة الواردة فيها: أن رئيسة (برنامج البيئة) التابع للأمم المتحدة (اليزابيث دود سويل) أشارت إلى أن الفرد الأمريكي يستهلك (٣٠) ضعف ما يستهلكه الفرد الهندي من الطاقة، وطالبت تبعا لذلك بتبديل نمط المعيشة الإستهلاكية في الشمال، والحذر من انتشاره في الجنوب ليمكن حل المشكلة السكانية، وجاء في دراسة لمعهد (موارد العالم) ورد فيها أن ٢٢٥٠ مليون أمريكي يسببون تلويث الجو بما يعادل ما يصنعه ٣ مليارات إنسان في الدول النامية، وأن زيادة البشرية بما يتجاوز (١١) ضعف السكان الأمريكيين أي ٢,٨مليار إنسان لا تؤدي على سبيل المثال إلى زيادة حجم تلوث الغلاف الجوي بأكسيد الفحم عما هو عليه الآن إطلاقا شريطة أن يعيش الفرد الأمريكي بأسلوب استهلاكي للطاقة مثل الفرد السويسري ، وليس مثل الفرد الهندي أو الأفريقي، ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى هبوط أكاسيد الفحم المنطلقة إلى الغلاف الجوي من أرض الولايات المتحدة ٤مليارات طن في العالم حاليا إلى ٧٠٠ مليون طن !!! ومع ذلك يربطون الزيادة السكانية باستهلاك الموارد البشرية ولا يصرحون بعدم استعدادهم لكي يتنازلوا عن عبثهم وترفهم واستهتارهم بأمن البيئة العالمية وموارد البشرية. (انظر قضايا دولية ، العدد ٢٤٩ ، نبيل شعيب ، ص٢٢).

المطلب الثالث

الهدف الاقتصادي

وهـــذا مرتـــبط بالنقطة السابقة من حيث إن سياسة الحد من الإنجاب يراد منها الحفاظ على موارد العالم حتى يأتي الغربي ويستهلكها، وكذلك حتى لا يتحمل المجتمعات الغربـــية نتائج مشاكلهم التى يفتعلونها في دول الجنوب فتؤدي إلى هجرات جماعية غير منتظمة إلى دول الشمال مما يهدد مائدتهم ورفاهتهم وتكوينهم العرقي والثقافي، حتى لا يضـــطروا أن يخففـــوا فوائـــد ديونهم على هذه الدول، وحتى تستطيع هذه الدول إذا سيطرت على زيادة السكان أن تفي بديونها المستحقة عليها لدول الشمال.

ومن جانب آخر فإن الميزانية الغربية الآن مرهقة بمئات المليارات التى تذهب في معالجـــة ظواهـــر الإيـــدز والأمراض الجنسية الأخرى وعنف المراهقين والولادات غير الشـــرعية ، الـــتي هي بالملايين ولابد للدولة من تحمل نفقاتها.. ورغبة في تخفيف العبء تندفع الدول الغربية لإقرار مواثيق دولية للسكان والمرأة والطفل...الخ، وهم يظنون أنهم بتجاهلهم لأصل الداء يستطيعون السيطرة عليه من خلال معالجة أعراضه.

المطلب الرابع

الهدف الاجتماعي

إن هدف العولمة في البعد الاجتماعي لا يقتصر على إثارة قضايا فكرية وقانونية لمجـــرد الـــترف الفكـــري والفلسفي ، وإنما الهدف الأول والأخير هو التمهيد لتغيير اجـــتماعي شـــامل يتـــناول تغـــيير القوانين، والمناهج التعليمية، وبنية الأسرة وحجمها ووظيفـــتها بـــل تعريفها، وأدوار الجنسين وعلاقاتهما، وفلسفة الحكم ووظيفته، وفلسفة الاقتصاد وإعادة هيكلته، والسياسة الديموغرافية والسيطرة على النسل وتحديد سقف له.

والمدخل لكل تغيير اجتماعي شامل يأتي من خلال ثلاث ركائز: أولاً: المرأة التي تـــبني الأســـرة، وتحتضـــن الأجيال، وتزيد النسل، وتعيد إنتاج القيم والثقافات، ثانيًا: التعلـــيم، ودوره في حماية الهوية والتنشئة الفكرية والثقافية والعقائدية، وتحديد توجهات الفرد وأولوياته، ثالثًا: القوانين والدساتير التي تحكم المجتمعات، وتضبط حركاتها، وتكبح جمـــاح الشرور الموجودة فيها ... ومن هنا نلاحظ أن مشروعات العولمة ومواثيقها تركز بشـــكل ملفـــت للنظر على هذه الأمور الثلاثة: (تغيير أوضاع المرأة)، (تغيير التعليم)، (تغيير القوانين).

ولا شـــك أن التغيير الذي يطال هذه الأمور الثلاثة أو الأركان الأساسية، فإنه ليس تغييراً بمعنى التطوير والتحسين ، وإنما قلب للمجتمعات رأسًا على عقب، واستبدال مجتمعات أخرى بها.

ولهـــذا التغيير الاجتماعي الجذري علاقة بالأهداف السياسية أيضًا وخصوصًا في العـــالم الإســـلامي، فالصـــهاينة مثلاً يعلمون أن التوقيع على أوراق سياسية مع جهات سياسية لا تضمن لهم السلام والبقاء، وأنه لابد من القضاء على منابع المقاومة والتحدي والـــتي تكمـــن في الفكر والتعليم، ولذلك طالبوا من الدول العربية المستسلمة أن تغير مـــناهجها التعليمـــية، وفي (منـــتدى دافوس العالمي) — والذي نشير إليه لاحقًا — لعام ٢٠٠٠ م أكـــد (شمعون بيريز) بصراحة أن الطريق إلى العولمة يأتي من باب تغيير المناهج التعليمـــية، ودعا — بوضوح وفي حديث مطول — إلى ضرورة أن تغير الدول في الشرق الأوســـط مـــناهجها التعليمية حتى تتواكب مع تغييرات العالم ومرحلة العولمة، والتطبيع وعملية السلام.[1]

---

[1]) مجلـــة المجـــتمع الكويتي ، العدد (١٣٨٧) ، الصادر في ٢٠٠٠/٢/٨م ، من تقرير لمحمد جمال عرفة عن (منتدى دافوس الاقتصادي العالمي).

ولقــد ذهب أنصار الأنثوية المسيطرون على لجنة المرأة في الأمم المتحدة إلى حد أبعــد وأكــثر صــلفا حــين طلبوا من (ليبيا) و (باكستان) رفع تحفظاتهما على اتفاقية (CEDAW) وإعادة قراءة القرآن وتفسيره بشكل يتوافق مع مضمون الاتفاقية[1]، وهذا بالنسبة للغربيين وارد وطلب غير غريب لأنهم تعودوا على اللعب بنصوص الكتب المقدســة عندهم وتغيير صياغاتها، تعودوا على أن يكتبوا الكتاب بأيديهم ثم يقولوا هذا مــن عند الله، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون[2]، ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾[3] ..

وذكــرنا فيما سبق أن الحركة الأنثوية أصدرت طبعة جديدة منقحة من الإنجيل بالــتعاون مع الكنيسة . فهل تريد لجنة (سيداو) طبعة منقحة من القرآن ومزيدة!!، إن طلــبهم هــذا يشبه طلب المشركين من الرسول ﷺ أن يغير القرآن ويحرفه أو يأتي لهم بقــرآن على مزاجهم، يقول المولى – عز وجل – : ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا.....﴾[4].

لابــد أن نعلم أن العالم اليوم قد تقاربت أجزائه، وتداخلت علومه، فليس هناك اقتصاد بلا سياسة ولا سياسة بمعزل عن الاقتصاد، ولا الاثنين معًا بغير اجتماع، بل هناك تداخــل وتكامل وتأثير واعتماد متبادل بين العوامل والمؤثرات، بعد إدراك هذه الحقيقة نعــلم أنــه إذا تبقي من العولمة الثقافية والاجتماعية بقية من الأخلاق والسلام الأسري والاجــتماعي... فإن العولمة الاقتصادية وسياسات التكيف الهيكلي **(Structural**

---

[1]) وردت في ندوة البروفسيرين الأمريكيين (ويلكو وكالرين) في قاعة الشهيد زبير للمؤتمرات الدولية بتاريخ ٤ يناير ٢٠٠٠م، وكانت عن اتفاقية سيداو.

[2]) إشارة للآية الكريمة : "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ" البقرة ٧٩.

[3]) سورة آل عمران الآية (٧٨).

[4]) سورة يونس، الآية (١٥).

(Adjustment Policies، وقوانين منظمة التجارة الدولية(W.T.O.) واتفاقية الجات (GATT)، ووصفات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تأتي للقضاء عليها وتدميرهـــا، وهكـــذا تـــتكامل الأدوار بين العولمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتتســـاقط دفاعاتنا، وتدخل في نفق مظلم لا يرى آخره ولا ما فيه، وما أصدق ما قاله البروفســـير الأمريكي (ويلكتر): "إن المجتمع الغربي قد دخل دوامة الموت، ويريد أن يجر العالم وراءه"[1].

---

[1]) ندوة (ويلكو وكالرين) ، مرجع سابق.

المبحث الثالث

آليات العولمة

المطلب الأول

نوادي اتخاذ القرار

وهي متعددة من (قمة الدول الصناعية الثمانية)، (نادي روما) إلى (نادي باريس)، و(ندوة ميونيخ الاستراتيجية لقضايا الأمن الدولي)، إلى (منتدى دافوس الاقتصادي العالمي)...وكل هذه الملتقيات وغيرها هي مراكز صناعة القرار الحقيقية لأنها نوادي للأقوياء وهم فيها أصحاب القرار، وقد يتبادر إلى الذهن عند سماع اسم (منتدى دافوس الاقتصادي) مفهوم أنه مؤتمر دوري لتداول الاقتصاد فقط، ولكنه ليس كذلك في الحقيقة بل هو واحد من أهم المؤسسات الشمالية لتقرير مصير العالم، وبالرغم من مشاركة أعضاء ووفود من الكثير من دول الجنوب إلا أنها شمالية خالصة وحضور الجنوبيين...كأنه حضور لسماع القرارات وحملها إلى دولهم، ولأهمية هذا المنتدى وكنموذج للمراكز الأخرى نسلط الضوء عليه بعض الشيء.

منتدى دافوس:

يعقد سنويا منذ عام ١٩٧٠ تحت عنوان (المنتدى الاقتصادي العالمي) ويطرح فيه قضايا متنوعة سياسية، وثقافية، وعسكرية، وأمنية، ويشارك فيه عدد كبير من رؤساء العالم، وكذلك الزعماء والمشاهير في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ورغم أنه لا يخرج بقرارات ملزمة، ولا بيان معتمد، وليست له أية سلطة يعتمد عليها اعتمادا مباشرا أو غير مباشر، إلا إن الحاصل بالفعل أن له تأثير غير عادي على سياسات الدول الفقيرة، ومناقشاته تكاد تتحول إلى سياسات فعلية تطبقها الدول

المغلوبـــة على أمرها دون تردد!!! ويكاد المنتدى الآن ينفرد بقيادة العالم رغم أن هناك كما ذكرنا منتديات مشابهة أخرى، ومن الجدير بالذكر "أن المنتدى هذا العام(٢٠٠٠م) ناقش قضايا العولمة والعالم الإسلامي، وناقش علنا ما أسموه (الإسلام السياسي والتطرف والعنف) وكان معظم جلساته مغلقة ولم يعرف ما دار فيها رغم مشاركة عرب ومسلمين كما قلنا في المنتدى[1].

وليســـت الجمعية العامة للأمم المتحدة من هذه المراكز الأساسية في صنع القرار المعولم، لأنها خليطة والغالبية فيها من الدول غير المستفيدة من العولمة.

المطلب الثاني

المؤتمرات الدولية

والـــتي عقـــدت والتي تعقد لاحقا لدراسة وإقرار وتعميم ما تريده العولمة من برامج وسياسات ومفاهيم، ولعل أخطر مؤتمرين عقدا أخيرا ولهما صلة بهذه الدراسة هما: مؤتمري بكين للمرأة ، والقاهرة للسكان.

---

[1]) جـــاءت فكـــرة (منتدى دافوس) على يد (كلاوس شواب) الألماني الأصل، وأستاذ إدارة الأعمال بجامعة جنـــيف، بدعـــوة كـــبار الاقتصاديين للحوار حول قضايا الساعة عام ١٩٧٠م ، وانعقد عام ١٩٧١م أول منتدى، وتأسس في ضوئه (صندوق المنتدى الاقتصادي العالمي) وأصبح أساسا لتمويل نشاطاته المتنامية عاما بعد عام، ويضم في هذه الأثناء أكثر من ألف شركة عالمية، ونشأت إلى جانبه مؤسسات خطيرة أخرى مثل (مجموعة رواد الإعلام) والتي تضم كبريات المؤسسات العالمية العاملة في ميدان الإعلام، و(مجموعة زعماء الغد) وتضم كـــبار المرشحين لمناصب قيادية في أنحاء العالم ممن لم تصل أعمارهم إلى(٤٥) سنة، وهذا المنتدى تحول الآن إلى حكومـــة تحكم العالم من خلال إمساكها بعصب السياسة والاقتصاد والإعلام في غالبية دول العالم (انظر مجلة المجتمع ، العدد ١٣٨٧ ، تقرير محمد جمال عرفه).

يقـــول (اللواء فوزي طايل) الخبير الاستراتيجي بأكاديمية ناصر العسكرية معلقا عـــلى مؤتمـــر القاهرة: "إن هذا المؤتمر أحد ستة مؤتمرات لإرساء مفاهيم تخضع الكرة الأرضـــية للهيمـــنة الصـــهيونية، ويحكم العالم من أورشليم حسب زعم اليهود وهذه المؤتمرات هي مؤتمر القمة العالمي ١٩٩٠ بنيويورك، ومؤتمر الجات عام ١٩٩٣، ومؤتمر القمـــة العـــالمي عام ١٩٩٥، ومؤتمر تحرير المرأة ١٩٩٥ (بكين)، ومؤتمر المستوطنات البشرية ١٩٩٦ (اسطنبول)"[١].

المطلب الثالث

القوانين الدولية

والمواثـــيق والإعلانات والتي لا تكون ملزمة في البداية ولكنها تصل إلى درجة الإلـــزام بعد التوقيع والتصديق عليها، وإنما حتى لو لم تكن ملزمة بالمعنى القانوني والذي يترتـــب عـــلى عـــدم الالتزام بها عقوبات مختلفة، ولكنها مع ذلك تشكل ضغطا أدبيا وإحـــراجا دولـــيا في الكثير من الأحيان ، ومثل هذا الضغط والإحراج تتبعه ضغوطات سياسة واقتصادية لاحقا ؛ بحيث تضطر الكثير من الدول –إلى التوقيع عليها والانضمام إليها، ومن القوانين والاتفاقيات الدولية ذات الصلة المباشرة بهذا البحث (اتفاقية مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة والمعروفة اختصارا بـــ(CEDAW) وسوف نشير إلى بعض مضامينها وبنودها والإشكاليات الموجودة فيها في مبحث خاص.

---

١) قضـــايا دولـــية، (مـــرجع سابق) العدد (٢٤٤) ص١٣، والحقيقة أن الذين صاغوا مواثيق وأجندة هذه المؤتمرات قد عرفوا كيف يستفيدوا من الخير الموجود فيها لصالح تسويغ الشر الموجود فيها، وربما الكثيرون من المهتمين بهذه القضايا المطروحة في هذه المؤتمرات لا يدركون اللمسات الصهيونية والإمبريالية الأمريكية فيها.

المطلب الرابع

المنظمات الأهلية

المحلـية منها والأجنبية، هذه المنظمات التي تطلق عليها أسماء متعددة[1]، وتعرف اختصـارا بـ(NGOs) أو (Non Government Organizations) وتعني المنظمات غير الحكومية، وهي الآن في مقام رأس الحربة في تنفيذ برامج ومخططات كثيرة لا تتمكن الدول الاستعمارية العولمية تنفيذها بنفسها، وهذا الكلام لاشك يعنى به تلـك المـنظمات الـتي فقدت وطنيتها وأجندها الخاصة من حيث تدري أو لا تدري، ويلاحظ في الآونة الأخيرة كثرة ملفتة للنظر لهذه المنظمات في المجال الواحد، ففي تقرير عـن المنظمات النسوية في الأرض المحتلة (فلسطين) ورد فيه أن المنظمات الخاصة بالعمل النسوي فقط وصل عددها إلى (١٢٠٠) منظمة غير حكومية، والذي يثير التساؤل أكثر هـو حجم المساعدات التي تلقتها هذه المنظمات ، حيث يذكر التقرير نقلا عن التقرير الاقتصادي الفلسطيني الصادر في حزيران ١٩٩٧ : أن هذه المنظمات تلقت المساعدات بحجـم ٦٨,٩ مليون دولار من أصل ١٥٢٧ مليون دولار أي تقدير ٥% في حين أن المجـال الصناعي والزراعي لم يخصص له إلا مبلغ ٢٤ مليون دولار أي أقل من ١,٢% من إجمالي المعونات ، مما أثار جدلا عن مدى جدوى هذه المنظمات، ودورها الحقيقي في المجـتمع، وعلة الاحتفاء الغربي بها، ومما ينبغي ذكره أن هذه المنظمات عموما لا تخضع حساباها البنكية ومشاريعها للمراقبة إلا من الجهة المانحة والتي هي منظمات أو حكومات أجنبية لها جدول أعمالها الخاصة بها، وتوجهاها المعروفة أحيانا والخفية أحيانا أخرى، وفي هـذا تقول الناشطة النسوية (خلود المصري) : "إن الأطر النسوية المدعومة لا تخرج في

---

[1]) منها: المنظمات التطوعية ، أو الخيرية، أو المدنية، أو الإنسانية، أو منظمات المجتمع المدني...الخ من الأسماء.

وضـــع أولوياتها عن الالتزام بأولويات وثقافة الجهات المانحة لها من أجل استمرار الدعم المالي لها فحسب، وهي بالضرورة تختلف عن أولويات مجتمعنا الفلسطيني...."[1].

وأكثر من هذا أعلن الأمين العام السابق للحزب الشيوعي الأردني أن مجموعة من الماركســيات الناشطات في مجال تحرير المرأة العربية تلقين أموالا مشبوهة لصالح الجمعية النســوية التي يدرنها، من عدة مؤسسات غربية ذات صلات صهيونية في أمريكا وكندا وأوربــا، وأن من بين هذه الأموال مبالغ طائلة من مؤسسة (يو.أس.إيد) لصالح مشروع يستهدف إقناع النساء الأردنيات والفلسطينيات بتحديد النسل، ويضيف أن السلطات الصــحية في الأردن اكتشــفت أن الأدوية المستخدمة في هذه الحملة تسبب السرطان وتؤدي للعقم الكامل[2].

تقــول شــهيدة الباز في كتاب (المنظمات الأهلية العربية على مشارف القرن الواحــد والعشرين): "فيما يخص العلاقة بين المنظمات الأهلية والجهات الأجنبية، توحي تجارب العالم الثالث والانطباعات عن بعض التجارب العربية، أن هذه العلاقة تتسم بأنها انعكــاس للعلاقــات غير المتكافئة بين العالم العربي كجزء من العالم الثالث وبين الدول الرأسمالــية الصناعية في إطار النظام العالمي الجديد.. ومما يكرس عدم التكافؤ المشار إليه سابقا، ارتباط العلاقة بوضع المنظمات الدولية كمانحة للمساعدة، وفقر المنظمات الوطنية المحلية ووضعها كمتلقية للمساعدة... وساهم ذلك في تكريس علاقة التبعية والاعتماد، وقــد ترتــب عــلى هــذه العلاقة غير المتكافئة، سلوكيات معينة بين المنظمات المانحة، والمــنظمات المتلقــية فيما يتعلق بمن له الحق في تحديد الأهداف والأولويات، وفي حق المنظمات المانحة في الرقابة والمتابعة، وتسجيل النواقص والأخطاء... وقد ثبت في الكثير مــن الأحــيان فشــل المشروعات التي قدمتها المنظمات الأهلية الدولية، بسبب اختيار

[1]) مجلة فلسطين المسلمة ، لندن ، العدد الرابع ، أبريل ٢٠٠٠م ، ص٦٨.

[2]) مجلة المجتمع الكويتي ، العدد ١٣٩١ ، الصادر ٢٠٠٠/٣/٧م ، ص٥.

المـــنظمة المانحـــة لمشروعات ليس لها علاقة بالواقع اليومي، أو الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المعني!! وهذا الأمر أدي ببعض المنظمات الأهلية العربية إلى رفض المعونات الأجنبية باعتبارها تحمل معها جدول أعمال لم تقرره"[1].

وتقـــول: "وقـــد لوحـــظ أن هـــناك شبهة تكتنف وجود ممارسات بعض هذه المـــنظمات الأهلية الدولية في عدد من المجتمعات العربية بحكم تغلغلها في النسيج العرقي والاجـــتماعي والطـــبقي للمجـــتمع، وحرصـــها بشكل أو بآخر، على إثارة النعرات والصراعات الطائفية والعرقية مما يهدر كثيرا من إمكانيات التنمية ولا يعتبر هذا السلوك شاذا، فقد ثبت أن المنظمات الأهلية الدولية لعبت دورا كبيرا في تشجيع التغييرات التي حدثـــت في الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية، والتي أدت إلى انهيار الأنظمة الاشتراكية فيها، وكان هذا التدخل بدعوى تشجيع الديمقراطية في هذه المجتمعات!!" [2].

ومعـــني هـــذا أنه يرتبط مفهوم تقوية المجتمع المدني إلى حد كبير بمشروع العولمة وسياســـاتها في الـــدول المختلفة والاستفادة من المنظمات المحلية لإقرارها والوصول إلى أهدافها.

ويساهم في خطورة هذا الأمر اتجاه الأمم المتحدة للتعامل مع المنظمات الأهلية مباشـــرة، بل وجعلها رقيبة عينا على دولها، خصوصًا فيما يتعلق بشؤون المرأة واتفاقية

---

[1]) شهيدة الباز (المنظمات الأهلية العربية على مشارف القرن الواحد والعشرين) الصادر من لجنة المتابعة لمؤتمر التنظيمات الأهلية العربية)، القاهرة ١٩٩٧، ص١٣٧ وما بعدها.

[2]) المـــرجع نفسه ، ص١٣٨ ، وتذكر في ص ١٣٩ وما بعدها مجموعة أهداف وراء التمويل الأجنبي الغربي للمنظمات الأهلية الوطنية منها: (١) التسريع بتحويل اقتصاديات الدول المعانة إلى اقتصاد السوق الحر وهذا الدعـــم مقـــدم للفقراء حتى يقدروا على تمرير سياسات التحرير. (٢) العمل على تنمية اللامركزية للحد من ســـلطة الدولة وسيادتها. (٣) العمل على تنمية وتقوية مؤسسات المجتمع المدني خصوصا تلك التي تتبنى الفكر الليبرالي. (٤) ممارسة الوصاية على المنظمات المحلية لأغراضهم الخاصة...

سيداو كما سيأتي... وسماح قوانين بعض الدول -بدرجات متفاوتة- للمنظمات الأهلية الأجنبية، والدول الأخرى بالتعامل المباشر مع المنظمات الوطنية، وبعضها بالاتفاق مع الحكومة ؛ فمثلاً (هيئة المعونة الأمريكية) خصصت (٢٠مليون دولار) كمساعدات للمنظمات الأهلية، والشرط الوحيد المفروض عليها أن يكون المشروع الممول مقبولاً في الوزارة المعنية، والهيئة الأمريكية من جانبها تسند أمر إدارة هذه المنح إلى منظمات أهلية أمريكية، وتحذو المجموعة الأوربية الطريقة نفسها حيث يتم التعامل مع المنظمات المصرية (مثلاً) مباشرة من خلال منظمات أهلية أوربية دون أن يكون بينها وبين الحكومة أية اتفاقيات، وقد بلغت المعونة حتى عام ١٩٩٤ من ٨٠-١٠٠مليون دولار.

وتعتبر السفارة الهولندية من أنشط السفارات في مصر (وغيرها) من حيث التعامل مع المنظمات الأهلية، حيث أنها لم تلتزم بتوقيع أية اتفاقيات مع الحكومة للتعامل مع المنظمات)[١]، من الجدير بالذكر أن السفارات الهولندية في العالم الثالث والدول العربية خصوصًا تهتم بمواضيع المرأة والأسرة والسكان والطفل.... ومتخصصة فيها بحكم توزيع الأدوار بين حكومات الاتحاد الأوربي، وهذا ما يجعلها خطيرة، لأنها في الغالب تتبنى مشاريع أنثوية وتساهم في إسراع عجلة التغيير الاجتماعي العولمي، ولها آثار سالبة على البيئة الاجتماعية والفكرية للبلدان الإسلامية إذا لم يتم ضبط مشاريعها وأنشطتها وتوجيهها وجهة سليمة، فمثلاً في مصر وحدها بلغت معونة السفارة الهولندية عام ١٩٩٤ (١٧مليون) دولار كدعم للمنظمات الأهلية[٢]. والسؤال يا ترى كيف وفيما صرفت هذه الأموال؟! [٣]

---

[١]) المرجع نفسه، ص١٧٧.

[٢]) شهيدة الباز، المنظمات الأهلية العربية، مرجع سابق، ص١٧٧.

[٣]) ليس معنى هذا الكلام أن نلبس نظارات سوداء، وننظر بشك وعقلية تآمرية لكل من يقدم عونا ونتهمه في نواياه، والأصل أن كل من يقدم عونا لمجتمعاتنا ويساهم في نمائه وتطويره فإنه يشكر عليه، ولكن القصد هو أن ننتبه ونفرق بين الدعم المخلص والدعم المفسد.

ومن الأمور الخطيرة أيضا قدرة هذه المنظمات على استيعاب الكوادر العلمية، واستكتابها في بحوث تخدم أغراضاً أجنبية، وفي هذا يقول الكاتب الصحفي (محمد حسنين هـــيكل): "إن ثلث أساتذة الجامعات المصرية يعمل حاليا بشكل مباشر أو غير مباشر مع تلـــك المؤسســـات الأجنبـــية الممولة للأبحاث، لقد أمطرت مؤسسات مثل (فولبرايت) و(فـــورد) و(بروكنغز) و(راند) وغيرها أموالا ومنحا دراسية على مجتمعاتنا بشكل غير مسبوق، وظهرت إلى السطح جمعيات أهلية ذات نشاط يثير التساؤل...

هـــذه الجمعـــيات الأهلية المدعومة من وكالات الاستخبارات الغربية هي وسيلة الغرب لبث فكره وتأمين مصالحه على حساب هويتنا الوطنية والإسلامية"[1] إن منظمة كبيرة مثل (كونراد أديناور) الألمانية تخصص ٩٠% من معوناتها للمنظمات الأهلية التي تعمـــل في المجـــال الفكري مثل المؤسسات ومراكز البحوث التي تخدم التوجه التنموي الجديد (أي العولمة الرأسمالية).

ترى هل يصل الانتقاص من سيادة الحكومات إلى إلغاء شبه نهائي بحيث يتعامل الـــنظام العالمي الجديد (أمريكا) وأشياعها مباشرة مع الشعوب ممثلة في المنظمات الأهلية التي تصنعها وتدعمها وتمرر سياساتها من خلالها؟! [2]

---

[1]) مصطفي الطحان (العولمة) ، مرجع سابق، ص٦٢.

[2]) كـــل هـــذا الكلام الذي قلناه لا يعني الانتقاص من دور المنظمات الأهلية وأهميتها في التحول الديمقراطي والخلاص من الأنظمة الشمولية، وتفعيل وتعبئة القطاعات المختلفة للناس للنهوض بالمجتمع وتنميته، والمقصود هو الحذر من أن تتحول هذه الآليات والهياكل الشعبية إلى أداة لتحقيق أغراض غير وطنية.

المطلب الخامس

الإعلام

ويشـــمل الإعلام المرئي (القنوات التلفزيونية والفضائيات)، والمسموع (الراديو والإذاعـــات) والتي تبث بعشرات اللغات في بث موجه إلى أصقاع العالم، والمقروء من (صـــحف ومجـــلات ونشرات...)، وشركات إنتاج أفلام السينما والفيديو ...وأخيرا الإنترنـــت تلك الشبكة الرهيبة المعقدة والتي توحد بين المسموع والمرئي والمقروء في آن واحد...الخ[1].

يقـــول الأســـتاذ (مصطفى الطحان): "إن الإعلام ليس مروجا لمقولات العولمة ومحاولة سيطرتها على العالم بل إنه في الحقيقة شريك العولمة ووجهها الآخر...فعن طريق أربع مجالات تكنولوجية تتداخل بقوة فيما بينها هي الإعلام المنشور، والهاتف، والتلفزة، والإنترنت أطلقت العولمة رهاناتها الاقتصادية والسياسية والثقافية"[2] وينقل عن (جوزيف نـــاي) وهـــو مسؤول سابق في البنتاغون وعميد معهد كينيدي في جامعة هارفارد حاليا قوله: "سيكون من السهل على أمريكا أن تسيطر سياسيا على العالم في المستقبل القريب وذلك بفضل قدرتها التي لا تضاهي في إدماج النظم الإعلامية المعقدة.. وأن الدول ذات الســـيادة لم تعـــد قادرة على حجب الغزو الثقافي والإعلامي عن فضائها، فالإعلام قوة ناعمة تحقق غاياتها في الهيمنة على نطاق واسع دون أن تثير حساسية أحد"[3].

---

[1]) الإنترنت وغيرها من وسائل الإعلام والاتصال نعمة وإنجاز عظيم للبشرية، ولكنها سلاح ذو حدين وإذا لم تراقب وينظم استخدامها فستصبح وسيلة تدميرية.

[2]) المرجع نفسه ، ص٤٦..

[3]) المرجع نفسه ، ص٤٦..

ومــنذ أن تحول الإعلام إلى تجارة، وسيطرت عليه شركات الدعاية والإعلان، ومنذ أن أمسك بزمامه اليهود والصهاينة في العالم، تحول إلى آله مدمرة وفتاكة لا ترحم قيم وأخلاقيات الشعوب، ولا تبالي بغير الجذب والإثارة وكثرة المشاهدين حتى ولو كان عــلى حساب الأمن الاجتماعي والدين والحضارة والتنمية، ولسنا نحن الذين نشكو منه فقــط ، بــل العالم الغربي المصدر له أصبح يشكو من آثاره السالبة على مجتمعاته، ولقد اجتمع (كلينتون) مع فناني ومديري هوليود ورجاهم أن يرحموا المجتمع الأمريكي ويكفوا عن إنتاج أفلام الجنس والعنف، لأنه أصبح مهددا من هذا الإنتاج الإعلامي[1]... ولكن يبدو أنه بعد أن أصبح الربح إلها يعبد فلا مناص من ذبح كل الفضائل والقيم أمام باب معــبده قــربانا وفديــة، ويــبدو أنه بعد التحالف المحكم بين الإمبراطوريات الإعلامية والمؤسسات الاقتصادية لم يجد القائمون على أمر العولمة سلاحا أمضى من الإعلام لترويج أفكارهم وسياساقم.

ولعل الجانب الاجتماعي والأخلاقي والأمن الأسري هو الأكثر تضررا من البث الإعلامــي للعولمــة بما في هذا البث من الجنس والعنف. هذا البث الذي –لا يريدنا أن نســتخدم منــتجاقم فقــط، وإنمــا أن نغير نظرتنا للحياة، ونراجع مجتمعنا على ضوء معــاييرهم، ونكــيف ذوقنا على هواهم، ونوقن بتفوقهم الأزلي والبديهي والحتمي بل والأبدي لأن نهاية التاريخ قد حلت، والأرض قد ازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها.

وممــا يــزيد هذا الأمر خطورة أن الشركات المتعددة الجنسيات وبالتنسيق مع البــنك الــدولي يمارسان ضغوطا متواصلة ومتعددة على دول الجنوب لاستخدام قرض البنك في استيراد تكنولوجيا الاتصالات والمعلوماتية ، حتى يتم إحكام السيطرة على هذه

---

[1]) الدكــتور حسين سليمان جاد (وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية) منشورات سلسلة كتاب الأمة الصادرة عن وزارة الأوقاف القطرية ١٩٩٦، ص١٦٤..

المجـــتمعات تماما[1]، وتقوم وسائل الإعلام والاتصال بعمليات غسيل المخ بشكل واسع، بعد أن أصبح الإعلام أمضى تأثيرا من البيت والمدرسة والمسجد والكنيسة ، بل صار في الكثير من الأحيان بديلا ومصدرا وحيدا للمعرفة والقيم ومشكلاً لاتجاهات الرأي العام.

المطلب السادس

الضغوطات

(التدخلات ، والإجراءات)

ولعـــل هذه الآلية هي سلاح العولمة والنظام العالمي الجديد الدائم حيث تلجأ إلى الضـــغوط قـــبل قـــراراتها وأثناء صياغة القرارات في المؤتمرات، وبعد صدور القرارات والمواثـــيق لضمان نوعية خاصة من التطبيق والتفسير تكون محققة لطموحاتها من ناحية، ولضمان استمرارية الالتزام التام بما فرضته وعدم الخروج عليه.

يبدو أن اللجوء إلى القوة العسكرية غير مجدي الآن في كثير من الأحيان وهناك أنواعا أخرى من القوة أكثر فاعلية، ولا تحدث رد فعل مباشر واستفزاز من شأنه أن يحيي روح المقاومـــة في الشـــعب المســـتهدف، بل إنها أشبه ما يكون بتأثير السم الذي يقتل تدريجـــيا، مـــثل الضـــغوط الدبلوماســـية، والضغوط الاقتصادية، وضغوطات الإعلام والإحراج الدولي والتشهير، وضغوطات ما يسمى بالشرعية الدولية ، التي هي في الحقيقة آلية قهر من آليات النظام العالمي الجديد، حيث إنه لو أجمع العالم كلهم على قرار واحد ورفضته أمريكا فلا وزن له بحكم توفر حق النقض لها ولمجموعة محدودة من الدول مثلها.

---

[1]) المرجع السابق ، ص٥٠.

في مـــرحلة العولمـــة الاجتماعية، وتعميم الفاحشة على العالم استحدثت شروط جديـــدة للاعـــتراف بالدول وإعطائها حق الدخول في نوادي الكبار، بل حق لتسلمها دعمًـــا أو معونـــة ، حيث أصبح من جملة شروط الانضمام إلى (الاتحاد الأوربي) مثلا، الاعـــتراف القانوني بالشذوذ الجنسي، والآن تركيا مطالبة بهذا الشرط، ولقد طلب هذا المهـــر مـــن قـــبرص لكـــي تمنحها أوربا بطاقتها فارتفع صوت الكنيسة الأرثوذكسية بالاحـــتجاج، ولقد صرح رئيس حكومة (زيمبابوي) بأن حكومة حزب العمال البريطاني (حكومـــة تـــوني بلـــير) تمـــارس عليه ضغوطا ليقر بحق الشواذ[١]، وغدا سوف يكون الإجهاض القسري، وحرية الإباحية الجنسية، وإلغاء الزواج الشرعي..الخ ، كلها شروط لأي تعامل دولي..

والآن بـــدأت الدول الغربية تمشي في هذا المسار ومعها البنك الدولي وصندوق الـــنقد الدولي ومنظمة التجارة الدولية، بل إن (صندوق الأمم المتحدة للسكان) نفذ في الصين الإجهاض الإجباري والتعقيم سنة ١٩٨٦[٢]، ولقد دعت رئيسة وزراء النرويج وغيرهـــا إلى سياسة قطع المعونات عن الدول التي لا توافق على وثيقة مؤتمر السكان في القاهـــرة، وقد سعت الولايات المتحدة وقامت باتصالات واسعة قبل انعقاد المؤتمر عبر ســـفاراتها المنتشـــرة لكـــي يضـــمن نجاح المؤتمر وموافقة الدول المشاركة على الوثيقة واســـتخدمت في ذلـــك ضغوطها المعروفة، وسعت عبر اتصالاتها تلك خصوصا "لتمرير صـــياغة لغوية قوية وواضحة تؤكد على ضرورة العمل جديا من أجل توفير سبل سهلة ومتاحة للإجهاض"[٣] ولم تنس أن ترسل لمصر خمسة آلاف حقنة للإجهاض بدون ألم، وتم

---

١) مجلة دار السلام العراقية التي تصدر من لندن، العدد (١٣٩) نيسان-ابريل ٢٠٠٠م، ص٢٩..

٢) السياسة الدولية، العدد ١١٨ ، أكتوبر ١٩٩٤م ، ص٢٧.

٣) المرجع نفسه ، ص٧٦.

تدريب أطباء وزارة الصحة عليها، وأقامت بعض مراكز تنظيم الأسرة دورات تدريبية في استخدام أجهزة الإجهاض المبكر بغرض تعميمها.

ولابد من ملاحظة أن كل حقوق المرأة بالتفسير الغربي المفصل في أدبياتها والمواثيق في مؤتمري بكين والقاهرة، والمقنن في اتفاقية (سيداو) [1] وغيرها، هي جزء أساسي من حقوق الإنسان عندهم، وتؤكد الأمم المتحدة عبر الوثائق المذكورة الرفض التام للفصل بين حقوق المرأة وحقوق الإنسان..

وقالت هيلاري كلينتون في مؤتمر (بكين) عندما خاطبت المؤتمر: "لقد آن الأوان كي نقول هنا في بكين، وكي يسمع العالم كله، أنه لم يعد من المقبول مناقشة حقوق النساء بعيدا عن حقوق الإنسان"[2] ويقول (ريغان رالف) في وصف اتفاقية (سيداو): "واحدة من أبسط حقوق الإنسانية للنساء"!![3] ومعنى أن تكون حقوق النساء (بالتفسير الغربي) من حقوق الإنسان، التمهيد لتدخلات خطيرة وواسعة وإعطاء الحق للدول الكبرى (تحت ذريعة حقوق الإنسان) أن تلعب بسيادة دولنا ومجتمعاتنا وكذلك المنظمات الدولية، لأن هذا التكييف القانوني يقتضي تلك النتائج.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الضغوطات ليست موجهة للدول فقط، وإنما للأمم المتحدة وكبار مسئوليها وأمينها العام، ويقال إن (بطرس غالي) الأمين العام للمنظمة

---

[1]) ومعلوم أن المفهوم الغربي لحقوق المرأة وكما هو مدون في تلك الوثائق يتضمن أفكار الأنثوية المتطرفة وتخلط بين حقوق المرأة و الإجهاض والحرية الجنسية والشذوذ ...الخ، ولكننا ومعنا الكثير من الغربيين أيضًا نرفض هذا الخلط الشائن، وندعوا لعدم الإضرار بقضية المرأة وتشوهها من خلال دمج حقوقها الإنسانية العادلة مع هذه اللوثات الممقوتة.

[2]) مجلة المشاهد السياسي ، (لندن) ، العدد (٥٩) ، ١٩٩٧ ، ص٢٧.

[3]) المرجع نفسه ، ص٢٧.

الدولية في زمان المؤتمر أبلغه الأمريكان أن بقائه في موقعه لفترة قادمة مرهون بقدرته على إقناع الدول العربية والإسلامية بوثيقة المؤتمر (مؤتمر السكان في القاهرة)[1].

---

[1]) قضايا دولية، العدد (٢٤٧) ، ص١٨.

المبحث الرابع

قراءة عاجلة لمؤتمر السكان واتفاقية (CEDAW)

المطلب الأول

مؤتمر السكان في القاهرة

قراءة سريعة

عقـــد مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة (٥-١٣/٩/١٩٩٤م) بدعوة من الأمم المـــتحدة وإشراف مباشر لها، وشارك فيه مندوبون من مختلف دول العالم، وقد كان هذا المؤتمـــر تتويجا لمؤتمري السكان في بوخارست ١٩٧٤، ونيومكسيكو ١٩٨٤ "وصادف انعقاد المؤتمر عقد الأمم المتحدة للقانون الدولي ١٩٩٠-١٩٩٩"، تم التحضير للمؤتمر (٣) ســـنوات عقـــدت فيها ستة اجتماعات للخبراء، وخمس مؤتمرات إقليمية، وأدخل عليها تعديلات في (نيويورك).

ومن ناحية تناول المؤتمر لموضوع المرأة بشكل أساسي فإنه يأتي في سياق مجموعة مـــن المؤتمـــرات التي تناولت المرأة، ابتداء من المؤتمر العالمي الأول للمرأة وكان شعاره" (رفـــع التميـــيز ضد المرأة) والذي عقد في مكسيكو سيتي عام ١٩٧٥، ومرورا بمؤتمر كوبـــنهاجن عـــام ١٩٨٠/ ومؤتمـــر بكين المرأة ١٩٩٥، ووصولا إلى مؤتمر الإسكان والإعمـــار ١٩٩٦، وكـــل هـــذه المؤتمرات تنطلق من أهداف محددة، وتحكمها فلسفة واحدة وتلتزم استراتيجية طويلة المدى في تطوير وسائلها، وتستظل بمظلة الأمم المتحدة،

وحراســـة النظام العالمي الجديد بكل ما يمتلك من قدرات مالية، وسلطان سياسي قاهر، قادر على أن يفرض ما يريد من مبادئ وقيم[1].

وثيقة المؤتمر كانت مكونة من مائة وإحدى وعشرين صفحة من القطع الكبير، موزعة على (١٦) ستة عشر فصلا، أخذ الجنس والإجهاض والحقوق التناسلية الإباحية وتعلــيم الجنس للمراهقين... مائة صفحة ، وبقيت الصفحات الأخرى العشرين لقضية التنمــية وفي هــذا دلالة على أن جوهر المؤتمر ليس للتنمية وإنما إضافة الكلمة هذه مع صفحاتها القليلة عبارة عن خداع وتضليل لتسويق أفكار بقية الصفحات، وكلمة التنمية هذه ديكور للتجميل والجذب للدول النامية التي تبحث عن التنمية.

كان مؤتمر السكان هذا أكثر المؤتمرات الدولية مساسا بعقائد الشعوب، وتركز الخلاف في الغالب على ما جاء في الفصلين السابع والثامن، ونوقش الإجهاض مدة ثلاثة أيام دون الوصول إلى اتفاق، وصيغة تحظى بالإجماع[2].

ويمكن ملاحظة ذلك من حجم وعدد التعديلات التي طرحت حيث طرحت مصر (١١) تعديلا وبعض الدول الإسلامية أوصلتها إلى (٧٠) تعديلا[3].

مؤتمـــر الســـكان هذا كان يوهم –بحسب العنوان وبعض الصياغات– إلى أن المدخل لحل مشاكل زيادة السكان هو مدخل تنموي، ولكن في الحقيقة أراد التوصل إلى تحديـــد النسل والسكان عن طريق موانع الحمل والإجهاض، والعلاقات الجنسية خارج الزواج والتثقيف الجنسي للناشئة والمراهقين...

---

[1]) عمر عبيد حسنة في مقدمة كتاب (وثيقة مؤتمر السكان والتنمية) مرجع سابق، ص١٨.

[2]) السياسة الدولية، مرجع سابق، ص٧٧.

[3]) قضايا دولية، العدد (٢٤٧) ص١٧.

لقد عقد المؤتمر في (مصر) واختيار مواقع هذه المؤتمرات لا يأتي عبثا دون دراسة وأغلب الظن أن هذا الاختيار عنده دلالات : منها أن المقصود الأكبر بتحديد السكان.... وقيم العولمة الاجتماعية هم المسلمون والأفارقة، ومنها السعي للاستفادة من موقع مصر وسمعتها الإسلامية وريادتها الفكرية لإسباغ نوع من الشرعية والمقبولية على المؤتمر، ومنها أيضا موقع مصر بجوار إسرائيل وفي هذا إشارة واضحة في أن ضمان أمن اسرائيل جزء من مخطط الحد من النسل وقد شاركت منظمات إسرائيلية في المؤتمر فعلاً.

وقد نستغرب جميعا من عقد هذه المؤتمرات تحت ظل الأمم المتحدة ولكن إذا عرف السبب بطل العجب، تقول البروفسيرة (كاثرين بالم فورث): إن لجنة المرأة في الأمم المتحدة شكلتها امرأة اسكندنافية كانت تؤمن بالزواج المفتوح، ورفض الأسرة وكانت تعتبر الزواج قيد"ا وأن الحرية الشخصية لابد أن تكون مطلقة، وكانت تقول (أي كاثرين): "إن المواثيق والاتفاقيات الدولية التي تخص المرأة والأسرة والسكان... تصاغ الآن في وكالات ولجان تسيطر عليها فئات ثلاث (الأنثوية المتطرفة) و(أعداء الإنجاب والسكان) و(الشاذين والشاذات جنسيًا)[1]!! .. فكيف تخرج القوانين والمواثيق إذا خرجت من هذا الثالوث المرعب؟ وربما هذا يعطينا تفسيراً لغرابة القوانين ومخالفتها لكل الأديان والعقائد، ووقوف الأديان وجمعيات الأسرة والمنظمات الحقوقية، والمنظمات المضادة لأفكار الأنثوية في الغرب، والكثيرين من علماء الأخلاق وعلم الاجتماع والفلسفة...الخ ضد المؤتمر حتى قالت منظمة ألمانية معارضة: "أوقفوا هذا المؤتمر القاتل"[2] ، ووقفت الفاتيكان والكنيسة الأرثوذكسية ومجمع الكنائس العالمي بجانب الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والإخوان المسلمون...موقفًا واحدًا في رفض وإدانة

---

[1]) كاثرين بالم فورث ، ندوة قاعة الشهيد زبير، مرجع سابق.

[2]) المرجع السابق ، ص١٧.

مثل هذه المؤتمرات التي تريد القضاء على البقية الباقية من قيم الأديان السماوية وسلام المجتمعات.

وتخفيفًا لحدة المعارضة، وتهدئة للأجواء الثائرة، قالت (نفيسة صادق) رئيسة المؤتمر: "قد تكون هناك أخطاء في الترجمة !!ثم أن هذه وثيقة وإعلان وليست اتفاقية ملزمة، وللدول الحق في تنفيذ قوانينها المحلية ..."[1] ولكن الحقيقة خلاف ذلك تمامًا لأن الترجمة قامت بها خبراء اللجنة نفسها التي قامت بصياغة الوثيقة، ثم إن الوثيقة تكلف الأمم المتحدة ووكالاتها بمتابعة بنودها، وفور انتهاء المؤتمر قامت بعض الدول والمنظمات بالمسارعة إلى ربط المساعدات الإنمائية بالحد من الإنجاب الوارد في الوثيقة، فالأمر ليس بالبساطة التي تخيلتها أو تريد تصويرها السيدة نفيسة صادق، لأن الأمر له ما بعده، وقضية التدرج واضحة في تسويق هذه المواثيق التي ستتحول إلى قوانين ملزمة إذا مرت دون معارضة قوية.

بعض المفاهيم التي وردت في بنود الوثيقة

يتحدث الفصلان الأول والثاني عن الإطار العام لعرض قضايا المؤتمر الرئيسي والتي هي قضية النمو المطرد للسكان، ومشكلات خدمات تنظيم الأسرة، وتضمن الفصل الثالث التدابير الموصى باتخاذها لمواجهة المشكلة، أما الفصل الرابع فيتحدث عن المساواة بين الجنسين، ويتحدث الفصل الخامس عن الزواج والأسرة وتوزيع العمل فيها، ويناقش الفصل السادس قضايا استغلال الأطفال، ورعاية المسنين، والمعوقين ودمجهم في مناشط الحياة أما الفصلان السابع والثامن فقد تناولا أكثر الأمور حساسية وإثارة للجدل وهي الحديث عن الصحة التناسلية، والإجهاض، والصحة الإنجابية، والجنس المأمون....

---

[1]) قضايا دولية، العدد (٢٤٧) ، ص١٨.

وتـــناول الفصــــل التاسع والعاشر موضوع الهجرة والآثار الاجتماعية لها وكذا التهجير القسري، والتطهير العرقي...

وتـــناول الفصــــل الحـــادي عشر مناشدة القادة الدينيين والسياسيين والحركات النسائية..للعمل على تعبئة الرأي العام لتنفيذ الوثيقة !! والفصل الذي بعده فيه حديث عـــن دعـــم تكنولوجـــيا مـــتطورة لتحليل البيانات والإحصائيات المتعلقة بالسكان في الدول[1]..وهلم جرا.

ولا شـــك أن هـــذه الوثيقة وبقية المواثيق والاتفاقيات الدولية تتضمن الكثير من الأمـــور الجيدة والمفيدة والتي تشكل أرضية مشتركة يمكن للبشرية جميعا أن تقف عليها سواء ما يتعلق منها بالمرأة وتحسين أوضاعها أو ما يتعلق بمشاكل المهاجرين أو البيئة..الخ. ولكـــن المشكلة تكمن في خلط هذه الأمور الطيبة ببعض الأمور والآليات الخبيثة التي لا يمكـــن الاتفاق عليها أبدا وقد وردت في هذه الوثيقة أمور من هذا النوع وهي لا شك انعكاس لفكر الأنثوية المتطرفة ومن يشايعها ؛ ومنها:

١ – الحديـــث عن المساواة المطلقة بين الجنسين وإلغاء جميع الفوارق بينهما لأن هـــذا يعني إلغاء سنة كونية، وإلغاء خصوصية الجنسين، ووظائفهما في الوجود، ولو كان هـــذا الإلغاء ممكنا في الواقع بأن نجعل الجنسين جنسا واحدا، لكان من المنطقي بعد ذلك ســـن قوانين على وفق ذلك، ولكنه مستحيل مهما غيرنا من طرق التنشئة والتربية، ثم نســـأل هـــل من المفيد لسعادة البشرية أن نخلط أو نلغي أدوار الجنسين؟ وهل هذا هو المطلـــوب؟ أم المطلوب هو إنصاف المرأة وإعطائها الفرصة لتتمتع بالعدل؟ "من غير تحيز ذكوري في تفسير العدل طبعا".

---

[1]) المرجع نفسه ، ص١٦– ١٧.

إن هـــذه الوثيقة تصف دور المرأة في استمرار الحياة وتربية الأجيال وتوفير الأمن الأسري والمجتمعي بالأدوار النمطية والتقليدية التي لابد من تغييرها، وتطالب بمسؤوليات متســـاوية للرجل مع المرأة في رعاية الأولاد في البيت ، حتى طالبت في الفصل الخامس بإعطـــاء ما أسمته بـــ(إجازة الأسرة) للرجل مثل (إجازة الأمومة) للمرأة !! وبعض دعاة إلغاء التمييز طالبوا بضرورة وجود صورة للرجل يرضع بالزجاجة، في مقابل صورة الأم وهي ترضع "عند الحديث عن تنقية الكتب المدرسية من التمييز".

وفي مســـائل المســـاواة أيضا وفي الفصل الرابع هناك حديث عن المساواة بين الجنسين في حق الملكية ، وفي هذا إشارة ضمنية إلى موضوع المساواة في الميراث[1]، وإذا لم تصـــرح هـــذه الوثيقة بذلك فإن وثيقة مؤتمر بكين قد صرحت بذلك حين ذكرت في الفقـــرة (٢٧٤/د) "إزالـــة ما تواجهه الطفلة من غبن وعقبات فيما يتعلق بالإرث حتى يتمـــتع كـــل الأولاد بحقوقهم دون تمييز" وهذا ما دعا الكثير من الدول الإسلامية إلى التحفظ على هذه الفقرة بما فيها مصر وليبيا وتونس والمغرب وأندونيسيا... [2]

٢- تماشـــيا مـــع الرؤية الغربية في إباحة الجنس وحرية ممارسته بشرط أن يكون مأمونـــا أي لا يؤدي إلى انجاب ولا إلى أمراض تناسلية –لكافة الأعمار من غير فرق بين المراهق والناضج، ومن غير فرق بين المتزوج وغيره .... " فإن الوثيقة تتحدث عن إلغاء القوانـــين الـــتي تحد من ممارسة الأفراد لنشاطهم الجنسي بحرية ، واختيار، وتتحدث عن حمايـــة الحاملات سفاحا، لأن ممارسة الجنس، والإنجاب حرية شخصية وليست مسئولية جماعية "[3] .

---

[1]) مجلة قضايا دولية، العدد ٢٤٧، ص١٦.

[2]) أحمـــد كمـــال الديـــن، (المرأة والعولمة والنظام العالمي الجديد)، ورقة مقدمة إلى مركز دراسات المرأة في الخرطوم، ص ١٨.

[3]) الدكتور حسين سليمان جاد (وثيقة مؤتمر السكان...) مرجع سابق ، ص٦١.

وتتحدث عن حقوق المراهقين في الجنس وممارسته بل توفير المعلومات الجنسية وما يسمى ب(Sex Education) لهم ، وعدم السماح للوالدين في أن يحولوا بينهم وبين مقدمي خدمات الرعاية الصحية والجنسية ، وتقنين هذا الأمر ، والسماح للمراهقين بتعاطي حبوب المنع وغير ذلك مما يجعل الجنس مأمونا ... وتقول الوثيقة في هذا : "يتعين على البلدان بدعم من المجتمع الدولي ،أن تحمي وتعزز حقوق المراهقين في التربية ، والمعلومات ، الرعاية المتصلة بالصحة الجنسية ، والتناسلية .." [1] وتقول ما نصه:" يجب أن تزيل البلدان العوائق القانونية والتنظيمية والاجتماعية التي تعترض سبيل توفير المعلومات والرعاية الصحية والجنسية والتناسلية للمراهقين ، كما يجب أن تضمن أن لا تحد مواقف مقدمي الرعاية الصحية من حصول المراهقين على الخدمات والمعلومات التي يحتاجونها ، وفي إنجاز ذلك لابد للخدمات المقدمة إلى المراهقين أن تضمن حقوقهم في الخصوصية والسرية والموافقة الواعية والاحترام"[2]..

انظر إلى هذا المقدار من التقديس لنزوات المراهقين، واحترام فرديتهم بحيث تكون تصرفاتهم الجنسية مصانة بحماية قانونية، وإلى هذا الإفتيات على سيادة الدولة، والمجتمع، والوالدين إزاء تصرفاتهم، وهم في تلك الأعمار الخطرة.

وقد طالبت المنظمات غير الحكومية المشاركة في المؤتمر بتدريس الجنس في كافة المراحل التعليمية، بل ونشر الثقافة الجنسية عبر وسائل الإعلام، وقد قام المشرفون على المؤتمر بعرض فليم جنسي في المؤتمر أثناء الحديث عن تعليم الجنس في المدارس مما أثار الكثير من الحضور[3] وقد أعلن الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة –وهي جمعية استشارية لدى الأمم المتحدة– عن سعيها لتحويل مراكزها المنتشرة إلى مواقع ووحدات

---

[1]) الدكتور حسين سليمان جاد (وثيقة مؤتمر السكان...) مرجع سابق ، ص٥٦.

[2]) المرجع نفسه ص٥٦.

[3]) قضايا دولية، العدد (٢٤٧) ، ص١٧.

لاستقطاب الشباب وتعليمهم كيفية التعامل مع نشاطهم الجنسي بشكل مأمون ، وهذا يعـني تحـول هذه الجمعية إلى أوكار لانحراف الشباب ونشر الثقافة الجنسية تحت مظلة الأمم المتحدة وبدعم منها.

الجـنس عند الغربيين مطلوب لذاته وعلى الدوام وفي كل مراحل العمر ودون ضوابط، ويعتبرونه كالأكل والشرب، والشباب والشابات يسألون أنفسهم لماذا يصبرون إلى وقـت الزواج؟! وما الداعي الذي يحملهم على هذا الصبر على الجمر بعد زوال أثر الديـن ، ووازع المجـتمع ، وتوفر حماية القانون ، وتشجيع الثقافة، ووجود الدواعي، وإمكانية السيطرة على الآثار التي تنجم عنه... بناء على هذا يتدافع الغربيون إلى الجنس في هسـتيريا جماعية، وفي كل الأعمار، ومن كلا الجنسين، ومن غير ضوابط، ومجتمعاتهم توفـر لهـم هذه المتعة المنفلتة وتعتبرها أصلا وحقا من حقوق الإنسان الأساسية، ولكي يستطيعوا أن يتحكموا في آثارها السالبة، شرعوا قوانين تعطي للمراهق الحق في الحصول عـلى (حـبوب مـنع الحمـل) و(الـثقافة الجنسية) وإذا لم تنفع الحبوب ولا الواقي الذكري...ولا الثقافة والتعليم فهناك (حق الإجهاض الاختياري) وشرعوا قوانين لإباحة ذلـك أيضا، وإذا ملوا من الجنس الآخر فهناك البديل في الجنس المماثل حتى تدوم المتعة السخيفة ، فشرعوا قوانين لحماية (الأسرة المثلية أو الشاذة).

ويلاحـظ على جميع مواثيق واتفاقيات الأمم المتحدة إباحة هذه الأمور كلها لأنها نابعة من هذه المجتمعات المتهاوية، والتي تعطي الحق للمراهقين والمراهقات بالاستقلال عن أسرهم والحياة بعيدا عنها، والدولة توفر لهم (الدعم المالي والرعاية الاجتماعية) وتمكنهم من تمردهم، وتمنع الوالدين من أي تدخل في شؤونهم بقوانين صارمة وقاسية جدا إذا أراد

الأولاد الاســـتقلال بعد (السادسة عشر) من العمر، ومن الجدير بالذكر أن تحديد عمر الاستقلال بـــ (١٦) سنة ليس قديما، وقبل فترة كان يقدر بـــ(٢١) سنة[١].

٣ – أباحـــت الوثـــيقة قتل الجنين وشجعت على الإجهاض بمختلف التعبيرات والصياغات ، كما ورد في الفقرة الثامنة /٢٥ المطالبة بوضوح بإجراء تغييرات تشريعية وسياســـية مـــناطها معالجة ما يسمي بالإجهاض غير المأمون، وهذه الدعوى أو المطالبة ليســـت موجهة من الحكومات فحسب، بل من الهيئات والمنظمات غير الحكومية أيضا، على اعتبار أن الإجهاض غير المأمون شاغل رئيسي من شواغل الصحة العامة[٢].وتدعو الفقرة (٧/٤) من الوثيقة إلى إنهاء الحمل، وتخفيف عواقب الإجهاض.. [٣]

وهكذا استخدمت الوثيقة أساليب متنوعة كلها تؤكد تشريع الإجهاض واعتباره حـــق المرأة، ووسيلة من وسائل صحتها وسعادتها وتمكينها!! وجزء من صحتها الجنسية (Sexual health) وصحتها التكاثرية(Reproductive Health).

٤– الوثيقة هذه فصلت بين الزواج، والجنس، والإنجاب، واعتبرت هذه الأمور متبايـــنة، وليســـت لهـــا علاقة ضرورية وتلازم[٤]، ومعنى هذا أنه يمكن الزواج من غير إنجـــاب، ويمكـــن ممارســـة الجنس من غير زواج، ويمكن الإنجاب من غير زواج، وحق الإنجاب من غير عملية جنسية حيث تلقح المرأة بمنى رجل تعرفه أو لا تعرفه، أو تستأجر رحـــم امرأة والتي تسمي (الأم البديلة أو البيولوجية) حتى تضع مولودها ثم تبيع المولود لصاحب الطلب أو لصاحبة الطلب!!

---

[١]) البروفسير زكريا بشير إمام ، بحث عن (المرأة والعولمة والهوية الثقافية) في مركز دراسات المرأة ، الخرطوم ، ص٣٢..

[٢]) الدكتور حسين سليمان (وثيقة مؤتمر السكان...) مرجع سابق، ص٥٧.

[٣]) المرجع نفسه ، ص٥٨.

[٤]) د.حسين سليمان، وثيقة مؤتمر السكان، مرجع سابق، ص٥٨.

انظـــر إلى هذه القبائح!! انظر إلى تجارة الرقيق في أحدث أنواعها في فترة ما بعد الحداثة وعصـــر العولـــة، وانفجار المعلومات!!...انظر إلى الكذب والتزوير في جنسية المولود ونســـبه وطـــريقة الحصول عليه بهذه البشاعة. وفي كل هذه الحالات فإن الإنجاب حق للـــتكاثر أو (Reproductive Rights) وحسب تعبيرات الوثيقة ومصطلحات الأنثوية.

٥- في حديـــث الوثيقة عن الأسرة، سعت إلى تعريفها بالمفهوم الغربي، والذي يتضـــمن رفـــض المفهوم الأساسي للأسرة كما عرفتها الأديان والمجتمعات وعندما تبدي حرصا على تماسك الأسرة وهي في الوقت نفسه تلغي وجودها وقدسيتها بإعادة تعريفها على النمو الموجود فهو حرص زائف كاذب حيث تقول: "وضع سياسات وقوانين تقدم دعما أفضل للأسرة وتسهم في استقرارها، وتأخذ في الاعتبار تعددية أشكالها"[١]

وورد في الوثيقة تفسير هذه التعددية بمثل زواج الجنس الواحد، والمعاشرة بدون زواج... ودعـــت الوثـــيقة إلى القضاء على التمييز في السياسات والممارسات المتعلقة بالزواج، وأشكال الاقتران الأخرى!!

والوثيقة بهذه الصورة تطرح على الدول أن تغير تعريفها التقليدي والنمطي (غير الحداثـــي) للزواج والاقتران والأسرة ، وتريد أن يعترف العالم كله بما اعترفت به دول الغرب من أشكال متعددة للأسرة وهي:

١-أســـرة الوالـــد الواحـــد أي (دون أب) بحيث تعيش المرأة مع مجموعة من الأطفـــال أو طفل أو طفلين سواء عرف الأب أم لم يعرف (وغالبا لا يعرف) ويشكلون أسرة مع بعض، وتشجع الأنثوية الغربية هذا النوع من الأسر لأنها تمكن المرأة من النفوذ

---

١) المرجع نفسه ، ص ٥٩.

علـــيها، وانفرادها بعملية التنشئة فيها، ولا نحتاج إلى أن نفصل القول في الآثار التربوية النفســـية الـــناجمة عن هذه الأسرة ، التي يغيب فيها دور الأب ولا يعرف الأولاد من أبوهـــم، ولا من أين جاءت بهم والدهم، ومن هم هؤلاء الناس الذين يعاشرون الوالدة ويتغيرون بين فترة وأخرى؟!

٢-الأســـرة المثلـــية أو المتكونة من جنس واحد سواء من رجلين أو امرأتين، وبعض هؤلاء يتخذون لأنفسهم أولادا أيضا إما بالتبني أو بالسفاح لغرض الإنجاب فقط، أو باستئجار الأرحام!!، وفي هذا الأخير تدني إلى مستوى دون الحيوان.

٣-الأسرة المقترنة أو المتزاوجة، والمتكونة من النساء والرجال الذين يعاشرون الـــبعض ويتـــبادلون الخدمة والمتعة الجنسية دون وجود زواج ولا عقد ولا وثيقة، وكل واحـــد منهم حر في الفكاك والتصرف... والأنثوية ترغب في هذا النوع من الأسر أيضا باعتبارها تخلو من تميز للرجل وسلطة له عليها، والمرأة فيها تملك نفسها، ولكن الحقيقة خـــلاف ذلك فوقائع المجتمعات الغربية تشير إلى سلطة واضحة للصديق على الصديقة، وتـــتعرض الأخـــيرة باســـتمرار إلى ما تتعرض له الزوجات من محاسبة، وضرورة تقديم الخدمة، بل العنف أيضا والإحصائيات تشهد على ذلك.

٤-أسر المعاشرة الجماعية: وهي أسر متكونة من مجموعة من الشباب والشابات يمارسون حياة جنسية مشاعية بأشكال مختلفة...

هذه هي الأشكال المتعددة للزواج أو الاقتران ، والتي تريد الوثيقة من الدول أن تعـــترف بهـــا، بل وتقننها وتلغي أي تمييز ضدها!! هل بعد هذا يمكن لدعاة الوثيقة أن يزعموا الحرص على استقرار الأسرة واستمرارها وتماسكها؟!

المطلب الثاني

قراءة سريعة لـــ (اتفاقية مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة)

والاســـم الإنجليزي للإتفاقية هو : **(Convention on Elimination and All forms of Discrimination Against Women)** والمعروفة اختصارا بـــ(CEDAW) وهذه الاتفاقية متطورة من معاهدة حقوق المرأة السياسية لعام ١٩٥٢م والتي تبنتها الأمم المتحدة، ثم أعدت إعلانا خاصا بإزالة التمييز ضـــد المـــرأة وأجـــيز الإعلان في عام ١٩٦٧م، ودعا إلى تغيير المفاهيم وإلغاء القوانين والعـــادات الســـائدة الـــتي تفـــرق بين الرجل والمرأة، ثم بدأت المفوضية -بعد إجازة الإعلان- في إعداد معاهدة القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة في عام ١٩٧٣م وأكملت إعدادها في ١٩٧٩م اعتمدتها الأمم المتحدة في ١٩٧٩/١٢/١٨م، وأصبحت سارية المفعول في ١٩٨١/١٢/٣م بعد توقيع خمسين دولة عليها[١].

تتكون الاتفاقية من (٣٠) مادة، موزعة على ستة أجزاء، وتتناول كافة الشؤون المـــتعلقة بحياة المرأة من: مفهوم التمييز، والتدابير اللازمة لإزالتها، وما تسميه بالأدوار النمطـــية للجنســـين، ثم الحقوق السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والمدنية، والتعليم والصـــحة بمـــا فـــيها الصحة الجنسية، وحقوق العمل والاستحقاقات، وقوانين الأسرة والزواج، والمرأة الريفية... الخ ، وفيها مواد أخرى من (١٧-٣٠) تتعلق بكيفية متابعة الاتفاقـــية وتكوين اللجنة الخاصة بها وعمل اللجنة، ومتابعة الدول، وعقد الاجتماعات ودور الوكالات المتخصصة والمنظمات الأهلية، وتعهد الدول الأطراف، وبعض الأحكام الختامية.

---

[١]) عواطـــف عـــبد المـــاجد (رؤية تأصيلية لاتفاقية القضاء على التمييز ضد المرأة) ، مركز دراسات المرأة ، الخرطوم، ١٩٩٩م، ص١٦.

ولا تختلف المسائل الواردة فيها كثيرا عن الواردة في مؤتمر السكان والذي سبق بيانه، ولكنها تزيد عليه في بعض من الأمور الخطيرة منها:

١-أنها اتفاقية دولية وأحكامها ملزمة تماما للدول التي تدخل فيها، وتعتبر معيارا ومؤشرا لمدي التزام الدول بحقوق المرأة، وبالتالي بحقوق الإنسان.

٢-وقع عليها عدد كبير جدا من دول العالم بما فيها (إحدى عشرة) دولة عربية وهـــم : الأردن، الجزائـــر، جزر القمر، العراق، الكويت، المغرب، تونس، ليبيا، مصر، الـــيمن، ومـــن الـــدول الإسلامية التي وقعت: أندونيسيا، تركيا، بنغلاديش، ماليزيا، باكستان، وحسب نشرة صادرة من اليونسيف أن (٩٧) دولة وقعت على الاتفاقية، و(١٦٠) دولة صادقت عليها حتى تاريخ ١٩٩٧/٧/٢٢م[1]

٣-تتضـــمن أمـــورا كثيرة، وفيها تفصيلات دقيقة أكثر مما هو موجود في وثيقة الســـكان ومصرح بها بشكل استفزازي ، وخصوصا في المذكرات التفسيرية وتوصيات اللجـــنة -كما سنري- بحيث يمكن القول بأنها مشروع راديكالي لتغيير اجتماعي عميق يقضـــي على خصوصيات المجتمعات البشرية، ويلاحظ أنه حتى التسمية فيها الكثير من الحدية والجذرية (مكافحة أو القضاء على جيمع أشكال التمييز...).

٤-وجود لجنة دائمة في الأمم المتحدة لمتابعة الاتفاقية، وهذه اللجنة تستنفر مئات الخـــبراء والناشـــطين الأنثويين، ومئات المنظمات الأهلية لمتابعة الاتفاقية والضغط على الدول للتوقيع عليها وتنفيذ بنودها، وهذه اللجنة من حقها أن تطالب بالتقارير المفصلة في أي وقت شاءت من الدولة نفسها ومن الوكالات الدولية الموجودة فيها، وكذلك من المـــنظمات الأهلية المعنية في تلك الدول لكي تتأكد من تنفيذ الاتفاقية وصحة المعلومات

---

[1]) نشرة صادرة بالاشتراك بين (اليونسيف) و (اليونيفام) أي صندوق الأمم المتحدة الإنمائي للمرأة ، تتحدث عن الاتفاقية والدول الموقعة عليها.

الواردة في تقرير الدولة المعنية، وتستقبل هذه اللجنة حتى الشكاوى الفردية وتحقق فيها، وتطرح على مندوب أي دولة كل أنواع الأسئلة التي ترغب فيها (وسوف تأتي نماذج من تلك الأسئلة)، ونقارن بين الأجوبة وبين المعلومات التي وصلتها من طرقها الخاصة، ولها الحـــق بعـــد ذلك أن تقوم بإدانة الدولة المعنية إذا لم تنفذ كل ما طلب منها في الاتفاقية وحتى ظلال الاتفاقية وما بين سطورها!! [1].

٥-ربـــط بـــنود الاتفاقـــية بكل مرافق الحياة، وبكل مشاريع الدولة المختلفة : السياســـة، والاقتصـــاد، والجـــيش، والبرلمان، ومؤسسات القرار، والتعليم، والصحة والتوظيف والتدريب والقانون....بحيث إن الدولة المنظمة لابد أن تغير من دينها وثقافاتها وأولوياتها وبرامجها حتى تستجيب لمتطلبات الاتفاقية.

٦-إلزام الدول بالعمل على إزاحة كل العقبات الثقافية والفكرية والقانونية..التي تعترض تنفيذ الاتفاقية بما في ذلك الدين والثقافة والهوية الخاصة بل وتطهير مناهج التعليم ووســـائل الإعـــلام...أيضا من كل أثر لذلك الدين وتلك الثقافة فيما يتعلق بمخالفتها للاتفاقـــية، وقـــد طلـــب من باكستان وليبيا أن يعيدا قراءة وتفسير القرآن ليتوافق مع الاتفاقـــية!! [2] وهذا يعني أن الاتفاقية أصل وكل الأديان والثقافات فرع يقاس عليها ، فإن خالفها أمر رُفض وُأزيح!!

وقد طلب من الصين أن تسمح بالدعارة وتوفر لها الحماية من الاستغلال والاتجار ومخاطر الأمراض!! [3] وذلك باعتبارها من حقوق الإنسان!

---

[1]) الأخطـــر من نصوص الاتفاقية نفسها هو تفسيرات الاتفاقية ، وهي أمور موجودة في ظلال الاتفاقية وبين سطورها.

[2]) (ندوة للاتحاد النسائي الإسلامي حول الاتفاقية) ، بالخرطوم، مرجع سابق ، ص ١١٥ ، بالنسبة لباكستان وبالنسبة لليبيا ورد في ندوة (ويلكو –كالرين) سبقت الإشارة إليها.

[3]) الندوة نفسها.

٧-الاتفاقية مطاطية وفضفاضة بخلاف الاتفاقيات الدولية المعروفة، وتحمل أوجه كثيرة من التفسير، وربما أن هذا يغري البعض بالتوقيع عليها بحجة إمكانية تفسيرها محليا، ولكن هذا من الخطأ لأن تفسيرات اللجنة المشرفة عليها ملزمة ، وكما تقول البروفسيرة (كاثـــرين): "إن التوقـــيع علـــيها يعني التوقيع على كل المواثيق والمناقشات واللوائح والمذكـــرات التفسيرية الجانبية المؤسسة على هذه الاتفاقية، وتقول إن معارضة الشذوذ الجنســـي في بعض الدول الآن حتى ولو برسم كاريكاتيري في جريدة تعرضك للمساءلة القانونـــية، وهناك محاولات لمنع الوعظ الديني المخالف للشذوذ الجنسي لكونه يعارض حقوق الإنسان!!" [١]

والاتفاقية الآن مفسرة فليس هناك مجال للالتفاف عليها وسوف نورد بعض هذه التفســـيرات، وهي تعتمد على خطة العمل المطروحة في المؤتمرات الدولية الخاصة بالمرأة مـــثل ؛ نيروبي، والقاهرة، وبكين ...وهذه المؤتمرات أيضا واضحة وصريحة في كثير من أهدافها ونصوصها.

ومن كثرة مطاطية الاتفاقية فإن هناك بعض الإضافات جاءت بعد (١٩) عاما من توقيع بعض الدول على الاتفاقية[٢] وفي هذا قالت (مولانا فريدة)القاضية بالمحكمة العليا بالخرطوم : "وقد يدخل لاحقا فيها حق الاستنساخ البشري للأطفال حتى تتفادى المرأة الإنجاب"[٣]

٨-وقـــد يكون هناك مخرج في التحفظ على البنود المخالفة لديننا ، كما تحفظت بعـــض الـــدول الإســـلامية وكثير من الدول غير الإسلامية أيضا على بنود متعددة من

---

١) الندوة نفسها.

٢) عواطـــف عبد الماجد في (ندوة للاتحاد النسائي الإسلامي حول الاتفاقية) شاركت فيها هي ومولانا فريدة إبراهيم قاضية المحكمة العليا بالخرطوم، والدكتورة خديجة كرار.

٣) مولانا فريدة إبراهيم الندوة نفسها.

الاتفاقـــية، ولكن الاتفاقية تنص[1] على عدم جواز التحفظ على المواد التي تعتبر جوهر الاتفاقـــية وهـــذا القيد المطلق يجعل أغلب التحفظات التي نحتاجها نحن المسلمين لاغية وباطلـــة، وســـوف يطلـــب منا عاجلاً أم آجلاً سحب هذه التحفظات والتنازل عنها والانقياد للاتفاقية وتفسيراتها.

٩-تمـــتاز هذه الاتفاقية من الاتفاقيات الدولية بأنها تحكم العلاقات بين المواطنين وهذا استثناء للقانون الدولي، لأن من شأن الاتفاقيات الدولية أنها تحكم علاقة الدول مع بعـــض، وهذا الاستثناء يتطلب من الحكومات أن تفرض هذه التغييرات على المواطنين، وهـــذا يـــؤدي (حـــتى بالمـــنطق الغربي) إلى تغول الدولة على الحياة الشخصية للناس وخصوصـــياتهم، وهذه الخصوصيات الثقافية لابد أن تنبع من قناعات الناس واتفاقاتهم، ولا تفرض بنظام دولي، ولا تنبع منه، ولهذا فإن الكثيرين من المفكرين في العالم يتوقعون فشـــل مشروع العولمة الاجتماعية وحتى الاقتصادية والسياسية لأنها مشاريع متداخلة في النهاية، وهذا ما أدى بالبروفسير (ريتشارد ويلكتز) إلى أن يقول: "إذا كانت الشيوعية ســـقطت في القرن الماضي لشموليتها، فإن العولمة لا تسقط بل تتحطم لأنها تريد فرض نموذج واحد على العالم"[2].

والغريـــب أن ديـــباجة الاتفاقية تتناقض مع جوهر الاتفاقية حيث تشير إلى إنهاء التدخل في الشؤون الداخلية للدول بل استئصال شأفتها، وتتحدث عن احترام السيادة الوطنية، ولكن جوهر الاتفاقية وأغلب بنودها عبارة عن تدخل في أخص شؤون البلدان وانتهاك لسيادة الدول في صميم الخصوصيات.

---

[1]) الاتفاقية ، المادة (٢٨).

[2]) ندوة (ويلكو –كالرين) ، مرجع سابق.

اللجـــنة المكلفة بمتابعة الاتفاقية والمكونة من (٢٣) عضواً من مختلف الدول تقوم بـــين الحين والآخر بإصدار توصيات، وقد بلغت حتى عام ١٩٩٥ (٢١) توصية وتقوم بدراسة تقارير الدول وتضع ملاحظات ختامية عليه، وهذه اللجنة قامت كذلك بوضع تحليل وتفسير لمواد الاتفاقية في عام ١٩٩٤م في كتاب صدر عن الأمم المتحدة[١]، وفيما يلي نماذج من الأسئلة والتفسيرات لما ورد في الاتفاقية مجملاً:

١-تســـأل (اللجـــنة) عن أثر الدين على المساواة بين الرجال والنساء، في سياق السؤال عن القوالب الجامدة للجنسين، والجهود المبذولة لتوعية الرجال والنساء، وتسأل عـــن دور التعلـــيم والإعلام، وأهمية التعليم في مكافحة الافتراضات الجامدة!! لأدوار النوع، وعن دور المرأة في الأسرة والمجتمع[٢].

٢-في امتداد السؤال عن التعليم، تسأل عن المناهج والكتب المدرسية هل تحدد أدوارًا معيـــنة لـــلأولاد والبنات في الأسرة، وتسأل اللجنة عن وجود واستخدام إجازة الآباء لرعاية الأطفال " أي ممارسة الأب لدور الأمومة حتى تستمتع الأم خارج البيت أو لتتفرغ لعمل مأجور أهم من طفلها"!![٣]، وليس غريباً على الاتفاقية التي تعرف الأمومة في المـــادة الخامسة فقرة (ب) بأنها وظيفة اجتماعية، ومسؤولية مشتركة- أن تسأل عن مثل هذا.

---

(١)The Advancement of Women 1945-1995, The United Nations Blue بعـــنوان: Book s Series VOI. ISBH92-1-1-100567 United nation publications (1) p.560- 578 ..

٢) المرجع نفسه ، ص٢.

٣) المرجع نفسه ، ص٢.

٣-بخصـــوص (الدعـــارة) تركـــز اللجنة على الوضع القانوني كالمنع والتجريم والمقاضـــاة والعقاب، وهل هو موجه لمن تمارس الدعارة لنفسها وعملائها، أم لمن يحقق ربحًـــا من دعارة الآخر بالاستغلال ، لأن الممنوع هو الشق الثاني أو بعبارة الاتفاقية في المـــادة (٦): (الاتجـــار بالمـــرأة واستغلال دعارة المرأة) أما ممارسة المرأة للدعارة، وحتى اتخاذها حرفة فلا مانع بل هو حق، ولا تنسى اللجنة أن تتفقد أحوال البغايا، (فتسأل عن التدابير الصحية لتحسين الوضع الصحي للبغايا ، للحماية من مرض الإيدز، وقد يتضمن ذلـــك بـــرامج وقائية، كتوزيع الواقي الذكري[1] (للزبائن المحترمين) حتى تكون ممارسة الجنس مأمونةً) !!

٤-نعود إلى التعليم حيث تسأل اللجنة عن تعليم الجنس **sex education**[2] وتنظيم النسل والترويج له ، وهل هذه الأمور مدرجة في المناهج التعليمية؟

٥-عـــن العمـــل تؤكد اللجنة على (حرية اختيار العمل دون أي قيد مثل أخذ الإذن مـــن الأب أو الشـــريك، أو أي قريـــب من الذكور)!![3] انظر إلى هذه الندية والفردية والأنانية البغيضة حتى الأب لا يستأذن!.

وفي مجال العمل أيضًا تسأل عن قوانين الحماية وتقول: "كذلك منع العمل بالليل وفي عطـــلات نهايـــة الأسبوع لأسباب مزعومة ذات العلاقة بالصحة أو الحمل لابد أن تفحـــص بدقـــة (أي هذه الاستثناءات في عمل المرأة) لأنها يمكن أن تنتهك حق المرأة في

---

(1) **The Advancement of Women 1945-1995, The United Nations Blue: Book s Series VOI. ISBH92-1-1-100567 United nation publications (1) p.560- 578**.

(2) المرجع نفسه ، ص٤.

(3) المرجع نفسه ، ص٥.

العمل، وتطلب اللجنة توضيحًا من الدولة العضو لماذا تعتبر بعض الأعمال ضارة أو خطرة للنساء..." [1]

٦-عند الكلام عن الصحة الإنجابية وتنظيم النسل تسأل اللجنة مجدداً عن (تعليم الجنس) وعن موانع الحمل وهل توجد اختلافات في السماح باستعمال موانع الحمل طبقًا للحالة الزوجية، والاجتماعية، وفي حرية النساء في استخدامها[2] "يلاحظ عدم اعتبار الحالة الزوجية سببا للمنع أو عدمه" ..ماذا يعني هذا سوى أن حرية وممارسة الجنس خارج الزواج أمر مكفول؟ ..وتسأل اللجنة عن الإجهاض أيضًا وهل هو مباح؟ (لأن الإجهاض وسيلة من وسائل تنظيم الأسرة).

٧- عن المادة (١٥) والأهلية القانونية للمرأة، تسأل اللجنة عن مدى التقليل من وزن شهادتها بالمقارنة بشهادة الرجل..وتقول (في إشارة واضحة للإسلام) إن مثل هذه القوانين والأعراف تحد من حق المرأة في متابعة قضاياها والحصول على حقوقها في الملكية، وتقلل من وضعها كعضو مستقل مسؤول وذو قيمة في مجتمعه"[3]، "ويلاحظ هنا الربط بين الشهادة والأهلية القانونية ونقصانها من جانب، وتقليل قيمة المرأة من جانب آخر" وهذا خلط وخبط كبير لأنه لا علاقة بين نقص شهادة المرأة في مجالات محددة لأسباب معروفة وكمال أهليتها القانونية والمالية، والقرآن ركز على عدم ضياع الحقوق المالية وتوثيقها بأكمل وجه، لا بيان نقصان المرأة وسبب توثيق المعاملات المالية برجلين أو رجل وامرأتين هو الحرص على عدم ضياع الحقوق لأن المرأة كانت بعيدة -وهي كذلك عمومًا- عن القضايا المالية والتجارية، وهذا البعد يؤدي إلى ضعف ذاكرتها في هذه الأمور .

---

[1]) المرجع نفسه ، ص٦.
[2]) المرجع نفسه ، ص٧.
[3]) المرجع نفسه ، ص٩.

٨- وعـــن المـــادة نفسها (١٥) وفي الموضوع (سكن الزوجة) وحرية المرأة في اختيار السكن بعد الزواج ورد : "إن القانون الذي يجعل مسكن المرأة الدائم متوقفًا على مسكن زوجها يعتبر تمييزًا"!![1]

٩- عن (تعدد الزوجات) تقول (اللجنة): "كشفت تقارير الدول الأطراف عن وجـــود ممارســـة تعدد الزوجات في عدد من الدول، وإن تعدد الزوجات يتعارض مع حقـــوق المرأة في المساواة بالرجل، ويمكن أن تكون له نتائج انفعالية ومادية خطيرة على المـــرأة وعلى من تعول، ولذا فلابد من منعه"[2] ..وتذكر اللجنة بقلق أن بعض الدول الأطـــراف، الـــتي تكفل دساتيرها الحقوق المتساوية، ومع ذلك تسمح بتعدد الزوجات بموجـــب قوانين أحوال شخصية أو عرفية ، وأن ذلك ينتهك حقوق النساء الدستورية، ويخرق أحكام المادة (٥) (أ) من الاتفاقية، وتقول -عقب هذا الكلام-: "بأن العديد من الـــدول تعتمد في حقوق الزوجين على تطبيق مبادئ القانون العام أو القانون الديني أو العرفي بدلاً من الإذعان للاتفاقية"[3] ويسوق هذا الكلام في معرض الاستنكار والرفض، وأن هذا لابد أن يتغير فتصبح سيداو هي المرجعية لا الدين ولا القوانين المحلية.

١٠-عـــن القوامة وفي معرض الحديث عن المادة (١٦)، ودور القوانين العرفية والدينـــية في الإخلال بمكانة المرأة المتساوية للرجل، وعدم إقرار المسؤولية المتساوية في الزواج، وتقول: "وكثيرًا ما ينتج عن هذا التحديد أن يمنح الرجل وضع الأسرة ومتخذ القرار الأساسي فيها، وذلك يتعارض مع أحكام الاتفاقية"[4].

---

(1) The Advancement of Women 1945-1995, The United Nations Blue: Book s Series VOI. ISBH92-1-1-100567 United nation publications (1) p.11..

(2) المرجع نفسه ، ص١٠.

(3) المرجع نفسه ، ص١١.

(4) المرجع نفسه ، ص١١.

١١- وتعليقًا على المادة (١٦) أيضًا لا تنسى اللجنة أطفال الزنا وتعلق – باستنكار-: "لا تمنح الأبوين نفس الوضع إذا كانا غير متزوجين، ولا يتمتع أطفال هذه العلاقات بنفس الوضع الذي يتمتع به الأطفال المولودون في علاقة زوجية"[١].

١٢- تعليقًا على المادة نفسها وفي موضوع المساواة في الملكية والاستقلال الاقتصادي تقول اللجنة: "وتبعًا لذلك فإن أي قانون أو عرف يمنح الرجل نصيبًا أكبر من الممتلكات عند فسخ الزواج أو أثناء الزواج، أو عند موت قريب يعتبر تمييزًا، وسيكون له أثر خطير على قدرة المرأة العملية على طلاق زوجها، أو إعالة نفسها أو أسرتها، والحياة بشرف كفرد مستقل"!![٢] ولاشك أن هذا إبطال لأمر تقسيم التركة حسب فلسفة الإسلام الذي يوازي بين الحقوق والواجبات، وكذلك هدي الإسلام في تقسيم الممتلكات بعد فسخ الزواج حيث إن الإسلام لا يظلم المرأة ولكنه لا يظلم الرجل أيضًا بحرمانه من حقه وإعطائه للمرأة بعد الطلاق دون حق معلوم وتعليل منطقي، ووجود قوانين كهذا في الغرب سبب عزوفًا جماعيًا عن الزواج وآثارًا خطيرة، وأي عقل يسوغ أنه بمجرد الدخول في حياة زوجية مع امرأة، ثم حصول الفراق لسبب قد يكون منطقيًا جدًا وقد تكون المرأة هي السبب فيه أن تأخذ المرأة المطلقة نصف ممتلكات الرجل!!

ومرة أخرى تؤكد اللجنة على عدم جواز التفرقة في هذين الحكمين بين المتزوجين والمقترنين مع بعض من غير زواج، لأنهما سواء في الحكم حسب منطق الاتفاقية!!

---

[١]) المرجع نفسه ، ص١١.

[٢]) المرجع نفسه ، ص١٢.

وفي موقـــع آخر تؤكد اللجنة على ضرورة تقسيم الميراث بين الجنسين بالتساوي وتقـــول: "أن تكفـــل للرجال والنساء في نفس درجة القرابة للميت أنصبة متساوية في الممتلكات، وفي نظام الخلافة"[1].

١٣- يلاحـــظ أن الاتفاقية متشددة جدًا في حق زواج البنات دون (١٨) سنة والـــذي حدد سنًا أدنى للزواج ويلزم به الدول الأطراف، ولكنها في حق ممارسة الجنس لـــلمراهقين دون سن الزواج لا تبدي أي قلق، بل تدعو لعلاج آثارها فقط من خلال (تعليم الجنس والتثقيف) و(حبوب منع الحمل) و(الإجهاض)!! [2].

١٤- وأخـــيرًا تعطي هذه الاتفاقية دورًا مهمًا للمنظمات الأهلية وتشجع على تمويـــلها بـــالملايين في جمـــيع أنحاء العالم وتحدد لها ثلاثة أدوار بحسب ما ورد في إصدارة (يونيفام **unifem**).

الأول: هو كسب التأييد لإقناع الحكومات بضرورة التوقيع.

الـــثاني: (بعـــد المصادقة) تقوم هذه المنظمات بالعمل على أن تسحب الحكومات تحفظاتها.

الثالث: تسعى هذه المنظمات لإلغاء التشريعات الوطنية المخالفة، وإدخال قوانين الاتفاقية في التشريعات الوطنية... [3]

---

[1]) المرجع السابق ، ص١٣..

[2]) الـــزواج المبكر غالبًا دون (١٨) سنة أو (١٦) سنة غير جيد عمومًا لأن المرأة غير ناضجة وقد يؤدي إلى منع التعليم، وحق الطلاق ولكن ومع شيوع ثقافة الجنس والإباحية المعاصرة فإن المجتمعات قد تكون بحاجة إلى التساهل في سن الزواج وعلى آثاره بطرق أخرى، ولذا فمثل هذا القانون لابد أن يؤخذ في إطار مرن.

[3]) المرجع نفسه ، ص ١٧.

ولقــد أشرنا إلى الدور الأخطر لهذه المنظمات في رقابة الحكومات وتقديم تقرير الظل (shadow report) للجنة (سيداو)، وفي هذا يمكن الاستشهاد بنموذج ورد في إحــدى إصــدارات (يونيفام) وهو أن دولة زيمبابوي رفعت تقريرًا للجنة الاتفاقية، ورسمــت فــيه صــورة جمــيلة لوضع حقوق المرأة بناءاً على قانون كان موضوعًا منذ الثمانيــنات، ثم ذهبــت مجموعة من نساء هذه المنظمات الأهلية إلى نيويورك من بينها مــنظمة اسمهــا (LAMA) وأوصلن تقريرهن الخاص وذكرن معلومات مناقضة للتي ذكــرتها الحكومة، ورجعن إلى بلدهن مع ضغوط دولية من اللجنة وطالبن بإجازة قانون طرحــنه، ورغــم معارضة بعض نواب البرلمان بحجة أن القانون سيفكك الأسرة، ولكن جهود هذه المنظمات أدت إلى تشريعه والتزام الحكومة به[1].

---

[1]) المرجع نفسه ، ص١٧.

الفصل الخامس

بين الأنثوية والإسلام وتناقض في المنطلقات والمفاهيم

المبحث الأول: مستقبل البشرية في ظل مفاهيم الأنثوية

المبحث الثاني: منطلقات ومبادئ بين الإسلامية والأنثوية

- الحاكمية لله والسيادة للشريعة
- الأخلاق والقيم معيارية وثابتة
- الأمومة والأسرة مصدر لسعادة واستقرار البشر
- التوافق مع الفطرة لا معاكستها
- التكامل لا التضاد والصراع
- الجماعية لا الفردية
- الحريات مقيدة لا مطلقة
- ليس في الإسلام حرية للفواحش والمنكرات
- الشمول والتكامل لا التجريد والتجزئ

مبحث الثالث العدل لا المساواة المطلقة

- المساواة، العدل، الإحسان
- القوامة
- النشوز
- تعدد الزوجات
- الميراث
- الشهادة

الفصل الخامس

بين الإسلام والأنثوية

المبحث الأول

المفاهيم الأنثوية ومستقبلنا

في هــذا الفصل سوف نحاول طرح مفهوم نقدي للفكر الأنثوي من وجهه نظر عقلــية واقعية أولاً، ثم من وجهه نظر إسلامية وذلك ببيان المنطلقات الإسلامية البديلة لمــبادئ ومــنطلقات الأنــثوية، ومــدي التناقض الموجود بين الطرح الأنثوي والطرح الإســلامي، ثم نعقب ببيان الإطار الإسلامي العام لمعالجة قضية المرأة، ونحاول أن نجيب على السؤال الجوهري المهم وهو هل للمرأة قضية؟ وبالتالي هل نحتاج إلى حركة نسوية؟

في هــذا المبحــث سيكون مدخلنا النقدي العقلي هو أننا نريد أن نتصور سيادة الفكر الأنثوي في العالم، وتمكنه من مجتمعاتنا وما سوف يجلبه لنا من قضايا ومشكلات، ولا شــك بأنــنا لا نحتاج إلى خيالات متوسعة أو افتراضات وتكهنات يختلف عنها، بل سوف نلجأ إلى بعض الأرقام والإحصائيات التي تعطي دلالات حاسمة لا تقبل الجدل من واقع المجتمعات الغربية المتقدمة صناعيًا وماديًا، والتي خطت خطوات مقدرة في التمكين للفكــر الأنــثوي، ولا ننسى أن هذه المجتمعات وبالرغم مما وصلت إليه من واقع مؤلم ومفجع، فإن في انتظارها الكثير الذي سوف تكشف العقود والسنون المقبلة عنه، إن لم تــتدارك حالهــا، وتراجع مفاهيمها، ولم تصغ للأصوات المخلصة التي ترتفع بين الحين والأخر من مفكريها وعلمائها وبعض منظماتها ومراكز أبحاثها.

ولكن وللأسف الشديد فإنه يبدو أن هذا الاحتمال بعيد، وأن القوم قد استحكم فيهم الغي والضلال ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[1] بل إنهم الآن ينادون بأن ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[2] فقد شمروا عن سواعدهم هذه الأيام كما سبق أن بينا واستنفروا كل قواهم، كي ينفذوا عملية الإخراج هذه، ومقدمة الإخراج هو الإخراج الذي بدءوا به ، حيث يلوحون للدول التي لا تحب أن تشيع الفاحشة في الأرض بأنها تعزف عزفا فرديا نشازا ومتخلفا، وأنها لا زالت تعيش في الهمجية والنمطية ، ولابد من حصارها إذا لم تلتزم وتتحضر !!..والحقيقة إنها احتضار وحشرجة!! لا حضارة ومدنية.

١-القيصر يبدأ زحفه على ما لله[3]، فيخرج من اختصاص الله كل ما يتعلق بالأحوال الشخصية والقضايا الاجتماعية، والعلاقات الجنسية، والسلوك البشري، ويصبح تقييم كل هذه الأمور في ضوء الدين تقييما رجعيا غير علمي، وتحكما تعسفيا في حريات الناس وبالتالي خروجا على آداب الديمقراطية والذوق وإقحامًا للنفس في أمور الآخرين من غير حق، بل آنذاك سوف يبحث قيصر عن مكان مناسب للدين بعد إزاحته عن هذا المجال أيضًا ولا أظن أنه يجد له مكانا سوي سراديب الكنائس والأديرة والمساجد، وبالتالي إذا أراد الدين أن يبقي على قيد الحياة ولا تمنع مواعظه النادرة في وسائل الإعلام ، فما عليه إلا أن يعلن رضوخه لنزوات البشر المقدسة، ويبحث عن تبريرات لاختيارات البشر، فيبارك الشذوذ، ويرضي بالإباحية !! ويفتح في الصالات الجانبية للمعابد مراقص وحانات ، وهذا هو واقع الدين غالباً في أوربا وأمريكا الآن ولا يخفي هذا الأمر على أحد.

---

[1]) الحجر، الآية ٧٢.

[2]) النمل، الآية ٥٦.

[3]) باعتبار أن فلسفة العلمانية كانت مختصرةً في شعار (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وقد كانت الأحوال الشخصية من نصيب الله حسب منطقهم وقسمتهم، ولكن الآن يبدو أن هذا المنطق تغير وتزعزع.

٢-الأسرة سوف تتفكك، لا بل تنتهي في مرحلة لاحقه لأن الذي يحدث في دول الأنثوية هو اقتران (نهاية التاريخ) !!بـــ(نهاية الأسرة)!! والغريب أن أمثال (فوكوياما) [١]

وهـــو يعلم هذه الحقيقة ويعايشها لا يعتبر هذه الظاهرة انتكاسة مشينة إلى هوة ســـحيقة، (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَـــانٍ سَـــحِيقٍ) [٢] بـــل يعتبرها قمة القمم في صعود البشر طالما أن صناديق الأموال ومفاتـــيحها (لتنوء بالعصبة أولي القوة)، وطالما أن الإنسان قد تأله وألغى من أدبياته كلمة (الحرام)!!

لقـــد قـــام (المعهـــد الوطني الفرنسي للأبحاث الديموغرافية) بإعداد تقرير وقدمه للبرلمان الفرنسي في ١٩٩٩/١٢م يلقي الضوء على قضايا خطيرة في المجتمع الفرنسي ، ورد فـــيه: أن من بين عشرة أشخاص متزوجين يوجد تسعة منهم خارج الإطار الشرعي للزواج أي نتيجة تساكن إرادي بغير عقد كنسي أو مدني أو حتى عرفي، والموضة عندهم الآن "العقـــد الحـــر" أو "الـــرباط الحر" وقد نتج عن هذا الأمر ظاهرة (الأمهات غير المـــتزوجات) وفي هـــذا يذكـــر التقرير أن أكثر من النصف حوالي٥٣% من مجموع الأمهـــات الفرنســـيات يضـــعن مولودهن الأول خارج مؤسسة الزواج، وتصل نسبة الـــولادات خـــارج الـــزواج ٤٠% من مجموع الولادات المسجلة، وتمثل هذه النسبة (٣٠٠) ألـــف مولود سنويًا، وربع هؤلاء ينتهي بهم الأمر إلى فقدان الأب مدي الحياة، وهـــذه الموالـــيد غير الشرعية نسبتها في زيادة مطردة حيث كانت عام ١٩٦٧ ٦%، ووصلت إلى ٢٠%عام ١٩٨٥، لتتجاوز ٤٠% عام ١٩٩٧. [٣]

---

١) كاتب ياباني الأصل أمريكي الجنسية اشتهر بكتابه "نهاية التاريخ ".

٢) بداية الآية ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ﴾ الآية ٣١ من سورة الحج.

٣) مجلة المجتمع (الكويتي) العدد ١٤٠١ الصادرة في ٢٣-٢٩ مايو ٢٠٠٠، ص٣٥.

أمـــا عـــن أمريكا فالأمر أفظع حيث نشرت مجلة (يو. أس. نيوز) في عدد آب (أغســـطس) ١٩٩٤ دراسة عن مكتب الإحصاء تقول بأن : ١٨ مليون طفل أمريكي (أي ٢٧% مـــن أطفال أمريكا) يعيشون مع أحد الوالدين فقط سواء مع الأب أو مع الأم، ويمـــثل هذا الرقم ضعفي ما كان عليه عام ١٩٧٠، وتعيش غالبية هؤلاء الأطفال مـــع شـــخص لم يـــتزوج ســـابقا فضلا عن المطلقين ... ويقول عالم النفس الأمريكي (ويدهـــورن) الـــذي يرأس "المبادرة الوطنية للأبوة" إن هذا الواقع لم يكن له وجود في تـــاريخ البشرية، وهؤلاء الأطفال والأسر غالبا يعيشون على الرعاية الاجتماعية للدولة والتي تكلف ميزانيات كبيرة جدا ، وهم الأكثر تعرضا للفقر، والحرمان ، والرسوب في المـــدارس ، والميزانية التي تصرف على هذه الأسر ارتفعت من ١٤٤ مليار دولار عام ١٩٦٠ إلى ٧٨٧ملـــيار دولار في عام ١٩٩٤ (عام مؤتمر القاهرة للسكان ، ويذهب الكـــثيرون إلى أن هذا السبب الاقتصادي كان من أكبر دوافع الولايات المتحدة عندما سعت لإقرار الإجهاض). [1]

أما في بريطانيا فإن نسبة الطلاق زادت ٥٠% وتراجعت نسبة الزواج ١٦%، والأولاد الذيـــن ولدوا من زواج غير رسمي وبصورة غير شرعية يشكلون ثلث أطفال بريطانيا!! وفي أيسلندا يشكل هؤلاء الأطفال ٥٧,٣%!! [2]

وهـــذا جـــزء من الصورة، أما الجزء القاتم الآخر فهو الحياة داخل العائلة والتي يهددهـــا انعدام الرحمة والحنان، وتعرض الأطفال للاعتداءات المختلفة، ومنها الجنسية، حـــتى صار الشارع أقل خطرًا في نظر الأطفال من البيت والأسرة فيتشردون، ويتسبب العنف المنزلي في سقوط عدد من الضحايا أكثر من ضحايا الأمراض أو حوادث الطرق، حيث أن الإحصاءات الأمريكية تقول بأن ٨٠% من جرائم القتل هي جرائم عائلية!!

---

[1]) مجلة (الاجتهاد) اللبنانية (مرجع سابق) ص ٣٨١ مقال (محمد السماك) حول (حقوق الطفل).

[2]) المرجع نفسه، ص ٣٨٣.

ففـــي عـــام ١٩٨٥ وقعت(٢٠) ألف جريمة عائلية، أما عام ١٩٩٣ فقد ارتفع عدد الجـــرائم إلى (٢٤٥٠٠) جريمة عائلية، وبصورة عامة فإن ٤٨% من الجرائم مسرحها البيت، وبين عام ١٩٦٠- ١٩٩٠ ارتفعت معدلات الجريمة ٥٠٠%.[١]

وتـــبين الإحصاءات في بنغلاديش والبرازيل وكندا وكينيا وبابوا وغينيا الجديدة وتايلاند أن ما يزيد عن نصف جرائم القتل ضد النساء قد ارتكبها شريك حالي (الزوج غير الشرعي) أو قد كان شريكًا في الماضي.[٢]

أما على صعيد استقرار المرأة في الحياة الزوجية فإن ثلاث دول أوربية فقط وهي ألمانـــيا وبريطانـــيا وفرنسا تعاني من وجود (٢٥) مليون امرأة تعيش وحيدة ، إما لعدم الزواج أو بسبب الطلاق والتفكك الأسري.[٣]

يقـــول الفيلسوف الفرنسي شارل فورييه: "إن العائلة تكاد تشكل سدا في وجه الـــتقدم"[٤] !! وتقاريـــر لجنة (سيداو)[٥] في الأمم المتحدة تؤكد باستمرار -كما تقول البروفســـيرة (كاثـــرين)-٠: "على انتقاد الأمومة، ووصفها بأنها قوالب جامدة وجائرة (تعوزهـــا الأصـــالة والشخصية) تبلي بها المرأة، وتسعي اللجنة باستمرار إلى إلغاء هذه القوالـــب الجـــامدة التي تصف النساء كأمهات وبأنها شرف لهن، وتطلب من الدولة ألا تلقـــن الشـــابات مثل هذه الأفكار ، وأن تزيل الصيغ التي تمجد الأمومة ، وأن تشجع الشابات على البحث عن العمل بأجر ، حيث تنظر اتفاقية (سيداو) للأمهات المتفرغات لرعاية الصغار بأنهن لا يصلحن بصورة ما لتربية الأطفال، وقد طلبت من احدي الدول

---

١) المرجع نفسه، ص ٣٨٣.

٢) منشورات يونيفام ويونيسيف حول (سيداو) بعنوان : (العنف القائم علي أساس "gender"الجندر)

٣)محمد السماك، المرجع السابق، ص٣٨٣.

٤) المرجع نفسه، ص ٣٨٣.

٥) (سيداو) هي اختصار لاسم (اتفاقية مكافحة كافة أشكال التمييز ضد المرأة) باللغة الإنجليزية، واللجنة هي لجنة مكونة من الأمم المتحدة لمتابعة الدول في تنفيذ الاتفاقية وتتولي تفسير بنودها أيضًا.

الأعضـــاء ، أن تقوم بعمل شيء لتغيير الصورة التي جاءت في التقرير الذي رفعته تلك الجولة ، وذكرت فيه أن ٣٠% من الأطفال أقل من ثلاث سنوات في حضانات، والبقية تحـــت رعايـــة أمهـــاتهم، يبدو أن لجنة الاتفاقية ترى أن ذلك أمر سيئ لابد من تغييره، واللجـــنة تنظر للعمل المأجور بأنه الطريق الوحيد الذي تجد المرأة فيه إشباعًا ومكانة في المجتمع...." [١]

أمـــا الأمومة فطالما لا تحقق أجرًا وفائدة مادية ملموسة فهي لا تعتبر من الأعمال والوظـــائف التي تستحق انشغال النساء بها، ولا تخدم قضية المرأة في شئ برأي هؤلاء، ولتذهب الأطفال وحاجتهم إلى حنان الأم ورعايتها إلى الجحيم.

لمـــاذا تريد الأنثوية العلمانية هدم الأسرة والأمومة؟! وماذا تجني من وراء ذلك؟! ومـــاذا جنـــت دولها من ذلك غير انتشار العنف، وحرمان الأطفال من الحنان، وزيادة معـــدلات التشـــرد، والبغاء وتجارة الرقيق الأبيض، وجرائم الأطفال المراهقين، وزيادة معدلات الاغتصاب والاعتداءات الجنسية، وحرمان الأطفال من معرفة آبائهم وأمهاتهم والعـــيش في كنفهم[٢] جراء ممارسة الجنس خارج الزواج والمواليد غير الشرعية، وحمل المـــراهقات الـــلاتي يحول هذا الحمل، والولع بالجنس، ومرادفاته من مخدرات وتدخين وخمـــر... بيـــنهن وبـــين إكمال تعليمهن وبناء شخصيتهن، بل يؤدي إلى تدمير قواهن الجنســـية وقهر أنوثتهن، وانتشار الأمراض، ويؤدي هذا الحمل أيضًا إلى أن يعشن تحت خـــط الفقـــر، بـــل تـــتحمل بقية أفراد المجتمع وزر هذه السيئات حيث يفرض عليهم

---

١) ويلكو–كالرين ، ندوة قاعة الشهيد زبير (مركز لينة) مرجع سابق، ص٢٠.

٢) اليتيم الذي يتوفى والده ينظر الجميع إليه بعين الشفقة والأسى ، فماذا عن هؤلاء الذين يأتون إلى الحياة ولا يعرفون شيئًا عن أبيهم ، ولا من هو ولا أين أسرته ؟ وربما يشكون في أكثر من واحد بسبب العلاقات الجنسية لوالدقم، ويعيشون الحرمان والقلق والأسى.

الضرائب الفادحة لعلاج المرضى ورعاية هذه الأسر، وعلاج مترتبات الفواحش، ناهيك عن العواقب النفسية على الفتيات المراهقات من النظرة الهابطة المبتذلة إليهن.

أمـا عن الأمراض فإن التقرير الطبي لمركز (أرنوت أوجدون) يحصي ٧٥٠ ألف حالـة لمرضى السيلان **gonorrhea** سنويًا، والذي يؤدي إلى حدوث الأورام المرضية في الرحم والأنابيب، ويسبب العقم والحمل الأنبوبي، كما أن هناك أربعة ملايين حالة من الأمراض من جنس الأمراض الحرشفية في حوض الرحم واسمها **Chlaydial** والمرض يؤدي إلى نتائج خطرة عند الوضع نتيجة عدم النمو الكافي للحوض.[1]

ربمـا لا يصـدق الكـثيرون من غير المطلعين على هذا التطور الفكري للحركة الأنـثوية بأنهـا -كمـا سبق وبينا- تعتبر الزواج مؤسسة قهر للمرأة وتطالب بإلغائها ومسـاواة المرأة بالرجل في الحرية الجنسية!!، وهو فعلا أمر غريب بالنسبة لنا نحن الذين نعيش في هذه الدول التي ننعم فيها بالدفء والحنان، والأسرة المتماسكة، والمحبة التي تنبع منها وتفيض على الأولاد وكبار السن والنساء، بل والمجتمع كله...

وهـذا الاستغراب يشاركنا فيه الكثيرون من الغربيين أيضًا، من الذين يعز عليهم هذا التدني المريع في أخلاقيات الغرب، وهذا التهافت على المهلكات، فهذه البروفسيرة الأمريكـية (كاثرين) تبدي استغرابها، وتعلل (اتفاقية سيداو) وما فيها من الغرائب التي تـروج لهـا ضد القيم البشرية تحت ستار حقوق المرأة، بقولها: (لم أصدق حينما سمعت لأول مرة بما يدور في الأمم المتحدة لأنه عيب وشاذ، وخارج التجارب التي نمر بها، ولا يمـثل الـرأي العـام في أمريكا ولا أوربا ولا في أي مكان، إنه يأتي من رائدات الحركة الأنـثوية المتطرفة (**Redical Feminists**) التي ظهرت في الغرب، كانت الأنثويات في أول أمرهن مناصرات لحق الحياة، وإعمار الأسرة، ويعرفن بالأنثوية الكلاسيكية، أو

---

[1]) مجلة المجتمع (الكويتي) العدد ١٢٣٧ الصادرة في ٢٩/٤/ ١٩٩٧م، ص٤٦.

الأنثويات الداعيات للإنصاف، وأعتبر نفسي منهن، إذ أطالب بالعمل والأجر المتساوي كالـــرجل، وقد حققت هذه الحركة الكثير للنساء، وحينما تحققت تلك المطالب بدرجة كــبيرة، طغت على هذه الحركة المتطرفات، وأكبر المنظمات الأنثوية هي المنظمة الوطنية للنســـاء (تقصد في أمريكا) وبها حوالي ٥٠% أو ٦٠%من أعضائها من السحاقيات، وهن مهتمات بقضاياهن أكثر من أية قضية أخرى تهتم بها عامة النساء، وقد أدركن أنهن إذا أردن أن يقبــلهن المجتمع فعليهن أن يهدمن الأخلاق والقيم، حتى يقبلهن المجتمع ، ولابد أيضًا من تفكيك الأسرة، وقد أصبحن عدوانيات بشدة عند قيامهن بذلك). [١]

٣-صـــيدليات وخدمـــات جنســـية في مدارس المراهقين والمراهقات: إذا اتبعنا خطـــوات الأنثوية، وأصبح ممارسة الجنس للمراهقين حقا مكفولاً بالقانون وسرية تعلم الجنس والخبرات الجنسية جزءًا من ثقافتنا، فإن مدارسنا ستكون كمدارس الغرب حيث تتوفر فيها صيدليات توزع حبوب منع الحمل والواقي الذكري، وتوفر ممرضات للإرشاد الجنســـي حتى تكون الممارسة مأمونة!!، وستكون هناك في مناهج مدارسنا مادة للتربية الجنسية ، كما أنه عندنا مادة للتربية الإسلامية وأخري للتربية الوطنية، ولكن هذه المادة ســـتكون مـــادة حـــية وليســـت كالمادتين المذكورتين، حيث تكون معها أفلام مشوقة وتعليمية!! وصور!! وتختار لها أوقات مناسبة... وقد تكون هناك فرص للتدريب أيضًا!! وستكون مدعومة بدولارات بدل الدنانير.

٤-إذا اتبعنا الأنثوية فسوف تصدر لوائح وقوانين محلية بالإستناد لاتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية سيداو... تعطي الحق لأولادنا وبناتنا أن يأتوا بشركائهم الجنسيين ذكورًا وإناثًـــا إلى غـــرف نومهـــم أمام آبائهم وأمهاتهم وتحت حماية قوانين صارمة!! وهذا هو الحاصل في بلاد الغرب، وسوف نري أوضاعًا مخزية من بناتنا وأولادنا في الشوارع على مـــرأى ومسمع من الناس، وسوف يكون غالب ملابس بناتنا مخزيًا وكاشفًا بل وذكوريًا

---

[١]) ويلكو-كاثرين، المرجع السابق، ص٢١.

في بعض الأحيان، لأن المفضل عند الأنثوية أن لا يميز الفتى من الفتاة إذا رأيتهما من خلف، لأن هذا عندهم أثر لسيادة ثقافة المساواة. [1]

٥-سوف تظهر الشواذ جنسيًا للعلن وسوف يكون لهم الحق في تشكيل أسر لهم، وسوف يطالبون بحقوق متساوية مع الأسرة الشرعية!! وسوف تحاط هذه الأسرة بعناية المنظمات الدولية الداعمة لحقوق الإنسان، والسكان، والتنمية، ومنظمات العون الإنساني، لأنها ستكون في بلادنا أشبه ما تكون بالأعراق المهددة والأقليات المظلومة التي لابد من رعايتها وحمايتها مباشرة من الوكالات الدولية خشية من انقراضها أو تغول الأصولية على هذا المنتوج الحداثي اللانمطي!!. [2]

بل إن محاكمنا سوف تلزم (صناديق الضمان الاجتماعي) بأن تتحمل أعباء العمليات الجراحية التي تتم لتغيير الجنس (من الذكر للأنثى) ولا غرابة حيث أصدرت إحدى المحاكم البريطانية في أواخر شهر يوليو ١٩٩٩ حكمًا يقضي بأن تكاليف إجراء تلك العمليات تدخل ضمن مصاريف تلك الصناديق[3]، وآخر حكاية مسخ عن هؤلاء الشاذين في المجتمعات الغربية حدثت في أمريكا حيث نسب لزوجين ذكرين شاذين ميلاد توأم (ذكر وأنثى) في عيادة طبية بكاليفورنيا، وتم تسجيل المولودين في سجلات الحالة المدنية لكاليفورنيا من أبوين من دون أم!! وقد تمت هذه العملية بعد أن استأجرا

---

[1]) ولا يقولون أن لبس المرأة ملابس الرجال دليل على أنها تريد أن تثبت أنها إنسان من خلال الباقها أنها رجل!! وأن هذا تذويب للأنثى في الذكر، ودليل شيوع ثقافة تحتقر الأنثى.

[2]) ذكرت مجلة الغد العربي ، السنة الخامسة ، العدد٤٨ ، نوفمبر ٢٠٠٢ ، ما يلي: لما قدمت مجموعة من الشواذ في مصر في (مايو٢٠٠٢) إلى المحاكمة بتهمة الشذوذ وازدراء الأديان ثارت ثائرة الدول الغربية والمنظمات الدولية ووصفوا الشذوذ بأنه حرية شخصية وضمن مفهوم الديمقراطية، وفوجئ الجميع بحضور مكثف لوكالات الإعلام الغربية ومندوبي صحفها المعروفة، بل حضور الدبلوماسيون الغربيون جلسات المحاكمة للوقوف إلى جانبهم من سفارات كندا وهولندا وفرنسا وايطاليا والدانمارك وسويسرا والمفوضية الأوربية ومنظمة العفو الدولية ...الخ.

[3]) مجلة المجتمع ، العدد ١٤٠٩، مرجع سابق، ص٣٥.

(الأبوان) رحم امرأة واشتريا بويضة أنثوية من إحدى البنوك المتخصصة في هذا المجال[1] وطبعا يحق لهم التبني حسب قوانين تلك الدول ولكن هذه القصة إذا جرت هكذا ، فإنها ليســت تبنيا حسب التكييف القانوني بل ولادة حقيقية!! والمرأة المستأجرة لهذا الغرض تبيع المولودين وبعد مغادرة العيادة لا علاقة لها بهما إطلاقًا إلا إن تستأجر للرضاعة كما استأجرت للولادة كأي امرأة أخرى.

وسوف نرى في بلادنا (لا قدر الله) أنواعا من الشذوذ وليس نوعًا أو نوعين، ومن أنــواع الشـــذوذ ممارسة العمل الجنسي مع الأطفال الصغار يقول البروفسير (ريتشارد ويلكز): "وبموجب اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل فإن للأطفال حرية التعبير وحرية التعبير الجنسي، إذن فمن ينكر حق الطفل في ممارسة الجنس مع الكبار لا ينتهك حقوق الأطفال فحسب بل ينتهك حقوق الكبار أيضًا، إذا ظننت أن مناقشات الشذوذ في هذا القــرن بذيــئة فلننتظر عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما آخر حينما يبدأ الأكاديميون في تقديم الحجج عن حرية العلاقات الجنسية والشاذة مع الأطفال منذ سن مبكرة كحق من حقــوق الإنســـان العالمـــية. إلى أين ستنتهي ؟ لا أريد أن أبدو كالمجنون ولكن الحجج بدأت."[2]

الشـــذوذ مـــرض أخلاقي ونفسي عرف منذ قديم الزمان، ولكنه كان دوما أمرا مـــنكرا وفاحشـــة ومقتا وساء سبيلا، إلا في هذا الزمان عصر تأليه الإنسان والليبرالية المطلقــة ... كـــان دوما مؤشرا للانحطاط البشري، وتجسيدا لحيوانيته ولكن الآن وعند الكثيرين حق من الحقوق ومؤشر للتوسع في الاختيار، ولا يستحي أكبر السياسيين وحتى أحيانا القساوسة والأكاديميين من الإعلان عن أنه شاذ جنسيا، ويحدث هذا باستمرار، بل إن الأحـــزاب تخطـــب ودهم لكثرة عددهم ونفوذهم في المجتمع، ويقال إن عددهم في

---

[1]) المرجع نفسه.

[2]) ويلكو–كالوين، ندوة قاعة الشهيد زبير بالخرطوم، مركز لينة، (مرجع سابق)، ص١٢.

الولايات المتحدة فاق عشر ملايين من الجنسين ، وهذا رقم مهول يدل على أن أي تساهل مع هذا الداء تكون عواقبه خطيرة للغاية.

ومجتمعات هؤلاء الشاذين تشكل بؤرة رئيسية بالإضافة إلى مجتمعات المدمنين لانتشار مرض الإيدز المعروف، وقد ظهر في أمريكا لأول مرة فيهم في سان فرانسيسكو ونيويورك، ثم انتقل منهم إلى كندا وإنجلترا، وتشير إحصائيات عام ١٩٩٣ إلى أن عدد الذين يحملون فيروسHIV المسبب للإيدز في أمريكا ٧,٢ مليون مريض حيث يموت بسببه منهم سنويا ٢٤,٠٠٠ ، علما بأنه كان ميزانية بحوث الإيدز لعام ١٩٩١ (٨٠٠ مليون دولار). [١]

ويشير المنشور الذي صدر من اليونسيف واليونيفام أنه تتنبأ منظمة الصحة العالمية أن عدد يتامي الإيدز بلغ عشرة ملايين عام ٢٠٠٠م . فإذا أخذنا بنظر الاعتبار انتقال المرض بالطرق المختلفة ومنها من الأم للجنين يمكننا أن نتصور حجم الكارثة التي تنتظر شعوب الإباحية ومن يقلدونهم.

إن الباحثين الغربيين الذين أجروا دراسات عن هذا المرض في بلاد المسلمين أشاروا إلى الأثر المباشر للإسلام في تقليل الإصابات، وقد كتب الباحثان (كاثرين تستمين ، وبيتر كولز ١٩٩٣) مقالاً تحت هذا العنوان: "هل يمكن لحضارة أن توقف مسار الإيدز" في إشارة إلى الإسلام، وتناول المقال الإحصائيات الضئيلة لمصابي الإيدز في الدول العربية في أسيا وشمال إفريقيا، ففي ١٦ دولة عربية يوجد ١٥٩١ إصابة حسب أرقام الأمم المتحدة بين عامي ١٩٧٩و١٩٨٥ (أي بمعدل ١٠٠ إصابة لكل دولة) كما أن معظم المرضي أصيبوا عندما كانوا خارج بلادهم، أما الأرقام المخمنة للدول الستة عشرة فهي ١٠,٠٠٠ إصابة بمعدل ٦٥٠ إصابة لكل دولة، وعند اعتبار عدد السكان

---

[١]) الدكتورة شذى سلمان (المرأة المسلمة) مرجع سابق، ص١١٩.

في هـــذه الدول والذي يتجاوز ٣٠٠ مليون نجد أن كلاً من الأرقام المسجلة أو الأرقام المخمنة ضئيلة جدًا ، مما يؤكد أن الرادع الديني هو الأساس في حماية الدول الإسلامية ، فموقف الإسلام لا يتغير تجاه جريمة الشذوذ كما تغير موقف الكنيسة. (١)

٦-انتشـــار الدعارة والبغاء: لا شك أن الحرية الجنسية مطلب أنثوي ملح، وهو كذلـــك بالنسبة للاتفاقيات الدولية التي تمثل أيضًا وجهة نظرهم بعد تحالف مع العلمانية ودعـــاة العولمة، وطالما أن الأمر كذلك فإن أبرز مظاهر الحرية الجنسية هي وجود بيوت الدعـــارة والبغاء لتلبية متطلبات هذه الحرية، وما أيسر على طلاب الربح من أن يضعوا أيديهـــم عـــلى هذه التجارة المربحة، والتي لا تحتاج سوي لبعض الأجساد التي تقرر أن تعـــيش دون مستوي الإنسان، وما أكثر من تدفعهم سياسات التكيف الهيكلي وجرائم ســـوء توزيع الثروة في بلداننا لكي يرتموا في أحضان العصابات التي تنظم هذه التجارة القـــذرة تحـــت وطـــأة الفقر المادي المقترن بالفقر الخلقي والإيماني، وإن لم توجد تلك الأجساد في بلادنا أو لم تلبي رغبة الجمهور الذي يشتهي الأغراب، وكذا ضيوف بلادنا الســـياح!! الذيـــن عندما تزيد أعدادهم لكي يفترسوا أجساد بناتنا، فإن قانون العرض والطلـــب واقتصـــاد الســـوق يفرض الاتصال بالوكلاء المتخصصين لكي يبحثوا عن النوعيات الجيدة شعرا وجلدا ولحما ولونا وإمتاعًا...الخ . هؤلاء لا يعجزهم الطلب فقد أدت سياسات الدول الشيوعية التجويعية(٢) سابقا وسياسات التكيف الهيكلي الرأسمالية حالـــيا، بالإضـــافة إلى دين عبادة الغرائز المنتشر عالميا.. إلى تحويل ملايين من البشر إلى داعـــرات وباغيات باحثات عن فرص العمل أينما كان!!، وإذا سئم الزبائن والضيوف وأصحاب الكروش والعروش من الشابات، وخافوا من الأمراض، أو أرادوا الدخول في

---

(١) د.شذى سلمان، المرجع السابق، ص١٢٠.

(٢) إشـــارة إلي اتجاه بنات دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي إلي هذه التجارة القذرة بأعداد هائلة كنتيجة طبيعية للتدهور الاقتصادي الذي شهدته الدول الشيوعية.

تجـــربة جديـــدة مع الأطفال الصغار فلا تعجيز في الطلب، وسوق نخاسة الجنس مكتظ بالمواشي البشرية ؛ لأن تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤ يقول : إن العدد الإجمالي لبغاء الأطفـــال (الإنـــاث) فقط في كل من الفلبين، وسريلانكا، وتايلاند يبلغ (نصف مليون) طفلـــة، وقـــد أجريت دراسة في بوليفيا بينت أن ٧٩% من هؤلاء الفتيات قد أصبحن بغايـــا بعـــد هـــروبهن من منازلهن، ثم تعرضن للاعتداءات الجنسية والاغتصاب وبالتالي الدخول في الدعارة كمهنة. [١]

ويظهر تناقض ونفاق دعاة الأنثوية في تباكيهن على (استغلال دعارة النساء) بعد أن وفرن بأفكارهن البيئة المناسبة لها، وإقرارهن حق المرأة في اتخاذها مهنة!! وحتى سيداو وغيرهـــا مـــن الاتفاقـــيات الدولـــية لا تحرم غير (الاتجار بالنساء واستغلال دعارتهن، وتعرضـــهن للقســـوة وحالات شبيهة بالعبودية) أما سوى ذلك فمباح في غالبية أو كل دول العالم (سوى بعض الدول الإسلامية).

في ظـــل هـــذا الواقع العالمي التعيس كيف يكون مصير مجتمعاتنا إذا انجرفنا وراء الأنثوية وأفكارها، سوف تظهر بل ظهرت فعلا ومن زمن دعوات تريد استثمار الدعارة وتقنينها بغرض تفعيل قطاع السياحة في بلداننا!! وقد صرح بهذا أكثر من مسئول عربي ومسلم بل نفذوه على نطاق واسع، وأصبحوا شركاء في هذه التجارة يحمونها ويصدرون التصـــاريح لهـــا، تقـــول الأستاذة المغربية (بسيمة حقاوي) إن أحد العلمانيين في ملتقي المحامين بمراكش قال من غير لف ولا دوران: "يجب استثمارها واستغلالها وتقنينها لصالح المواطـــن، وذلك بتسخير الدعارة في القطاع السياحي" ولعل الرجل لم يقل إلا ما يفعله المسئولون في كثير من بلداننا!! [٢]

---

١) نشرة لليونيسيف واليونيفام (مرجع سابق) في موضوع بعنوان "حقوق الفتيات".

٢) مجلة دار السلام العراقية ، العدد ١٤١، الصادرة في لندن في آب ٢٠٠٠، ص ١٩.

سوف تذهب بعد ذلك الكثير من مواردنا، وعرق جبين عمالنا، وثمن خبز أولادهم إلى المتعة الجنسية، وهذا هو شأن العالم حيث إن إحدى الإحصائيات تقول بأن العالم أنفق في عام ١٩٩٩ (٢٠) تريليون دولار في تجارة الجنس وهو مبلغ كافي بلا شك لحل كل المشكلات الاقتصادية العالمية وإنعاشها والقضاء على الفقر.

ولا شك أن هذه التجارة تلازم أنواعا أخرى من التجارات مثل الخمور والمخدرات والتدخين، وكذا القمار.. لأن النوادي التي تقدم فيها هذه الخدمات غالبا ما تكون متكاملة.

وبالنسبة للمخدرات في الولايات المتحدة فإن الأعداد المخمنة لعام ١٩٨٥ هي: نصف مليون مدمن هيروين، مليون متعاطي مهلوسات مثل (L.S.D)، ٢٠ مليون متعاطي ماريجوانا أو كانابيس، ٦ملايين مزور وصفات طبية للحصول على المخدرات، ٨-٢٠ مليون متعاطي كوكايين بصورة منتظمة، والمجموع يتراوح بين ٣٥,٥مليون - ٤٧,٥ مليون مواطن أمريكي أي بين ١٥%- ٢٠% من مجموع السكان ويتسبب الآن في مقتل ربع مليون مراهق سنويا بسبب المخدرات، وفي إحصاء عام ١٩٨٩ فإن ثلثي طلبة الثانوية في أمريكا يتعاطون أحد أنواع المخدرات و٩٣% منهم يشربون الخمر، وحوالي ٤٠% منهم يشربه بإفراط.[1]

لا أدري هل نحن مستعدون لأن نتبعهم في طريقة حياتهم حتى نصل إلى تلك النتائج المدمرة، وحتى لو نحينا الدين جانبا ولم نفكر في الحق والباطل.. فهل مواردنا المادية تكفي لعلاج هذه الأزمات الخطيرة؟ هل نحن نملك ٨٠٠مليون دولار للإيدز كميزانية أبحاث فقط غير عشرات المليارات في ميزانيات العلاج سنويا، إن ميزانية البحث العلمي في الولايات المتحدة عبارة عن ١٧٦ مليار دولار أي أن حصة الفرد

[1]) الدكتورة شذى سلمان (المرأة المسلمة) مرجع سابق، ص ١١٩.

الأمـــريكي فيها حوالي ٧٠٠ دولار، وأما العالم العربي فميزانية البحث العلمي فيه ١،٨ مليار دولار أي أن حصة الفرد أقل ربما من ٦ دولارات سنويا!! [١]

هـــذا هو حالنا المخزي فكيف بنا إذا وقعنا في أمراضهم؟! نحن الآن بفضل ديننا وخلقـــنا وعافيتـــنا نوفر على أنفسنا مئات المليارات من الدولارات سنويا، إذا كانت الولايات المتحدة تصرف كما سبق ٧٨٧ مليار دولار سنويًا على الأسر المفككة فكيف يكون حالنا لو تفككت أسرنا؟!

خلاصة هذا المبحث أن المجتمعات الغربية عندما أهملت الدين، ونشرت الإباحية، ومكنـــت الأفكـــار الأنثوية المتطرفة التي ساهمت بجزء مقدر في تفكيك الأسرة وضياع الأجيال.... وقعت في عشرات الأمراض المستعصية على العلاج، وأن أي مجتمع يريد أن يـــتغرب، ويقلد نمط التحديث الغربي في كل أبعاده، وخصوصا في البعد الاجتماعي، فلا مـــناص مـــن وقوعه في تلك المهالك، (ومن جرب المجرب حلت به الندامة) كما يقول العرب.

---

[١]) مجلة المجتمع ، العدد ١٤٠٤، ص ٦٦.

المبحث الثاني

منطلقات ومبادئ متناقضة بين الإسلامية والأنثوية

لقـد سـبق أن بين الباحث النسق الفلسفي الذي نشأت الأنثوية فيه، وتبين أن الأنثوية ليست مجموعة من الدعاوى والمطالبات التي لا تنتظم مع بعضها البعض، بل إنها نظـرية فلسفية وطرح فكري قبل كل شيء، وأن لها أسسا ومبادئ ومنطلقات معرفية ونظرية .. وأن أي قراءة نقدية لهذه الأفكار لابد أن تمر من خلال نقد هذه المبادئ التي قامت عليها الحركة وساهمت في صياغة جميع تصوراتها.

ولا شـك أن مجـرد عـرض تلك المنطلقات يكفي لبيان مخالفتها للإسلام، بل وتناقضها مع الإسلام في غالب الأحيان، وربما يؤدي العرض غرضًا نقديًا أيضًا باعتبار أن ذلك يؤدي إلى انكشاف فسادها، والفاسد لا يحتاج إلى إفساد غالبًا، ولا شك أن الكثير مـن أفكـار الحركة الأنثوية المتطرفة من هذا النوع، ويكفي للرد عليها بيانها وتوضيح مـرادها حتى يظهر فسادها وبطلانها، لتناقضها مع البديهة والفطرة، والحقائق الأخلاقية والقيمية التي تواضعت عليها البشرية منذ بداية التاريخ البشري والذي يعبر عنه القرآن بـ: ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾.[1]

ولعـل في هـذه الآيات الكريمات أفضل تعبير يمكن أن يوصف به دعاة الأنثوية "الذيـن يتـبعون الشـهوات" وأفكارهم وطريقتهم في الحياة تؤدي إلى "أن تميلوا ميلاً

[1]) سورة النساء: الآيات ٢٦ – ٢٨.

عظيمًا" وهذه الآيات واردة أصلاً في سورة النساء الكبرى[1] وفي سياق بيان أحكام الزواج والمرأة والأسرة المسلمة عمومًا والتي هي قضية الأنثوية وموضوع حديثهم ... فهذا الميل العظيم الموجود في أفكارهم يجعلنا في غنى عن الدخول في مناقشة طويلة للرد عليها لأنها واضحة البطلان على الأقل في مجتمعاتنا الإسلامية والتي لا زالت على خير كثير في قضايا الأخلاق والاجتماع، والتي تعرف المعروف وتميزه عن المنكر ... وهذا الأمر أدى بالباحث وخصوصًا في الفصول التي سبقت إلى أن يركز جهده في بيان ما قالوا، وتاريخ تطور مقولاتهم، وإثبات أنهم يقولون بذلك فعلاً ولسنا نتقول عليهم.

في هذا المبحث سنحاول إلقاء الضوء على المبادئ والمنطلقات الإسلامية البديلة لما عند الأنثوية، والتي يترتب عليها الاختلاف في طريقة التحليل ثم الأحكام وبالتالي سبيل المعالجة العملية وتنظيم الحياة بين البشر من الجنسين.

المطلب الأول

الحاكمية لله والسيادة للشريعة

والمرجعية تنحصر في مصادر الشريعة من كتاب وسنة وإجماع وقياس ومصلحة معتبرة وعرف ... إلخ، والحسن والقبح يتحددان شرعًا وليس بالهوى والعقل المحض غير المستهدى بنور الوحي[2] ... فليس ما تراه المرأة حقًا لنفسها، هو حق لها بالضرورة، وكذلك الرجل فليس له أن يقرر حقوقه ويتوسع فيها على حساب المرأة بهوى أو تحيز

---

[1]) سمى بعض العلماء سورة النساء بالكبرى وسورة الطلاق بسورة النساء الصغرى، انظر التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي بداية تفسير سورة النساء.

[2]) هناك الكثير من الأمور متروكة في الشريعة للعقل البشرى لكي يجتهد ويفهم ويحلل ويستنبط، ولكن حركة العقل تكون مستهدية بالوحي حتى يكون في تناغم وتكامل معه، لا في تناقض، وهذا مبحث طويل لا مجال لعرضه.

دون الوقوف على محكمات الدين وآياته البينات ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[1] فهناك الخالق العظيم العليم الحكيم، الذي لا يحابي ذكرًا ولا أنثى، ولا يجامل أحدًا في الحق، هو الذي يبين للجميع حدودهم وحقوقهم وواجباتهم (في المقدار المتعلق بالثوابت والقطعيات، أما دون ذلك من الاجتهادات التي هي تفسيرات بشرية فتخضع للتمحيص ولا عصمة لأحد دون رسول الله ﷺ.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[2] فالله هو الذي يقرر الحق فيما نختلف فيه.

وفي سورة الأحزاب –إحدى السور الخاصة بأحكام المرأة المسلمة – يؤكد القرآن بعد بيان أحكام الحجاب لنساء النبي وبعد الآية المعروفة ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ... ﴾ أنه ليس هناك للمؤمن خيار بعد اختيار الله ورسوله له أمرًا وحكمًا ويقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[3] فالموقف السليم الواعي بمتطلبات العبودية هو التسليم والطاعة عندما يختار الخالق المشرع لنا أمرًا حتى ولو كان لنا كرهًا.

من تأكيدات القرآن على مرجعية الوحي دون الهوى والشهوات ما ورد في سورة النور – وهي من السور التي تناولت أيضًا أحاكم العلاقات الجنسية، والزواج، والأسرة، والمرأة – في قوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ

---

[1]) سورة النساء، الآية ٢٦.

[2]) الأنعام، الآية ٧١.

[3]) الأحزاب، الآية ٣٦.

تَذَكَّـــرُونَ﴾[1] هذه هي مفتتح السورة التي وردت بعدها مباشرة أحكام جلد ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾[2] ويلاحظ أن الآية تقول إن هذه السورة — وغيرها من سور القرآن طبعًا — منزلة من السماء، أي أن الأحكام الواردة فيها سماوية وربانـــية وليســـت مســـتوحاة من تجربة أرضية، ولا تقليدًا لأمة من الأمم، وهي سورة "مفروضـــة" أي واجبة الاتباع ولا مجال للتلاعب بأحكامها ولا التحايل على نصوصها لأنها واردة بنصوص قطعية الثبوت والدلالة وكلمة (مفروضة) هنا تأكيد على أن أحكام الـــزاني والزانية ، وكذلك الأحكام الواردة بخصوص ضرورة ستر المرأة زينتها وأحكام الزواج ... إلخ هي أحكام ثابتة، والحد أو العقوبة المحددة لأهل الفاحشة والواردة فيها حق لله لا يلغيه اجتهاد حاكم أو رأيه، وتؤكد الآية أنها (أي الأحكام الواردة فيها) آيات بيـــنات أي واضـــحات محكمات لا مجال فيها للتأويل ولا لتعدد الأفهام والتفسيرات، ويلاحـــظ أن هـــذه السورة قد أكثرت من الآيات المؤكدة لوجوب طاعة الله ورسوله كشرط للإيمان، وأوردت صيغ الآيات بالأوامر والنواهي الصريحة، وتقول: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِـــنِينَ * أَفِـــي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَـــئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

ويلاحـــظ أيضًا أن القرآن الكريم كثيرًا ما يستخدم مصطلح (حدود الله) عندما يـــتحدث عن القضايا المتعلقة بالمرأة والأسرة تأكيدًا على خطورة هذه القضايا، وتنبيهًا عـــلى خطـــورة الأحكام المتعلقة بها، وأنه لا يجوز الإخلال بها أو حق التقصير فيها لأنها

[1]) النور، الآية ١.

[2]) النور، الآية ٢.

[3]) النور، الآية ٤٨–٥١.

حقـــوق وحدود مرسومة من الله ويؤدي إهمالها لنتائج وخيمة وخطيرة. فمثلاً في سورة الـــبقرة حديـــث عـــن عدم مباشرة المرأة في حالة الاعتكاف في المسجد وتقول الآية :
﴿... وَلاَ تُبَاشِـــرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]، وفي بيان أحكام (الظهار) في سورة المجادلة : ﴿ ذَلِـــكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، وعن أحكام الطـــلاق والخلـــع يقول المولى -عز وجل- في سورة البقرة: ﴿ الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْـــرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُـــدُودُ اللّـــهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3]، وفي سورة النســـاء وتعقيـــبًا على أحكام الميراث يقول المولى عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[4] وفي سورة الطلاق وعند بيان أحكام العدة وحقوق المرأة فيها ﴿... وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّـــنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾[5].

وهكذا فصّل القرآن الكريم أحكام المرأة وحقوقها، وبين حدود الرجل وحقوقه، وفي هذا ضمان أيما ضمان لحقوق المرأة، وتقييد أيما تقييد لسلطة الرجل وحد من تغوله عـــلى المرأة، وأكد هذا الضمان بتكييف هذه الأحكام بأنها (حدود الله) وفي هذا تخويف وزجر شديد لمن تسول له نفسه أن يتحايل عليها، أو لا يلتزم بتفصيلاتها لأن الله سبحانه

[1]) البقرة، الآية ١٨٧.
[2]) المجادلة، الآية ٤.
[3]) البقرة، الآية ٢٢٩.
[4]) النساء، الآية ١٣.
[5]) الطلاق، الآية ١.

وتعالى خص هذه الأحكام برعايته ونسبها لنفسه فمن تجاوزها فقد تجاوز حدود الله، ولا بـــد للمشـــرع المسلم أن يجسد هذه الخصوصية في تقنيات ملموسة تحمي قدسية هذه الأحكام.

وخـــتامًا نقول: إذا كانت العلمانية تعني تقديم العقل البشري على النص الإلهي، وفصـــل الديـــن عن الحياة، فإن الإسلام لا يمكن أن يعلمّن مهما حاول المبطلون، وأن القرآن نزل تبيانًا لكل شيء، ولا فصل في ديننا بين العقيدة والعبادة والشريعة وإنما هي حلقات متصلة متداخلة، ولا نزاع عندنا بين العقل والنص، لأن النص الصريح يستحيل أن يتناقض مع العقل الصحيح، وإذا كان النص قطاعًا واضحًا في ثبوته ودلالته فلا عبرة بهـــوى البشـــر وتخيلاهم وترجيحاهم الفاسدة، وإن كان النص ظني الدلالة أو الثبوت فلتعارضـــه مـــع العقل ظاهراً قواعد للترجيح والجمع والتوفيق معروفة مبينة في محله في كتب أصول الفقه لا مجال لشرحها هنا.

وهكـــذا يتبين الخلاف الجوهري والأساسي بين مصادر التلقي والمرجعية عندنا في الإســـلام، ومصادر التلقي للحركة الأنثوية ومرجعيتها والتي هي العقل والهوى البشري الذي لم يستطع أبدًا أن يهدي الإنسان للسعادة إذا كان بعيدا عن الوحي ولا يستهدي بـــنوره، وكل الظلم الذي مورس بحق المرأة مورس تحت دعاوى العقلانية وبفعل العقل، وفي كـــل زمان سمى البشر ما يشتهون ويرغبون عقلاً وحكمة، لأن العقل البشري أسير للشـــهوات والبيـــئة وتـــأثيرات الثقافة الموجودة والسائدة، ومحكوم بالقصور والنسيان والتحيز ... إلخ، وليس أدل على هذا من أن العقلانية الأنثوية المتطرفة الآن ومعها بعض المـــنظمات الدولـــية والـــدول الغربية تريد تسويق كل هذه الأمور الشاذة باسم العقل والمساواة وحقوق المرأة، وكانت فلسفة ما بعد الحداثة معها الحق في رفض جزمية العقل السقيم، ذلك العقل الذي صنع بؤس وتعاسة الإنسان المعاصر.

المطلب الثاني

الأخلاق والقيم معيارية وثابتة

وليست متغيرة ونسبية، ولا قابلة للمساومة والإبطال ... معيارية بمعنى أنها معيار لضبط جودة أي فكر وصلاحيته والحكم له أو عليه، وثابتة بمعنى أنها لا تتغير بتغير الأزمان والأذواق والأمكنة، فالكذب يبقى رذيلة مهما تغير الزمان، والزنى فاحشة وكل ما يؤدي إليها منكر مهما تطاولت الأزمان، وقتل النفس بغير حق قبل الولادة وبعدها جريمة في كل مكان، وكذا السرقة وأكل مال الناس بالباطل، والتعدي على حقوق الغير، وبث الفرقة والفساد في الأرض ... كل هذه رذائل وعكسها فضائل مثل الصدق، والعفاف، وحفظ الأنفس والأموال، والكف عن أذى الناس، والإصلاح بينهم ... إلخ. وكذلك فالعدل والحرية والنظام والأسرة والأمومة والأبوة والحق ... قيم ثابتة لا يطالها التغيير والتبديل، وكل الأديان والفلسفات أكدت على هذه المعاني بأساليب ومقادير مختلفة، وتجربة البشرية تدل على هذا الأمر بوضوح، وتدل أيضًا على أن أي إخلال بالأخلاق الأساسية، والقيم العليا تؤدي إلى شر وفساد كبيرين.

ولكن الأنثوية المتطرفة تقلل دومًا من أمر القيم والأخلاق، وتصفها بالنسبية وأنها أثر للتنشئة الاجتماعية، وبدأت سعيًا محمومًا متهورًا لإقرار وتثبيت ما تراه حقًا للمرأة ولو تناقض مع الأخلاق والقيم، وتستفيد من أجواء عالمية منكوسة منحرفة – خصوصًا في العالم الغربي– قد أطاحت بالكثير من القيم والأخلاقيات، وأحدثت زلزلة في ثوابت الناس وفسادًا في رؤيتهم وأمزجتهم فأصبحوا يرون المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ويحقون الباطل ويبطلون الحق، حتى أصبحت الطهارة والعفاف عيبًا أو غريبًا، والعيش مع الوالدين منكرًا وقيدًا، والتوسع في المتعة والشهوة وتنويعها مقصدًا وغاية...

هـــذه الأنثوية لم تضع لطموحاتها وقراراتها حدودًا أو سقفًا أو خطوطًا حمراء، بل أصـــبحت حركة تسويقية لكل ما تشتهي المرأة، وتريد ممارسته ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَـــوَاهُ أَفَأَنـــتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا* أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَـــامِ بَـــلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1] وكأنهم في حالة سكرة وعمى وهكذا كان قوم لوط سابقًا من الشاذين جنسيًا ﴿ وَجَاء أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ * قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنـــتُمْ فَـــاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2]هذا هو شأن اتباع الشهوات دومًـــا، يحول الآدمي إلى بهيمة وأنعام، ويجعله كالأعمى والسكران، ويصوغ له من هواه معبودًا وإلهًا فلا يبقى له تمييز ولا رشد ، فيصبح الزواج في نظره قيدًا، والإباحية حرية، والشـــذوذ الجنسي الذي ترفضه البهائم طبيعة وحقًا من حقوق الإنسان!! ... والقرآن يـــبين لـــنا أن من جعل إلهه هواه لا ينفعه حق العلم وبحوثه ومراكز الدراسات وبياناتها ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3]

إن الإســـلام قرر مجموعة من المقاصد الضرورية كمعيار للأحكام لابد أن يراعى تحقـــيقها وهي: (حفظ الدين، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال، حفظ العرض)[4] فأي حق للمرأة أو الرجل كان متعارضًا مع هذه الضروريات فهو ساقط وباطل، فالحرية الجنســـية وممارســـة الجـــنس خارج إطار الزواج مثلاً تهديد مباشر لحفظ الدين (بشكل

---

[1]) الفرقان، الآية ٤٣-٤٤.

[2]) الحجر، الآية ٦٧-٧٢.

[3]) الأحقاف، الآية ٢٣.

[4]) انظـــر لتفصيل هذه المقاصد كتاب (مقاصد الشريعة الإسلامية) لمحمد طاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للـــتوزيع ، ١٩٧٨، وكـــتاب الدكـــتور يوســـف القرضاوي (السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها) مكتبة وهبة، ١٩٩٨ ، وكتب أصول الفقه عمومًا.

جـزئي) لأن الـزنا محرم قطعياً في الدين، وتهديد حقيقي لحفظ النسل الذي يضيع ؛ إما بعـدم الإنجـاب لأن الزنا لا يرمي إلا إلى اللذة وإشباع الشهوة، كما هو واقع الغرب الآن، أو باخـتلاط الأنساب وضياع نسب الأولاد وظهور طبقة الأولاد غير الشرعيين كما هو شائع في الغرب الآن أيضًا، وفيه تهديد للعقل أيضًا لأن صاحب الشهوات كما سبق يفقد رشده ويصبح كالسكران والأعمى[1]، وفيه تعارض مع حفظ المال ؛ لأن الزنا غالبًا يقتضي صرفًا للمال ببذخ في غير محله، وتلويثه للشرف لا يحتاج لبيان.

المطلب الثالث

الأمومة والأسرة مصدر لسعادة واستقرار البشر

الأمومـة وظـيفة مقدسة خاصة بالمرأة تعتمد سلامة الأجيال الجسدية والنفسية والأخلاقية على حسن أدائها من قبل المرأة، وكذلك الأبوة بالنسبة للرجل، فهما قيمتان أزليتان لا يمكن أن يأتي يوم ويكون تهرب الوالدين عن واجباتهما حسنًا أو حق مقبولاً، والإنجـاب قيمة مقدسة وهو مصدر لسعادة المرأة قبل الرجل وأكثر منه، ولا يمكن أن يـأتي يوم تخصص فيه مجموعة من النساء لهذه الوظيفة[2]، والقرآن سمي الإنجاب بشرى ﴿ فَبَشَّـرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[3] ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى ...﴾[4] وليس هناك رجل أو امرأة – وهو صحيح الفكر والنفس – ولا تحب الإنجاب والنسل مطلقًا.

---

[1]) العـلماء في ضـياع العقـل يمـثلون بالخمر وحد الشرب، وتمثيلنا هنا على سبيل التقريب لا التحديد، فالشهوات تضيع قدرًا كبيرًا من عقل وحكمة الإنسان.

[2]) المقصود بهذا القول هو ما شاع في الغرب من استئجار الأرحام للولادة واتخاذها مهنة.

[3]) الصافات، الآية ١٠١.

[4]) هود، الآية ٧٤.

الأمومـــة والأبـــوة ضروريتان لتنشئة الأطفال بشكل سليم ومعافى، ولا بد من تكامل أدوارهما داخل الأسرة، والأسرة الإسلامية على خلاف الأنثوية لا يمكن تصورها بدون وجود أحد الركنين إلا إذا كان غيابه لضرورة كوفاة أو أسر أو غير ذلك.

والأبـــوة في الإســـلام ليست الأبوبة الغربية (Patriarchy) لأن صلاحياتها ليست مطلقة، وسلطتها لابد أن تكون بعيدًا عن الاستبداد بالرأي، وتكون إدارة الأسرة شورويًا حتى في أبسط الأمور مثل فطام الولد قبل بلوغه عامين ﴿... فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا...﴾[1]، ولا يملك الأب أن يقرر مستقبل أولاده على حسب هواه، فإنه لا يملك مثلاً تزويج البنات ولا الأولاد بالإكراه .

وورد في الحديـــث: "زوج جـــذام بنته خنساء وهي كارهة فأتت خنساء رسول الله ﷺ فرد نكاحها (أي فسخها)"[2] وكما أن للأبوين حقوقًا لازمة، فعليهما واجبات أكثر من تلك الحقوق، وهذه الواجبات هي حقوق للأطفال وتبدأ قبل الزواج وتشكيل الأسرة، حيـــث إن الـــرجل ملزم شرعًا أن يتخير لنطفته ويختار الزوجة الصالحة التي تستطيع أن تقـــوم بواجب الأمومة بشكله الصحيح، وأن تكون من أسرة طيبة صالحة حتى لا يفسد الأخوال أخلاق الأولاد ... وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة فعليها أن تحسن اختيار شريك حياتها وأب أولادها .. وتستمر هذه الواجبات بشكل أو بآخر طالما للأولاد حاجة إليهما وهما قادران على تلبية تلك الحاجة من عون أدبي ومادي ونصح ورعاية ... إلخ.

أمـــا الأمومة فإنها أعظم وظيفة إنسانية وتربوية على الإطلاق، وقد أشاد القرآن بمجـــاهدات المرأة ومعاناتها في الحمل والإنجاب : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ

---

[1] البقرة، الآية ٢٣٣.

[2]) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب (إذا زوج ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود) ج٥/برقم ٤٨٤٥.

وَهْـنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[1]، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَـانَ بِوَالِدَيْـهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾[2] ومن الخطأ الجسيم أن لا تقدر الدولة والمجتمع والزوج والأولاد هذه الوظـيفة العظيمة حق قدرها، ثبت علميًا أنه لا غنى للأطفال عن حليب أمهم ولا عن حضانتها ودفء صدرها وحنان ثديها، وأنه لا يمكن للحاضنة أن تقوم بهذا الواجب إلا في حالات الضرورة والاستثناء أو لساعات معدودة في اليوم للأمهات اللاتي يؤدين واجبًا آخـر لا غـنى عنه لأنفسهن أو للمجتمع والأمة كالتعليم والتعلم والمشاركة في واجب دعـوي أو وطني ... إلخ. وقد ثبت أن الطفل الذي ينشأ بعيدًا عن الإشباع من حنان والديه (الأم خصوصًا) فإنه ينشأ وفي تكوينه النفسي أكثر من خلل واعوجاج.

في ضـوء هـذه الحقـائق فلا بد أن يعتبر عمل المرأة في البيت سواء في حضانة الأطفـال أو رعايتهم وتربيتهم، عملًا مأجورًا أو مقدرًا بمثابة المأجور، وأن تسعى الدولة لتحسـين حالة تلك الأمهات وتعطيهن منحًا وحوافز وامتيازات باعتبارهن مجاهدات في وظيفة حضارية ذات رسالة ومردود عظيم للأمة كما تعطي الحكومات الامتيازات والمنح للطلاب والباحثين والفنيين، وغيرهم من الذين يتفرغون لأمر ذو مردود مستقبلي.

أمـا الأسـرة وهي تلك المتكونة من الزوجين وأطفالهما وهي المؤسسة التي تحمي الأجيال من الضياع والتشرد والأمراض النفسية والسلوكية ...فهي قيمة أساسية ثابتة لا يمكـن المساومة عليها مهما كانت المبررات، فلا يمكن تغييرها وفكها ولا استبدال أنماط أخـرى بهـا، وأي ثغرة تفتح في هذا البنيان تؤدي إلى انهياره بالكلية وإصابته بالشلل والاعوجاج.

---

[1]) لقمان، الآية ١٤.

[2]) الأحقاف، الآية ١٥.

الأســـرة هي الوحدة الحضارية الاجتماعية الأولى في تاريخ البشرية ونواة تكونها، ويوم تنتهي الأسرة تكون الحضارة والبشرية نفسها قد سقطت وانتهت، وتفككها أكبر مؤشـــر لنهاية تاريخ حضارة عبدت المال والجنس والغرائز، وقدست هيمنتها، وطغت، وتجبرت، وتألهت.

الأســـرة هي المدرسة الأولى التي يتعلم الإنسان فيها معاني الحياة، وتتفتح مداركه على الواقع، والأسرة تدرب، وتوجه، وتعد الفرد، وتقدم تضحيات لا حصر لها من أجل أن نكون قادرين على أن نقوم باختياراتنا بشكل صحيح فنحن لم نخترع أنفسنا فجأة.

في الـــنظام الأســـري تـــتوفر رفاهية كل شخص ليس عن طريق الأسرة المباشرة فحسب وأقارب الدرجة الأولى، بل أيضًا من خلال شبكة ممتدة من الصلات (الأجداد، الأعمـــام والعمـــات، الأخـــوال والخالات، وأبنائهم، وأقارب المصاهرة...) ، وظاهرة التكافل والتعاون أمر واضح وبديهي في مجتمعاتنا والأسرة الممتدة في هذه الناحية مؤسسة تعـــتني بالفقـــراء، وعاثري الحظ، والأرامل، والأيتام، والمحتاجين، وتسند الإنسان وقت الشـــدة فتمـــنع عنه الذل والسقوط، والأسرة توفر أوضاعًا لا حصر لها لتبادل الرعاية والعناية والخدمات التي لا يستطيع الأفراد توفيرها بأنفسهم.

مـــن الناحـــية الاقتصـــادية فالوضع الأسري حافز على مضاعفة الجهد والإنتاج والمـــثابرة أكثر فأكثر لتغطية النفقات، وتأمين المستقبل، كما هو حافز قوي على التوفير والتقلـــيل من الاستهلاك والبذخ، وحافز للدخول في علاقات وقرارات اقتصادية طويلة الأمد.

وأخيرًا فالأسرة تصح وتقلل من شدة وطأة المغالاة الفردية والأنانية للاقتصاد الحر الرأسمالي[1]، وغالب اقتصادياتنا تحولت إلى هذا المذهب وأخذت بخناق الناس.

أما في الجانب السياسي: فإن الأسرة قبل كل شيء تضع على الدولة قيودًا مؤثرة من خلال حقها في الاستقلال الاقتصادي النسبي، وحقها في التملك، فالدولة التي تسيطر على كل وسائل الإنتاج، وكل ظروف التوظيف، فإنها بالتالي تسيطر على كل جوانب حياة المواطنين، وتصبح المعارضة السياسية في ظل تلك الظروف مستحيلاً، وتشكل الأسرة دومًا مصدرًا هامًا للحماية من تغول السلطان، والتنشئة السياسية السليمة والتثقيف والتوعية الصحيحة، لأن الأسرة تملك حقًا بديهيًا في التوجيه وصياغة الوعي، وخلق الاتجاهات والولاءات ولمدة طويلة جدًا، وهكذا فإن بين الدولة المقتدرة، والفرد المجرد يولد أول خط من خطوط المقاومة ضد الطغيان وهو: "الأسرة المستقلة اقتصاديًا وسياسيًا التي تحمي المجال الذي يمكن أن يتلقى فيه الأفراد الأحرار المستقلون التربية الضرورية لهم"[2].

الأسرة ضرورة تربوية لأنها تقوى في الإنسان مشاعر الذاتية، والأصالة، والانتماء، وتوفر للإنسان الإحساس بالسمو الذاتي، كما تقوى الأسرة في الإنسان روح الجماعية، والحرص على مصالح المجموع، ونكران الذات في سبيل الآخرين، والتضحية في سبيلهم وفي سبيل المطالبة بحقوقهم من الدولة وغير الدولة.

الأسرة قبل كل ذلك ضرورة نفسية حيث يتلقى الفرد — ومنذ الرضاعة — فيها الحنان والاطمئنان، والرقة، والسكون والمودة والرحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

---

[1]) ميخائيل نوفاك (روح الرأسمالية الديمقراطية) مرجع سابق، ص ١٥.

[2]) المرجع نفسه، ص ١٥٦.

يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] فهذا السكون والمودة والرحمة أعظم الأهداف في تكوين الأسرة سواءً بالنسبة للزوجين أم الأولاد أم الأقارب ، وتتولد من هذه الرحمة والمودة والاستقرار النفسي كل الفضائل الأخرى.

وأخيرًا فالأسرة ضرورة أخلاقية وتربوية، فالأسرة تربي الأولاد على حب الخير والتمييز بين الحسن والقبيح، وتحثهم على التحلي بالفضائل، ونيل المكارم، وتحول دون انحرافهم، والأسرة تربي الذوق وتعلم الآداب والأصول، وتشكل أداة رقابية مهمة للمراهقين وحتى للكبار، وتحول دون ارتكاب الكثير من المنكرات، كما أن تصويباتها المتكررة تدرب الأولاد على الصواب وتجعلهم قادرين على التقييم ونقد الفكر والسلوك وتمييز السليم منه والسقيم.

ولعظم دور الأسرة فإن أحب الأعمال التي ترضي إبليس هي الوقيعة بين الزوجين حيث روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الشيطان ليضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه في الناس، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا، فيقول إبليس: لا والله ما صنعت شيئًا، ويجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيقربه ويدنيه، ويلتزمه ويقول: نعم أنت"[2]. وهكذا يبين لنا رسول الله ﷺ أن هدم الأسرة عمل إبليسي شيطاني، وأن كل الشرور الأخرى تأتي بعد تفكك الأسرة، وأن أي أمة انهارت أسرها، انهار وجودها وعشعش الشيطان فيها وفرخ.

---

[1]) الروم، الآية ٢١.

[2]) رواه الإمام مسلم ج٤ برقم ٢٨١٣ وأورده القرطبي في تفسير الآية (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض) ج١٠ ص : ٤٢٢، وورد في مسند الإمام أحمد ومسند عبد بن حميد.

وتتصـــل بقيمة الأسرة قيم وواجبات أخرى لتقويتها والشد من أزرها، منها قيمة التواصـــل مع ذوي الأرحام والتي يمكن تسميتها بالأسرة الممتدة، فالأسرة الممتدة والتي تنبذ من الأنثوية ويحلو لهم دائمًا ربطها بالسلطة الأبوية ويركزون جهدهم لإلغائها، هي قـــيمة أساسية في الإسلام لا تكتمل سعادة البشرية وحفظ كيانها إلا بها، فالإسلام على خـــلاف المذاهب الفكرية والفلسفات الحديثة (اشتراكية – رأسمالية – أنثوية) لا يسعى لإلغـــاء الوحدات الاجتماعية التي تندرج بعضها تحت بعض (الأسرة النووية – الأسرة الممتدة – القبيلة – العشيرة – القومية الوطنية – الأممية – الإنسانية) ولكنه يحاول ربطها مـــع بعـــض وإيجاد التكامل والتوازن بينها، وجعلها تحقق أهدافًا تضمن سعادة البشرية ورخائها ونمائها.

فـــيما يتعلق بالأسرة الممتدة وهي –بتفسيرنا ومرادنا– تعني: الأقارب باختلاف درجاتهـــا وقـــربها وبعدها، فإن الله قد حذرنا من التفريط في الأرحام حيث قال في بداية ســـورة النســـاء (ويلاحـــظ كون هذه المسألة مقدمة الكلام عن قضايا النساء وبداية للسورة): ﴿ يا أيها النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَـــثَّ مِـــنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذي تَسَاءلُونَ به وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] أي اتقوا الله واتقوا الأرحام (في قراءة النصب) وجعل (قطع الرحم) من صفة الفاسقين ﴿... وَمَا يُضِلُّ به إِلاَّ الْفَاسِقِينَ * الَّذينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّه من بَعْد مِيثَاقه وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ به أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ في الأَرْضِ أُولَـئكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2] ، وفي ســـورة (محمـــد): ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾[3] يلاحظ أن الله سبحانه قد رتب

---

[1]) النساء، الآية ١.

[2]) البقرة، الآية ٢٦–٢٧.

[3]) محمد، الآية ٢٢–٢٣.

اللعن والصمم والعمى على قطع الأرحام، والآية تقول فهل عسيتم (أي يتوقع منكم) إن توليتم عن (الإيمان وهدى الإسلام) أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم (أي تعودوا إلى الجاهلــية من ترك الود والوصل والإحسان مع بعض والقتال والدماء والبغي وهجر الــبعض) ، وفي سورة الرعد يقول المولى عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيــثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [1]

ويلاحــظ من هذه الآيات جميعًا: الربط بين أمور ثلاثة باستمرار: ١/عدم الإيمان المعبر عنه بـ (نقض عهد الله) أو (التولي عن الهداية). ٢/قطع الرحم (يقطعون ما أمر الله بــه أن يوصــل) ٣ /الإفساد في الأرض وحصول البغي وزيادة معدلات القتل والهجر والجــريمة والفوضــى ... وهذا يدل على أن الأول يفضي إلى الثاني، والثاني يؤدي إلى الثالــث بشكل حتمي وكسنة اجتماعية ثابتة، فإنكار الدين ورفضه يؤدي إلى التفكك الأســري، وهــو بدوره يؤدي إلى زيادة الجريمة والفوضى والعنف والفساد في الأرض، والعكــس أيضــا صــحيح فقد ربط القرآن بين (الإيمان) و (صلة الأرحام) و (سعادة البشرية) في الدارين حيث يقول في سورة الرعد: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيــثَاقَ * وَالَّذِيــنَ يَصِــلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَــابِ * وَالَّذِيــنَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[2] وهكذا الأسرة الممتدة الصالحة (الآباء والأزواج والذرية) تجتمع في الجنة كما اجتمعت في الدنيا في وئام وحب وتعاون.

---

[1]) الرعد، الآية ٢٥.

[2]) الرعد، الآية ٢٠-٢٣

إن أهمـــية الأسرة والأسرة الكبيرة في الإسلام أدى إلى أن لا يمنع اختلاف الدين مـــن الحـــب والتواصل والتزاور والبر والإحسان، فربما تكون الأم مشركة أو الأب أو الاثـــنان معًا أو الخال أو العم ... ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْـــرِجُوكُم مِّـــن دِيَـــارِكُمْ أَن تَـــبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1] ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَـــيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] ، وفي الحديث الشريف: "قالت أسماء بنت أبي بكر: قدمت على أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : قدمت على أمي وهـــي راغبة (أي ترغب زيارتي) أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك"[3] والحب والولاء والمناصـــرة المـــنهي عـــنها هي عندما يكون القريب أو ذو الرحم مشركًا محاربًا يقاتلنا ويخرجـــنا من ديارنا ويحاد الله ورسوله ، كما ورد في الآية الكريمة الخاصة بأحكام هؤلاء المحـــاربين الأعـــداء حيث يقول المولى عز وجل : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـــرِ يُـــوَادُّونَ مَـــنْ حَـــادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ... ﴾[4]

مـــن هـــنا نقـــول فإنه وعلى عكس ادعاءات الأنثوية بضرورة تلازم التحديث وحقـــوق المرأة مع زوال الأسرة الممتدة، وأنه لا سبيل إلى تغير وضع المرأة للأحسن إلا بتغيير بنية الأسرة، نقول إن هذا التغيير يجلب للمرأة مشاكل كثيرةً جدًا، منها بقاء المرأة تحت رحمة الحاكم المطلق (الزوج) بعيدًا عن حماية ورقابة الأسرة الممتدة والتي تمنع غالبًا تعرض المرأة للعنف المنزلي الشائع في المجتمعات الحديثة أو تقلل منه، لأن الأسرة الممتدة

---

[1]) الممتحنة، الآية ٨.

[2]) العنكبوت، الآية ٨.

[3]) مـــتفق عليه أخرجه البخاري في باب (صلة الوالد المشرك) ج٥/برقم ٥٦٣٣، ومسلم في صحيحه ج٢ /برقم ١٠٠٣.

[4]) المجادلة، الآية٢٢.

تشكل جهازًا رقابيًا بل قوة مهمة لحماية المرأة والدفاع عن حقوقها، وتلجأ إليها كلما ألم بهـــا الأمر ولم تتفق مع زوجها، أو أساء الزوج معاملتها، هذا وأن الأسرة الممتدة سبب أساســـي لتخفـــيف أعباء الأسرة بما توفرها من خدمات ورعاية للأطفال، وإيناس المرأة وأطفالها، وتوفير أجواء المحبة لهم عندما تفتقدها المرأة في بيتها لفترة من الوقت طالت أم قصـــرت، كما أن خدمات الرعاية التي توفرها هذه الأسرة للأولاد تمكن المرأة من حرية الخـــروج للمشاركة في العمل العام ومختلف الأنشطة الثقافية والاجتماعية ... إلخ دون خوف على أولادها وبيتها.

ولكـــن هنا ملاحظة مهمة لابد من ذكرها حتى لا يفهم الموضوع على غير الوجه الصـــحيح، وهي أن الأسرة الممتدة في الإسلام دموية وقرابية وليست بالضرورة مكانية، بمعنى أنه لا تغول للأسرة الكبيرة على الصغيرة، بل من الأولى أن تستقل الأسرة الصغيرة بمكـــان وبيت خاص ، فهي أولاً وأخيرًا عبارة عن مجموعة حقوق وواجبات متبادلة بين أطراف الأسرة تهدف إلى تقوية الروابط وإسعاد الجميع، وإلا فإن الإسلام أوجب على الرجل أن يوفر سكنًا وبيتًا خاصًا للمرأة إلا إذا تعذر ذلك فبالتراضي، لأن عدم استقلال الأســـرة الحديثة نوعًا ما عن الأسرة القديمة يؤدي إلى خلق مشاكل ومشاحنات وقطع للـــرحم، فلا داعي شرعًا إلى أن يعيش كل الأبناء المتزوجون مع زوجاتهم في بيت واحد مـــع والديهـــم كما هو الحاصل في بعض المناطق، بل هذا أمر سيئ لما يترتب عليه من المفاسد غالبًا، لأن النساء لا يشعرن بالحرية والخصوصية المطلوبة للسعادة الزوجية.

المطلب الرابع

التوافق مع الفطرة لا معاكستها

الإسلام دين فطري ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] الذي فطر السماوات والأرض فطر الناس على مجموعة من المفاهيم والميول والغرائز والسنن، لا يمكن للإنسان أن يعيش بشكل صحيح معافى إلا بعد أن يلبي نداء تلك الفطرة ويوفق بين حياته وبين تلك الأمور التي فطر عليها، وأن أي نظام للبشر يكون غير منسجم وغير متناغم مع تلك الفطرة فمصيره الرفض والفشل وجلب الشر والسوء ليس أكثر ، وربما هذا هو أحد العيوب الجوهرية في كل نظام ودين بشري، ومنها الأنثوية التي جاءت بقرارات ومفاهيم ومعالجات متناقضة مع فطرة المرأة والرجل.

إن شرائع ونظم الإسلام تتميز بكونها من رب العالمين الذي خلق الخلق فهدى، والذي يعلم السر وأخفى، والذي خلق الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ، فكيف يضع شرائع غير متوافقة مع الفطرة ؟ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[2] كيف تتناقض آياته المسطورة في القرآن مع آياته المنظورة في النفس والمجتمع؟! إنها ليست كتشريعات البشر الذين لا يحيطون بخفايا النفس وأسرار الفطرة فيغيرون أحكامهم وتصوراتهم بين الفترة والأخرى ، على حسب ما يشتهون ويدركون.

إن الأنثوية تنكر أن تكون الأمومة فطرة، وتتناسى أن المرأة لا تكتمل سعادتها — إذا لم تكن منحرفة الطبع — إلا بالإنجاب، إن الأنثوية برفضها الأسرة تنكر الحاجة الفطرية للجنسين لحياة زوجية مليئة بالحنان والود والتعاون، إن الأنثوية تنكر حاجة المرأة

[1]) الروم، الآية ٣٠.

[2]) الملك، الآية ١٤.

لحماية الرجل ، وأن المرأة السوية لا تكتمل سعادتها إلا بجانب رجل قوي حاسم يقودها في الحـــياة الشخصية (داخل الأسرة) ويحميها ويربي معها الأولاد ويوفر لهم حاجياتهم، والرجل إذا كان ضعيف الشخصية لا يملك قدرة حسم الأمور بالحسنى فإن المرأة تكرهه وتتضايق منه ؛ ولهذا فالأنثوية تستغرب (قوامة الرجل) في الأسرة لغياب تلك الحقائق في حساباتها.

وفطـــرة المرأة تأبى المساواة المطلقة مع الرجل — إذا كانت سوية — لأن المساواة المطلقة مع وجود الظروف الجسدية والبيولوجية للمرأة ليست في صالحها، المرأة لا تحب الشقاء في الأعمال المرهقة التي لا تناسب طبعها، ولا الخدمة في محطات البنزين أو أعمال البـــناء إذا كانـــت متأكدة أنها لو تفرغت لأعمال بيتية ورعاية أطفالها أو أعمال فكرية وثقافية ... فإن معيشتها وحريتها واستقلالها لا تتضرر.

المـــرأة الســـوية لا تحب الندية مع الرجل ولا الصراع معه، بل تحب الاستجابة لرغبـــته وملازمة التوافق معه طالما أن الرجل رقيق وواعي وصالح، وغياب هذه الحقيقة عـــن حســـابات الأنثوية أو إنكارها بالأحرى، تجعلها تقرر خلاف ذلك وتطالب بالندية والصراع.

فطـــرة الإنسان (ذكرًا وأنثى) تأبى العمل الجنسي الشاذ وتتقزز منه وتعتبره حالة مشـــينة متدنية، ولكن غياب هذا الأمر أو إنكاره يؤدي إلى إقراره ، على عكس العمل الجنســـي السليم فهو من دواعي السكن والسرور وحاجة غريزية طبيعية تطلبها الفطرة البشرية.

فطـــرة المرأة لا تستسيغ الارتباط بأكثر من رجل جنسيًا إذا أشبعت من زوجها وحفظ هذا الزوج لها الود والحب والإخلاص.

ولكن هذه الفطرة قد تتشوه بسوء الفكر والتصور، أو غلبة الشهوات التي تجعل الإنسان كالسكران والأعمى والأصم، وقد تتشوه بالتنشئة السيئة والتعود على معايشة الانحـــراف والرذيلة ... بحيث تختلط عليها الأمور بعد ذلك فلا تميز الحسن من القبيح، ولا المعروف من المنكر.

المطلب الخامس

التكامل لا التضاد والصراع

إن الله ســبحانه خلــق الاخــتلاف والتباين في الوجود حتى يكون سببًا لتكامل الأشــياء والموجــودات بعضها مع بعض، وجعل من سنته في الكون والحياة أنه لم يخلق موجــودًا كاملاً مستغنيًا عن الموجودات الأخرى بل جعل الزوجية نظامًا شاملاً ﴿ وَمِن كُــلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِــنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾[2] ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾[3] لا معاني للأشياء إلا بأضــدادها أو ما يقابلها فالسرور يفهم من الحزن، وقيمة الحياة تدرك من الموت، وقيمة كل جنس يدرك بالآخر وسعادته تتم به، والزوجية نظام شامل كما قلنا ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَــقَ الْــأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[4]، ولذكر الليل والنهار هنا دلالة على أن الغرض من الزوجية التكامل باعتبار حاجة كل من الزوجين للآخر، وعدم إمكان استغنائه عنه، وفيها دلالة على أن الزوجية علة إدراك قيمة الأشياء، وسر الاستفادة منها، لأن الأشياء

---

[1]) الذاريات، الآية ٤٩.

[2]) القيامة، الآية ٣٨-٣٩.

[3]) النجم، الآية ٤٣-٤٥.

[4]) يس، الآية ٣٦-٣٧.

التي تلازم الزوجية لا يمكن الاستفادة بفرد منها، فلو كان الليل سرمدًا أو النهار سرمدًا ما كانت الحياة ممكنة.

وقـد وظـف المولى هذا المفهوم في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾[1] يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: (لقد أراد الله – تبارك وتعالى – أن يلفتنا إلى أن قضية التكامل بين الرجل والمرأة، كقضية التكامل بين الليل والنهار ... الليل والنهار مختلفان في الطبيعة فالنهار يملؤه الضوء وهو وقت السعي وراء الرزق والحركة، والليل تملؤه الظلمة وهو وقت السكون والراحة والنوم، كلاهما يختلفان في طبيعة مهمتهما في الكون ولكنهما مع ذلك متكاملان في هذه المهمة، فلو جعل الله الدنيا كلها نهاراً لتعب الناس لأنهم لا يجدون وقتًا تسكن فيه النفوس وتطمئن فيه القلوب ... لا يستطيع أحد أن يقول إن الليل والنهار متعاندان بل هما متكاملان ... وهكذا حدد الله المهمة المتكاملة للرجل والمرأة ...ولا يوجد رجل يبقى في البيت وامرأته تعوله وهو قادر على الكسب إلا نال احتقار الناس بما فيهم زوجته، ولا توجد امرأة إلا تتمنى أن تعيش في حماية رجل يوفر لها كل شيء ويرعاها)[2] ويؤكد القرآن على هذا المعنى التكاملي بأكثر من أسلوب منها : ﴿... هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ...﴾[3]

لا صـراع بـين الجنسين في الإسلام، لأنهما لا يحددان حقوقهما وواجباتهما، بل الخالق هو الذي يبين ذلك وهو القائل: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ

---

[1]) الليل، الآية ١–٤.

[2]) الشيخ محمد متولي الشعراوي (المرأة في القرآن) منشورات أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٦ وما بعدها.

[3]) البقرة، الآية ١٨٧.

عَلَـيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكُيمٌ﴾[1] ولأنهما ليسا متماثلين تمامًا، ومن قال بالتماثل قال بالمساواة المطلقة والصراع وعدم وجود أدوار محددة للجنسين، لكن الإسلام عندما قرر تباين الجنسين، وبين أن النساء مفضلات على الرجال في أشياء، وأن الرجال مفضلون في أمور معينة على النساء ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[2].

ويلاحـظ في التعـبير القرآني أنه لم يقل[3] (فضل الرجال على النساء) كما قال فضـل الله المجـاهدين عـلى القاعدين، بل (فضل بعضهم على بعض) مما يدل على أن التفضيل حاصل من الطرفين.

وبعـد إثبات حقيقة التباين انتفت المثلية، وبالتالي هناك مساواة عادلة و (عدل)، وهناك أدوار محددة لكل جنس (من غير أن يمنع ذلك مشاركة المرأة للرجل في أعبائه أو الرجل في أعبائها قدر المستطاع)، وبالتالي لا صراع ولا ندية ولا تضاد.

لقد أودع الله في الجنسين قوى تدفع بهما للتكامل والتوحد، فخلق فيهما الشهوة ليـتقاربا ويـنجذبا لبعضهما البعض، لكنه أعطى الرجل زيادة في قوته الشهوانية حتى يـتحمل أعباء تشكيل الأسرة والإنفاق ورعاية الأولاد والسهر عليهم، وبالمقابل أعطى المـرأة حـنانًا زائدًا وعاطفة قوية حتى تعينها على تحمل الأولاد وآلام الحمل والولادة والرضـاعة والـرعاية ... ولو لم يكن في الرجل هذه الزيادة لربما امتنع عن تحمل تلك الأعـباء، ولو أعطيت للمرأة القوة الشهوانية بمقدار ما لدى الرجل وبالنوعية نفسها[4]

---

[1]) البقرة، الآية ٢٢٨.

[2]) النساء، الآية ٣٤.

[3]) كما قال عند الحديث عن المجاهدين والقاعدين "وفضل الله المجاهدين على القاعدين وكلا وعد الله الحسنى" كما ورد في السورة نفسها عند الآية (٩٥) بالرغم من أن في كل خير ، ولكنه حدد المفضل من المفضل عليه.

٤) المقصـود بزيادة قوة الرجل الجنسية، هو اختلافها مع طبيعة القوة الجنسية للمرأة، فالغريزة عند الرجل أكثر صخبًا وإلحاحًا وتوترًا وميكانيكية، وبلوغ الذروة الجنسية عند الرجل أسرع من المرأة بأضعاف المرات،

لفسدت الأرض وضاع النسل وكثر الزنا والسفاح، ولو لم تعط المرأة هذه القوة العاطفية لما تحملت ما تتحمل وهى راضية وسعيدة.

المطلب السادس

الجماعية لا الفردية

إن الإسلام يجعل من الأسرة اللبنة الأساسية للمجتمع وينظر إلى الفرد من خلال موقعـــه في الجماعـــة، ومدى قدرته على التفاعل مع المجتمع والتضحية في سبيل الناس، وإنكـــاره لمصـــالحه الشخصية وغرائزه ونزواته إذا كانت متعارضة مع مصلحة المجتمع، ويـــريد الإسلام من الفرد أن يحقق ذاته من هذا الطريق، والشهادة في سبيل الله هى من أعلى درجات الإيمان بعد النبوة والصديقية، وهى ليست إلا بذل الروح في سبيل إيصال الخـــير للآخرين أو الدفاع عنهم، والإيثار من المعاني الإيمانية العظيمة، وهو أعلى مراتب الأخـــوة ويعنى تقديم الناس وتفضيلهم على نفسك في شيء تحتاجه : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الـــدَّارَ وَالْإِيمَـــانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُـــوا وَيُؤْثِـــرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

= وتجـــدد حاجة الرجل للجنس أكثر بكثير من المرأة (في الحالة الطبيعية) وطبيعة المرأة الجنسية والغريزية أكثر هدوء وأقل توترًا، وهناك الأهم من هذا كله وهو الطبيعة الشمولية لغريزة المرأة، فالمرأة لا تريد الفصل بين الحـــب والحنان والعاطفة وبين الممارسة الجنسية، وهي لا تقصد الغريزة الجنسية لذاتها فقط وإنما لتحصيل هذه الأمور معها، بخلاف الرجل الذي يتوسل بهذه الأمور غالبًا للوصول إلى اللذة الجنسية، من هنا يمكن القول إن الغريزة عند المرأة أكثر إنسانية وشمولاً وأقل صخبًا وتوترًا، ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا تكون المرأة أقدر على ضبط الغريزة من الرجل، وخصوصًا إذا أضفنا إليه أن لعمل المرأة الجنسي عواقب غير سهلة من حمل وغيره، وأن عضو المرأة التناسلي غير مهيأ في كل وقت للعمل الجنسي كالرجل فما أكثر الأمراض التي تعتريه، هذا ما قصده الباحث بخصوص ضعف المرأة الجنسي حتى لا يساء الفهم!

[1]) الحشر، الآية ٩.

وفي الإسلام كدر الجماعة خير من صفو الفرد، والأوامر القرآنية خاطبت المؤمنين كأمـــة وجماعة "وأقيموا الصلاة" "وأتوا الزكاة" ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْـــرُوفِ وَتَـــنْهَوْنَ عَـــنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾،[1] ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَـــبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،[2] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـــطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3] وكذلك ورد في القرآن "أمة قائمة" و"أمة واحدة" و"أمة يهدون بأمرنا"...وحتى في واجب العفاف فليس الفـــرد مســـئولا فقـــط وإنما الخطاب للأمة: ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4] ، هذا ولقد سمى القرآن الجماعة (جبلاً) ويقول الراغب الأصفهاني: إن الجبلّ مأخوذ من الجَبَل وذلك لمـــا في الجماعـــة من الشدّة والقوة كأنها جبل ﴿لَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[5].

والإسلام لا يمنع المبادرة الفردية بل يشجعها طالما أنها ليست متعارضة مع مصلحة المجمـــوع، والإســـلام لا يمنع استقلال الفرد بل يحبذ معاني الاعتماد على النفس والثقة بالنفس ، ويحرم انتهاك الحياة الخاصة، ويذكر بأن المسئولية الفردية قبل الجماعية ﴿وَنَرِثُهُ مَـــا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[6] ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِـــيَامَةِ فَرْدًا﴾[7] وقوله: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾[1] وبهذه

---

[1]) آل عمران، الآية ١١٠.

[2]) البقرة، الآية ١٣٤.

[3]) البقرة، الآية ١٤٣.

[4]) النور، الآية ٣٢.

[5]) يس، الآية ٦٢.

[6]) طه، الآية ٨٠.

[7]) طه، الآية ٩٤-٩٥

الآيـــات يمـــنع القرآن الفرد من الذوبان داخل الجماعة، وينهى عن أن تكون الجماعية مصـــدراً للـــتواكل والســـلبية، أو تصبح شماعة نعلق عليها مساوئنا وفشلنا وأخطائنا، فالفردية والجماعية قيمتان متكاملتان ومتوازنتان.

ولكـــن الذي ينهى عنه الدين أن تقدس الفردية وتجعل فوق الجماعية ومتعارضة معهـــا، فالإســـلام – يجعل القيمتين في حالة من التكامل – لا يقر الحريات الفردية التي تتعارض مع مصلحة المجتمع، ولذا فالحرية مقيدة لا مطلقة (وسيأتي بحثه).

والفردية: ثقة بالنفس ومبادرة وإيجابية ومسئولية لا أنانية ونرجسية ، والجماعية: سعي لتعميم الخير والنماء والرفاهية والسلام والحب بين الناس، وتعاون في الحياة وتكافل وتناصـــر...لا كبت ومصادرة للحريات وإِمَّعية وتذويب للفردية... كل فرد يضحى في ســـبيل المجتمع، ويتنازل عن بعض رغباته ونزواته، والمجتمع يجرى وراء حق كل فرد فيه ويمـــنع عـــنه الظلم والأذى ويوف له حاجته، والمرأة تضحى في سبيل الزوج والأولاد، والـــرجل يشـــقى في الســـهر على راحة أهل بيته، والأولاد يتفانون في تقديس حقوق الوالدين واحترام بعضهم البعض، وكلّ يؤثر الآخر على نفسه... هذه هى الحياة السعيدة في ظلال الإيمان.

المـــرأة الأنثوية تجرى وراء تحقيق ذاتها ولو على حساب مصلحة الزوج والأولاد، والرجل في النموذج الغربي يلهث وراء لذاته ولهوه، والأولاد يتفرجون على هذا السعي المحمـــوم الأناني، ويدفعون الضريبة من نفسياتهم وسلوكهم ونظرتهم للحياة والوالدين ، ولا شعورياً يتحينون فرصة للانتقام منهما، وهكذا تصبح الحياة دوامة للصراع والموت، وقتل الحب والمودة والاستقرار.

---

[1]) الأنعام، الآية ٩٤.

الشـــريعة الرأسمالـــية تعطـــى الفـــرد المســـتثمر الجشع الحق في أن يبنى مملكته وإمـــبراطوريته عـــلى أشـــلاء الفقراء وتجويعهم، ومصادرة فرصهم وقوتهم واستنزاف طاقاتهم، وصعود نجمه الفردي المتألق على أكتاف معاناتهم، فكيف لا تكون الحياة أنانية وصراعا وتضادا ؟

الرجل يريد أن يستمتع بأنانيته ويسيطر على كل مداخل المجتمع، ويحرم المرأة من حق المشاركة ويرمى لها بالفتات، ثم يراد أن لا يكون هناك تمرد ورفض للزوجية والرجل ؟! طـــبعا لا، فالنتائج تترتب على المقدمات بشكل منطقي وحتمي ومشكلة العالم الغربي الـــذي ولدت الأنثوية في أحضانه أنه الآن يتعامل مع واقع منحرف هو نتيجة لمقدمات مـــنحرفة، ومـــع ذلـــك يتعامل مع هذه النتائج كأنها مسلمات بديهية لا تقبل الجدل والنكوص، وحتميات لتطور تاريخي طبيعي، بل الأنكى من ذلك أنه يعتبرها مسارا تاريخيا حتميا لتطور المجتمعات البشرية جميعا.

المطلب السابع

الحريات مقيدة لا مطلقة

إن الاعـــتقاد بأنه هناك في أي مكان حريات مطلقة ما هو إلا وهم، لأن حريات الإنســـان يقـــيدها أكـــثر من شيء، عقل الإنسان، الأديان، الشرائع والقوانين، المجتمع والآخرون... كلها مقيدات لحرية الفرد، ولا يتحقق للإنسان حريته المطلقة حتى لو عاش في غابـــة بمفرده فهناك أيضاً الظواهر الطبيعية والوحوش والحيوانات...كل هذه الأشياء تقيد حريته، وتمنعه من بعض أو كثير مما يشتهي.

فالحـــرية أصلاً نسبية، والفرد مقيد بالجماعة، والإسلام يقول -كما سبق - أن حـــريات وحقـــوق المجتمع قبل الفرد ورغباته، وهذا ليس خاصاً بالإسلام فكل الأديان والشرائع والحضارات مبنية على هذا الأساس (باختلاف في الجزيئات والأحكام).

إن الحرية في الإسلام واسعة جداً، ولا يحدها شيء سوى حقوق الآخرين، أو أن تـــتحول إلى حرية ممارسة المنكرات والفواحش، عندها تتوقف الحريات لتبدأ الواجبات والمســـؤوليات، إن أعظـــم شيء في الإسلام هو الإيمان والحرية فيه مكفولة لكل الناس ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا.. ﴾[1]، ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. فإذا كان الإســـلام قـــد أقـــر حرية الكفر، وأقر أهل الأديان على أديانهم وأعطاهم حرية ممارسة شـــعائرهم بل أرسى قاعدة المساواة في التعامل معهم (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) فماذا بعد ذلك؟!

وقد كفل الإسلام للمرأة أيضاً حريات كافية .. فقد حررها من أي سلطة تتحكم فيها بغير حق، وأعطاها حرية الإيمان والدين والعقيدة ، فالمرأة لا تغير دينها بتبعية الرجل وحرم الإسلام على المسلم الذى يتزوج من غير مسلمة أن يكرهها على الإيمان أو يهينها بسبب عقيدها أو حتى ممارسة شعائر دينها، والمرأة المسلمة كذلك كانت حرة عن تبعية الزوج في هذا، فمن بين الذين هاجروا إلى الحبشة من الصحابة اثنان ارتدا إلى النصرانية ولكن زوجتيهما ثبتتا على الإيمان.

---

[1]) الكهف، الآية ٢٩.

[2]) البقرة، الآية ٢٥٦.

وأعطى الإسلام المرأة حرية اختيار الزوج وأي إكراه في هذا باطل، وأعطاها حرية العمل بضوابط شرعية تهدف لحمايتها والتأكيد على إنسانيتها والموازنة بين حقوقها وواجباتها... وخلاصة القول أعطاها كل حرية أعطيت للرجل إلا أموراً مستثناة لا سبيل للمرأة إليها إلا على حساب مصلحة الآخرين والمجتمع ، فمنعت من ذلك كما يمنع الرجل من أمور للسبب نفسه.

إن الأنثوية تقول إن للمرأة الحق في عرض مفاتن جسدها كما تشاء، ولها الحق في أن تهب جسدها لمن تشاء (بزواج أو عدمه)، ولها أن تقرر مصير جنينها كما تشاء...كل ذلك وغيره بدعوى أن المرأة حرة في التصرف بجسدها لأنها تملك جسدها!! ولكن هذا زعم باطل في الإسلام لأمور منها: أن الرجل والمرأة لا يملكان جسدهما لأنه هبة الله وأمانته عندهما، ولابد من إيفاء حق الله فيه، وكل عضو في الإنسان له حقوق وعليه واجبات، فمثلاً صحيح أن عيني ملكي باعتبار أنني أستفيد منها ولكنها ليست ملكي بحيث يحق لي أن أفقئها لأن هذا عمل محرم وضرر وسفه، وليس من حقي أيضاً أن أترك بصري يقع على كل شيء حق ولو كان عورة الناس أو أسرار بيوتهم أو مخاطباتهم الخاصة ومكاتباتهم.. وليس لي الحق في أن أتجسس على الناس بها ..الخ.

إن المرأة تملك أن تلبس ما تشاء وتعرض نفسها داخل بيتها كما تشاء وتتزين كما تشاء طالما أن تلك الأمور لا تحدث ضرراً بالآخرين، ولا تنشر فساداً في المجتمع، ولكن الناس يعلمون جميعاً أن كشف المرأة لزينتها ومفاتنها وتعريها أمام الرجل يدفع به، وبالتالي بها إلى هاوية الفساد، لأن الرجال بطبعهم ضعاف في السيطرة على شهواتهم[1]،

١) القاعدة تقول لكل انخفاض ارتفاع فقوة الرجل الجنسية، أي كون غريزته أكثر إلحاحًا وتوترًا أوجد هذا الضعف في سيطرته على نفسه، والمرأة لابد أن تتعامل مع ضعف الرجل هذا كحقيقة من حقائق الحياة التي لا يمكن إنكارها لأنها جزء من تكوين الرجل وحقيقته، خلق كذلك من دون إرادته لحكمة في ذلك، وأي نظام يتجاهل هذه الحقيقة عند تنظيم أمور الجنسين وعلاقاتهما فهو نظام فاشل لا محالة، ويؤدي إلى شيوع الفوضى

ولأن الرجل (بخلاف المرأة)[1] يثار جنسياً بالنظر ومشاهدة مفاتن النساء وجمالهن ، وهذا الأمر يؤدى إلى انتشار الزنا وفساد البيوت وتفرق الأزواج، لأن الرجل الذي يرى دوماً نساء أخريات متزينات غالباً ما تبرد علاقته مع زوجته إذا لم تكن أجمل، بل والأسوأ من ذلك يصبح تفكيره وهمومه جنسياً وعقله لا يجاوز ما تحت سرته، وتزداد مطالباته الجنسية التي قد لا تستطيع زوجته إجابتها لأي سبب من الأسباب، وبالتالي يفكر إما في

= والاغتصاب والدعارة ...إلخ، والمرأة هي الخاسرة قبل الرجل فهي التي تتعرض للأذى ونتائج عدوان الرجل، وهي التي تتحول إلى دمية ومتعة جنسية وتستغل وتمان وتصبح شيئًا وبضاعة وأداة للتسلية، وهي التي تطلق وتطرد من البيت لأن فاتنة أخرى أحسنت عرض مفاتنها ونافستها في الزينة وأخذت زوجها ودمرت بيتها ... والقرآن يشير على أن الستر في النهاية لصالح المرأة "ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين".

١) هذه واحدة من الحقائق المهمة التي أوضحها علم النفس الجنسي وتؤيدها حقائق الحياة والمشاهدات اليومية، المرأة لا تثار بالنظر إلى الرجل فقط إذا لم يكن هناك حديث ومغازلة وملامسة، في هذا تقول نوال السعداوي: "من النادر أن نجد هذه المرأة التي يثيرها سروال الرجل أو جوربه، ولكننا نصادف =رجالاً لا يستطيعوا أن يلمحوا سروال امرأة أو جوربها حتى تتملكهم الرغبة الجنسية ... إن الأغلبية من الرجال يشعرون بدرجات متفاوتة من الإثارة إزاء جسم المراة وأجزائها كل حسب شخصيته، ودرجة نضوجه"، ص ١٦٩. وتقول في موضع آخر: "وقد تحير كثير من علماء النفس والجنس فى الأسباب التي تجعل الرجل يثار جنسيًا إذا ما تعرت أمامه فخذ المرأة مثلاً ، في حين أن المرأة لا تثار جنسيًا إذا ما كشف الرجل أمامها عن ساقه أو فخذه أو حتى عضوه التناسلي ... "وقال بعض آخر (أي من العلماء) إن المرأة لا تثار بأي مؤثرات جنسية إلا عن طريق اللمس، أو عن طريق السمع والغزل ... وأن النساء بصفة عامة لا يثرن جنسيًا من الصور العارية لأجساد الرجال أو النساء، بعكس الرجال الذين يثارون بسرعة من هذه الصور، وأن العري الجسدي يلهب رغبة الرجل، لأن الرجل يثار عمومًا عن طريق النظر، أما المرأة فلا تثار بالنظر وحده، وأن الرجل يثار بسرعة وبطرق كثيرة متعددة، منها النظر، ومنها اللمس، ومنها الخيال، ومنها الرائحة، ومنها الملابس، ومنها الحركة ... إلخ، أما المرأة فهي تثار ببطء وعن طريق اللمس فقط، أو بعض القصص أو الكلمات الرومانتيكية) ص ١٧٤، من كتاب (الرجل والجنس) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، طبعة بغداد ١٩٨٦.

وتعليقًا على هذا نقول ولهذا فرض الإسلام قيودًا على علاقات الجنسين وألزم المرأة بالستر دون الرجل، وأمر بغض البصر. وقال جل وعلا : ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ الإسراء/٣٢. والنهي عن القرب نهي عن ما يؤدي إليه من أفعال وأقوال وأوضاع وأشكال...

الـــزنا والفاحشة أو استبدال زوجته أو الزواج بأخرى (في أحسن الأحوال) وكل هذه ليست من صالح المرأة واستقرار الأسرة.

ولتقييد الحرية أمثلة كثيرة في المجتمعات الغربية نفسها .. فمثلاً لا يمكن للإنسان أن يدخن في المركبات والمحلات العامة والقطارات...الخ ، ولا يمكن للإنسان الساكن في شقة سكنية وتحته شقق سكنية وبيوت أن يأتي بعمال الحدادة والنجارة والبناء ليعملوا في البيـــت في أي وقـــت يشاء من ليل أو نهار، بل لا يسمح له أن يرفع صوت التلفزيون والمسجل وغير ذلك أكثر من الحد المعقول فإذا أزعج الناس طلبوا له الشرطة، ولا ينبغي للإنسان أن يقود سيارته وهو سكران أو متعاطى مخدراً أو بسرعة فوق المسموح بها في الشـــارع، وســـابقا لم يكـــن يسمح للإنسان بإبراز أعضائه الجنسية في الشارع ، وكان لإشـــباع هذه الرغبة الحيوانية المقززة نوادي خاصة تعرف ب(نوادي العراة) ولا أدرى القوانين الآن بعد إباحة كل شئ ...وهلم جرا.

وهناك اتجاه أنثوي قوى الآن في الغرب يسعى لمنع ما يعرف ب(**Pornography**) وهى استخدام الصور النسائية والجنسية في الدعاية التجارية والإعلانات باعتبار أن ذلك يكـــرس فكرة أن المرأة جسد ومتاع جنسي وفيها إساءة للمرأة، وبالرغم من أن اللاتي يشـــتركن في هذا العمل يبعن صورهن هن للنساء، والمفروض أن يكن أحراراً في ذلك، والكـــثير مـــن المجلات النسائية نفسها تعتمد على هذه الإعلانات التي تحتل أحيانا ٦٠ %من مساحة الجرائد والمجلات، بل إن مجلة (جلامور**Glamour**) وهى مجلة نسائية أمريكية معروفة احتوت في واحدة من أعدادها على (٦٥) صفحة من التحرير الحقيقي مقابل (٣٣٩) صفحة من الدعايات[1].

---

[1]) عبد الله محمد الغذامي (المرأة واللغة) المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٧، ص ٣٢.. ويذكر الكاتب نقلاً عن (ماريلين فرنتش **M.French**) في كتابه (**The war against women** الحرب ضد النساء) إن جميع المجلات بما فيها النسائية تهيمن عليها شركات الدعاية والإعلان التي تقوم على فكرة تسليع النساء (أي =

ومن الأمثلة حديث الحركات النسوية عن ضرورة محاربة (سعى المرأة المعاصرة لتشكيل جسدها حسب الصورة المطروحة في السوق الإعلامي، فكرة (النحافة) التي سيطرت على المرأة بشكل مرضى، لأن لهذا الهوس مخاطر صحية، وتجلب آفات جسدية مثل مرض البوليميا(Bulimia) (الشره) والأنوريكسيا(Anorexia) (عدم الأكل) مما يفقد الجسم قدراته الطبيعية في التمييز بين الحاجة والجوع وعدمها)[1] ومن تمارس هذا الريجيم القاسي؟ أليست المرأة وباختيارها؟!

إذا كيف يصح مقولة أن المرأة تملك جسدها أليست هذه الأمور كلها وضعا للقيود على جسد المرأة وأنه ليس لها الحق في التصرف فيه مطلقا؟ أم أن هناك تناقضا في الأفكار وكيف يصح بعد هذا أن نقول بالحرية المطلقة التي هي مستحيلة أصلا كما تبين، ومما سبق تبين أن للحرية حدود سواء تلك التي يفرضها الحفاظ على إنسانية المرأة أو

= جعلهن سلعة وبضاعة معروضة للرجال)، وكل مجلة تخالف العرف السائد عن جسدية المرأة تفقد نصيبها من الإعلانات، ويقول الكتاب أن فنون (البرونوجرافي) تظهر الدعارة على أنها فن ثقافي مقبول بالرغم مما فيها من التشهير بالجسد المؤنث وعرضه كبضاعة مشاعة وكإغراء شبقي فاضح، ولما هبت مجموعات من النساء، يساعدهن بعض الرجال، وطرحن مشروع قانون يمنع هذه الفنون، تجندت محاكم ودوائر ولاية مينوسوتا للنظر في الأمر، وانتهى القرار الذكوري إلى أن (منع هذه الفنون يتعارض مع الحق الدستوري في حرية التعبير، والتشهير بجسد الأنثى حق من الحقوق اللغوية التعبيرية للرجل)، ص ٣٣ هذا هو مفهوم الحقوق في حضارة الغرب الجنسانية، لكل صاحب حق أن ينتهك حقوق الآخرين بدعوى حقه، ولكن حتى لو حصل المنع في المجلات والإعلام، فما فائدة ذلك إذا كانت المرأة في الشارع تمارس هذا الفن في أزيائها وجسدها. وينقل الكاتب عن (ماريلين فرنتش) أمورًا أبشع حيث إن "إنتاج أحد الأفلام قام على تعذيب بعض النساء الآسيويات إلى حد قتلهن من أجل تحقيق أعلى درجات السادية الذكورية في التهييج الجنسي، وهناك أمثلة عن أناشيد يرددها جنود أحد ألوية الجيش الأمريكي تحكى حكايات عن اغتصاب للنساء وممارسة الجنس مع جثثهن، وهي أناشيد يحفظها الجنود ويرددونها، ومطبوعة في كتاب منشور خصيصًا لجنود هذا اللواء، كما تذكر (ماريلين) أن قائد أحد الجيوش الأمريكية عرض على جنوده أفلاما داعرة في الليلة التي سبقت الهجوم على العدو ، وكل ذلك ثقافة تقوم على الجمع بين القتل وممارسة الجنس) الكتاب نفسه، ص٣٣-٣٤.

صـــحتها أو غـــير ذلك، فالإجماع على وجود محظورات ما قائم ، والخلاف في التقدير ووجهات النظر ونوعية المحظور.

ليس في الإسلام حرية للفواحش والمنكرات

فالـــزنا: والـــذي هو أي اتصال جنسي للرجل مع المرأة في قبلها من غير نكاح شرعي([1])... إلخ، جريمة عقوبتها لغير المحصن (غير المتزوج) مائة جلدة ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـــهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾([2])، وعقوبة المحصن"المتزوج" الرجم على رأى جمهور العلماء([3]) وهناك من خالف وجود الرجم كعقوبة ثابتة، وقد رأى بعـــض العلماء أن عقوبة الزنا هي الواردة في الآية وما ورد في السنة من الرجم فيحمل عـــلى الـــتعزيز الذي هو في صلاحية الإمام عندما يرى مبررًا لتشديد العقوبة للإعدام

---

[1]) هـــناك اخـــتلافات في تعـــريف الـــزنا شرعا، بسبب بعض الاختلافات في كيفية وجوب الحد وشروطه، فـــتعريفات الفقهاء للزنا منصرفة ومركزة على الزنا الموجب لتطبيق الحد وليس مطلق الزنا الحرام، فقد تكون العملـــية الجنســـية محرمة وزنا بالمعنى الايماني، ولكنه غير موجب للحد لورود مانع أو نقصان شرط.. ونحن اقتصرنا على ما يعرف التحريم ويثبت به الفحش.

٢) سورة النور، الآية ٢.

٣) لتطبيق حد الزنا شروط معقدة وعديدة يراجع في مظانه في كتب العلم ليتبين حكمة الشارع ودقة الفقهاء الأجلاء في استنباط الأحكام. ولكن من الأمور المهمة التي لم يلتفت إليها الأغلبية المطلقة للعلماء والفقهاء وهي مسألة تعريف "الزاني المحصن" حيث يعرفه الفقهاء بمن سبق له وطء شرعي، وكان الباحث غير مقتنع تمامًا بهذا التعريف حتى وجد عن الدكتور (مصطفى الزرقا) – الفقيه المعروف – توضيحًا مهمًا يقول فيه – بما معناه – : "أن التفســـير الأوفق أن الزاني المحصن هو من يملك زوجًا يعفيه عن الزنا، لا من سبق له وطء حلال ... إلخ، لأن ترتيـــب عقوبـــة الرجم على شخص فقط لأنه وطء مرة في حياته بشكل شرعي غير معقول، وليس قدرًا كافيًا للتفريق بين العقوبتين" ويأتي بأدلة لتدعيم وجهة نظره في كتاب (المدخل الفقهي العام) ص ٢٨٩، ج/١، ط دار القلم، دمشق ١٩٩٨.

بالرجم[1] ولهذا تفصيل وخلاف ونقاش ليس هذا محله. وحد الزنا حق خالص لله لا يملك الحاكم العفو عنه بعد ثبوته أو إقرار الفاعل به.

أمـــا الشذوذ الجنسي أو (اللواط) فعقوبته أشد عند بعض العلماء، حيث ذهب المالكـــية والحنابلة في أظهر الروايتين عن أحمد إلى أن عقوبة اللائط هو الرجم والإعدام بكـــل حال (أي سواء كان محصنا أو غير محصن) لقوله عليه السلام (من وجدتموه يعمل عمـــل قـــوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)[2] وفي لفظ فارجموا الأعلى والأسفل، أما الشـــافعية فقـــالوا حد اللواط هو مثل حد الزنا من غير فرق لحديث (إذا جاء الرجل الرجل فهما زانيان وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان)[3] ولأنه حد يجب بالوطء فاختلف فيه البكر والثيب كالزنا[4].

لـــيس للمرأة حرية في الإجهاض من غير ضوابط، واتفق العلماء على أنه بعد (١٢٠) يومـــاً أي بعد (نفخ الروح فيه) فإنه حرام وجناية على إنسان حي، ويعتبر جريمة قتل توجب دفع كفارة تبلغ ٥% من دية الإنسان الكامل[5]، والشافعية الحنابلة أوجبوا الكفارة أيضاً ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ

---

١) الدكـــتور مصـــطفى الزرقا، المرجع نفسه، ص ٢٨٩، ولعل هذا توفيق حسن بين مثبتي الرجم ومنكريه، ويعطي مرونة أوسع للشريعة، ويناسب هذا العصر الذي تحيط فيه الفتن و المغريات بالناس في كل جانب.

٢) أورد الحـــافظ بن حجر في الفتح ج١٢ ص ٢٠٤ وحسنه وقال رجاله موثوقون، وأخرجه الترمذي ج٤ /برقم ١٤٥٦، وأخرجه صاحب (عون المعبود في شرح سنن أبي داود) في باب من أتى بهيمة، وكذا الصنعاني في (المصنف) برقم ١٣٤٨٤، وقال الشوكاني عنه في (نيل الأوطار) ج٧/ص ٢٨٦ رواه الخمسة إلا النسائي، وصححه ابن حزم في (المحلي)، وصححه الحاكم في (المستدرك) ج٤/برقم ٨٠٤٧.

٣) أخـــرجه البـــيهقي في (سننه الكبرى) ج٨/برقم ١٦٨١٠ وقال عن (محمد بن عبد الرحمن) الذي هو في الســـند: هذا لا أعرفه وهو منكر بهذا الإسناد، وضعفه الشوكاني في (نيل الأوطار) ج٧/ص ٢٨٧ وقال عن الراوي المذكور: (كذبه أبو حاتم).

٤) انظر (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي، ج/٦، ص ٦٦، ط دار الفكر ، دمشق.

٥) المرجع نفسه، ج ٦، ص ٣٦٢.

رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مْؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [1] فهذه الأمور وغيرها تعتبرها الأنثوية حقاً للمرأة، ولكن الإسلام اعتبرها جرائم لا بد من محاربتها وتطهير المجتمع منها.

المطلب الثامن

الشمول والتكامل لا التجريد والتجزيء

النظام الإسلامي مبنى على رؤية عميقة وواسعة للأشياء بحيث تتصل الأمور بعضها ببعض ولا ينظر إلى بعد دون بعد، ولا إلى زاوية دون أخرى، ولا إلى الشيء الآن دون مآلاته، فيتم الربط بين الكل والجزء والقريب والبعيد والأصل والفرع في منظومة متكاملة، لا يغيب شيء فيها مهما كان صغيراً، وبدا لغير المتعمق أنه غير ذي علاقة أو غير ذي أهمية .

النظام الإسلامي يهدف إلى بناء متكامل منسق جميل، وذلك بالجمع بين الأشياء المتناسقة المتناغمة، وإذا كان في الشيء بروز أو نشوز يجعله غير ملائم للنسق العام، ويخل بالترابط والنظام وجماله، فإنه يعمد إلى تهذيبه وقص أطرافه وتخليصه من شوائبه، لأن الهدف هو أن نصل في النهاية إلى بناء محكم جميل متوازي الأبعاد، ولو على حساب ترك الحسن للأحسن، والمصلحة الدنيا للمصلحة العليا.

في هذا النظام قد يفقد الإنسان مكسباً ولكنه سرعان ما يجد مثله أو أفضل منه في تشريع آخر ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىَ

---

١) النساء، الآية ٩٢.

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] فالأنثى في بعض الحالات ترث النصف في مقابل الذكر، ولكنها تجد بعد ذلك أنها مكفولة طول عمرها ينفق عليها، وبدل أن تعطى مهراً فإنها تأخذ مهراً، وبدل أن تشقى في رزق أولادها فإن زوجها يتكفل بذلك ...الخ.

والنظام الأخلاقي مثلاً نابع من نظام عبادي وروحي، وهذا نابع من منظومة عقائدية ، وهناك نظام تشريعي للحماية ... وهكذا فالإسلام كلٌّ متكامل شامل، وفصل أجزائه عن بعض يؤدى إلى تشويهه والإساءة لجوهره.

في الإسلام هناك رؤية شاملة متكاملة وجذرية لعلاج الجرائم والآفات الأخلاقية فالإسلام مثلاً لا يبيح تبرج المرأة وتفننها في استعراض زينتها وخلوتها بالرجل...ثم يحرم الزنا، بل يمنع كل الطرق المؤدية إليه من تبرج المرأة وخلوتها بالرجل، والاختلاط الفاحش بين الجنسين في اللهو والعبث (في غير أمور جادة)، والنظرة المصاحبة للذة والشهوة ، والكلام الغزلي، والحديث المائع، وخضوع المرأة بالقول، وتعطرها في الملأ العام، ويمنع الصور الفاحشة، والغناء الماجن، والرقص المختلط، والأفلام المثيرة، والروايات والقصص والأدب الجنسي الخليع...الخ ، حتى لا يكون هناك سبيل للزنا ، ثم إن الزنا محرم لذاته ، ولأنه يؤدى للقتل أيضاً فلا سبيل لمنع القتل مع وجود الزنا ، هذا ما تصرح به آيات القرآن حين تقرن الزنا بالقتل في أغلب الآيات ، بل ورد ذكر الفواحش (الزنا) بين نهيين عن القتل في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2].

---

١) البقرة، الآية ١٠٦.

٢) الأنعام، الآية ١٥١.

وتـــلازم جـــرائم الإجهاض مع العلاقات الجنسية غير الشرعية أمر واضح جداً وكذلـــك جـــرائم القـــتل المصاحبة للزنا عادة بدافع الغيرة والشرف أو المنافسة على المعشـــوقة أو غـــير ذلك... وقد تقدم الربط القرآني بين عدم الإيمان وتفككه الأسري وظهور الجرائم والفساد[1].

إن الـــنظرة التجزيئـــية للأمور تؤدى إلى عدم وضوح في الرؤية وبالتالي الخروج بنظام مشوه ومبتور، إن الأمور في الحياة متداخلة أصلاً وتأتى متسلسلة تؤدى بعضها إلى بعض، والعلاج أيضاً لابد أن يكون شمولياً، ومن الغريب أن الغربيين قد فقهوا هذا المعنى في غـــير الأمـــور المرتـــبطة بـــالأخلاق والأسرة والجنس فيعالجون السياسة بالاقتصاد والاقتصـــاد بالسياسة والاثنان بالاجتماع...لكنهم يضعون اتفاقية دولية للمرأة متناقضة مع حقوق الطفل الذي يضعون له اتفاقية دولية أخرى تخل بحقوق المرأة الأم، والاتفاقيتان متناقضتان مع حقوق الوالدين والتي لم توضع في اتفاقية إلى الآن.

اتفاقـــية المـــرأة(cedaw) تعطى لها الحق أن تقتل الطفل (الجنين) وتتهرب من الأمومـــة والرضـــاعة والحنان المطلوب للطفل بل إيجاد طفل من غير أب وحرمانه من معـــرفة أبيه طول عمره..اتفاقية الطفل تعطى الحق له أن يسخر من الأبوين ولا يلتفت لحقوقهمـــا في التوجـــية والرعاية والتربية، بل ولا حديث فيها عن حق للوالدين أصلاً والخلـــل واضح وهو تجريد وفصل هذه الحقوق بعضه عن بعض وإدراك مفهوم الحق من منطق ليبرالي غارق في الفردية الأنانية و التجزيئية وبعيداً عن مفهوم الواجب[2].

---

١) عند الحديث عن الأسرة والأسرة الممتدة وذوي الأرحام.

٢) يلاحـــظ في الكـــلام الذي سبق في الهامش عن فنون (البورنوغرافي) وكيف أن المحاكم الأمريكية اعتبرت التشهير بجسد الأنثى حقًا دستوريًا للرجال لأنه من حقوق التعبير.

إن الرسـول ﷺ عـندما نهى الصحابة عن الجلوس في الطرقات قالوا: وما لنا بد وعـلاج وبديل ، أقرهم على حقهم ، ولكن في مقابل أن ينفذوا عدة واجبات ، حيث ذكـر لهـم مـن واجـبات الجلوس في الطرقات: (غض البصر)، (رد السلام)، (كف الأذى)[1]... وهكذا فكل حق تقابله عدة واجبات أحياناً وليس واجباً واحداً فقط.

وكذلـك الأمـر بخصوص الأهداف والوسائل، فإن النظرة التجزيئية التي تفرق بيـنهما إلى اسـتباحة وسـائل وضيعة لأهداف نبيلة، أو وسائل غير مشروعة للتوصل لأهـداف مشـروعة، وقد وقعت الأنثوية في هذا فهي ترمي أساساً لحقوق المرأة ورقيها وعـدم التميـيز ضدها ...ولكن بوسائل غير مشروعة أحياناً مثل هدم الأسرة ورفض الزواج واستباحة الشذوذ والإجهاض ...الخ.

وخـتاماً نقـول إن الخطل الأكبر والأخطر الذي وقعت العلمانية فيه — أنثويون وغيرهـم — هو فصلهم الحياة عن الدين والأبعاد الإيمانية والروحية، وكان هذا مصدراً وسبباً لكل غي وقعوا فيه بعد ذلك، حيث تصوروا أنه يمكن للبشر أن يعيش سعيدا وهو بعـيد عن الوحي الإلهي، وتصوروا أن الإنسان الذي خلق هلوعا، ضعيفاً، عاجزا، وفي داخلـه نفـس أمارة بالسوء، يمكن أن يضبط نفسه ولا يطغى بقيده بقوانين وفلسفات وضـعية مـن غـير دين، ويمكن للأسرة من غير ضوابط دينية وأخلاقية أن تستمر في وجودها ووظائفها ، ويمكن للبشر أن يحسنوا التصرف في حرياتهم وفرصهم حتى من غير وازع من الدين!! ولكن كله خيال ومثال وهم لم يتحقق، ولن يتحقق، والواقع الآن خير دليل على ذلك.

---

١) (النهي عن الجلوس في الطرقات) متفق عليه أخرجه البخاري ج٢/برقم ٢٣٣٣ ، ومسلم في باب (النهي عن الجلوس في الطرقات) ج٣/برقم ٢١٢١

المطلب التاسع

الغرائز تضبط ، لا تكبت ولا تعبد

إن نظرة الإسلام إلى الغرائز نظرة واقعية ، فالغرائز جزء من الإنسان، ولها وظائف عظيمة، ولولاها ما بقيت الحياة واستمرت، وخصوصا غريزة الجنس وشهوة الجماع، على خلاف نظرة الكثير من الأديان والفلسفات الأخرى التي إما اتجهت نحو الكبت وقهر الغريزة ، وإنكار الدوافع الداخلية وبالتالي اعتبار العمل الجنسي شيئا مشينا ونجسا لابد أن يترفع الإنسان عنه ما استطاع، وأن يقتصر فيه على القدر اللازم لإنجاب الأولاد، وهذا إن تزوج ، والأفضل عدم الزواج والرهبنة، وهذه تقريبا هي خلاصة النظرة المسيحية الكاثوليكية بعد التحريفات التي حصلت فيها، وبعض الأديان والمذاهب الأخرى.

وعلى عكس هذه النظرة ذهبت الأنثوية والحضارة الغربية إلى ما يشبه تأليه الجنس والغرائز وعبادتها وجعلها فوق كل اعتبار.

أما الإسلام فإنه يعتبر العمل الجنسي الشرعي الذي يبتغي الإحصان والمتعة الحلال، وإنجاب النسل عبادة وعملاً صالحاً، حيث يقول الرسول ﷺ: "وفي بضع أحدكم صدقة قالوا يا رسول الله ﷺ أو يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال أرأيتم إن وضعها في حرام هل كان عليه وزر فكذلك إذا وضعها في حلال"[1] والإسلام لا يعرف الفصل بين الدنيوي والأخروي، أو الدين والدنيا، والمسلم يطلب جنتين ما أمكنه ويدعو الله قائلاً : ﴿ وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

---

١) حديث صحيح، أخرجه الإمام مسلم عن أبي ذر ج٢/برقم ١٠٠٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج٩ /برقم ٤١٦٧.

النَّارِ﴾[1] لأنه يعلم أنه ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[2] جنة في الدنيا وجنة في الآخرة، والرسول ﷺ يقول: "حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة...."[3] ويلاحظ أنه ذكر ما يلائم الدنيا وينتفع به فيها، وما يلائم الآخرة (الصلاة) وما ينتفع به فيها ، تنفيذاً لوصية الله – عز وجل– ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[4] وهكذا فليس هناك تناقض بين ابتغاء الآخرة وابتغاء نصيب من الدنيا، فالدنيا مزرعة الآخرة ومطية لها، وليس من الإسلام التقرب إلى الله بتعذيب الجسد وترك الشهوات المباحة، بل إن الرسول ﷺ حذر من هذا المسلك البدعي في عبادة الله القائم على تصور تناقض بين مطالب الجسد ومطالب الروح، أو تناقض بين مطالب الدنيا والآخرة، ورد في الصحيحين أنه: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها أي اعتبروها قليلة – فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكن أصوم وأفطر، وأصلي

---

١) البقرة، الآية ٢٠١.

٢) الرحمن، الآية ٤٦.

٣) أخرج الحديث (محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي – ت ٦٤٣هـ) في كتابه (الأحاديث المختارة)، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة، ١٤١٠هـ، وأخرج الحديث النسائي وقال إسناده صحيح، ورواه الإمام أحمد ج١/برقم ١٠٧٩، ورواه الطبراني في (المعجم الأوسط) ج٥/برقم٥٢٠٣، ورواه الحاكم في المستدرك ج٢/برقم ٢٦٧٦، والحديث عن أنس بلفظ (حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة).

٤) القصص، الآية ٧٧.

وأرقـــد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1]. وربنا يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيـــنَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَـــةً يَـــوْمَ الْقِـــيَامَةِ كَذَلِـــكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2] أي الشهوات المباحة والطيبات من الطعام وغيره للمؤمنين ويشاركهم في الدنيا غير المؤمنين ولكنها خالصة لهم يـــوم القـــيامة لا يشاركهم غيرهم، واستنادًا لهذه الآية رفض العلماء الربط بين الزهد والعـــبادة وبين رفض الاستمتاع بالحلال من الطيبات، واعتبروا ذلك من الجهل بالدين وسوء فهم أحكامه والتأثر بالمذاهب المسيحية الغنوصية والتقشف البوذي وغير ذلك.

وللإمـــام الحـــافظ (عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي) صولات في هذا الميدان وخصوصًا في كتابه (صيد الخاطر). وبيّن العلماء أن الزهد في المال مثلاً هو أن تجعله في جيبك لا في قلبك وتنفق منه في وجوه البر المختلفة دون حرص واكتناز وشح.

ومـــن الأحاديث الصحيحة التي وردت في النهي عن الإخلال بالحقوق والمقادير، وعدم ترك المباحات حتى ولو بقصد الاستزادة من العبادة، الحديث الذي رواه البخاري (رحمـــه الله) عن وهب بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: "آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الـــدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة (أي لابسة ثياب المهنة تاركـــة ثياب الزينة) فقال: ما شأنك؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا (أي في النســـاء وجاء في رواية الدارقطني: في نساء الدنيا وزاد ابن خزيمة يصوم النهار ويقـــوم الليل). فجاء أبا الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كل، فإني صائم. فقال له: ما أنا بآكل حتى تأكل. فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. فقال له سلمان: نم. فنام. ثم ذهب يقوم. فقال له: نم فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصليا جميعًا.

---

١) أخـــرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح ج٥/ برقم ٤٧٧٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج٢ /برقم ٣١٧ باب (ذكر التغليط).

٢) الأعراف، الآية ٣٢.

فقــال له سلمان: "إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال ﷺ : صدق سلمان"[1].

أصــل وجــود الغريــزة ليس محلاً للسؤال والحلال والحرام وحق غرائز الشر والغضــب والعدوان لا يحاسب الإنسان على وجودها فيه أصلاً إلا إذا استعملها في غير محــلها، لأن أصل وجودها من خلق الله ولا اختيار للإنسان فيه، ولكن الإسلام لا يترك الغرائــز مــن غــير ضبط وتوجيه لأن الغرائز لو تركت من غير ترويض وضبط هلك صاحبها وأهلك الناس.

بالنســبة للغريزة الجنسية فالزواج هو طريق تصريفها وتوجيهها ولا طريق غيره، وفي ربــط الجنس بالزواج ربط له بقضايا المجتمع والإنسان، بناء الأسرة، تكثير الناس، تحمل نفقات اقتصادية والتخفيف عن أعباء أسرة أخرى، بناء علاقات حب وتواصل بين الأسر المتزاوجة المتصاهرة، تحمل بعض أعباء أسرة الزوجة والتكافل معهم، والمساهمة في عمران المجتمع برفده بالإنسان الصالح المؤمن الواعي بواجباته من خلال تربية الأولاد ... إلخ.

إن الإسلام يمنع الجنس من التبذل والامتهان، ويرى ضرورة أن لا يكون الحصول علــيه ســهلاً متاحًا لأي شخص، مع أي شخص، في أي وقت، لأن ذلك يفقد الغريزة الجنسية وظائفها في تنمية البشر، ويحثهم على الترفع وعلو الهمة والرقي الذوقي.

يــتحدث يوســف حوراني عن توظيف الجنس في دفع روح الإبداع في الإنسان وآثــار الحــرية الجنسية المبتذلة في الغرب فيقول: "كانت تتم إبداعات الفن والأعمال

---

١) رواه البخاري ج٢/برقم ١٨٦٧ ، ورواه الدارقطني في سننه ج٢/برقم ٢٠ في باب (تبييت النية).

العظـــيمة في حركية المجتمع لإرضائها (أي المرأة)، فماذا يمكن أن يحدث حين يصبح هذا الرضا سهلاً لا يتكبد أبناء الجنس الآخر مشاقا في سبيله؟

يـــبدو أن الحـــرية الكـــبرى التي نالتها المرأة الغربية أفقدها فعاليتها الميتافيزيقية، وجعلـــتها تعـــود إلى مركز كذلك الذي وجد في عصر الجواري، حين تبذلت، مع هذه الحرية الرغبة الجنسية التي كانت تذكي نشاط الجنس الآخر بتمنعها لا بسهولة الوصول إليها ... هذا الأمر يسهم كثيرًا في نشر القلق النفسي، وبث الفراغ في النفوس الحساسة عـــندما يصـــل الجـــنس بحريته إلى درجة لا يمكن معها أن يستوعب فيه الحنين الإنساني المتيافـــيزيقي. وهـــذا ليس من شأنه دمار العائلة التي يقوم عليها تركز المجتمع كما يرى الأخلاقـــيون المحـــافظون، بـــل من شأنه أن يقتطع طاقة كبرى من قوة الدفع الإبداعي الإنســـاني، وهـــو ما يجب أن ينتبه له الانثروبيولوجيون المعاصرون في البلاد المتقدمة في الحـــرية كما يجب أن ينتبه له أولئك الذين يدعون لحرية دون حدود، إذ مثل هذه الحالة من الحرية، دون التمييز الشخصي بين الحرية المعنوية والحرية البيولوجية، هي ما يسهم في إنذار المجتمع الغربي بالتدهور بعد انحلال دوافع الإبداع فيه، وانعدام القيم التي تستطيع تحمل الرغبات المتيافيزيقية في أبعادها"[1].

ثم لا ننســـى إن عدم ضبط الغريزة وتوفر الحرية الإباحية يؤدي إلى امتهان كرامة المـــرأة وغلبة النظرة الشهوانية الجسدية على رؤية الرجل لها، فتقاس قدر المرأة بمقاييس الخصـــر والثدي والأرداف والشعر والعيون والطول والقصر، أي بمقدار ما تلبي غريزة الرجل وتشبع نزواته كما هو حاصل في مسابقات ملكات الجمال الآن، وعروض الأزياء ... فالمرأة هي الخاسرة قبل كل الناس، ولقد اتفقت الأنثوية مع الباحثين والمؤرخين على أن كثرة الجواري في المجتمعات القديمة والحضارات المختلفة أدت إلى تبذل الجنس وبالتالي

---

١) يوســـف حـــوراني (الإنسان والحضارة – مدخل دراسة) مرجع سابق، ص ١٤٢، ويوسف هذا علماني ومسيحي واستشهدنا بكلامه من باب –وشهد شاهد من أهلها–.

هـــبوط قدر المرأة في المجتمع وتدني مكانتها. ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن قيود الإسلام على الجنس ومتعلقاته ذات علاقة بمكانة المرأة بشكل جوهري.

ولضبط الغرائز علاقة أساسية بعنصر الواقعية في التشريعات الإسلامية، فكما أن الاعـــتراف بالغريزة واقعية، فإن عدم تركها لتحديدات وهوى البشر واقعية أيضًا لأن الإســـلام دين واقعي يعتبر بأن الإنسان بالرغم من كونه سيد المخلوقات وسخر له ما في الســـماوات والأرض وسجدت له الملائكة ... ولكنه ضعيف ﴿... وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[1] ويلاحـــظ أن الضعف المنسوب للإنسان ورد بعد ذكر الشهوات (ولا مجال في الإسلام للكبـــت: والكبت عملية تتسلط فيها مجموعة من الأفكار والتصورات المعادية للميول والرغـــبات بطريقة لا شعورية، تسبب اضطراب الشخصية وتفكيكها، وهو يختلف عن الضبط الذي هو عملية شعورية تقوم على التحكم في الرغبات)[2]. فالإسلام مع الضبط والترشيد والتهذيب لا الكبت والاستئصال.

المطلب العاشر

العدل لا المساواة

ولأهمـــية هـــذه القاعدة في المنهجية الإسلامية بخصوص قضية المرأة سوف يفرد الباحـــث لهـــا مبحثًا خاصًا، لأن جوهر الطرح الأنثوي كامن في قضية المساواة، ولهن شـــبهات على الفكر الإسلامي في مبدأ مساواة الجنسين لأنهن يردنها مساواة مطلقة على

---

١) النساء، الآية ٢٧-٢٨.

٢) الشيخ راشد الغنوشي (المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي) ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٩٣، ص ٧١.

افتراض تماثل الجنسين وعدم وجود فروق بينهما، والإسلام يريدها مساواة عادلة قائمة على توزيع الأدوار وتكامل الجنسين دون تفضيل مطلق ولا تمييز ضد أحد الجنسين.

وتعلو في الإسلام قيمة العدل على قيمة المساواة كلما حصل تعارض بينهما، أما عند عدم التعارض فالمساواة جزء أساسي من العدل.

المبحث الثالث

العدل لا المساواة المطلقة

المطلب الأول

العدل، المساواة، الإحسان

يقـــول الإمـــام راغب الأصفهاني في تحليل كلمة (عَدَلَ): العدالة والمعادلة لفظ يقتضـــي معـــنى المساواة... فالعدل هو التقسيط على سواء، وعلى هذا روي : بالعدل قامت السماوات والأرض تنبيهًا على أنه لو كان ركن من الأركان الأربعة في العالم زائدًا على الآخر، أو ناقصًا عنه على مقتضي الحكمة لم يكن العالم منتظمًا...الخ. [1]

ويقـــول عن المساواة في تحليل كلمة (سوَى) [2]: المساواة المعادلة المعتبرة بالذرع والـــوزن والكـــيل، يقـــال هذا ثوب مساو لذلك الثوب، وهذا الدرهم مساو لذلك الدرهم.. وقد يعتبر بالكيفية نحو هذا السواد مساو لذلك السواد....

مـــن هذا الكلام يتبين أن العدل يقتضي المساواة، وأن المساواة جزء أساسي من العدالة، وقد أيد الشرع الحكيم هذا المنطق وجعل المساواة أصلاً للغالبية المطلقة لأحكام الدين المتعلقة بالجنسين[3]، ولم يعتبر الفروقات البيولوجية الوظيفية الموجودة بين الجنسين مـــنعًا مـــن التسوية بينهما، طالما أن هذه الفروقات ليست ذات أثر جوهري في المسألة، وأنها لا تمنع تحقيق العدل الذي هو مفهوم زائد وأوسع من مفهوم المساواة، ولقد أسس

---

[1]) أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى (٥٠٢) هـــ (المفردات في غريب القرآن) ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

[2]) المرجع نفسه.

[3]) أو بتعـــبير آخر لكل أحكام الدين إلا أمور معدودة ومحددة قصد منها تحقيق العدل الذي هو مفهوم أوسع وأشمل وأرفع في المساواة كما تبين.

الإسلام المساواة على قواعد متينة وأكد على المساواة في الخلق والقيمة الإنسانية، ونفي فرية مسؤولية (حواء) عن الإغراء، وأكد على المساواة في التكليف وحمل الأمانة، وأكد المساواة في الأهمية والدور، والحقوق والواجبات وإثراء الحياة العامة والمشاركة فيها كما نبين في ما يلي:

١-لقـــد بين القرآن أن الجنسين خلقا من مادة واحدة ونفس واحدة، وأن حواء عـــلى أصح التفسيرات- خلقت من المادة نفسها التي خلق آدم منها ولم تخلق من ضلع آدم أو أي جـــزء منه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِـــنْهَا زَوْجَهَـــا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء﴾[1](نقل الرازي عن أبي مسلم أن معنى "خلق منها زوجها" خلقه من جنسها فكان مثلها) فأصل البشر زوجان مخلوقان من جنس واحد ومادة واحدة، والآية تقول خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل جنسها إنســـانًا يساويه في الإنسانية، ويرجح الإمام الرازي هذا التأويل من بين تأويلات أخرى بأدلة عقلية ولغوية وبمقارنة الآية مع آيات أخرى). [2]

ويقـــول الدكـــتور(وهبة الزحيلي) في تفسيره[3]: (أصل الخلق من نفس واحدة، وذهب الجمهور إلى أنه (آدم) وقد خلقت حواء من ضلع آدم الأيسر وهو نائم فاستيقظ فـــرآها فأعجبته ، بدليل حديث الشيخين: (استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضلع)[4] وذهب أبو مسلم الأصفهاني وبعض العلماء إلى أن المراد خلق من جنس زوجها فهمـــا من جنس واحد، وأي فائدة من خلقها من الضلع لأنه سبحانه قادر على خلقها

---

[1]) النساء، الآية ١.

[2]) الشيخ راشد الغنوشي (المرأة المسلمة في تونس) مرجع سابق، ص٧ وما بعدها.

[3]) في تفسيره (تفسير المنير) عند تفسير الآية المذكورة في سورة النساء.

[4]) رواه البخاري ج٣ برقم٣١٥٣، ومسلم ج٣ برقم ١٤٦٨.

كآدم واستدل بقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [١] أي من جنسكم بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [٢].

ومـــن الغريـــب أن يفسر الحديث[٣] بهذا الشكل ، لأن الحديث في مقام الوعظ والأمـــر بالإحســـان للمرأة وعدم معالجة أمورها بالشدة والعنف، ولذلك فلا يعقل أن يغـــرس الرســـول (صلي الله عليه وسلم) في الرجال الذين يوصيهم فكرة توحي بدونية المـــرأة وأنها معوجة ولا سبيل إلى إصلاحها -كما يفهم غير المتعمق من ظاهر الحديث، ولكـــن معـــني الحديـــث هو تشبيه المرأة في خصوصيتها الأنثوية ، وطبيعتها العاطفية و النفســـية بالضلع، ومعني ذلك أن المرأة لابد أن تبقي أنثي ولابد للرجل أن يتعامل معها علي هذا النحو ويحترم خصوصياتها الأنثوية، والمرأة لا تستطيع القيام بدورها إذا خرجت مـــن هذه الطبيعة ، كما أن الضلع لا تؤدي وظيفتها إلا إذا كانت مستديرة علي نحو ما هي عليه، وإن الضلع لو كان مستقيمًا لكان صدر الإنسان مدببًا ...وكم يكون الشكل قبيحًا في ذلك الوقت؟!.

فمعـــني الحديـــث إذًا هو أن المرأة خلقت على شكل يشبه شكل الضلع ، وبقاء المـــرأة على طبيعة الأنثى وما فيها من خصائص مطلوبة، وجمالها وكمالها كامنان في تلك الخصـــائص ولا تســـتطيع أداء وظيفتها إذا تخلت عن هذه الطبيعة وترجلت[٤]، كما أن

---

[١]) الروم، الآية ٢١.

[٢]) الجمعة ، الآية ٢.

[٣]) المراد حديث" استوصوا بالنساء خيرا....." الوارد ذكره.

[٤]) الكثير من الحركات الأنثوية تريد للمرأة أن تكون رجلا، وهذا من أثر عقدة النقص التي زرعت فيهن، وفي هـــذا الرأي تحقير للمرأة والأنوثة، وتمجيد للفحولة والذكورة، وكأن الرجل هو الإنسان الكامل ومن أراد أن يكون إنسانًا فعليه أن يكون رجلاً، والإسلام ينهي أن تترجل الأنثى أو يتأنث الرجل، لأن ذلك تزوير وتقمص للشخصـــية واحـــتقار لأحـــد الجنسين، وتفضيل جنس علي جنس، ولأن الرجل لا يمكنه أن يتأنث ولا المرأة تســـتطيع أن تترجل، رغم أنف الأفلام الغربية التي تريد للمرأة أن تدخل عالم القتل والجريمة وترأس عصابات المخدرات ، حتى تتساوي مع الرجل.

الضلع لا يؤدي الغرض إذا كان مستقيمًا لا استدارة فيه، هذا هو القصد، والحديث مثله مــثل قوله تعالي: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[1]فهو مجاز لأن العجل ليس من مادة خلق الإنسان ومكوناته، والمجاز أمر معروف في اللغة العربية[2] وإلا فالرسول – صلي الله عليه وسلم – ليس في مقام درس بيولوجي وتشريحي، بل في مقام الوصية بالمرأة.

وإلى هــذا ذهــب المعاصرون (رشيد رضا) و(محمد عبده) و(الطاهر بن عاشور) و(ســيد قطــب) ويعلــل سيد قطب (رحمه الله) هذا التفسير بقوله: "فالنص الذي معنا وأمــثاله في القــرآن الكــريم لا يتحدث عن هذا الغيب بشيء (أي كيفية ومادة خلق حــواء)، وكل الروايات التي جاءت عن خلقها من ضلعه مشوبة بالإسرائيليات لا نملك أن نعــتمد عليها..."[3] ولعل التشابه اللفظي بين نصوص كتب التوراة ونص الحديث أدي بأغلــب المفسرين إلى اعتماده وكان لأحبار اليهود الذين أسلموا دور معروف في نشر وتثبيت هذه التأويلات.

٢–نفــي القــرآن أن تكون المرأة (حواء) هي التي أغوت آدم لارتكاب الخطيئة ناقضًــا بذلك ما ورد في كتب اليهود والنصارى المحرفة، وبهذا ساوي بينهما في الخيرية والأهلية وعدم كون أحدهما مصدرًا للشر والرذيلة، تساويًا في أن يكونا أهلاً للخطاب الإلهي ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[4] وتساويًا في التأثر بالشيطان ﴿

---

[1]) الأنبياء، الآية ٣٧.

[2]) المجــاز: إطــلاق لفظ على معنى آخر لوجود علاقة بينهما، وهو نوعان: مجاز مرسل إذا كانت العلاقة بين الاســم والمســمى مثل تسمية الشيء باسم مكانه أو باعتبار ما كان أو باعتبار ما يكون ...الخ، وإن كانت العلاقة تشبيهًا كتسمية المرأة بالقمر وإطلاق الأسد على الشجاع....الخ.

[3]) الشيخ راشد الغنوشي (المرأة المسلمة في تونس) مرجع سابق، ص ١٥.

[4]) الأعراف، الآية ١٩، وضمير المثنى في الآيات واضحة ومرادة، وإلا فإن النص كان يمكن أن يكون بصيغة المفرد كما هو الحال في الكثير من النصوص.

فَدَلاَّهُمَـا بِغُـرُورٍ﴾[1] وتساويًا في ارتكاب الفعل ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾[2] وتساويًا في نتيجة الفعل﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[3] وتساويًا في مـناداة الله والزجر ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[4] وتساويا في الاعتذار والتوبة ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[5]، بل إن الآيات القرآنية تشير إلى مسئولية أعظم لآدم ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[6] ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[7]

٣–ساوى القرآن بين الجنسين في مقدار الأجر والثواب الذي يحصل عليه المؤمن عند امتثاله لأحكام الدين وتطبيقه لها ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[8] ، ﴿مَـنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[9]

---

[1]) الأعراف، الآية ٢٢.
[2]) الأعراف، الآية٢٣.
[3]) الأعراف، الآية ٢٢.
[4]) الأعراف ، الآية ٢٢.
[5]) الأعراف، الآية ٢٢.
[6]) طه، الآية ١٢١.
[7]) البقرة، الآية ٣٧.
[8]) الأحزاب، الآية ٣٥.
[9]) النحل، الآية ٩٧.

٤–التســــاوي في الأهمية بالنسبة للجنس الآخر وكمال الحياة الزوجية السعيدة ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [١]،﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [٢].

٥–التساوي في الحقوق والواجبات: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [٣]

٦–المســــاواة في حمل أمانة الدعوة والإصلاح والمشاركة في الحياة العامة وواجب الأمــــر بالمعــــروف والنهي عن المنكر والإصلاح السياسي والاجتماعي، لأن الإصلاح والعمــــل العـــام يحـــتاج إلى استنفار كل الطاقات حيث إن الشر قد استنفر كل طاقاته وجنوده ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُــــونَ أَيْدِيَهُــــمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [٤] فيقول المولى في مقابل ذلك وبعد آيتين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُــــرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُــــولَهُ أُوْلَــــئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٥].

٧– المساواة في الكسب والتملك: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [٦]، والآية واردة في

---

[١]) البقرة، الآية ١٨٧.

[٢]) النور، الآية ٢٦.

[٣]) البقرة، الآية ٢٢٨.

[٤]) التوبة، الآية ٦٧–٦٨.

[٥]) التوبة، الآية ٧١–٧٢.

[٦] النساء، الآية ٣٢.

سـياق الحديـث عن التجارة وأكل الأموال ، وبعد قوله تعالي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[1].

وهكذا لا تجد مقاما تكون فيه المساواة عدلا وخيرا إلا وأقرها الإسلام بين المرأة والـرجل، وحرم التمييز ضدها، ذلك التمييز الذي يؤدي إلى ترسيخ أن أحد الجنسين أعلى من الآخر أو أدنى، فالناس سواسية كأسنان المشط كما قال الرسول صلي الله عليه وسـلم[2]، (والنسـاء شقائق الرجال)[3] وكان هذا نداءاً غريبا وخطابا جديدا تسمعه البشـرية بعد عشرات القرون المتطاولة من الظلم والتمييز ضد النساء واعتبارهن دون الرجال..

هذه الأحكام التي يتساوى فيها الجنسان هي الأصل، ولكن هناك مساحة أخري للعدل حين يفترق مفهوم العدل عن مفهوم المساواة، وهنا يبرز سؤال هل هناك حالات لا تكـون المسـاواة عدلا؟ والجواب نعم هنالك حالات عديدة ليست المساواة عدلا، وبالـتالي لابد من وجود نوع من الفرق في الأحكام، ذلك الفرق لا يستهدف الانتقاص مـن قدر أحد الجنسين، ولا ترسيخ كون أحد الجنسين أعلى أو أدنى من الآخر، ولكن يسـتهدف تحقيق العدل من خلال التفاوت المبني على اعتبارات حقيقية أو مصالح عليا معتـبرة، ومعلـوم أن لكـل حكم وتشريع حيثيات واعتبارات أخرى بغض النظر عن الذكـورة والأنوثة، فلا ينبغي أن يفسر كل حكم وقضية فيها مذكر ومؤنث على هذا الأساس.

---

[1]) النساء، الآية ٢٩.

[2]) رواه عن أنس بن مالك صاحب(مسند الشهاب) محمد بن سلامة القضاعي بلفظ الناس كأسنان المشط.

[3]) أخرجه الترمذي في السنن ج١/ص ١٩٠ عن عائشة (رض)، والمباركفوري في (تحفة الأحوذي) ج١/ص ٣١٢وقـال: رجالـه رجال الصحيح إلا عبد الله بن عمر العمري فقد اختلف فيه، رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبه والحديث بهذا السند معلول بعلتين: الأولي: العمر المذكور، والثانية: التفرد وعدم المتابعة فقصر عن درجة الحسن والصحيح. ولكن هذا الكلام كله من سنده دون معناه فمعناه صحيح في غير خلاف.

في الإسلام مبادئ ومراتب ثلاث هي: (المساواة) ــ (العدل) ــ (الإحسان) وفي هذه المراتب يتوقف العمل بالسابق بعد مجيء اللاحق وتوفر دواعيه، ويصبح بعدئذ العمل بالمرتــبة السابقة إما مرجوحًا وضعيفًا، أو حرامًا غير جائز، فالمساواة مطلب عادل وهي أساس الأحكام كما سلف، ولكن أحيانًا تتعارض مع العدل، والعدل أحيانًا يتعارض مع الإحسان، فمثلا لو كان عندك عاملين أحدهما كبير السن أو ضعيف البنية والآخر قوي ويعمــلان عملاً واحدًا شاقًا، فإن هذا مساواة، لأنهما عاملان يعملان بأجرة واحدة في زمــن واحــد، ولكن هذه المساواة مخالفة للعدالة التي تفرض أن يكون هناك تمييز إيجابي لكــبير الســن أو ضعيف البنية فيخفف عليه العمل. وكذلك الموظف الذي عنده عيال وزوجة مع الموظف الذي لا يعيل إلا نفسه فلو عملا عملاً واحدًا متساويًا وأعطيا أجرًا واحدًا لكان مساواة ولكنه ليس عدلاً.

وأمــا مــثال العــدل المخالف للإحسان كالأخوين الشقيقين الذي يرثان أباهما بالتساوي ولكن أحدهما مليونير والآخر مدين، فالتساوي هنا عدل ولكنه ليس إحسانًا، لأن الإحســان أن تؤثر غيرك في هذه الحالة على نفسك وقد سمي الله المساواة والعدل (سيئة) في قوله تعالي: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[1] و(اعتداء) كما ورد في قوله تعالي: ﴿فَمَــنِ اعْــتَدَى عَلَــيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾[2] في هذه التسمية دلالة على كون المماثلة والمساواة التي هي عدل مرجوحة و﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[3] ويقول الراغب الأصفهاني: "فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه" ولا شك أن الإحسان مرتبة فوق العدل.

---

[1]) الشورى، الآية ٤٠.

[2]) البقرة، الآية ١٩٤.

[3]) النحل، الآية ٩٠.

إذاً الأفكار التي تريد طرح قضية المرأة في إطار المساواة فقط، هي في نظر الإسلام أفكار مبتورة هزيلة لا تستطيع أن تقيم العدل والرفاهية في المجتمع، ولا تؤدي إلى إسعاد المـــرأة، ولابد أن يكون هناك نوع من التمييز . والفكر الأنثوي نفسه اعترف بما يسمي بالتمييز الإيجابي أو (positive discrimination) ، وفي اتفاقية (سيداو) إشارة إلى إن التميـــيز المراد منه حصول المرأة على فرص أفضل أو تمكينها من بعض الحقوق لا يعد تمييزًا منكرًا.

المســـاواة المطلقة نتيجة تبنى على فرضية المماثلة التامة بين الجنسين، وهي فرضية واضحة البطلان لأن هناك فروقات واختلافات بين الجنسين سواء في البنية أو الوظيفة. ولو كان الجنسان متشابهين ومتماثلين تمامًا لانعدمت الحياة، مثل أصابع اليدين لو كانت مـــتماثلة ومتساوية لما قدمت الوظيفة المرجوة منها، وحمل بعض المفسرين الآية الكريمة : ﴿بَلَـــى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ على هذا المعني، وكذلك الأضلاع لو كانت كلها بأحجـــام متســـاوية لما حققت المرجو منها، ومع مثل هذه المساواة المتصورة —والتي هي خيالية لا يمكن أن تحدث في الواقع— تصبح الحياة مشلولة مختلة.

المســـاواة مفهوم رياضي حسابي وهندسي أكثر منه مفهوم اجتماعي وبشري لأن المســـاواة في تلـــك الأشـــياء ممكنة وبالقياس الدقيق، أما في العالم البشري حيث التنوع والتداخل والتفاوت في القدرات والوظائف فإن المفهوم اللائق هو العدل، وإذا لم تتحقق السعادة والنماء والتوازن بالعدل أيضًا فإن مفهوم الإحسان يكمل المشوار.

إن فكـــرة المســـاواة المطلقة نابعة من مجتمع يعيش في حالة قلق حقيقي على عدم وجـــود معـــايير سامية للعدل، أو قوانين لا يتلاعب بها، أو تكافل حقيقي وتراحم بين أفـــراده، مجـــتمع فردي غير مترابط، ولا يعطي أهمية لغير المعايير المادية... ولذلك فإن الفكرة لها في الغرب ما يبررها حيث إنها لافته وشعار وعنوان للمطالبة بأوضاع أفضل في أغلب الأحيان، أو أنها ترفع في وجه من يعتبرون المرأة كائنًا أدنى وأقل من الرجل.

لتوضيح هذا المفهوم أكثر، وتعليل بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالمساواة والعدل، والرد على بعض الشبهات التي تثار في وجه المشروع الإسلامي لتنمية المرأة وتحريرها[1] فإنه أصبح لزامًا أن نعرج على بعض القضايا المختلفة التي تثار وهي:

المطلب الثاني

شبهات وردود

أولاً: القوامة

المراد من القوامة هو إدارة شئون البيت، وليست القوامة مفهوماً شاملاً لكل نواحي الحياة، ولا تعني القوامة التدخل في الحياة الخاصة للمرأة ورغباتها وحريتها المشروعة، أو إلزام المرأة برغبات الرجل، لأن المفهوم القرآني للمرأة هي (الصاحبة) وليست أمة ولا خادمة يقول المولي : ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾[2] أي زوجته وأخيه، وليس الرجل في داخل البيت مشرعًا ولكنه منفذ لشريعة لا تحابي ذكرًا ولا أنثي، فأمور البيت مفصلة في الشريعة فالحرام حرام، والمباح مباح، والمكروه مكروه، فلا يجوز للزوج أن يجعل المباح حرامًا أو الحرام مباحًا، ثم إن أمور الأسرة في الإسلام لابد أن تكون

---

[1]) قد يعترض البعض علي مصطلح "تحرير المرأة" لملابساته وجذوره الغربية، ولكن الحق يقال إن المصطلح له مدلولات حقيقة لو نظرنا إلي وضع المرأة في بعض المجتمعات الإسلامية وهي تعيش في جهل وأمية ومعاناة وأسر للتقاليد التي ليست إسلامية...الخ ، وكذلك لو نظرنا للمرأة الغربية التي تعيش في أسر الحضارة المعاصرة ، فتحرير الاثنين من أسرهما هو تحرير حقيقي"

[2]) المعارج، الآية ١٢– استخدم القرآن للزوج والزوجة عدة مصطلحات في القرآن منها: ١/ الصاحبة والصاحب يشير إلي دوام العشرة ونوعية العلاقة . ٢/البعل(للرجل والمرأة أيضًا)ويشير إلي التكافؤ في العلاقات الجنسية والتكامل بين الزوجين ، وهكذا فالقرآن دقيق وعميق في –التعبير عن أوجه المعاني المتعددة للشئ الواحد (الدكتور أحمد الكبيسي – (الكلمة وأخواتها في القرآن) .. برنامج في تلفزيون الإمارات.

بالشورى كما ورد في القرآن ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فلا جُناحَ عليهما﴾[1].

لم يـــرد في كتاب ولا سنة أن الرجل مالك زوجته، والمرأة داخل البيت أدنى من الرجل قدرًا، كل ما في الأمر أن أي مؤسسة في العالم مهما كانت صغيرة فلابد أن يكون لها مدير يملك القرار الأخير في الأمور التي تحتاج إلى حسم ولا يمكن الجمع فيها بين أكثر مـــن خيار، والمرأة السليمة بطبعها تحب الرجل الذي يملك قدرة حسم الأمور وإصدار القـــرار في الوقت المناسب، إذا كان ما يصدره عن شوري ومنطق، ورسولنا –صلي الله علـــيه وسلم– أعطانا القدوة في القوامة وإدارة البيت، فبالرغم من وجود تسعة نسوة حوـــله كـــان يكنس بيته، ويخصف نعله، ويداعب أهله، ويعينهم على القيام بواجبات البيـــت، ويحمل أمامة بنت زينب وهو يصلي ويضمها إلى صدره، وكان يقول: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[2].

وللقوامـــة علاقة وطيدة بعدم كون الرجل عاطفيًا، وقدرته الجسدية العضلية التي تفـــوق المـــرأة وبواســـطتها يقوم بحمايتها، ويلاحظ أنه حتى الموسسات يلجأن إلى رجل يحمـــيهن، ويلاحـــظ أن المرأة غير المتزوجة والمطلقة والأرملة أكثر النساء تعرضًا للعنف والإيـــذاء والاغتصـــاب، والرجل بعد هذا أقدر على كسب العيش من المرأة غالباً[3]،

---

[1]) البقرة ، الآية ٢٣٣.

[2]) رواه ابن حيان في صحيحه ج٩/ برقم ٤١٨٦ ورواه الحاكم في (المستدرك) بلفظ (خيركم خيركم للنساء) ج٤/برقم ٧٣٢٧ ورواه الترمذي في سننه ج٥/برقم ٣٨٩٥ ، ورواه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج٤/في باب (حق المرأة علي الزوج).

[3]) يلاحـــظ أنـــه حتى في العالم المتقدم صناعيًا وماديًا فإن طلب القطاع الخاص وهو العمود الفقري للاقتصاد منصب علي الرجل في أغلب المجالات أكثر من المرأة ؛ فقد أكدت دراسة السيدة (سلفيا آن هولت) في كتابها (حـــياة مهانة: أسطورة تحرير المرأة في أمريكا) الصادر عام ١٩٨٦، أن الراتب الشهري للمرأة في أمريكا لا يزيد عن نسبة ٦٤% من أجرة الرجل عن العمل المؤدي نفسه، وحتى – في السويد فإن النسبة تبلغ ٨٠%

وإحصائيات العالم تشير إلى أن الأسر المعالة من النساء هي أفقر الأسر وهي التي تستفيد غالبًا من الدعم الاجتماعي المقدم من الدولة.

والذيـــن يعترضون على قوامة الرجل في البيت، قد يعترضون بأمور شاذة ونادرة مـــثل كون الرجل أحيانًا غير قادر على الكسب، أو أقل قدرة على إدارة البيت، أو لا يســـتطيع حماية زوجته.....الخ ، ولكن هذه الحالات نادرة والنادر لا حكم له، والقرآن أيضًـــا لمـــا أشار إلى القوامة لم يقل كل الرجال أو كل النساء وإنما جاء بـــ(ال) الحقيقة والجـــنس[1]﴿الـــرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾[2] أي: جنس الرجال عمومًا وليس كلهم وجنس النساء غالبًا وليس كلهن، هذا يقتضي أن تتولى المرأة إدراة البيت إذا كانت أقدر من الرجل إذا تراضيا على ذلك، وكذلك أن تكون المرأة رئيسة الأسرة في حال غياب الرجل بموت أو غيره، وعشرات الآلاف من المسلمات ربين أولادهن بعد غياب الزوج وأحسنَّ تربيتهم ، بل أحيانًا أحسن من حال وجود الأب إن لم يكن الأب صالحا، كذلك الإســـلام لا يمنع أن تكون هناك امرأة مديرة لزوجها في العمل أو الشركة...الخ، لأن القوامة تكون في شئون الحياة الزوجية كما سبق.

وهـــناك مـــن يرفضـــون القوامة لأنهم يرفضون الأسرة أصلاً ولا يرونها مؤسسة ضرورية للمجتمع، والمتطرفات من الأنثوية من هذا النوع.

وقد يقال فلماذا لا يكون القوامة لهما بدل أحدهما، ونقول أن وجود مديرين لأي إدراة في العـــالم يجعل منها إدارة فاشلة ، ولا يمكن أن تستمر، وإذا لم نحدد أحدا وتنازعا

= فقط... (عن كتاب الإسلام هو البديل – لمراد هوفمان، ص١٩٨) وهذا يدل على أنه لا توجد لا مساواة في الفرص ولا في الأجور.

[1]) في اللغة العربية أنواع من (ال) فقد تكون للتعريف والعهد الذهني، وقد تكون للاستغراق مثل (الإنسان) أي جميع الإنسان، وقد تكون لبيان حقيقة الجنس والعموم كالتي وردت في الآية الكريمة.

[2]) النساء، الآية ٣٤.

الإدارة فلا شك أن الأسرة المتنازعة لا تنتج إلا أولادًا شرسين ومختلي النفوس، والنتيجة أن تصبح الحياة جحيمًا، ويفضل الأولاد الشارع والملجأ على هذا البيت، والزوجان أيضًا يبحثان عن علاقات غير شرعية طالما لا يجدان الهدوء والمتعة والحنان في البيت الزوجي، ونظرة للأفلام الغربية ترينا هذه النتيجة بوضوح.

وإذا افترضنا أن المرأة هي المديرة في الأسرة، فإنها لا تستطيع ممارسة هذا الدور في ظل اختلال موازين القوي بينها وبين الرجل، وطالما أن الأمر كذلك فإن المساواة في القوامة غير ممكنة إذاً، ولا تحقق العدل ولا النظام، وإلغاء هذا المفهوم يؤدي إلى إلغاء الأسرة في شكلها الحقيقي، ومن أوجه اختلاف العدل مع المساواة، أن المساواة عندما تتعارض مع مصالح عليا وراجحة وضرورية تصبح المساواة متناقضة مع العدل، والعدل هو القيام بما هو واجب وما يحقق المصلحة العليا ولو على حساب تفويت مصلحة دنيا.

ثانيًا: النشوز وعلاجه

النشوز من المرأة هو بغضها لزوجها، ورفع نفسها عن طاعته، وانصراف عينها عنه إلى غيره كما يقول الراغب الأصفهاني[1] وقد قدم القرآن طريقة لمعالجة النشوز وهي الواردة في قوله تعالي: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2].

وهناك سوء فهم كبير عن النشوز والضرب الجائز في هذه الآية يمكن رفعها من خلال الآتي:

---

[1]) الراغب الأصفهاني (المفردات في غريب القرآن) مرجع سابق عند تحليل كلمة (نشز).

[2]) النساء، الآية ٣٤

١-النشـــوز: كما قال أهل التفسير: ترفع المرأة عن مطاوعة الرجل، أو امتداد عيـــنها إلى غـــيره....لـــيس النشوز كل عدم طاعة على الإطلاق، بل هو عدم الطاعة والأعـــراض الذي يسبق الطلاق، ومعه يصبح استمرار الزوجية في خطر حقيقي ، لأن المرأة بدأت تتعلق بغير زوجها (أي مقدمات الخيانة الزوجية).

والدلـــيل عـــلى أن النشوز هو ميلها لغير زوجها وعدم طاعته لذلك، هو نشوز الـــرجل الوارد في القرآن: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [1] فالنشوز هـــو عـــدم المطاوعة في الحياة الزوجية والإعراض عن هذه المرأة والميل لأخرى بالنسبة للرجل في هذه الآية، ومن الأدلة أيضًا على هذا التفسير أن آية التحكيم وردت بعد آية النشوز ، وذلك يعني أن عدم المطاوعة وصل منتهاه بحيث يهدد استمرار الزوجية، فلابد من اتخاذ إجراءات حاسمة، ومن الأدلة القاطعة أيضًا أن إجراءات النصح ومن ثم الهجر لا يتم في يوم وليلة بل في مدة طويلة كافية لبيان أثرها.

مـــن هـــذا يتبين أنه لا يجوز للرجل شرعًا أن يعمد إلى ضرب الزوجة ولو ضربًا خفـــيفًا غير مبرح (بمنديل أو سواك أو ما شابههما) لكل عدم طاعة يحصل من المرأة، أو كـــل خـــلاف وجدل على أمر من الأمور بل إن الإساءة اللسانية أيضًا غير جائزة، لأن المسلم ليس بفاحش ولا بذئ، والرسول – صلي الله عليه وسلم – قال: (ولا تقبح) [2] أي لا يجوز للرجل أن يسمع المرأة قولاً قبيحًا وسبًا، بله أن يضربها أو يعنفها.

٢-إن الضرب المراد ليس هو العنف الذي نعهده اليوم عند الجهلة وعامة الناس أو عند الغربيين فيما يسمى ظاهرة العنف الأسري أو(Domestic Violence) لأن هذه جرائم لابد لها من عقوبات رادعة وتدابير مانعة من تفشيها ...هذا الضرب رمزي

---

[1]) النساء، الآية ١٢٨.

[2]) رواه البيهقي في سننه الكبرى ج٧/ رقم: ١٤٥٥٦، ورواه أبو داود في سننه ج٢/ برقم ٢١٤٣، ورواه النسائي في السنن الكبرى ج٥/ برقم ٩١٨٠.

وهــو ضـــرب زجر وتنبيه وذلك يتحقق بإيلام خفيف، وقيد الرسول – صلي الله عليه وسلم – هذا الضرب بأن لا يكون مبرحًا[1] أي لا يكون ظاهرًا شديدًا لأن الضرب هنا للزجــر والتأديـــب وهذا يحصل بأقل ما يسمى ضربًا، لأن هذا الضرب ليس إلا وسيلة تعـــبيرية أعـــنف من النصح وأقوي، وليس مفهومًا عقابيًا حتى يكون كذا جلدة أو كذا ســوط، والفقهـــاء قالوا يكون بسواك أو منديل ونحوه ولا يكون في المواضع الحساسة كالوجـــه الـــذي يـــؤدي إلى عيب أو نقص حتى ولو كان خفيفًا فإن فعل ذلك وجب الضمان والردع[2].

٣–الضـــرب هـــذا لا يجـــوز إلا بعد عدم جدوى المرحلتين السابقتين (النصح) و(الهجر) بدليل فحوى الآية المتدرجة في ترتيب المراحل الثلاثة.

٤–مـــع أن هـــذا الضرب علاج لتفادي الطلاق وهلاك الأسرة، وهو مباح لا واجب حيث فضل العلماء بالاتفاق تركه وعدم اللجوء إليه بدليل قول الرسول –صلي الله علـــيه وسلم–: (ولن يضرب خياركم)[3]، وقول عمر: (لا تجدون أولئك خياركم)[4]، وبدلـــيل القـــرآن: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[5] ولا ضرب فيها، وحديـــث: "أيضـــرب أحدكـــم امـــرأته كمـــا يضـــرب العبد، ثم يضاجعها في آخر

---

[1]) ورد هذا القيد في حديث رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في خطبة ببطن عرفات وأخرجه الجصاص، وروى الطبراني مثله، انظر التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي عند تفسير الآية.

[2]) إن الضرب الآن في مشاجرات الناس، وأحيانا في الخلافات الزوجية عند الجهلة يكون في الوجه، وفي هذا اعتداء كبير يقتضي قانونا رادعا، لأن الإسلام منع ضرب الوجه حتى في الحدود والجلد ، الذي هو عقوبة للزنا وغيره من الفواحش، وعللوا ذلك بأنه علاوة علي خطورته فإن الوجه موضع كرامة الإنسان وعزته.

[3]) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى) ج٧/ برقم ١٤٥٥٣من حديث طويل عن أم كلثوم، وأخرجه الحاكم بالســـياق نفسه في (المستدرك) ج٢/ برقم ٢٧٧٥ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (أي البخاري ومسلم).

[4]) من تفسير الدكتور وهبة الزحيلي عند تفسير الآية (مرجع سابق).

[5]) البقرة، الآية ٢٢٩.

اليوم"[1]....الخ من الأدلة. إذًا هذا الضرب ليس مفضلا والخيّار لا يلجأون إليه، ولأنه إذا لم تـــنفع النصح والهجر فالطلاق أفضل وذلك بطريقة التحكيم الواردة في الآية التي بعدها. وكل ما في الآية أنه إذا ضرب الرجل بعد اتباع ما ذكر وبالطريقة المذكورة فإنه ليس إثمًا ولا مستوجبًا لقصاص أو غيره ولكنه فعل أمرًا غير محبوب أو غير راجح.

٥-هذا الضرب ليس لكل النساء ، بل هي المرأة الخاطئة التي ليست (قانتة) أي ليست مطيعة لله وليست من ﴿حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[2] أي الصائنات ما ينبغي صونه في غيبة الزوج من مال وعرض وولد..﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾[3] أي لهن من حقوق على أزواجهـــن ، وهذا يدل على أنه لابد أن يكون الرجل قد نفذ كل ما عليه من واجبات تجـــاه زوجته، ولو قصر في واجباته فلا يلومنَّ إلا نفسه، ولا يحق له أن يتخذ إجراءً ضد زوجته وهو مخل بواجباته.

٦- يتبع هذا الضرب (تحكيم) كما سبق، والحكمان إن رأيا أن الرجل مخطئ في ضربه وأن الحياة متعذرة، فقد ذهب مالك والشعبي (وهذا هو رأي علي وابن عباس) إلى أن الحكمـــان يملكان الجمع والتفريق ويلزمان الزوجين بذلك دون إذنهما يفعلان ما فيه المصـــلحة، ولا يملكان أكثر من طلقة ولكنها بائنة (أي لا تعالج إلا برضا الزوجة)، قال ابـــن العـــربي في قوـــله تعالي (حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ) انهما قاضيان لا وكيلان[4]، وللشافعية

---

[1]) أخرجه الصنعاني في (المصنف) ج٩/ برقم ١١٧٩٤٤ عن معمر عن هاشم عن أبيه (أما يستحي أحدكم ان يضـــرب...) وبـــرقم ١١٧٩٤٤ عن عائشة (رض) نحوه، وأخرجه البيهقي في(السنن الكبرى) ج٧/ وبرقم ١٤٥٥٧، وقـــال البيهقي إن أصله في صحيح البخاري ومسلم بلفظ (يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يعانقها آخر النهار) وأشار للروايات المختلفة كلها الحافظ ابن حجر في (الفتح) ج٩/ ص٣٠٣.

[2]) النساء، الآية ٣٤.

[3]) جزء من الآية نفسها.

[4]) أي أنه يؤيد قول مالك والشعبي ويرجحه.

والحنابلة رأي قريب من ذلك حيث إن لهما أن يطلقا ولكن برضا الزوجين وإلا يرفعانه للقاضي ليطلق[1].

ثالثًا: تعدد الزوجات

للرجل أن يعدد في الزواج عند الحاجة ، فهل يعتبر ذلك خروجًا عن العدالة بعد أن كان خروجًا من المساواة ؟ .. نحاول إلقاء بعض الأضواء على الموضوع من خلال النقاط التالية:

١- التعدد في الإسلام مباح وليس واجبًا، ولا مندوبًا، بل هو مكروه لمن عنده زوجة تكفيه ولا تتوفر عنده دواعي الزواج الثاني لما فيه من تعريض نفسه للحرام والوقوع في الظلم[2] والرسول – صلي الله عليه وسلم – يقول: "من كان له امرأتان فمال إلى أحدهما جاء يوم القيام وشقه مائل"[3] أما من كان يخشى من نفسه أن لا يعدل بين زوجتيه فلا يجوز له الزواج الثاني ويحرم عليه ذلك للنص القرآني الواضح ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً﴾[4].

---

[1]) يراجع تفسير الدكتور وهبة الزحيلي عند تفسير الآية (مرجع سابق).

[2])انظر الدكتور يوسف القرضاوي (مركز المرأة في الحياة الإسلامية) مكتبة وهبة – القاهرة ١٩٩٦، ص ١١٨. وأورد الدكتور وهبة الزحيلي في أسباب نزول هذه الآية ما يدل علي ذلك منها: (قال سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك: كانوا يتحرجون في أموال اليتامى، ولا يتحرجون من النساء، ويترخصون فيهن، ويتزوجون ما شاءوا، فالآية قالت: كما تخافون في اليتامي فخافوا في النساء الظلم، ولا تتزوجوا إلا ما يمكنكم العدل بينهن، لأن النساء كاليتامى في العجز والضعف، وهذا هو قول ابن عباس). انظر التفسير المنير عند تفسير الآية. وهذا دليل علي أن الآية لم تأت لترفيه الرجال كما يفهم من لا علم له من ظاهر الآية، بل أتت للدفاع عن النساء ومنع الظلم عنهن.

[3]) رواه أبو داود – واللفظ له –٣١٣٣، والترمذي ١١٤١، والنسائي: ٦٣/٧، وابن ماجة ١٩٦٩، والدارمي، ص ٥٣٩، وأحمد: ٣٤٧/٢، ٤٧١ وجميعهم عن أبي هريرة.

[4]) النساء، الآية ٣.

٢- تعدد الزوجات تشريع قديم كان ولا يزال موجودًا في كل زمان ومكان في العالم إما بطريقة سرية أو علنية، قانونية أو غير قانونية، تعدد خليلات وزوجات أم تعدد خليلات وشركاء جنسيين؟ وهذا الأمر يدعو إلى تأمل عقلاني في الموضوع، لأن وجود هذه الظاهرة في كل زمانٍ ومكان يدعو إلى دراستها بتروي والاعتراف بها ومحاولة تقليصها وتطويق آثارها السالبة ما أمكن هو العلاج وليس دفن الرؤس في الرمال وإنكار الأسباب التي تؤدي إليها أو نقل ممارستها من دائرة الحلال إلى الحرام، أو من دائرة العلن إلى السر، أو من دائرة الأمر المقنن الذي له مترتبات شرعية وقانونية إلى ارتباطات سالبة فردية غير محكومة ولا ملزمة.

٣- هناك أسباب كثيرة منطقية لا تقبل الجدل على عقلانية الزواج بثانية، كأن تكون الزوجة مصابة بعقم، أو مرض مزمن، أو شلل، أو تشوه خلقي، أو برود جنسي، أو بعض الأمراض النفسية، أو تصاب بحريق مشوه، ففي مثل هذه الحالات لا يتردد عاقل في أن الحل الأسلم هو الإبقاء على الزوجة الأولي والتزوج بثانية مع عدم الإخلال بحقوقها والعدل بينهما..الخ .

٤- التعدد قد يكون مبررا للرجل الذي يتزوج لأسباب إنسانية ونبيلة مثل التزوج بأرملة لها أطفال في ظروف معينة، أو امرأة دميمة، أو معاقة ، أو عانسة، أو فقيرة أو أي أسباب أخرى جعلها لا تجد زوجا تثق فيه أو يقدر ظرفها، ومثل هذه الحالات تحتاج لتضحية منه ومن زوجته الأولي أيضًا، وليس هذا المنطق غريبا على المجتمع المسلم وفي حياة رسولنا الكريم القدوة لذلك حيث أن العدد الأكبر من زوجاته كن بهذا الشكل[1]، وكذلك في حالات الحروب حيث تكثر عدد الأرامل، أو حالات الفقر

---

[1]) كان أول زواج الرسول صلي الله عليه وسلم في سن(٢٥) سنة من امرأة عمرها (٤٠) سنة وكانت أرملة، ولم يتزوج عليها حتي ماتت، ولم يتزوج الرسول نسائه المذكورات إلا بعد سن (٥٤) سنة، أي سن الكهولة =

المؤدية لزيادة كبيرة في أعداد العانسات، وإيجاد حل لمشكلة هؤلاء النساء لابد أن يكون في مقدمة اهتمامات الحركات النسائية، أم أن هذه الحركات تهمها مصلحة المرأة الشابة والمتزوجة فقط؟!.

٥- هـــناك أمر آخر في التعدد يرجع إلى قوة الرجل الجنسية وإلحاح شهوته التي تفـــوق قـــوة المـــرأة من حيث الإلحاح والحدة، وقد يكون هناك من لا يملك نفسه[١] وخصوصًا في ظل ثقافة الحضارة الشهوانية الآن واغراءاتها التي تأتيك في كل مكان، وفي ظل وضع النساء المتبرجات بزينة وكأن كل واحدة منهن امرأة عزيز تراود الناس جميعا عن نفسها، والتلفزيون والجرائد والإنترنت والأفلام...كل هذه الضغوط موجهة أساسا للرجل الذي يتميز في غريزته بسرعة الإثارة وعنفوانها...الخ[٢]، والأصل بالنسبة للمسلم أن يملك نفسه ويغض بصره ويشغل نفسه بالعلم والجهاد والعمل....ولكن هذا لا يمكن إلـــزام الناس به جميعا فلابد من متنفس شرعي حتى لا تصاب مجتمعاتنا بالنفاق الأخلاقي والجرائم المتفشية سرا ...وحرص الإسلام على سد كل ثغرة على الزنا أدي به إلى إباحة الـــتعدد، بالرغم من أن فيه مفاسد أحيانًا من إضرار المرأة، وتقليص حقها، واحتمالات بروز مشاحنات بين الأولاد[٣]....الخ ، وأشار القرآن إلى هذه المساوئ عند منع (الجمع بين أختين) أو (بين امرأة أو خالتها أو عمتها.....الخ).

= وانـــتهاء عمر الشباب والشهوة، وأسباب زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا العدد من النساء في هذا العمر له أسباب معروفة مفصلة في بحوث خاصة ومثبوتة في كتب السيرة والسنة.

[١]) سبق بيان المقصود من (قوة الرجل الجنسية) وكونها تفوق قوة المرأة في هامش من هذا الفصل (في موضوع التكامل لا التضاد والصراع) فليراجع حتى لا يساء الفهم.

[٢]) الذي يتأمل في هذا الأمر لا يمكن أن يقول بأن تعدد الزوجات سنة كما قد تسمع من البعض إلا إذا كان المراد التعدد لأسباب إنسانية، ولمصلحة المرأة أساسا لا لهوى الرجل، وإن تضمن بعض رغبته، وفي حالة انتفاء الموانـــع وإمكان اتقاء سلبياته، ولابد من القول إن القبول بالتعدد للمرأة طاعة الله في المكره، كما أن الرجل يذهب للقتال والجهاد وهو كاره كما يقول القرآن " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ".

[٣]) أنتوني جيدنز، (جامعة شناسي)، مرجع سابق، ص ٤١٦.

٦- لا ننســى أن إباحــة الــتعدد تؤدي إلى تقليله وتقليصه (الزنا) لأن الرجل الراغــب في الارتباط بامرأة أخرى يظل يتعلق بهذه الإباحة ويمني نفسه بها وينتظر اليوم الــذي يستطيع فيه أن يحقق رغبته بهذه الطريقة الشرعية، ولا يلجأ إلى طرق أخرى غير شــرعية أو سرية إلى أن يجد نفسه أمام عوائق جمة أو أن الزمان والعمر قد خانه، ولكن تحريم التعدد يجعل الممنوع مرغوبا ومطلوبا.

٧- قــد يقــال فلماذا لا يكون هناك تعدد أزواج لبعض هذه الأسباب ونقول: هــناك أكثر من داعي لمنع هذا الأمر، أولا: المرأة نفسيًا لا تحب هذا الأمر إلا أن تكون شــاذة وغــير طبيعية. ثانيا: إن قوتها الجنسية (إن صح التعبير) أو تجدد الرغبة الجنسية الملــحة، وكــذا طريقة الإثارة عندها مختلفة ولذلك فهي أقدر على ضبط النفس. ثالثا: المرأة موضع للنسب ولا يمكن التفريط في ضياع الأنساب الذي هو قوام المجتمع والحياة والرحمة والروابط...الخ. رابعا: المرأة تعتريها العادة الشهرية والنفاس وما يتبع ذلك من أمرض واضطرابات، والمرأة غير قادرة في الكثير من الأحيان على إشباع الرجل جنسيا بالاســتجابة لطلــباته الغريــزية لأن تلك الاستجابة تحتاج من المرأة إلى أوضاع نفسية وجســدية وصحية معينة حتى تتمكن من تلبية رغبته دون أن تتأذى نفسيًا أو جسديًا ، فكــيف بالــتعدد ومطالبات عدد من الرجال، ولا يتحقق هذا إلا في ظل مجتمع يعطي الجنســين الحــق في الــتعدد من الرجال المقترنون بامرأة واحدة ، وسوف يبحثون عن أخريات لإشباع مطالباتهم الجنسية وهذا ظاهر البطلان والفساد.

وهناك ملاحظة لابد من ذكرها هنا وهو أن الباحث **mordock** أجري دراسة عــلى (٥٦٥) مجتمع عام ١٩٤٩ وجد أن غالبية ٨٠% منها فيها تعدد للزوجات إلا أربــع مجــتمعات فيها تعدد للأزواج ، وكان السر أن هذه المجتمعات كانت تمارس وأد

البنات وقتل الإناث فقل عددهن فاتبعوا هذه الطريقة المشينة، وباحثي الأنثوية يستشهدون بهذه المجتمعات من غير ذكر هذه الحقيقة!! [1].

٨- إن هذا الأمر مباح، وللإمام أن يقيد المباحات[2] إذا كان مدخلا للمظالم وغالب المباحات إذا لم تقيد وتركت ممارستها للناس، وغالب الناس ليسوا صالحين، فإنها تتحول إلى أبواب للشر والظلم.

وهناك أمر آخر مهم حيث إن للمرأة أن تشترط في عقد النكاح على الرجل أن لا يتزوج عليها ويكون الشرط ملزما للزوج[3].

إن المنطق السائد الآن عالميا هو أن للرجل أن يعدد عشيقاته كيفما يشاء ويعاشر أي امرأة جنسيا، مع أكثر عدد ممكن طالما أن الأمر بالتراضي أو أنه يدفع أجرة المواقعة،

---

[1]) أنتوني جيدنز، (جامعة شناسي)، مرجع سابق، ص ٤١٦..

[2]) الدكتور يوسف القرضاوي (مركز المرأة في الحياة الإسلامية) مرجع سابق، ص١٣٦ ويمثل الشيخ بمنع ذبح اللحم في بعض الأيام تقليلا للاستهلاك منه، كما حدث في عهد عمر(رضي الله عنه)، ومثل منع زراعة محصول معين بأكثر من مقدار محدد كالقطن في مصر حتى لا يجور التوسع في زراعته على الحبوب والمحاصيل الغذائية التي يقوم عليها قوت الناس، ومثل منع كبار ضباط الجيش ورجال السلك الدبلوماسي من الزواج بأجنبيات، خشية تسرب أسرار الدولة عن طريق النساء إلى الجهات المعادية، ومثل منع زواج الكتابيات إذا خيف أن يحيف ذلك على البنات المسلمات، وذلك في مجتمعات الأقليات الإسلامية الصغيرة ، والجاليات الإسلامية المحدودة العدد.

[3]) اختلف الفقهاء على حرية المتعاقدين في الاشتراط على ثلاثة مذاهب رئيسية: ١/الظاهرية ٢/الأحناف ٣/ الحنابلة، والظاهرية أضيق المذاهب والحنابلة أوسعها خصوصا الإمامين ابن تيمية وابن القيم، والأحناف متوسطون، والحنابلة جوزوا اشتراط أي شرط فيه منفعة أو مصلحة لأحد الطرفين، ومنه اشترط المرأة في عقد النكاح أن لا يتزوج عليها، وأوجبوا الالتزام بهذه الاشتراطات في العقود عموما وفي عقد النكاح خصوصا، واستدلوا بقوله النبي (صلى الله عليه وسلم) في الصحيحين: (إن أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج) وقالوا إذا لم يلتزم الزوج بالشرط فللمرأة حق فسخ العقد ..انظر (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي ، ج٤ ، دار الفكر، دمشق ١٩٨٤.

والمبرر أن هذه الحرية شخصية مكفولة للمرأة أيضًا[١] !! فهل نتبع مثل هذا النظام؟! وفي الواقــع إن الذين شرعوا هذا القانون ويمارسونه لا يسمحون أبدا بذلك لزوجاتهم وربما يقتلونهن لو فعلن ذلك!!

٩- واقعيًا مسألة تعدد الزوجات نادرة ونسبتها قليلة جدًا ، ربما لو أخذنا النسبة الإجمالــية فقــد تجد أن عدد من المئات شخصًا أو شخصين، ولكن الضجة المثارة على الــتعدد توحــي وكأنه وباء شمل ٨٠% أو ٩٠% من الأسر، ولو تحققنا من النماذج الموجودة سنجد غالبًا أن لها أسبابًا منطقية قد نختلف عليها ولكنها موجودة[٢].

رابعًا: الميراث

إن مــن يريد أن يفهم نظام الميراث وعدالة توزيعه، لابد أن يطلع على النظام الاقتصــادي والاجتماعي الإسلامي ككل، أما النظر إلى الميراث وقوانينه مجردا عن هذا النظام، وعدم المقارنة بين حقوق المرأة وواجباتها هو الذي يؤدي إلى الظن الفاسد، ثم إن الجهل بأنصبة الأنثى في حالاتها المتعددة، والظن بأنها دائما تأخذ النصف كقاعدة مطردة هو أيضًا مصدر أساسي من مصادر سوء فهم حكمة التشريع، والبيان كالآتي:

---

[١]) في المصدر نفسه ص ١٤٠ ينقل الدكتور القرضاوي عن الشيخ الإمام عبد الحليم محمود (رحمه الله) قصة خلاصــتها: أن رجلا مسلما في بلد عربي إفريقي يمنع التعدد، تزوج سرا بامرأة علي زوجته الأولي، عقد عليها عرفــيا شــرعيا مستوفي الشروط ولكنه غير موثق، لأن قانون البلد الوضعي يرفض توثيقه، بل يعتبره جريمة يعاقــب علــيها، وكان الرجل يتردد عليها، فراقبته الشرطة، وعرفت أنها زوجته، وفي ليلة ترصدت الشرطة وقبضت عليه، فلما حققوا معه، قال الرجل بذكاء أنها ليست زوجتي، ولكنها عشيقة، وأتردد عليها بين فترة وأخري، وليست زوجة ، وهنا دهش المحققون، وقالوا له بأدب نأسف غاية الأسف لسوء الفهم الذي حدث، كــنا نحسبها زوجة، ولم نكن ندري أنها رفيقة!! وخلوا سبيله. هكذا يفكرون إن كان بحرام فجائز، وإن كان حلال فجريمة!!.

[٢]) ولا شك أن هناك أيضًا نماذج سيئة للتعدد وأن بعض الرجال أساءوا إلي هذا التشريع وشوهوه.

١- إن الـــنظام الغربي أو غير الإسلامي الذي يفرض على المرأة أن تخرج للعمل بعد بلوغ عمر (١٨) سنة أو (١٦) سنة، ويخرج الأسرة من مسئولياتها تجاهها، ولا يلزم الرجل بالمهر والنفقة وأجرة الرضاعة وإعالة الأولاد، ومتعة الطلاق (لأنه لا زواج أصلا في غالـــب الأحـــيان)...فمـــن الطبيعي لنظام اجتماعي قائم على هذا وليس قائما على الـــتكافل، أن ينكر هذا النوع من قسمة المواريث، ولذلك فالمرأة التي تربت وعاشت في ظـــل هذا النظام وفي مجتمع لا يعرف التكافل والتراحم، ولا يسأل الأخ عن أخته مهما حصل لها، لا تستطيع أن تفهم القسمة وهي تجهل النظام الاجتماعي الإسلامي.

٢- إن ما تخسره المرأة أحيانا في الميراث فإنها تجد التعويض الذي هو غالبا أكثر مما فقدته، في نظام المهر مثلا لو فرضنا أن رجلا مات وترك بنتا وولدا وأخذت البنت (٥٠) والابـــن (١٠٠) فالبنت بعد ذلك تأخذ (٢٥) مهرا من رجل آخر عند الزواج أو أكثر غالبًا، والابن يدفع (٢٥) مهرًا عندما يتزوج فيتساويان، بل إن الرجل بعد ذلك يصرف من هذا المقدار على نفسه وزوجته وأولاده والمرأة تحتفظ به لنفسها فقط وليست ملزمة بمـــا هو ملزم به، والمرأة طوال حياتها مكفولة، والعمل حق لها وليس واجبا عليها إلا في حالات خاصة.... ثم إن هذه المرأة المتزوجة تذهب إلى زوج أخذ نصيبًا أكبر من أخواته، ثم إن الـــرجل قد ينفق على الأرحام والأقارب بشروط معروفة... فالمرأة لا يجب عليها شيء من ذلك إلا من باب مكارم الأخلاق.

٣- هناك حالات كثيرة يستوي فيها نصيب الجنسين مثل: الأب والأم ﴿وَلأَبَوَيْهِ لِكُـــلِّ وَاحِـــدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾[1] ومثل أولاد الأم (الأخوة والأخوات لأم) ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاَلَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِـــن ذَلِـــكَ فَهُـــمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ﴾[2]. فلو كانت الذكورة والأنوثة تؤثران في هذه

---

[1]) النساء، الآية ١١.

[2]) النساء، الآية ١٢.

الأحكام تأثيرًا ذاتيًا، بمعنى أن البنت تأخذ هذه الحصة الناقصة لكونها أنثى، لكانت قاعدة مطردة في كل مؤنث تقابل مذكرًا في درجة قرابتها.

٤- قــد تأخذ الأنثى حصة أكبر من الذكر مثل الحالات التالية: لما توفي سعد بن الربــيع وترك بنتين وزوجة أخذ أخوه (أي عم البنتين) كل التركة، أرسل له الرسول- صلي الله عليه وسلم- بأن يعطي البنتين الثلثين والزوجة الثمن وما بقي فهو له، وفي قوله تعالي: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [1]، أي ثلث التركة كلها، وروى ابــن حزم عن طريق عبد الرازق عن ابن عباس أنه قال في زوج وأبوين: للزوج النصف ولــلأم الثلث من جميع المال والباقي للأب والذي هو السدس [2]، بل هناك حالات ترث المــرأة أضــعاف الرجل فلو اجتمعت أخت شقيقة وعشرة من الأخوة لأب فإن نصيبها يساوي نصيب الذكور العشرة (وكذا لو كانوا مائة لأنهم يشتركون في النصف أما حصة الأخــت الشقيقة فهي محددة شرعًا بالنصف) ومن هنا يأتي أهمية تحديد أنصبة الإناث في الشريعة ، حيث إن الفروض الاثنا عشر المقدرة في الشريعة (ثمان) منها للإناث في مقابل (أربــع) منها للذكور، وجدير بالملاحظة أن الشريعة صونًا لحق المرأة من الميراث الذي كانــت محرومة منه، جعلت نصيب المرأة أصلاً يقاس عليه نصيب الذكر ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِــي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [3] أي أن الابن يأخذ مثل ما تأخذ بنتين، وهذا يقتضي تعيين حصة البنت حتى تكون مقياسًا لحصته.

٥- عند إحصاء أخذ المرأة لنصف نصيب الرجل، مقارنة بمساواته أو الزيادة عليه تبين أنه يساوي فقط ١٣،٣٣٪ من حالات المواريث المختلفة، أما في باقي أحوالها فهي

---

[1]) النساء، الآية ١١.

[2]) وروي عن طريق أبي عوانة عن علي مثله، وروي أيضًا عن معاذ بن جبل، وهو قول شريح، وبه يقول أبو ســليمان (يعــني داود الظاهري).راجع الدكتور يوسف القرضاوي (مركز المرأة في الحياة الإسلامية) مرجع سابق، ص ٢٦.

[3]) النساء، الآية ١١.

إما ترث مثل الذكر أو أكثر منه، فضلا عن أن إرث الرجل غالبًا بالتعصيب أي ينتظر ما يفضل من بقية الورثة[1] أما إرثها هي فغالباً محدد بالفرض الشرعي والنسبة.

وهكذا تبين أنه ليس نقصان حق المرأة في بعض الحالات بسبب الأنوثة، ولكنه نظام مالي واجتماعي متكامل، يراعي الحقوق والواجبات ويوازن بينهما، والتساوي فيه ليس عدلاً، ثم إن قاعدة "الإحسان" لو روعيت فإنها تزين هذا النظام وتحقق فيه أعلى درجات الكمال البشري، وفي الإرث تحديدًا وردت الآية التي تشير إليه ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[2]. فالأقرباء واليتامى والفقراء يعطون نصيبًا –قل أو كثر– حتى وإن لم يكونوا وارثين، إذا فإن تنازل الأنثى للذكر عن نصيبها والذكر للأنثى عن حصته كلها أو بعضها عندما يراها في حاجة وتحت مسئوليات مالية..الخ.. أمر مطلوب شرعا ، من باب الإحسان والفضل والتكافل ومكارم الأخلاق وهذا باب عظيم لمعالجة الكثير من الأمور التي لا يمكن معالجتها من خلال شكل القوانين ، وإنما من خلال روح القوانين ومقاصد الشريعة التي تهدف لإقامة العدل وإصلاح النفوس وتهذيبها، وتمتين روابط الأرحام وصلات القربى، وهناك الكثير من الحالات لا يمكن وضع قوانين لها، لكونها حالات قليلة أو استثنائية فليس هناك سبيل لمعالجتها إلا عن طريق نبل الأخلاق والإحساس بالمسؤولية.

خامسًا: الشهادة

موضوع الشهادة أيضًا على هذا المنوال حيث إن المراد ليس رد شهادة المرأة، لا نقصان الأهلية حيث إن شهادتها تقبل في كثير من الحالات المنفردة كالرضاعة، والبكارة

---

[1]) عواطف عبد الماجد (رؤية تأصيلية لاتفاقية القضاء علي جميع أشكال التمييز) ، ص٦٩.. نقلا عن الشيخ عبد الجليل النذير الكاروي الذي قام بإحصاء رياضي للموضوع، والشيخ من وجوه السودان المعروفة في الدعوة.

[2]) النساء، الآية ٨.

، والوضـــع....وقـــد نص القرآن على تساوي شهاداتها مع الرجل في آية الملاعنة عند اتهامها بالزنا من قبل الزوج ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ﴾[1] من غير فرق، ولو كان شهاداتها أصلاً على النصف بسبب أنوثتها لكان هذا المقام (زوج مع زوجة) أولي بتطبيق هذه القاعدة.

إذاً موضوع الشهادة يهدف للتحقق من الدعوى والمبالغة في التثبت وأي شهادة وردت إليها شبهة ترد، ومن هذا رد شهادة المرأة في الحدود لأن المرأة حتي لو حضرت مكـــان الحادث فإنها غالبًا تبتعد عن المكان وتغمض عينها أو تولي ظهرها....لذلك فإن القضـــاة يأخذون بشهادتها كدليل للاستئناس والتوضيح لا كدليل إثبات نهائي، وذلك تماشـــيًا مع القاعدة الشرعية في أن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة[2]، وهذا أمر يعرفه أهل القانون في باب القدح في الشهادات والأسباب التي تؤدي إلى الطعن فيها أو رفضها جزئيًا أو كليًا.

نـــأخذ مـــثلاً في الـــزنا فإن المرأة لا ترغب مشاهدته وتتقزز من رؤية العملية الجنســـية، بخـــلاف الرجل يتلذذ بالرؤية وربما –إن لم يكن تقيًا– تطلع لمشاهدتها، فمع

---

[1]) النور، الآية ٦.

[2]) والقضية كلها هي التأكد من الشهادة والإثبات بحيث يكون علي شكل لا يتطرق إليه أدني شك، وليست شـــهادة المرأة في هذا الأمر هي الشئ الوحيد، فمثلا شريط الفيديو الذي يصور الحدث لا يمكن الاعتماد عليه أكثر من كونه دليل استئناس، وذلك لاحتمال وجود صلة أو تركيب فيه أو كون الشخص يمارس الفعل تحت إكـــراه أو الـــتخدير أو التنويم المغناطيسي....الخ ، فلا بد من إقرار الشخص بالفعل إذا لم يتوفر دليل آخر.. وهكـــذا أي دلـــيل آخر يتطرق إليه أدني احتمال، وهذا الأمر أكثر توكيداً في الحدود التي هي حق الله وتدرأ بـــأدني شـــبهة باتفـــاق العلماء، والحدود حق لله وليست حقًا للناس والعقوبات المحددة لمعالجة الحدود (الزنا، وشـــرب الخمـــر، والسرقة..) هي للتخويف والردع، ولذلك فشروط إثبات هذه الجرائم مشددة وخاصة في موضـــوع الزنا لأن فيه اتهاما للأعراض وتدميراً للبيوت فلا بد فيه من وجود أربعة شهود كلهم رأوا العملية كالميل في المكحلة في وقت واحد، وليشهدوا جميعا أمام القاضي ولو تخلف أحدهم ولم يشهد جلد الباقون جلد القذف، و لا يجب عليه شرعا أن يشهد سترا لعرض مسلم.

وجود هذا الفرق الجوهري، ومع ملاحظة أن الشهادة في الزنا تحتاج إلى رؤية (كالميل في المكحلة) فكيف نأخذ بشهادة المرأة في عقوبة قد تؤدي إلى الرجم والإعدام، وعلل بعض الفقهاء رد شهادتها في الزنا مثلا بتكريمها، لأن الزنا فاحشة ولذا قالوا : أما (الإحصان) فيثبت بشهادة النساء مع الرجال.

سادسا : الطلاق

موضـــوع الطـــلاق أيضًا على هذا النحو، فكون الطلاق بيد الرجل لأنه غالبا أقدر على التحكم في عواطفه ولأنه يتحمل تبعات مالية كبيرة في خراب الأسرة، وليس معـــنى كون الطلاق بيد الرجل أنه غير مقيد، أو أن المرأة التي تريد أن تفك أسرها من رجـــل فاسـد فإنـــه لا طريق لها إلى ذلك بل المرأة عندها (الخلع) و(التفريق القضائي) و(طـــلاق التحكم) كما ذكر[1] و(فسخ النكاح في حالات معينة) و(المرأة يجوز لها كما قال الفقهاء الأحناف أن تشترط في عقد النكاح أن تكون العصمة بيدها) وبه قال الإمام أحمد[2].

ثم إن الطـــلاق ليس كلمة تقال في شجار خارج البيت أو بغير نية أو في حال إكراه أو حلفًا على شيء، أو في حالة سكر وغضب....الخ. ولقد توسع بعض الفقهاء في إيقاع الطلاق حتى خالف روح التشريع ومقاصد الدين[3].

ومـــن الطـــلاق ما هو بدعي كطلاق الحيض والطهر الذي جامع المرأة فيه.... فهذا أيضًا لا يقع عند الكثير من العلماء[1]، وهو حرام بالنص وتلاعب بآيات الله وينبغي أن يوضع له قانون رادع وعقوبة.

---

[1]) فيما سبق في هذا الفصل في موضوع علاج النشوز.

[2]) أنظر الدكتور يوسف القرضاوي (مركز المرأة) مرجع سابق ص١١٣، وينقل حديثا متفقا عليه يدل على إلزامية هذا الشرط ، وهو قول الرسول صلى (أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج)

[3]) المرجع نفسه ص ١١٦.

وأما موضوع (دية المرأة) و (العقيقة) و (تولي الوظائف العامة) وغير ذلك من الأمـــور، فمختلف فيها والراجح التساوي، وفي الأخير تفصيل ونقاش وبعض الفروقات ليس هذا البحث محله، لأن هذا البحث خاص بمناقشة الفكر الغربي وبالتالي ما يقابله من الإســـلام، أما ما أختلف فيه المذاهب فالمسلمون لهم فيه سعة ولا إلزام لأي من المذاهب بعينها.

[1]) ذهـــب الأئمة الأربعة، وجمهور الفقهاء إلي القول بالوقوع (أي الطلاق البدعي) وذهبت طائفة إلي القول بعدم وقوعه منهم الباقر والصادق من أئمة الشيعة، وابن عليه من فقهاء المعتزلة وارتضاه ودافع عنه من الحنابلة ابـــن تيمـــيه وتلميذه ابن القيم ، انظر (مقارنة المذاهب في الفقه) للشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد علي السايس ، ط محمد علي صبح وأولاده بالأزهر ، ١٩٥٣ ، ص ٥٥.

الفصل السادس

قضية المرأة من وجهة نظر إسلامية

المبحث الأول: هل للمرأة قضية ؟ وهل نحتاج حركة نسوية ؟

-إشكالية فهم قضية المرأة

-نعم للمرأة قضية

-التمييز الجاهلي المعاصر

المبحث الثاني: ثلاث معالجات لقضية المرأة في الإطار الإسلامي

-مدخل عام

-مدرسة التفريط والتميع

-مدرسة الإفراط والتزمت

-مدرسة الإعتدال والتوسط

المبحث الثالث: استنتاجات وتوصيات ختامية

الفصل السادس

قضية المرأة من وجهة نظر إسلامية

المبحث الأول

هل للمرأة قضية وهل نحتاج حركة نسوية ؟

المطلب الأول

مدخل عام

ماذا تعني قضية المرأة؟

تعني أن المرأة تستهدف ببعض الحيف في الحقوق، وينظر إليها بنوع من الدونية ، لكونها أنثى (أي بسبب جنسها).

وتتجــلى حالة المرأة هذه في سلوكيات كثيرة تختلف بحسب المجتمعات والثقافات السائدة فيها، وبحسب التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمعات.

وباختصار فإن قضية المرأة تعني أو ترمز إلى عدة إشكاليات منها:

– إشكالية القوي والضعيف (الفيزيائية–الجسدية).

– إشكالية المتمكن وغير المتمكن (الثروة وتوزيعها).

– إشكالية السلطان والخاضع (السلطة وتقاسمها).

– إشكالية الأعلى والأدنى (الدور وأهميته وتوزيعه).

إن هـــذه الإشـــكاليات خلقـــت فجوات كثيرة في المجتمع، وأوجدت أنواعًا من القضـــايا والمظـــالم، ليســـت القضـــية الطبقـــية، والقضـــية القومية والعرقية، وقضية المرأة...وغيرها إلا تجليات لها وشكلاً من أشكال الاختلالات الحاصلة في هذه الثنائيات المتقابلة.

وبمجـــرد أن تحـــدث الاختلالات المذكورة، ويبرز مجتمع اللامساواة واللاعدل، نلاحظ بروز ثقافة اللاعدل التي تكرس ذلك النمط من الحياة وتفلسفه وتمجده.

ثم تنشأ الممارسات المختلفة التي تتحول إلى قوانين ثم تنشأ مؤسسات تراعي هذه الـــثقافة وتلـــك القوانـــين والممارســـات وتعطيها سمة القداسة وتضمن لها الاستمرارية والديمومة.

المطلب الثاني

إشكالية فهم قضية المرأة

في البداية لابد أن نذكر عدة عوامل ساهمت في تكوين وعي الناس عمومًا بالمسألة النســـوية وقضـــية المرأة، وهذه العوامل كانت عمومًا في اتجاه تكوين رد فعل معاكس للحركات النسوية، وبالتالي لقضية المرأة أيضًا، وهي:

١- تـــبني الاستعمار لقضية المرأة في العالم الإسلامي، وإثارتها لأغراض استعمارية وليســـت دفاعًـــا عن المرأة، فمثلاً نبهت ليلى أحمد إلى : "حقيقة أن اللورد (كرومر)[١] عـــندما دعا إلى تحرير المرأة الشرقية من استبداد الرجل الشرقي، كان يهدف إلى تبرير الاســـتعمار، لأنـــه (أي كرومـــر) معادي لحقوق المرأة في بلده وهذه برهنة على حاجة

---

[١] اللورد كرومر: هو إيفيلين هنري بارنج (١٨٤١-١٩١٧) عين قنصلاً عامًا لبريطانيا في مصر (١٨٨٣)، وشغل هذا المنصب (٢٤) سنة وفي خلال هذه الفترة أو في أغلبها كان الحاكم الفعلي والحقيقي لمصر.

الشعوب الشرقية لاستعمار الرجل الأبيض، لأنها شعوب غير قادرة على حكم نفسها... وهـــذا الكـــلام ينطبق على الحملة الفرنسية أيضًا، واحترامهم السطحي لنساء الدول المستعمرة".[1]

تقـــول (فاطمة المرنيسي) عن هذه النقطة: "عندما هزم الغرب البلدان الإسلامية واحتـــلها، استخدم كافة الوسائل المتاحة لإقناع المسلمين المهزومين بدونيتهم ساعيًا إلى إيجـــاد مبرر للاحتلال الأجنبي، لقد نبذ المسلمون باعتبارهم خلاعيين، وسفحت دموع التماســـيح عـــلى قـــدر النساء المسلمات المرعب!" . ونستنتج من ذلك أنه "نظرًا لأن المستعمر الغربي أخذ على عاتقه الدفاع الأبوي عن قدر المرأة المسلمة، كان كل تغيير في أوضاعها يعني تنازلاً للمستعمر".[2]

٢- ارتـــباط الحـــركة النسوية بعد ذلك بالأحزاب الليبرالية المتغربة والأحزاب الشيوعية التي كانت ولا زالت تخلط بين تحسين أوضاع المرأة، وتسويق أيدولوجيا معادية للديـــن والشـــريعة والثقافة المحلية، وكانت هذه الأحزاب تستغل قضية المرأة لمزايدات سياسية على القاعدة الجماهيرية النسوية والشبابية ولفها حولها، من دون أن تهدف حقيقة لتنمـــية المـــرأة وتوفـــير شروط مجتمعية وثقافية وقانونية تتيح لها أن تنهض، لأن المرأة خصوصًـــا وشرائح المجتمعات الإسلامية عمومًا تحتاج لمن يمسك بيدها ويساعدها برفق ووعي، لا من يعكر المياه ليصطاد فيها.

لقـــد تعلم هؤلاء المثقفون العلمانيون مجموعة من المصطلحات، وحفظتهم خلايا الحـــزب مجموعـــة من الشعارات والكلمات المستوردة من واقع مجتمعات أخرى مختلفة

---

[1] (زمن النساء والذاكرة البليدة) تحرير هدى الصدة (مرجع سابق)، ص ١١.

[2] فاطمة المرنيسي (ما وراء الحجاب) مرجع سابق، ص ٥٨-٥٩.

تمامًا، فراحوا يرددونها من غير وعي بجذور المشاكل، وظنوا أن إثارة بلبلة فكرية، وخلق بعض الفوضى يمكن أن يؤدي إلى تغيير حقيقي!

يتحدث الأستاذ راشد الغنوشي عن تجربة (بورقيبة)[١] في تونس ويقول: "جاءت مجلـــة الأحـــوال الشخصية لا باعتبارها مجموعة قوانين لتصحيح وضعية المرأة، بل ثورة عاصفة على المجتمع القديم، وأطلقت معها موجة من التهجم على الدين ورجاله، ودعوة إلى الانطـــلاق المحموم المدمر الذي أوشك أن يطيح بكل خلق ودين، وأصاب علاقات الجنسين بتوتر شديد، وهز الكيان الأسري هزًا عنيفًا..".[٢]

وفي العراق ارتفعت أصوات الشيوعيين زمن عبد الكريم قاسم... " بس هالشهر، ماكومهر – وذبوا القاضي بالنهر"[٣]

وهذه الأحزاب – كما سبق – عالجت قضية المرأة في إطار غير إسلامي وخلطت بـــين حقـــوق المرأة والتمرد على الشريعة وربطت حقوقها بمخالفات شرعية مثل رفض اللباس الإسلامي، والحرص على ارتداء المرأة للملابس الغربية، والاختلاط المبالغ فيه... وهذه شكليات لا علاقة لها بوضع المرأة، بل الملابس دعيت المرأة لتلبسها، هي على حد

---

[١]) الحبيـــب بورقيبة (١٩٠٣–٢٠٠٠) سياسي تونسي، درس القانون في فرنسا، وصل إلى رئاسة الجمهورية بدعم فرنسي عام ١٩٥٧ وبقي فيها قرابة ثلاثين عامًا قام بمعاداة الشريعة وحاول فرنسة تونس.

[٢]) راشد الغنوشي (المرأة في تونس) ، مرجع سابق، ٩٢.

[٣]) هـــادي العلوي (فصول من تاريخ المرأة) مرجع سابق، ص ٥١، والمراد من (المهر) في الأهزوجة المذكورة (الـــزواج) وهذا الخلط بين الزواج والمهر وإطلاق الثاني على الأول شائع في العامية العراقية والمعنى: فقط هذا الشهر ولا يكون هناك زواج – والقاضي أرموه في النهر لأننا سوف لا نحتاج إليه. ينقل هادي هذه الأهزوجة العراقـــية، وينســـبها إلى المعارضة التقليدية على أساس أنها لفقتها –على حد قوله– للشيوعيين، ولكنه يعود فيعـــترف ويقـــول (في ص: ٥١ نفسها): "وربما دغدغت هذه "الماكومهر" بعض الشيوعيين فعلاً، وهم على الأكـــثر مـــن مثقفي الحركات الشيوعية الذين تعلموا الإباحية من الغربيين وألصقوها بالماركسية، وقد قال لي شيوعي سوداني، من كبارهم، لقيته في الصين أن الماركسية ليس فيها زواج.

قـــول الحـــركات النســـائية – التي التفتت فيما بعد للمسألة – ملابس من صنع ثقافة ذكورية تنظر للمرأة كمتاع وشهوة وجسد.[1]

ومن جانب آخر فإن هذه الأحزاب كانت تنوي أحيانًا إبعاد المرأة والشباب عن الديـــن حـــتى لا تكون أرضية صالحة لامتداد الحركات الإسلامية، فالمسألة ليست إلا صراعًا سياسيًا لا ناقة للمرأة فيها ولا جمل.[2]

---

[1]) تقـــول الدكتورة نوال السعداوي: "في سنة من السنين يكون التركيز في أزياء المرأة على النهدين، بحيث تصل فتحة الثوب حتى بداية الشق بين الثديين، ويرتبط خيال الرجال على مدار السنة بهذا الشق، ثم تأتي السنة التالـــية فإذا (الموضة) الجديدة تغطي الثديين وتكشف الفخذين كمحاولة لتجديد إثارة الرجال وبالتالي ترويج البضـــاعة والملابـــس. وفي السنة التي بعدها تغطي الفخذان ويكشف الخصر، ويصبح خصر المرأة هو صاحب النصـــيب الأكـــبر في خيال الرجل وإثارته... وهكذا. إن الحضارة الذكورية القائمة على سيطرة الرجل من ناحـــية، وعلى الملكية الخاصة والربح التجاري بأى شكل من ناحية أخرى، تفرض على النساء أن يتحولوا إلى أشـــياء أو سلع في السوق التجارية... إن الرجال الأمريكيين تعلقوا في بداية القرن العشرين بساقي المرأة لأن المـــرأة الأمريكـــية ســـبقت المرأة الشرقية في تعرية ساقها وفخذها، على أن موضة الأزياء تغيرت في المجتمع الأمـــريكي في منتصـــف القـــرن العشرين، وانتشرت الفساتين الطويلة... وأصبحت الأزياء الجديدة تعري الثدي..." من كتاب (الرجل والجنس) ص ١٧٠–١٧١، المؤسسة العربية للنشر – بغداد – ١٩٨٦. وهكذا يتـــبين كل يوم حكمة إلهية في فرض الستر على المرأة حتى لا تصبح لعبة بيد الشهوانيين وتجار السوء. وتقول نـــوال السعداوي أيضًا: "إن هؤلاء النساء الغريزيات اللاتي يلهثن وراء ملاحقة (الموضات) وآخر صيحة في الأزيـــاء والمكياج، لا يدركن أنهن لم يعدن نساء"، وإنما أصبحن مجرد أشياء أو أجزاء..."، ص ١٧٢ (المرجع نفسه).

[2]) يقـــول الدكتور الحميدة نيفر: "إن النظام البورقيبي أراد أن يصنع لنفسه تيجانًا مزيفة، فجعل من منع تعدد الـــزوجات مفخرة من مفاخره، مع أنه لم يفعل إلا أن نقل التعدد من مستوى الحلال إلى مستوى الحرام، لقد راهـــن الـــنظام البورقيبي على المرأة رهانًا سياسيًا لا رهانًا حضاريًا، لم يتجاوز بها مرحلة الاستغلال، استغلال صـــوتها في الانـــتخابات، واستغلال قوة عملها في مؤسساته الرأسمالية بثمن بخس" من (المرأة المسلمة) لراشد الغنوشـــي، ص ١١٠–١١١. وهـــذه الأحزاب تحرص على إقامة منظمات نسوية لكسب التأييد السياسي، وعضـــوية النساء، وتعطيهن غالبًا مناصب ديكورية، وقادة هذه الأحزاب غالبًا هم من أكثر الناس ذكورية وعـــنفًا ضـــد النساء، واحتقارًا لطاقات المرأة، ويمارسون الزواج السري، والعلاقات غير شرعية، ومع ذلك يتحدثون عن منع تعدد الزوجات.!!

٣- ارتـــباط حقوق المرأة حاليًا بأجندة دولية، وبالإمبريالية الجديدة (التي تسمى العولمـــة والنظام العالمي الجديد)، ومنظمات الرأسمالية العالمية، والهيمنة السياسية، إذ أن هـــذه المؤسســـات والدول الاستعمارية الجديدة تستغل حقوق المرأة وأوضاع النساء، بالطـــريقة نفســـها الـــتي استغلتها الموجات الاستعمارية القديمة لأغراضها، وتربط هذا المشـــروع - كمـــا تقدم تفصيله - حقوق المرأة بتحديد السكان، وإباحة الإجهاض، وحقوق الشاذين جنسيًا،... إلخ.

هـــذه الأسباب وغيرها أدت ببعض الناس إلى إنكار وجود قضية للمرأة بالكلية، أضـــف إلى تلـــك الأســـباب أن غالب النظريات التي طرحت في مجال نهضة المرأة هي نظريات غربية قائمة على فرضيتين:

١- عداء الرجل للمرأة.

٢- عداء تقاليد أمتنا للمرأة.

ولمـــا أن غالبـــية الناس في العالم الإسلامي لم تقتنع بهاتين الفرضيتين، فهم بالتالي يرفضون النتيجة التي هي (وجود قضية خاصة بالمرأة)[١]، وهؤلاء الناس يرون أن تخلف الشـــروط الحضارية، والانتكاسة التي يعيشها المسلمون هو سبب حرمان الجميع رجالاً ونســـاءً وأطفـــالاً مـــن الحقوق والحريات، والحل يكمن في نهضة حضارية ترفع الجميع وتخلـــص الـــناس مـــن هـــذه الوهـــدة الحضارية، ومن حكم الجبروت والديكتاتورية، والاســـتخفاف بـــالحقوق والحرمات الذي أصبح سمة للحكومات في العالم الثالث كله، وهذه النظرة بالرغم من أنها لا تستبطن إنكارًا ضمنيًا لحقوق النساء، وتبني نظريتها على تلك المقدمة التي لا يشك أحد في صحتها، ولكنها قاصرة عن إدراك كل أبعاد القضية،

---

[١] انظر: د. رفيق حبيب (المقدس والحرية) مرجع سابق، ص ٩٩ وما بعدها.

وهي أشبه ما تكون بوجهة النظر الماركسية التقليدية التي ترى أن غياب الاشتراكية هو سبب حرمان المرأة، وبالتالي فإن الحل هو تطبيق النظام الاشتراكي وإزالة الطبقية.

إن المشكلة التي نتجت من أكثر من سبب، والسؤال الذي يحتمل أكثر من جواب ، لا يصـــح أن نختزل الحل والجواب في طريقة واحدة أو جواب واحد وعبارات غامضة وقاصـــرة عـــن الإحاطة بها، ثم إنه لا يصح عمليًا حتى لو أمكن تصوره عقليًا، أن نترك المشـــاكل كلها دفعة واحدة، حتى نتمكن من حلها جملة واحدة، لأن هذا أشبه ما يكون بالعلاج بطريقة الفانوس السحري، وكون مشكلة المرأة جزء من الوهدة الحضارية العامة لا يعني أنها ليست ذات خصوصيات وسمات خاصة بها، وأن التصدي لعلاجها ليست من أولويات هذه المرحلة.

المطلب الثالث

نعم للمرأة قضية

أعـــتقد أن لـــلمرأة قضية خاصة بجانب القضية الحضارية التي تشترك فيها الأمة جمـــيعا، وصحيح أن الأولى جزء من الثانية، ولكنها متميزة ولها طابع خاص، ولا بد من الـــتعامل معهـــا باســـتقلال وعلى حدة، من غير أن يعني ذلك تشتيتًا للطاقات، وتجزيئًا للمشاكل، وتأثرًا بالغرب في شيء سلبي... لا ينبغي للمسلمين أن يبنوا مواقفهم قبولاً أو رفضًا على أساس ردود الأفعال، وليس صحيحًا أن كل قضية رفعها غير المسلمين فهي غير عادلة، والغربيين سبقوا المسلمين في تبني بعض القضايا العادلة في هذا العصر بالرغم من تحفظنا على بعض وجهات نظرهم فيها، ثم هل صحيح أن الغرب هو أول من طرح قضـــية المـــرأة حتى نعتبرها قضيتهم أم أنهم الأكثر انتهاكًا لحقوق النساء في التاريخ ولا يزالون.

ثم إن خلـــط الأحزاب العلمانية بين قضية المرأة، وبين ضرورة استلهام النظريات والـــتجارب غـــير الإســـلامية، لابـــد أن يدفعنا نحن الإسلاميين إلى تصحيح النظريات والتجارب غير الإسلامية، لا بد أن يدفعنا نحن الإسلاميين إلى تصحيح هذا الخطأ، وتقديم البديل الإسلامي، حتى لا تضطر المرأة المسلمة إلى الالتفاف حول مذاهب غير إسلامية، وغير صحيحة، فتتضرر إيمانيًا وتضيع جهودها سدى.

إن الجواب على سؤال: هل للمرأة قضية؟ وبالتالي هل نحتاج لحركة نسوية؟ يأتي عـــن طـــريق الجواب على سؤال مفاده: هل المرأة مظلومة كأنثى أم لا؟ والجواب نعم وإليك الدليل.

كـــل المؤرخـــين والباحثين في التاريخ والحضارات والأديان والفلسفات، وعلم الاجـــتماع والانثروبيولوجـــيا أكدوا أن المرأة طوال التاريخ، وفي جميع الحضارات على اخـــتلافها، نالـــت قـــدرًا كـــبيرًا من الاضطهاد والعذاب والدونية والحرمان بمختلف الأشـــكال، في الهـــند مـــثلاً وحتى عهد قريب كانت المرأة تحرق مع جثة زوجها عندما يموت،[١] وفي مختلف الحضارات كانت المرأة تذبح وتقدم قرابين لآلهة مزعومة، وظاهرة (عـــروس النـــيل) معروفة عند الفراعنة، وفي جاهلية العرب كانت المرأة تدفن حية في التراب، بل الآن وحسب نشرة الأمم المتحدة فإنه لا زال الوأد قائمًا حتى يومنا هذا في بعـــض مناطق العالم[٢] ولا زالت الإناث حتى يومنا هذا يبعن ويشترين في سوق النخاسة والرقيق الأبيض بالملايين.

---

[١]) وهذه الفعلة الشنيعة التي يمارسها الهندوس تسمى "سوتي".

[٢]) نشرة صادرة عن (اليونيفام واليونسيف) للدعاية لاتفاقية سيداو بعنوان (حقوق الفتيات) وتقول "أظهرت إحـــدى الدراسات في منطقة نائية في جنوب الهند أن ٥٨% من الوفيات بين الإناث كان سببها القتل العمد، وقد بينت دراسة شملت (٨٠٠٠) حالة من حالات الإجهاض التي أجريت في مدينة (بومباى) في عام ١٩٨٤ أن ٧٩٩٩ من حالات الإجهاض هذه كانت من الإناث. وفي بعض مناطق الهند هناك حالات كثيرة من وفيات

لا زالت المرأة في كثير من أنحاء العالم تعتبر كائنًا أدنى من الرجل، وتحرم من الكثير من الفرص والحقوق تحت دعاوى شتى في العالم الغربي الذي يعتبر قمة في حقوق المرأة، لا زالت المرأة تتعرض لأبشع أنواع التحرشات الجنسية "Sexual Harassment" في مقر العمل، والشارع... بل تتعرض للقتل والعنف والاغتصاب، وتعيش في حالة خوف وهلع، وتمتهن في الإعلانات، ولا تجد فرص متساوية في العمل والأجر... إلخ.

أما في العالم الإسلامي فهناك أيضًا الكثير من المفارقة والفجوة بين ما قرر الإسلام، وبين ما يمارسه المسلمون ويعيشون عليه، وسنورد بعض ذلك بعد بيان موقف القرآن من التمييز ضد الأنثى.

القرآن والتمييز ضد المرأة

لقد كان القرآن صيحة شجب واستنكار مدوية ضد كل الممارسات الظالمة التي كانت تمارس ضد المرأة وتعانيها كأنثى في المجتمعات الجاهلية، مثل قتل الإناث ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[1]، ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[2]، ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[3].

=الإناث تحدث خلال السبعة أيام الأولى من الولادة، وتعزي هذه الوفيات إلى القتل المتعمد للإناث ؛ نظرا لتفضيل الذكور عليهن من ناحية، والقيمة المتدنية للأنثى.

[1]) التكوير، الآية ٨-٩.

[2]) الأنعام، الآية ١٣٧.

[3]) الأنعام، الآية ١٤٠.

بـــل حرم القرآن استقبال المولود الأنثى بغضاضة وضيق، وشدد النكير على أهل الجاهلية ويصفهم في قوله تعالى :﴿ويَجْعَلُونَ للّه البَنَاتِ سُبْحَانَهُ ولَهُم مَّا يَشْتَهُونَ * وإِذَا بُشِّـــرَ أَحَدُهُم بالأُنثَى ظَلَّ وجْهُهُ مُسْوَداً وهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ القَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1] وفي سورة الزخرف يقـــول المـــولى : ﴿ وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وجْهُهُ مُسْوَداً وهُوَ كَظِيمٌ﴾[2] وبين أن المولود هبة الله سواء كان ذكرًا أم أنثى، وقدم الأنثى لترسيخ فكرة المساواة في قوله تعالى: ﴿للّه مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً ويَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[3].

وتطـــرق القرآن لأنواع من التمييز منذ ذلك الزمان هي الآن تتصدر منشورات الأمـــم المتحدة مثل التمييز في التغذية[4]، وتفضيل الذكور على الإناث في الغذاء يقول المـــولى: ﴿للّه مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً ويَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[5].

وشـــجب القـــرآن وحـــرم ممارسات أخرى كانت تمارس ضد المرأة مثل (عضل المرأة)، واعتبارها جزء من الإرث كما كان أهل الجاهلية يفعلون، حيث كان الابن بعد وفـــاة أبـــيه يـــرث الثروة دون البنات ويرث معها زوجات أبيه (دون أمه)، فإن شاء تـــزوجهن ، وإن شاء منعهن من الزواج ، حتى تفدي الواحدة منهن نفسها بالتخلي عن

---

[1]) النحل، الآية ٥٧-٥٩.

[2]) الزخرف، الآية ١٧.

[3]) الشورى، الآية ٤٩-٥٠.

[4]) تـــتحدث تقاريـــر منظمة الصحة العالمية حسب ما ورد في نشرات اليونيفام واليونسيف السابق، أن سوء التغذية في المناطق الريفية في بنجلاديش لدي البنات تبلغ نسبتها ثلاثة أضعافها لدى البنين.

[5]) الأنعام، الآية ١٣٩.

مهــرها أو أملاكهـــا أو يعطـــي من يتزوجها مالاً في مقابل الزواج بها ، وفي هذا يقول القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ولا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِــبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إلا أن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ [1].

٤- (أكل مهرها) وكان شائعًا في الجاهلية حيث تعذب المرأة بوسائل عديدة لكي تتــنازل عــن مهرها ﴿وإنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وآتَيْتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلا تَــأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وإِثْماً مُّبِيناً * وكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [2].

وقــد سعى القرآن الكريم لكنس فكرة دونية المرأة من العقل البشري، وخصص الرسول العظيم ﷺ قدرًا واسعًا من جهده وأحاديثه الشريفة لترويض المسلمين على معنى المساواة بين الجنسين، وعدم تفضيل ذكر على أنثى[3]، وبيّن أن الجميع عباد الله، أكرمهم عند الله أتقاهم، ولكنه ومع الأسف نجد أن هناك فجوة بين تعاليم الإسلام العظيمة، وبين ممارسات الكثير من المسلمين الذين عادت إليهم الجاهلية في شكل آخر.

---

[1]) النساء، الآية ١٩.

[2]) النساء، الآية ٢٠-٢١.

[3]) فقــد كان رسولنا العظيم ينهى صحابته عن أمور دقيقة مثل تقبيل الذكور وعدم تقبيل الإناث من الأولاد أو إجـــلاس الذكر في الحضن والأنثى في الأرض بالنسبة لتعامل الأب، أو تخصيص الذكر بالهبة دون الأنثى... إلخ في مواقـــف كـــثيرة ومتعددة مبسوطة في كتب السنة ويكفي قوله ﷺ: (من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها، ولم يؤثر ولده – يعني الذكور – عليها أدخله الله الجنة "رواه أبو داود ٥١٤٦/٥، والحاكم وصححه ٤ /١٧٧.

المطلب الرابع

المرأة والتمييز الجاهلي المعاصر

ومن أمثلة هذه الجاهلية التي حذرت منها تعاليم الإسلام:

١- حـرمان المـرأة مـن حق التعليم سواء العلم الشرعي أو العلوم التطبيقية والإنسـانية الأخرى، ولذلك تجد أن نسبة الأمية بين الإناث أعلى بكثير من نسبتها بين الذكـور، حـتى المؤسسات الإسلامية العريقة والتي من المفترض أن تلعب دوراً مرجعيًا كالأزهـر وجـامع الزيـتونة... مرت عليها قرون من غير أن تقبل فيها امرأة كطالبة وباحـثة، وقـد تـدارك الأزهر هذا الأمر بعد أن تمكنت الجهالة من المرأة خلال هذه الفـترات الطويلـة المظـلمة[1]، فقـد خلالها المسلمون العالمات والفقيهات والمحدثات والأديـبات اللاتي تتلمذ على أيديهن كبار فقهائنا وعلمائنا[2]، بل سادت عصور مظلمة في بـلاد المسـلمين لم يكـن العلماء يهتمون حتى بوعظ النساء وتعليمهن أمور دينهن الأساسـية، وتـركوا هذا الأمر للأسر، والتي هي أيضًا مؤسسة غير ذات دور تعليمي يذكر.

٢- الحـرمان من حق العمل والمشاركة في الإصلاح العام، وفرض العزلة عليها، وأصبحت المرأة في بعض المجتمعات كلها عورة، فلا تخرج من بيتها إلا لحاجة ملحة جدًا،

---

[1]) انظر: "صراع الحضارات" للدكتور أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ص ١٢١.

[2]) غالـبًا ما تجد في سيرة حياة أكابر علمائنا ذكرًا لشيوخ من النساء تلقوا العلم عندهن، لقد تحدث (معجم النسـاء) للسخاوي عن (٩٣٨) فقيهة، وأرخ ابن سعد في طبقاته لـ (٥٧٤) امرأة كن السابقات للإسلام، وفي (تـاريخ دمشـق) لابـن عساكر حديث طويل عن مئات من النساء وذات الأثر والدور البارز في نهضة المسلمين في العلم وغيره من مجالات الحياة، ولعل هذا الأمر وهو عدم نسيان المؤرخين لدور النساء وتسجيلها بخلاف مؤرخي أوربا أمر مهم وتميز ذو دلالة حضارية للمسلمين.

فصـــولها عورة[1]، وشكلها عورة، وذكر اسمها عورة، ولا ينبغي حتى للطبيب أن يراها ولـــو احتاجت إليه حاجة شديدة لتدهور صحتها، ولا زال الأفغان يثورون بانفعال إذا ســـألتهم ســـؤالاً بريئًا عن اسم الزوجة، أو الأخت أو الإناث عمومًا!! والباكستانيون يسمون المرأة (عورت)[2].

يقـــول الشيخ راشد الغنوشي: "لقد عمل عصر الانحطاط على تضييق آفاق المرأة بعـــزلها عـــن هموم المجتمع ومشاغله الثقافية والسياسية، فغدت مجتمعات النساء مشغولة بـــتوافه الأمور لا يتجاوز اهتمامهن الحديث عن الثياب والزينة والأولاد وقضايا الزواج والطلاق، واغتياب بعضهن بعضًا، وكان ذلك ثمرة حتمية للعزلة التي فرضت على المرأة، وأبعدها عن منتديات العلم ومشاغل المجتمع وحولتها إلى آلة إنجاب ومتاع"[3].

---

[1]) يقول الشيخ محمد الغزالي عن (صوت المرأة) والقول بأنها عورة : "إنها إشاعة كاذبة، ولا يوجد بين رجال الفقـــه من قال إن صوت المرأة عورة"، ص ١٦٥ من كتاب "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة" دار الشروق، القاهرة ١٩٩٠.

[2]) يذكـــر الأستاذ إحسان حقي في كتابه (آراء في محاضرات) الآتي: "ولأخذ فكرة صحيحة عن الحجاب في باكستان قبل خمسين سنة... كان الرجل إذا أراد أن يتحدث عن زوجته لا يذكر اسمها، ولا يقول زوجتي، بل يقول (التي في داري)، ولم يكن يسمح للطبيب أن يرى المرأة إذا كانت مريضة وليس له أن يمس جسمها، بل يربطون معصمها بحبل يمسكه الطبيب من الغرفة الثانية!! وأذكر بهذه المناسبة أن صديقًا لي جاءني ذات يوم وهو مكتئب، فسألته عن سبب كآبته؟ فقال لي: إن أختي أصيبت بالكساح، فسألته عن السبب؟ فقال: لأنها لم تخرج من دارها منذ خلقت!!." ويقول: إن هذا الرجل حكى لي قصة أخته لأنه درس في لندن، وإلا فغيره لا يحدثون الغريـــب في أمـــور كهذه !! ويواصل فيقول: "وكانت المرأة إذا أرادت الخروج من الدار لأمر لا بد منه يؤتى إلـــيها بـــــ "التانكة" – وهي مركبة يجرها حصان واحد ولها مقعدان متلاصقان وجه الواحد إلى أمام المركبة، والـــثاني إلى خلفها – وتلصق بباب الدار أو باب الزقاق، ويقف اثنان من محارمها يمسكان بشرشفين يجعلانهما شـــبه نفق من باب دارها إلى التانكة، فتمر بينهما كالبرق وهي في حجابها، ثم تلف التانكة بالشراشف حتى لا يعـــرف من فيها، ويركب معها المحرمان لكي يعيدا تمثيل الرواية أمام الدار المقصودة!!" ...انظر ص ١٢١ من الكتاب، مؤسسة الرسالة، ،بيروت ، ١٩٨٥.

[3] المرأة المسلمة في تونس، مرجع سابق، ص٨٩.

٣- حقها في مشاركة الأنشطة العبادية في بيوت الله والمساجد، يقول الشيخ محمد الغزالي: "في حديث مكذوب رواه الحاكم أن المرأة لا يجوز أن تتعلم الكتابة، وفي حديث متروك آخر أن المرأة لا يجوز أن ترى أحدًا ولا يراها أحد... على هذه الآثار انبنى حرمان المرأة من التعليم، ومنعها من الذهاب إلى المدرسة، وفي مرويات أخرى تخالف المتواتر والصحيح من السنن حظر على النساء جملة الذهاب إلى المساجد فأقفرت منهن بيوت الله، وانقطعت عن التوجيه الديني فلا قرآن ولا حديث ولا فقه بل سائر العلوم الأدبية والإنسانية"[1].

٤- غرس الشعور بالضعف في المرأة، واستقبل الذكر مرة أخرى أحسن من استقبال الأنثى، وعادت الجاهلية مرة أخرى لتصور للناس أن المرأة لا تنفع، وأنها ضعيفة، وأنها جاهلة، وأنها شر لابد منها، يقول الشيخ راشد الغنوشي: "لقد رسخ الانحطاط في نفسية المرأة شعورها بأنها مخلوق ضعيف عليه أن يعتمد في إثبات شخصيته على غيره، وأنها جنس لطيف لم يخلق إلا للمتعة وأنها ليس لها من سلاح في معركة الحياة غير جسدها، فينبغي أن تتعلم كيف تتفنن في تنميقه، وصقله، وتطييبه. لقد غدت المرأة تولد وهي مكروهة محتقرة. فعليها أن تكون عطوفة لينة، كائنًا مطيعًا للرجل ومجالاً لإثبات سيطرته، وقدرته، فتربى على القهر من طرف الأب والأخ - حتى لو كان أصغر منها - ثم الزوج وهكذا!! ولئن حرم الإسلام وأدها فلقد أعد الانحطاط وأدًا آخر لشخصيتها وكرامتها، فرسخ فيها عدم الثقة بالنفس والاتكال على الغير، وتقبل الإهانة والاحتقار، وهي صفات ترضعها مع لبنها لأطفالها فيتوارث المجتمع كله مشاعر الضعف وعدم الثقة بالنفس، والاتكال على الغير، مما يجعل هذه التربية الأسرية مؤسسة رئيسية في مجتمع الاستبداد، إذ يسحق الفرد في العائلة ويهيئ لقبول الاستبداد..."[2]، ويقول بعد

---

[1] محمد االغزالي ، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٥،ص٧٣.

[2]) راشد الغنوشي، (المرأة المسلمة في تونس) مرجع سابق، ص ٨٨.

ذلـــك عن الحل: "ما لم تتحرر المرأة من مشاعر الضعف والخنوع والتواكل واعتبار أن رصـــيدها لا يعـــدو جسدها الجميل ليحل محل ذلك نموذج نسائي يشعر بالثقة بالنفس والاعـــتماد علـــيها، وبضـــرورة الجهـــاد الدائب لتحرير نفوسنا وأمتنا من كل هيمنة وتســـلط... فإن جمود الانحطاط سيتواصل"[1] وهكذا أصبحت الأسرة تعيش بعيدًا عن هيمنة القيم الإسلامية الصحيحة ، وتعيد إنتاج الجاهلية.

٥- تســـتغل المـــرأة في الريف استغلالاً سيئًا في القطاع الزراعي، بشقيه النباتي والحـــيواني، حيـــث تقوم بالكثير جدًا من الأعمال الشاقة بجانب رعاية البيت ومتاعب الأولاد، مـــن غـــير أن يعود عليها العمل برفاهية ملحة، أو استقلال اقتصادي يتيح لها التصـــرف في أمـــوال تعتبر أموالها، وغالبًا لا ينال هؤلاء النسوة حق التقدير والتشجيع الكافي، ويتعرضن لقسوة أهل القرى والبوادي وجلافة أغلبهم معروفة.

٦- قوانـــين الأحوال الشخصية في جميع البلدان الإسلامية تحتاج إلى مراجعات شـــرعية، حيـــث إنهـــا في بعض الأمور ليست مستمدة من الشريعة، وفي بعض الأمور الأخرى أخذت بآراء فقهية ليست في اتجاه تطبيق العدل المطلوب في الشرع كما ينبغي، ولا تتوافق تطبيقاتها مع روح الشريعة ومقاصدها، وللمرأة المسلمة قضايا عادلة لا بد من درجها بشكل أو بآخر في القوانين، كاستبعاد فكرة (بيت الطاعة الإجباري)[2] و (الفرق بـــين الجنسين في أحكام الزنا)، و (عدم تقييد سلطة الرجل في الطلاق والتعدد)، وعدم إعطـــاء حـــق لـــلمرأة في الاستفادة من بعض الامتيازات، هذا بالإضافة إلى قلة المحاكم وســـوء التطبـــيق وتعفن القضايا في الأروقة، وعدم البت فيها بالرغم من توفر الدواعي

---

[1]) المرجع نفسه، ص ٨٩.

[2]) وهو إجبار المرأة على الرجوع لبيت الزوجية رغمًا عنها بعد قيام الزوج ببعض الشكليات، وفي فترة كانت الشرطة تتدخل لإجبارها، وهي كارهة، ومثل هذا لا يعني إلا أن المرأة عبد لا رغبة لها ولا إرادة لها، ولا يتوافق هذا مع ديننا أبداً، ودخل إلينا من روح القوانين الغربية في القرن الماضي ومع جاهلية محلية توافقت معها.

والأدلـــة الكافـــية... وإهمال آليات مهمة وعدم تفعيلها مثل آلية التحكيم الواردة في نصوص القرآن.

٧-حقـــوق ضـــائعة في الـــزواج: فبالرغم من إبطال الشريعة للكثير من أنواع الـــزيجات بسبب أن فيها انتقاصا من حرية المرأة في تحديد مستقبلها، أو فيها انتقاص من مهرها وحقوقها المالية، أو فيها إكراه لها، ووردت بشأنها نصوص واضحة الدلالة إلا أن أغلـــب المجتمعات الإسلامية لا زالت تعقد بدرجات متفاوتة بعض أنواع هذه الزيجات، اســـتنادًا إلى فـــتاوى مـــرجوحة وهزيلة، أو تحايلاً على النصوص الشرعية مثل (زواج الشغار)[1] وهو جعل المرأة صداقًا لامرأة أخرى، و (زواج الإكراه) بأن تزوج المرأة دون رغبـــتها، وكزواج (الكبيرة بالصغيرة) حيث تزوج المرأة وهي طفلة من شخص آخر في مقابل موافقة الأسرة الثانية على زواج بنتهم الكبيرة من رجل من أسرة (الطفلة) أي إن العـــريس يضحي بمستقبل هذه الطفلة في سبيل مصلحته، وعندما تكبر الطفلة ولا توافق عـــلى الـــزواج تحدث مشاكل ، والمرأة الجريئة التي تتمرد على هذا الجبروت والطغيان تعذب وتحرم من الكثير من الحقوق أو تمنع من الزواج أحيانًا.

وكـــثير من القبائل تلجأ إلى إعطاء فتاة أو أكثر لقبيلة أخرى عندما تحدث بينهما قتل ودماء في صفقة الصلح التي تتم بينهما بعد ذلك، ويبررون هذا بأنه نوع من تطييب الخاطـــر، وتداخل الأرحام، وسد باب المشاكل، ولكن هذه الفتاة التي ترغم عادة على ذلـــك كثيرًا ما تدفع ضريبة كبيرة من أعصابها وحقوقها وسعادتها من جراء فعل ارتكبه أبوها أو أخوها أو ابن عمها... إلخ.

---

[1]) الشغار شرعًا: إنكاح المرأة بالمرأة لا صداق بينهما، أي جعل بضع إحداهما صداقًا للآخر فلا يكون هناك مهر، وله صورة أخرى: وهو أن يشترط كل واحد من الوليين على الآخر أن يزوجه موليته، (وفيه إهمال رضى المرأة) ، انظر الدكتور أبو سريع محمد (زواج المتعة) الدار الذهبية، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٨٣.

كثير من النساء يتعرضن إلى مضايقات كثيرة بعد تجربة طلاق عندما يردن الزواج مـــرة ثانية، وبعضهن لا يطلقن إلا بعد تعليق طلاقهن بمبلغ كبير طالما أنها هي التي تطلب الطلاق ولو كانت محقة، والرجل ظالمًا وناشزًا.

عـــدد كبير من النساء يحرمن من حق الحضانة في الكثير من المناطق التي لا توجد فيها محاكم فاعلة وقوانين رادعة.

في الكـــثير مـــن المـــناطق لا تعطي الأنثى حصة حقيقية في الميزان، وخصوصًا في البوادي والأرياف والمناطق المتخلفة.

ولكن مما ينبغي قوله إن هذه أعراف جاهلية كانت منتشرة سابقًا ولكنها انحسرت إلى درجـــة كبيرة ومع تنامي الوعي بالإسلام الصحيح فإن الأمل كبير في القضاء عليها نهائيًا، ومعاقبة من يمارسونها.

٨- ومن الأمور الجديدة بالذكر والاهتمام مسألة أو ظاهرة العنف ضد النساء، ســـواء داخـــل البيوت، أو في انتشار ظاهرة ما تسمى بجرائم قتل النساء بحق الشرف والـــذي يبيحها أو يتساهل معها القانون العراقي مثلاً في تجاهل واضح لأحكام حد الزنا وطـــرق إثـــباته، والـــتفريق بين المحصن وغير المحصن، والافتئات على الحاكم والسلطة الشـــرعية في إنـــزال العقوبة بالعاصي والبريء على حد سواء، بل واتخاذ هذه الثغرات للانتقام الشخصي وتشويه سمعة العفيفات أحيانًا، في شكل همجي يكون المدعي والشاهد والحاكم ومنفذ العقوبة هو الشخص نفسه، وفي محاكمة ثورية سريعة من غير إتاحة فرصة للعقل والقانون والتحقيق.

ولا ينكر عاقل مدى مخالفة هذه الطريقة مع الشريعة، وكم تفتح من باب للفساد والقتل وهتك العرض وتلويث السمعة.

٩-لا زال الزواج يعرف بأنه عقد انتفاع بجسد أو امتلاك بعض بثمن، أو حسب تعـــبير الشيخ محمد الغزالي يرى بأنه شركة بين رجل تحول إلى ضابط برتبة مشير، لديه امرأة برتبة خفير!!، أين الود والتراحم والشرف والوفاء ؟

مفهـــوم الكثيرين عن المرأة أنها إنسان خلق لتضحي من أجلهم، ترتب لهم سكنًا نظـــيفًا، هادئًا، مريحًا، ومطعمًا فخمًا، وتلبي رغباتهم الجنسية بوقت وبغير وقت، وتنجب الأولاد وتقضي كل وقتها في رعايتهم ورعاية البيت ولا تلتفت لنفسها ولا لمستواها، ولا حتى لمجتمعها، هو يذهب إلى حلقات العلم، وندواته، ومحاضراته، أما هي فلا تحتاج !! هو يذهب إلى اللهو والونسة مع أصحابه، أما هي فليس مهمًا !! هو يتصدر المجالس، أما هي فبيتها أولى بها!!، اجتماعات المجالس والنقابات والأحزاب والمنظمات بالنسبة له واجب أما بالنسبة لها حتى وإن لم تتعارض مع واجباتها الأسرية فلا حاجة!!... هكذا تبلغ الأنانية مداهـــا، وتصـــبح المرأة (خادمة) بدل أن تكون (صاحبة) كما وصفها القرآن، وتصبح القوامة هيمنة وقهراً، وتتشوه معالم الأسرة الإسلامية.

لا زال الزواج من ناحية أخرى يعرف : بأنه عقد يحل للرجل الاستمتاع بالمرأة، وكأنهـــا لا تملك غرائز، ولا حاجة لها للمتعة، يقال أن الرجل "امتلك المرأة" في حين أن المرأة "تسلم نفسها"، يتحدث روجيه غارودي عن التجربة الغربية في هذا المجال ويقول: "كان بلوغ النشوة الجنسية امتيازًا يختص به الرجل، وحتى منتصف القرن العشرين كان سعى المرأة لبلوغ هذا التمتع لنفسها أيضًا يعتبر انحرافاً"[١]. وللأسف يبدو أن عندنا أيضًا تجارب سيئة في هذا المجال، بل لا زال الكثير من نسائنا محرومات من هذه النعمة والمتعة التي ما خلقها الله في الجنسين إلا ليلتحما ببعض، ويزدادا حبا ورقة، وعدم تمتع المرأة بهذا الحـــق، وإفضـــاء الكثير من الرجال إلى النساء بشكل حيواني وفظ، دون رقة ومداعبة

---

[١]) غارودي (في سبيل ارتقاء المرأة) مرجع سابق، ص ٧٠.

ومشـــاركة، أدى إلى بـــروز الكثير من المشاكل الأسرية، وحتى إن هناك بعض حالات الانحـــراف الجنسي للنساء بعد التحقيق فيها تبين أن السبب كان في عدم إشباع الرجل المرأة جنسيًا، لأن الزوج كان لا يبالي بحق المرأة في متعتها، وحقها في اللذة الجنسية وكذا الإشباع العاطفي والشعور بالحنان والحب الذي هو الأساس عند المرأة في العمل الجنسي والإشباع منه.[1]

بـــل والأســـوأ من هذا أن هناك في شمال إفريقيا- وخصوصًا في وادي النيل - وشـــرقها عـــادة جاهلـــية تسمى بـــ الخفاض و "الطهور الفرعوني" تمارس باسم الختان للمرأة، وتؤدي إلى تشوهات جزئية أو كلية في أعضاء المرأة الجنسية، وتصيب الكثير من النســـاء بمشاكل صحية عديدة، وبرود جنسي... ويبرر هذا عند البعض تبريرات دينية (من جراء عدم فقه الدين والركون إلى المرجوح من الأقوال والآراء والروايات)، وبعض إحصائيات الأمم المتحدة تقدر عدد النساء اللاتي يتعرضن لهذا في العالم من تلك المنطقة وغيرها بـــ (٨٥ إلى ١١٤) مليون فتاة في العالم.[2]

والحديث عن مظالم النساء طويل، وذو شجون، ويكفي ما أوردنا لإثبات أن هناك واقعًـــا مؤلمًا، يحتاج إلى تدارك، وهناك مشكلات تحتاج لحلول، وهي ليست مشكلات اقتصـــادية أو سياسية أو ثقافية أو عسكرية... ولكنها تساهم في صناعة جميع مشاكلنا بـــأقدار متفاوتة، ولا يصح أن نؤجل مدارستها حتى ننهض كما يقال، لأن المسارعة إلى

---

[1]) إن ضعف الثقافة الجنسية، وقلة الذوق من الرجل خصوصًا يؤدي إلى نكد كثير في الحياة الزوجية، وليس هـــذا الموضـــوع قلـــيل الأهمية كما يزعم البعض، ولا ينبغي أن يمنع الحياء من ذكره بل تعليمه للمتزوجين، والرسول ﷺ عندما ذكر حديث "قصوا الشارب وأعفوا اللحى" ذكر في أحد التعليلات أن اليهود لم يقصوا شواربهم فزنت نساؤهم، أي إن عدم إشباع المرأة ومراعاة متعتها يؤدي إلى الزنا منها، وذكر في أحاديث كثيرة آداب المعاشـــرة والمغازلـــة، والملامسة.. التي تؤدي إلى عملية جنسية ناجحة وإنسانية، ونبه الرجل إلى عدم الإسراع بالقذف وترك المرأة تأخذ حقها ولذتها... وكل هذا مبسوط في كتب الحديث.

[2]) نشرات اليونيفام واليونيسيف (مرجع سابق).

حلها شرط نهضتنا، ولا يكون عندنا جيل النهضة ما لم تكن عندنا الأسرة المستقيمة، ولا تكـــون هناك أسرة مستقيمة تقوم بدور حضاري وفاعل كقاعدة للنهوض والتنمية، إلا بامــــرأة صالحة واعية حرة مجاهدة، فالمرأة المنكوبة، والمنهكة، والمدللة، والتي لا يتجاوز همها شعرها وخدها، والتي ترضى بالقهر والسلبية والجهل والأمية، لا يمكن أن تنجب إلا جــــيلاً بمواصفاتها تلك، ولا يمكن أن نكون أحرارًا إلا أن نرضع الحرية في أحضان امرأة حرة، مبادرة، إيجابية، تعي دورها الحضاري ورسالتها في الحياة.

ثم هــــل يحق لنا أن نطير بجناح واحد، ونتنفس برئة واحدة، ونستغني عن نصف طاقاتـــنا وإبداعاتنا وعقولنا وثروتنا البشرية[1]، ونحن في سباق وصراع مع عالم لا يهدر طاقة، ولا يضيع لحظة، ولا يدع فرصة تفوته، ونريد بعد ذلك أن يكون لنا غد ومستقبل مشــــرق، بل وشهود حضاري وأستاذية للعالم... المرأة الآن كما يقال تحرك المهد بيمينها والعالم بيسارها، والمرأة الآن تقود مؤسسات كبرى، وتقبع وراء تحولات خطيرة في العالم، ونحن نريدها ربة بيت في كل الأحوال والأعمال والمستويات، حتى تتحول بسبب السآمة والملل والرتابة إلى دبة بيت!! بدل ربة بيت.

وبســــبب كل ما سقناه من آلام للمرأة، وآمال لنا في أن تمارس دورها الحضاري المنشود فإننا نحتاج إلى حركة نسائية إسلامية تدافع عن حقوق المرأة بمنطق الشرع ومن مــــنطلقاته، وتساهم بإخلاص في نهضة المرأة المسلمة، وتعيد صياغة همومها وشخصيتها، وتعـــيد لها أدوار أول داعية بعد الرسول ﷺ خديجة الكبرى، وأول شهيدة في الإسلام

---

[1]) إن العالم اليوم تعقد من نواحي وتيسر من نواحي أخرى، فلا بد أن يتغير حسب ذلك دور المرأة المسلمة لا تغيرًا كليًا كما يريد الغربيون بترك الإنجاب والأمومة وتربية الأولاد، ولكن لابد لها من أن تمارس دورًا أساسيًا في الحــــياة العامة، في الاقتصاد مثلاً يمكن أن تخصص قطاعات إنتاجية بالمرأة أو شركات خاصة بهن إذا اقتضى ذلـــك، والأمة الإسلامية لا بد أن تكون أمة مجاهدة، وليست هناك أمة مجاهدة تبني نفسها وتعد قوتها وتستغني مع ذلك عن أكثر من نصف المجتمع.

(سمية)، وأول أمينة على سر الهجرة (أسماء)، و... تعيد سيرة (نسيبة) التي قاتلت دون الرسول في أحد بسيفها بعد أن فر الكثيرون، ووجد في جسدها الطاهر اثنا عشر جرحا، و (خنساء) أم الشهداء الأربعة، و (أم حرام بنت ملحان) التي طلبت من الرسول ﷺ الغزو في البحر[1]، ولو كانت في أيامنا لطلبت أن تقود طائرة حربية أو غواصة، و (بلقيس) التي في القرآن، والتي قادت قومها بأحسن قيادتها في الدنيا، وأمتّ قومها للهداية أجمعين... إلخ. تعيد لنا أمثال الفقيهات، والمجاهدات، والطبيبات، والشاعرات، والآمرات بالمعروف والناهيات عن المنكر اللاتي كان مجتمع الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين يعج بهن.

نريد حركة نسائية تواجه الأنثوية المتطرفة، التي تريد تشويه فطرة المرأة، وعدالة قضيتها، وتشن حربًا شعواء على قيم الإسلام، بل وثوابت البشرية كلها، وتريد إفراغ النساء من محتواهن الإنساني الرفيع..

نريد حركة نسائية تدرس أوضاع المرأة والأسرة دراسة أكاديمية مستنيرة، وتبني أسس علم اجتماع إسلامي، وتوصل للحياة المعاصرة برؤى واعية، واجتهادات صائبة، وتحليل فقهي رصين، ولا تترك الأمر لهوى الذكورة والأنوثة، ولا لردود الأفعال، ولا للتزمت أو التميع.

نحتاج حركة نسائية حتى لا تهمش المرأة في الحياة، ولا يرمى لها بالفتات، ولا تكون ديكورًا في المحافل والمناسبات، ولا ترقيعا لأنظمة وحكومات وأحزاب ذكورية، والتي تأتي بالمرأة إلى المؤسسات وتبرزها من غير إعطائها دورًا فعليًا وفاعلاً.

المبحث الثاني

---

[1]) ورد الحديث في البخاري.

ثلاث معالجات لقضية المرأة في الإطار الإسلامي

مدخل عام

لا شـك أن كـل الأديان والمذاهب والفلسفات والنظم القانونية... فيها ظاهرة الإفـراط والتفريط والاعتدال، وبالتالي تنشأ المذاهب والآراء متوزعة على هذه الأنماط الثلاثة إما توزيعًا تامًا، أو شبه تام، أو مع خلط وتردد بين نوعين من التيارات الثلاثة.

وفي تـاريخ الفكـر والفقه الإسلامي، نلاحظ وجود هذه الظاهرة أيضًا في كل مراحله[1]، لأنها – كما سبق – ظاهرة بشرية لها جذور عميقة وطبيعية، وناشئة من أصل وجـود الاخـتلاف بين البشر في ميولهم النفسية، وطريقة تفكيرهم، ونظرهم للأشياء، وتقديرهم للمصالح والأولويات...

ولكـن هـذا لا يعني أنها ظاهرة صحية، صحيح أن الاختلافات وتعدد وجهات النظر ظاهرة صحية، ولكن إذا وصل حد الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، والتميع والتزمـت، فإنها ظاهرة مرضية وينتج عنها آثار غير حميدة غالبًا، بل إن الغلو في الدين كـان سببًا أساسيًا في تشويه الأديان وتحريفها: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ولا تَقُولُـوا عَلَى اللَّهِ إلا الحَقَّ...﴾ [2] ويشير المولى عز وجل في آية كريمة أخرى إلى أن الغلـو والتزمت، واتباع الهوى والتميع، هما سببان أساسيان للضلال والانحراف حيث يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وأَضَلُّوا كَثِيراً وضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [3].

---

[1]) حـتى في جيل الصحابة فقد ظهرت الفرق المغالية مثل (الخوارج) و المفرِّطة المتميعة مثل (الباطنية) وبعض دعاة الصوفية خصوصًا بعد مقتل سيدنا عثمان – رضي الله عنه – وظهور الفتنة.

[2]) النساء، الآية ١٧١.

[3]) المائدة، الآية ٧٧.

إن ضرر الغالي في الدين كضرر الجافي عنه، لأن معالم المنهج الصحيح تضيع بينهما وتتعرض للتشوه والانحراف، وأبرز مجال لبيان الأثر السيئ لهذين المنهجين في تشويه أحكام الدين العدل الوسط هو قضية المرأة وأحكامها.

نحاول في هذا المبحث إلقاء الضوء على أبرز ملامح هذه التيارات الثلاثة التي عالجت قضية المرأة في هذا القرن، ولا زالت المدارس الثلاثة قائمة برموزها وأدبياتها، بل بأتباعها والمطبقين لفتاواها.

المطلب الأول

مدرسة التفريط والتميع

أطلق الشرارة الأولى لهذا التيار في بداية القرن (قاسم أمين) في كتابه (المرأة الجديدة) حيث دعا المسلمات إلى تقليد المرأة الأوربية، واستلهام تجربتها وقال: "غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع، وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال، وأن تكون مثلها تحررًا، فالبنات في سن العشرين يتركن عائلاتهن، ويسافرن من أمريكا لأبعد مكان في الأرض وحدهن، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات في السياحة، متنقلات من بلد إلى آخر، ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أن وحدتهن تعرضهن إلى خطر ما، وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج، والرجل يرى أن زوجته لها أن تميل إلى ما يوافق ذوقها وعقلها وإحساسها، وأن تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها"[1] وهذا الكلام أيًا كان قصده ففيه دعوة واضحة للمرأة المسلمة إلى تقليد المرأة الغربية في حرياتها وطريقة حياتها، وعدم اكتفاء

[1]) محمد بن أحمد إسماعيل (عودة الحجاب القسم الأول) مرجع سابق، ص ٦٣.

قاسم بما أورده من آراء في كتابه الأول "تحرير المرأة"، والذي كان واضحًا فيه، وفي مرجعية آرائه، أدى إلى إثارة زوبعة كبيرة في وجهه، ولما أن قاسم أمين لم يكن فقيهاً متخصصًا فإنه تخبط وزلَ أحيانًا، وإحساسه بالوضع المتدني للمرأة المسلمة وضرورة تغييره، دفع به إلى بعض الشطط واستعارة المنهج الغربي في التفكير حيث كان منبهرًا به.[1]

وتوالى بعد ذلك كتابات أخرى مثل كتاب (الطاهر حداد) في تونس بعنوان (امرأتنا في الشرعية والمجتمع) وقد طرح فيه مفاهيم أصولية لاستنباط الأحكام، غير دقيقة وتؤدي إلى نقض الكثير من أحكام الدين الأساسية الثابتة مثل قوله : "في الحقيقة إن الإسلام لم يعطنا حكمًا جازمًا عن جوهر المرأة في ذاتها، ذلك الحكم الذي لا يمكن أن

---

[1]) لقد تعرض قاسم أمين إلى نقد كثير مبالغ فيه في زمانه ولا يزال، واتهم اتهامات خطيرة وغير صحيحة، من جانب المتشددين أبرزت صورته باعتباره داعية السفور والانحلال، ومن جانب المتغربين والعلمانيين أبرز كداعية للعلمانية ورفض المرجعية الدينية، وكل هذا ليس صحيحًا في الحقيقة، فإن آراء قاسم في كتابه الأول حول الزواج والطلاق وحجاب المرأة كلها إسلامية ولا يخالف الشرع ، بمعنى أنها اجتهاد فقهي يمكن مناقشته، بل لقد قيل إن محمد عبده رحمه الله هو الذي كتب هذه الفصول كلها، وبعضهم قالوا أملاها عليه وصياغته له... ولكنه كانت اجتهادات غريبة على عصره ومتقدمة عليه، ولم يكن الوعي في ذلك الزمان وصل إلى حد استيعابها والتعامل معها بموضوعية، وهذه الاجتهادات كانت تأتي في إطار مدرسة الشيخ محمد عبده التوفيقية لاحتواء قضية المرأة إسلاميًا حتى لا تعالج غربيًا وإباحيًا، والسفور في ذلك الزمان كان يعني كشف الوجه واليدين فقط، لا كشف الجسم والمفاتن، ومعلوم أن هذا القدر من السفور أجازه الجمهور وليس قاسم أو غيره... ولذلك نقول إن كتاب تحرير المرأة يمكن قبول أغلب ما فيه باعتباره نوعًا من الاجتهاد الإسلامي الواعي لحل قضية المرأة دون تميع ولا تفريط. وفي مقابلة مع زوجة قاسم التي بقيت حتى موتها ساترة لوجهها — قالت: "إنه أي (قاسم) لم يرغمها على كشف وجهها عندما كان ينادي إليه وتقول : إن قاسمًا لم يطبق ذلك حتى على بناته، وأن بنات الجيل الحالي وشبابه قد أخطأوا فهم هذه الدعوة، وتجاوزوا مداها، فالمظهر الذي تظهر به فتيات هذا العصر ليس سفورًا بل هرجة فظيعة، ولم يكن يخطر على بال قاسم أن ينادي بها، أو يدعو إليها... وإني أعتقد أن قاسم بك لو كان حيًا لما رضي عن هذا الحال، بل لانبرى لمحاربته "انظر المرجع نفسه، ص ٧٣، والأعمال الكاملة لمحمد عبده ، تأليف محمد عمارة، بيروت ١٩٧٢".

يتناوله الزمن وأطواره بالتغيير!! وليس في نصوصه ما هو صريح في هذا المعنى!! إنما الذي يوجد أنه أبان عن ضعف المرأة وتأخرها في الحياة تقريرًا للحال الواقعة، ففرض كفالتها على الرجال، مع أحكام أخرى بنيت على هذا الاعتبار، وقد علل الفقهاء نقص ميراثها عـــن الرجل بكفالته لها، ولا شيء يجعلنا نعتقد خلود هذه الحالة دون تغيير..."[1] وهذا يعني أن جملة من أحكام الإسلام التي اعتبرها جميع الأئمة ثابتة، هي عنده نسبية ومتغيرة، ويـــتحكم الزمان فيها، لأنه – وحسب زعمه – فإن الإسلام لم يعطنا حكمًا جازمًا عن جوهر المرأة!!.

ولا شـــك أن هناك الثابت والمتغير، والمقصد والوسيلة، في أحكام الدين، ولكن هـــذه المدرسة تسعى دومًا لتوسيع دائرة المتغير على حساب الثابت، ويستدل (الطاهر) على ما يقول: بـــ "أن الحياة طويلة العمر جدًا، وبقدر ما فيها من الطول، بقدر ما فيها من الأطر المعبرة عن جوهر معناها، وأخص ميزاتها. ونحو عشرين سنة من حياة النبي ﷺ في تأســـيس الإسلام كفت بل أوجبت نسخ نصوص بنصوص، وأحكام بأحكام اعتبارًا لهذه السنة الأزلية، فكيف بنا إذا وقفنا بالإسلام الخالد أمام الأجيال والقرون المتعاقبة بلا انقطاع ونحن لا نتبدل ولا نتغير؟"[2] وهذا استنباط سقيم، وفهم مردود لموضوع النسخ، وبدعـــة في الأصـــول ربما لم يسبق إليها، ودلالة هذا الكلام أنه يجعل أحكام الدين كلها قابلـــة للنســـخ والإبـــدال، ومن حقنا أن نسأل: من ينسخ الأحكام بعد إكمال الدين وانقطاع الوحي؟ وهل تعريف القياس والاجتهاد هو نسخ الأحكام الثابتة بنص قطعي في ثبوته ودلالته؟!!

---

[1]) نقلاً عن نصر حامد أبو زيد (دوائر الخوف قراءة فى خطاب المرأة) المركز الثقافي العربي – بيروت ١٩٩٩، ص ٦٧. وفي هذا الكلام مغالطة، وليست العلة الكفالة فقط وإنما المهر وجميع الأعباء الاقتصادية والالتزامات المالية، ثم لو تغيرت الحالة في مائة أو ألف أو مليون من النساء ولكن تبقى هي هي في حق أغلبية النساء في هذا العصر أو غيره، والأحكام توضع للعام والغالب لا للخاص والاستثناء. انظر الفصول اللاحقة لبيان أكثر.

[2]) المرجع نفسه، ص ٦٨.

ويـــتجاوز (الطاهر) مقاصد الشريعة التي اتفق العلماء عليها، إلى اعتبار (العدل) المقصد الأساسي الوحيد، ويقرر بأن هناك فرقًا بين ما أتى به الإسلام، وما جاء من أجله، وهـــذا الكـــلام صـــحيح جزئيًا وله شواهد، ولكن البدعة والخطأ كامنان في تعميمه، واستنتاج قواعد كلية من أمثلة وشواهد جزئية تشكل استثناء في الأحكام، فالخلط مثلاً بين تعدد الزوجات وأحكام العبيد في القرآن أو بينها وبين أحكام المواريث خبط وخطل وخطأ وهذا ما يفعله أهل هذه المدرسة.

ويـــريد (الطاهـــر) أن يستدل على تقريره السابق فيتساءل: "هل جاء الإسلام لتزكية نفوس المجرمين، وتطهيرها من روح الشر والإجرام بما يضع لها من طرق التزكية، أو جـــاء ليقـــتص مـــنهم بإقامة الحد تنكيلاً بهم وبما صنعوا؟" [1] ويريد بهذا الكلام أن يتوصل إلى عدم ثبات الحدود الشرعية للمجرمين..

ونحـــن نقول له هل نسيت قول الله تعالى: ﴿... ولا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ولْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [2] وفي حد السرقة: ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِـــيمٌ﴾ [3] أليس التنكيل مقصودًا حتى يرتدع الناس جميعًا وليس السارق فقط... أي تعليل للأحكام هذا تكون النتيجة إلغاء حكم شرعي ثابت بنص قطعي في دلالته وثبوته؟! هذا ليس تعليلاً موضوعيًا للنصوص وإنما تعطيل لها ومحاولة للالتفاف عليها.

ويســـتنتج (نصـــر حامد أبو زيد) – وهو من دعاة هذه المدرسة المعروفين – من تساؤلات (الطاهر) بأنه: "يمكن أن تطرح أسئلة جديدة، ومعنى ذلك أن جوهر الإسلام

---

[1]) المرجع نفسه، ص ٧٠.

[2]) النور، الآية ٢.

[3]) المائدة، الآية ٣٨.

لــيس معطى ثابتًا، بل هو جوهر قابل دائمًا للاستنباط وإعادة الاكتشاف بحسب تطور الوعي الإنساني... هكذا نعود للجذر الأصلي الذي يسمح للعقل بالحركة الدائمة الحرة دون حــدود فاصلة عازلة بين الثابت والمتغير، أو بين الدنيوي والديني معرفيا"[١]، هذا كلامه بنصه.

هكــذا تــريد هذه المدرسة علمنة الإسلام وهز ثوابته بدعوى العقلنة والعصرنة، وحرية الاجتهاد العقلي، وضرورة اكتشاف الإسلام في كل عصر حسب معطيات ذلك العصر، وليس حسب معطيات ثابتة وجوهرية في الإسلام نفسه كدين خالد شامل يحدد للعقــل البشــري مســاراته وحدود استنتاجه، وهذا هو تأليه العقل البشري وتقديس اختياراته، والذي هو الجوهر المناقض لمرجعية الوحي وحركة العقل في إطاره.

وهــذه المدرسة لا تريد مناقشة قضية المرأة في إطار الحلال والحرام لأنه: "إطار لا يســمح بالتداول الحر للأفكار"[٢] ولا تريد مناقشة المرأة من منظور أخلاقي وديني لأنه وحسب زعمهم حين تناقش المشكلات الاجتماعية عامة – ومشكلة المرأة خاصة – من منظور الدين والأخلاق تتبدد جوانب المشكلة، وتتوه في ضباب التأويلات الأيديولوجية النفعية للنصوص الدينية!. والأهم من ذلك أن المناقشة من منظور الدين والأخلاق تعد إخفــاء مــتعمدًا للبعد الاجتماعي والاقتصادي..."[٣]: "إن الخطاب الديني يزيف قضية المرأة حين يصر على مناقشتها من خلال مرجعية النصوص متجاهلاً أنها قضية اجتماعية بالأساس"[٤] ومع كل هذا الكره للمنطلقات الدينية ورفض التسليم بمرجعيته، يصر دعاة هذا الخطاب بأن فهمهم للدين هو الأصح!!

---

[١]) نصر حامد ،دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة، مرجع سابق، ص ٧٠.
[٢]) المرجع نفسه، ص ٨٦، وهذا كلام أبو زيد عن الحلال والحرام.
[٣]) المرجع نفسه، ص ٨٧.
[٤]) المرجع نفسه، ص ١٢٣.

هـــذه المدرســـة تعتبر أن النصوص الواردة في المساواة التامة بين الجنسين وعدم التميـــيز بينهما هي الأساس المعتمد، أما النصوص الواردة في خصوص الفروقات وبعض الاختلاف في الأحكام فهي نصوص "ذات دلالة تاريخية واجتماعية مباشرة، وأنها يجب أن يعاد تأويلها من ثم على ضوء نصوص التساوي الأساسية"[1] أي نلغي كل الأحكام التي هي مبنية على أساس الاختلاف البيولوجي أو الجنسي، ونعيد تفسيرها بشكل يتوافق مع هـــوى العصر ومساواة الجنسين المطلقة، ويستندون في هذه الأقوال إلى مجموعة قواعد فقهـــية مثل "تبدل الأحكام بتبدل الأزمان" و "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" و "والمعروف بين الناس كالمشروط بينهم" ويفسرونها على حسب ما يريدون دون تقيد بحدود كل قاعدة ودلالاتها الحقيقية، ونقول هذه كلمة حق يراد بها باطل.

ومن دعاة هذا التيار الآن (محمد شحرور) الذي يعتبر بو علي ياسين آرائه: "بداية محاولـــة لوثرية إسلامية لاسترجاع الإسلام من احتكار الكهنوت، وإعادته إلى أصحابه عامـــة الناس"[2] ولعل وصف الآخرين ذوي الاجتهاد المتوازن الأصيل وتسمية آرائهم بأنهـــا كهـــنوت، وخطاب تراجع، وسلفية، وأصولية، وإرهاب، وظلامية... واحدة من مواصفات هذه المدرسة، ولعل إعادة حق الاجتهاد لعامة الناس ومن هب ودب – تفاديًا للكهـــنوت حسب زعمهم – دعوة أصيلة في هذا التيار، وواحدة من كبريات أخطائه المنهجية والعلمية.

يصـــف (شحرور) العلمانيين الذين يبحثون عن حل لمشكلات المرأة خارج إطار الإســـلام بـــأنهم أعداء الإسلام"[3]، ويبدو من خلال اجتهاداته هو أنه لا يذمهم لأنهم رفضـــوا الدين، بل معنى قوله هذا إنه طالما أن هناك مجال للتلاعب بالنصوص، وضرب

---

[1]) المرجع نفسه، ص ٩٠.

[2]) بو علي ياسين ، (حقوق المرأة في الكتابة العربية) مرجع سابق، ص ١٨٧.

[3]) المرجع نفسه، ص ١٨٨.

بعضـــها بـــبعض، وتحميلها كل الدلالات التي نريدها فلماذا اللجوء إلى عداوة الإسلام ورفضه، هذا الدين السمح المطواع!!

من جملة غرائبه، ومآخذه على الاتجاه الإسلامي – هكذا من غير تحديد[١] – أنهم لا يفرقون بين الحدود والتعليمات سواء في الكتاب أم في الأحاديث النبوية، فالحدود من الناحـــية التشـــريعية فيها حلال وحرام، وتبعة من ثواب وعقاب، بخلاف التعليمات... ويقـــول ولا عتـــب على السلف لعدم فهمهم للحدود لأن المفهوم الرياضي للحدود لم يظهر قبل نيوتن!![٢]

يقـــول بـــأن الإسلاميين يظنون بأن ما حصل في حياة النبي ﷺ في حق المرأة هو كـــامل تحريرها علمًا بأن وضع تحرير المرأة في الإسلام كوضع الرق يحل مع سياق الزمن الـــتاريخي... وفي هـــذا يرى أن الأصل المساواة المطلقة، وأن اختلافات الأحكام نسبية وزمنية ولا بد من إزالتها!!.

يـــنكر على الإسلاميين قولهم "إن المرأة فتنة للرجل، فلا بد أن تتحجب أي تستر نفســـها، وأنهـــم لم يقولوا إن الرجل أيضًا فتنة للمرأة ولا بد أن يتحجب" ، ودليله أن القـــرآن لم يقل أن المرأة فتنة بل ذكر علاقة متكافئة ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٣]!! وهذا لا شك تجاهل لآيات وأحاديث صحيحة، بل لحقائق في النفس والمجتمع(١) ..

---

[١]) أي أن شـــحرور كغيره (نصر حامد أبو زيد) وكذا أغلب العلمانيين لا يفرقون بين الاتجاهات الإسلامية عندما ينتقدونها وكأنهم يتعمدون في هذا الخلط، علمًا بأن رؤى الإسلاميين تختلف بين التطرف والاعتدال كأي طائفة من البشر.

[٢]) المرجع نفسه ، ص ١٨٨.

[٣]) البقرة، من الآية ١٨٧.

يقـــول في موضوع التعدد أن حدود الله من حيث الكم زوجة واحدة كحد أدنى وأربـــع نساء كحد أعلى، بينما من حيث الكيف يجب أن تكون الثانية والثالثة والرابعة مـــن الأرامـــل، شرط إعالة أولادها، فموضوع الآية هو اليتامى وأمهاتهم[٢]، ولا أدري كـــيف فـــات الرســـول الكريم ﷺ أن ينبه الصحابة لهذا الوجوب في حين كان تعدد الزوجات ظاهرة شائعة جدًا، بل كان عدم التعدد نادرًا ؟!!

والأغـــرب من هذا الرأي هو رأي بعض دعاة هذا التيار بأن التعدد حرام، لأن القـــرآن شرطه بالعدل وقال في موضع آخر ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْـــتُمْ﴾ وينســـون باقي الآية ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ على طريقة ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ !، وأصحابنا هؤلاء أيضًا تنبهوا لهذا الأمر بعدما فات الرسول ﷺ أن يدركه وقت التنزيل!! حاشا رسول الله ﷺ.

أمـــا عـــن آية المواريث ونصيب المرأة فيها، فيرى صاحبنا أن ذلك حد أدنى لحق المـــرأة فيه، أما الحد الأعلى فيتحدد حسب الظروف التاريخية، ومدى مشاركة المرأة في المسئولية المالية للأسرة[٣]، وليت شعري وماذا نعمل بوصية الله في أولادنا؟!.

أما في ستر المرأة فيقول إن الحد المشترك بين الجنسين هو أن الحد الأدنى المفروض من اللباس هو تغطية الفرج فقط!! غير أن هناك إضافة واحدة فقط بالنسبة للمرأة، وهي جـــيوب الجســـم الـــتي تشـــمل ما بين الثديين وتحت الثديين، وتحت الإبطين، والفرج والإليـــتين، هذه الجيوب يجب على المرأة المسلمة أن تغطيها، فلا تبديها إلا أمام الزوج،

---

١) لا شـــك أن الادعـــاء بأن الإسلاميين لم يقولوا بأن الرجل فتنة للمرأة كلام لا أساس له، لأن من له عقل يعـــرف أن الجنسين كليهما (في بعض الأحيان) يكونان فتنة لبعضهما، أما التأثر بالشكل فهذا لا شك خاص بالرجل، بخلاف المرأة، لأن المرأة تثور بالسمع والهمس... لا النظر وهذا من البديهيات.

٢) المرجع نفسه، ص ١٨٩.

٣) المرجع نفسه، ص ١٨٩.

وأمـــام ثمانـــية محارم، وتغطية الأعضاء المذكورة أمام هؤلاء المحارم يعد من باب العيب والحـــياء (العـــرف) وليس من باب الحلال والحرام!! ومن هنا أتى معنى العورة، فهي ما يستحي المرء في إظهاره، ولا علاقة لها بالحلال والحرام!!.

ويقـــول ذلـــك هـــو أدنى اللـــباس في الشرع، وقد جاء اللباس المتمم في سورة الأحزاب ولكنه ليس تشريعًا، ولا حلال وحرام، وإنما هو تعليمات لدفع الأذى الطبيعي أو الاجـــتماعي، بناء على هذه الآية[1]، "على المؤمنة أن تلبس لباسًا خارجيًا، وتخرج إلى المجتمع حسب الأعراف السائدة في مجتمعها بحيث لا تكون عرضة لسخرية وأذى الناس" وقد وضع الرسول ﷺ حدًا أعلى لهذا اللباس وهو أن يغطي الوجه والكفين!![2].

وفســـاد وبطلان هذا الرأي ظاهر جدًا حيث إنه لا يقيم وزنًا للنصوص الصريحة الثابـــتة القطعـــية الدلالة والثبوت شيء لا يحتاج إلى كثير بيان، وهذا الرأي يقتضي أن ســـباحة المرأة بالملابس المعروفة في الشواطئ والمسابح المختلطة أمر ليس بحرام، لأنه غير مســـتنكر عند الناس في كثير من البلاد!!، ولأن الحد الأدنى الذي يغطي الفرج حاصل ومـــتوفر، ثم إن الأمـــر لـــيس فيه حرام وحلال أصلاً كما تفضل هذا المهندس الذي اختلطـــت عنده كل الأوزان والمقاييس، فأصبح الأمر اشتهاء لا اجتهادًا، لأنه ليس أهلاً للاجتهاد أصلاً.[3]

ولم يترك هذا الرجل شيئًا من أحكام المرأة إلا وأتى فيه ببدعة منكرة، حيث أطلق العـــنان لخياله، من غير ضوابط، والذي توصل إليه ربطه بكلمة شرعية، مع وجود رابط

---

[1]) أي تلك التي في سورة الأحزاب الآية ٥٩: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[2]) بو علي ياسين، حقوق المرأة في الكتابة العربية، مرجع سابق، ص ١٩٠.

[3]) هـــذا الرجل مهندس كهربائي وليس له أي باع ولا تخصص في الشريعة فكيف يجرؤ على هذه الفتاوى، وهل يقبل هو أن يفتي أحد غير متخصص في الهندسة الكهربائية عنده ؟ وإذا أخطأ ألا يعيبه بعدم التخصص ؟

أو عدمـــه، ومـــن غير أن يدرس الأمر عند الآخرين، ولا أن يجمع النصوص الواردة في الموضـــوع الواحد... إلخ، حتى إن العلاقة الجنسية بين الجنسين قال إنها على مستويين: مســـتوى الـــزنا والفاحشـــة والتي هي حدود الله، وهو حرام، ومستوى ما دون الزنا (مصـــافحة، قـــبلة، أحضـــان، مراقصة...) وهذا متروك لحدود الناس، ويتبع أعراف البلد!!![1]

ونعود إلى أصول هذه المدرسة ونقول يمكن إيجاز أبرز سمات هذا التيار كالآتي:

١ – غالـــب دعـــاة هذا التيار هم ممن استوعبوا أو استلبوا "في قطاعات ا لفكر الغـــربي المخـــتلفة (الليـــبرالية، الماركســـية، المـــدارس الاشتراكية الأخرى، الوضعية، الوجوديـــة...إلخ) وهـــم في نفس الوقت لم يفقدوا – لسبب أو آخر، وبإخلاص أو عن نفاق روابطهم بالإسلام، فنجدهم يجهدون أنفسهم من أجل التلفيق بين المعتقدات التي يصعب في كثير من الأحيان الجمع بينهما"[2].

يقول بوعلي ياسين: "مما ساعد اليسار الاشتراكي في الصراع (أي مع اليمين) هو تحوله منذ منعطف السبعينات بصورة منهجية مركزة للاهتمام بالتراث العربي الإسلامي، وفي فترة تالية برز ما يمكن تسميته (اليسار الديني) وهو اتجاه ديني عقلاني..."[3] وأنصار هـــذا التيار بالرغم من تأثرهم لحد الاستيعاب بالأفكار والمذاهب غير الإسلامية، ليسوا أهل تخصص في العلوم الشرعية وبضاعتهم فيها كاسدة ومزجاة، ولذلك يقعون في أخطاء علمـــية لا تغتفر، ويدعون ما ليس لهم، وأحيانًا يجمعون من هنا وهناك، ويتلقفون أفكار

---

[1]) المرجع نفسه، ص ١٩٣.

[2]) عـــادل حســـين (المـــرأة العربية نظرة مستقبلية) ، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية ، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ، الأمم المتحدة ، ص ٢٨.

[3]) بو علي ياسين (حقوق المرأة في الكتابة العربية) مرجع سابق ، ص ١٤٥.

المستشــرقين، وكتــب المذاهب الباطنية ويخلطونها مع آيات وأحاديث لأقوال الفقهاء فتخرج مزيج غير متناسق، بل متناقض ومعيب.

٢-تــيار يعيش تحت ضغط الواقع الموجود، حيث إنهم بعد اقتناعهم بالكثير من معطــيات الفلســفة الغربية، اقتنعوا بأغلب مظاهر ونظم الحياة الغربية أيضًا، ويعتبرونها قمــة، وحقًا مطلقًا، ونموذجًا، فبالتالي يسعون إلى إيجاد هذه النظم والوقائع في بلادهم، ويوظفــون التراث الإسلامي لهذا الغرض، وهذا يعني أنهم ليسوا باحثين متجردين، بل متحيزون وعندهم قناعات مسبقة يريدون تلوينها بالإسلام.

يعتــبرون الواقــع الغربي تطور حتمي للتاريخ لا يمكن تجاوزه، وبالتالي لابد من الانجراف معه، وإعادة تفسير الدين في ضوء متطلبات هذا الانجراف، وهذا يجعلنا نسمي فقههم بفقه الهزيمة. وليس المهم عندهم أن يتعارض هذا المسعى مع نص أو اثنين أو عشر لأن العقول والوقائع هي التي تحدد معنى النص عندهم، أو تجعل النص ينطلق بالحكم[1]. وأي خطاب لا يتوافق معهم فهو خطاب أيديولوجي، ورجعي، وسلفي.

في مســعاهم هذا ينكرون الكثير من النصوص الصحيحة، ويرفضون العديد من القواعــد الفقهية، ويتبنون العديد من الفتاوى الهزيلة بل والمضحكة أحيانًا، ويصدرون الأحكام بارتجالية عجيبة، ويلجئون لبعض التأويلات الفاسدة التي لا تدعمها لغة ولا نص ولا قياس... وأشبه ما تكون بالتأويلات الباطنية المعروفة في الفكر الإسلامي.

يركزون على المصالح دون المفاسد، على التحليل دون التحريم، على المطلق دون المقيد، على الجزيئات دون الكليات وأحيانًا العكس... لا يوجد منطق علمي، ومذهب،

---

[1]) تأثر الكثيرون منهم بالمدارس الألسنية الحديثة التي نشأت كالتفكيكية والبنيوية والظاهراتية وتأثروا بمنطق ما بعد الحداثة في الخلط ما بين الأمور، وتفتيت حدود العلوم.

وقواعـــد تحليل واستنباط واضحة، يريدون أجوبة محددة سهلة بنعم أو لا كالرياضيات والحساب في أمور معقدة ومتشابكة، وتحتاج إلى تفصيل وتدقيق.

٣- همهـــم منصـــب على محاربة التيار الإسلامي المخالف لهم عمومًا، وتعبيرهم، وإبراز أخطائهم، يسكتون عن إباحة الزنا، ويتكلمون عن إباحة التعدد، أدبياتهم مسخرة للاســـتهزاء بالنقاب وحتى اللباس الشرعي، ولكنهم لا يقولون كلمة عن ملابس التبرج والإثارة والفتنة وعرض العورات واللبس الفاضح.

٤- لـــيس هـــناك وضوح في تفكيرهم وشعاراتهم ومصطلحاتهم "ما هو القصد (بحرية المرأة)، هل يعني نبذ القيم والتقاليد والعادات؟ أو هل هو التحرر من التراث؟ أو هـــي نعني بها التحرر من الحاجة الاقتصادية؟ أم تحررها من تحكم شروط صاحب العمل؟ أم تحـــررها من الالتزامات نحو زوجها وأبنائها؟ أم تحررها من الحاجة لإشباع الجنس؟ أم تحـــررها مـــن مجـــتمع الاستهلاك؟ أم تحررها من سمات الأنوثة؟ أم تحررها من مساحيق التجمـــيل؟ أم تحـــررها من أسر الموديلات؟ أو هل يعني التحرير حصول المرأة على حق التصويت والترشيح..."[١]

وفي أحـــيان كـــثيرة يســـتخدمون مصطلحات في غير محلها، أو خارج مدلولاتها الاصطلاحية بغرض الإيحاء بمفهوم معين وإقناع القارئ به، يقول المولى عز وجل في مثل هذا المسلك : ﴿وإنَّ منهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بالْكتَاب لتَحْسَبُوهُ منَ الكتَاب ومَا هُوَ مـــنَ الكتَاب ويَقُولُونَ هُوَ منْ عند اللَّه ومَا هُوَ منْ عند اللَّه ويَقُولُونَ عَلَى اللَّه الكَذبَ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

[١]) مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٤ ديسمبر ١٩٨١، ص ١٢١.

[٢]) آل عمران، الآية ٧٨.

وختامًا نعود إلى ما سبق قوله من أن هذا الاتجاه علماني ويريد تقديم قراءة علمانية للإسلام، والعلمانية عندهم لا تعني انتهاء الدين (Death of Religion) كدين، ولكن تعني انتهاء نمط محدد من الدين، أو العلمانية تعني : إحداث تغييرات في الدين ولا تعـني اخـتفاءه تمامًا، ويشيع هذا الاتجاه بشكل واضح في الفكر الغربي سواء في مجال الاجـتماع أو الاقتصـاد"[1] وهؤلاء ينظرون إلى الدين كأداة لتحقيق التنمية والمنفعة، فيصنفون الأديان إلى أديان معيقة للتنمية، وأديان مشجعة أو مساعدة على التنمية بغض النظر عن أن الدين وحي منزل صحيح أم لا.

الدين والتحديث عند الغربيين

وحـول علاقة التحديث بالدين عند الغربيين، فمع وجود الاتجاه الوضعي الحسي الذي يرفض الدين جملة وتفصيلاً، إلا أن هناك اتجاهًا قويًا لا يحتم اختفاء الدين "ولكنهم يؤكـدون ضـرورة حدوث تغيرات في الدين كي يتلاءم مع المنهج العلمي والعقلي في التفكير"[2].

ومـع انتشار وتمكن القيم العلمانية وأساليبها في الفهم والتحليل، فإن ظهور مثل هـذا التيار أمر حتمي وطبيعي، لأن هناك تلازمًا بين انتشار العلمانية وبين اتساع مجال حـرية تفسـير الديـن بمضـامين مختلفة ورؤى فردية ولقد" كشفت دراسة (هيربرج Herberg) أن ٩٥% مـن الذيـن يؤمنون بوجود إله في أمريكا، يفسرون الرموز الدينية بشكل ذاتي، وطرق جديدة لا يعرفها آباء الكنيسة أنفسهم، وهذا يعني أن هناك ارتباطًا بين تبني القيم العلمانية، وعدم ثبات وحدة تفسير نسق المعتقدات والممارسات

---

[1]) الدكتور نبيل السمالوطي (الدين والتنمية في علم الاجتماع) مرجع سابق، ص ٣٢.

[2]) المرجع نفسه، ص ٣٤.

الدينـــية، كـــي تناســـب المـــتغيرات الجديدة في مجالات العلم والاقتصاد والتكنولوجيا والسياسة... داخل المجتمعات الحديثة في هذا القرن"[1].

ولـــيس أصحابنا هؤلاء إلا غصنًا من هذه الشجرة يتبعها ويتمايل معها، بعد أن افترضـــوا تناقض ديننا مع العصر، وبعد أن توهموا واستعاروا مشكلات تلك المجتمعات، وثنائيات الدين والدنيا، والدين والعلم والعقل، والدين والحرية والحقوق المدنية، والدينية الثيوقراطـــية والمدنية الديمقراطية.. إلخ ، ولم يفرقوا بين أديانهم المحرّفة والبشرية، وديننا المحكم الإلهي المحفوظ.

المطلب الثاني

مدرسة الإفراط والتزمت

وهـــذه المدرسة ليست جديدة، بل لها جذور قديمة في بعض الآراء والفتاوى عند فقهـــاء المدارس المختلفة، من الذين قالوا بآراء وتبنوا اجتهادات بخصوص المرأة يمكن أن تصنف في هذه الخانة، من غير التقليل من قدر هؤلاء الفقهاء الأجلاء، الذين أموا أمتنا في قرونها المختلفة وقادوها للهدى والرشاد.

---

[1]) المرجع نفسه، ص ٤١.

وربمـــا كان لبعض هذه الاجتهادات المتشددة مبررات في زمنها وبيئتها، ولكنها الآن مدخل للإعاقة والظلم والإجحاف في حق المرأة، ومعيقة لنهضتها وقيامها، كاجتهاد الـــولي المجـــبر، وجواز تزويج اليتيمة وهي صغيرة، بل حتى جواز أن يكون هو الناكح والمـــنكح كما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة خلافًا للشافعي ومالك وغيرهم[1]، وكاجتهاد (بيـــت الطاعـــة) وجر المرأة بالبوليس لبيت الزوج، والقول بأن طاعة الزوجة لزوجها كطاعـــة العبد لسيده، لأن النكاح نوع من الرق كما يقول الإمام الغزالي[2]، وكجواز تعلـــيق المرأة بمبلغ أكثر من مهرها وقدرتها أثناء الطلاق أو المخالعة، والذي عليه العمل عند بعض مشايخنا الشافعية[3]، وكتحريم كشف المرأة لوجهها وكفيها واعتبارها مذنبة في ذلـــك ومنع اختلاط الرجال والنساء بأي وجه مهما كانت الأغراض شريفة والضوابط مـــتوفرة، ووضـــع حد لتعليم المرأة دون الرجل، ومنع خروج المرأة للعمل إلا بشروط قاســـية جـــدًا بأن تكون وسط نساء، وأن تكون هناك حاجة([4])...، ومنع ذهاب المرأة للـــبلاد غـــير الإسلامية حتى لطلب العلم وبصحبة الزوج، أو لطلب السياحة الشرعية ورؤيـــة المخلوقـــات والسير في الأرض، وتحريم سفر المرأة مطلقًا إلا مع ذي محرم وعدم التقيد حتى بالقدر الوارد في الأحاديث على اختلاف رواياتها وعدم الأخذ بعين الاعتبار الوسائل الحديثة في المواصلات وتوفر الأمن وتعقد الحياة المعاصرة ، وتحريم الاختلاط بأخ الـــزوج وزوج الأخت وابن العم حتى مع عدم وجود خلوة وفتنة، واعتبار صوت المرأة عـــورة حـــتى مع عدم الخضوع ولين القول ورأيهم هذا مضمن في منعهم المرأة أن تقدم

---

[1]) الدكتور وهبه الزحيلي (التفسير المنير) مرجع سابق في تفسير آية التعدد، ص ٢٣٨.

[2]) انظر كتاب (إحياء علوم الدين) كتاب النكاح، الجزء الثاني.

[3]) هذا كان شائعًا في بلدنا ويجيزه المشايخ التقليديون.

[4]) إن عمـــل المـــرأة بالشروط المطلوبة ليس يخدم المجتمع فقط، وإنما يخدم المرأة نفسها في المقام الأول حيث تنشـــغل بالنافع لنفسها ومجتمعها وأسرتها وتنصرف من التوافه والإغراء والنمنمة ولا تجد الوقت الذي يستغله الشيطان لإفسادها إذا كانت عاطلة، وليس كل النساء مشغولات بأسرة.

محاضرة للرجال مثلاً، ومنع النساء من المساجد أو ترغيبهن على عدم ارتيادها للصلوات...، وتحريم سلام الرجال على النساء (مجرد إلقاء التحية دون مصافحة)، تحريم قيادة النساء للسيارات مطلقًا، وتحريم علاج المرأة عند طبيب إلا عند عدم وجود طبيبة، وفي الضرورة[1].

أما الحديث عن المشاركة السياسية للمرأة، وتولي الولايات والقضاء، ومشاركة المرأة في الجهاد والقتال، وظهورها كنائبة في البرلمان... فهذا عندهم مستبعد تماما ويعتبر مما لا كلام فيه أصلاً.

ويتبنى آراء هذه المدرسة أو الكثير من وجهات نظرها بعض العوام والمتزمتين تأثرًا بالأعراف والتقاليد التي تهمش المرأة وتنتقص من قدرها، وبعض العلماء والدعاة والجماعات الإسلامية تأثرًا بفقه فترة الانحطاط والجمود أو انحيازًا إلى التشديد بل التيسير، وفقه سد الذرائع والفتنة، واعتمادًا على الفقه الحرفي النصوصي للروايات والمأثورات السلف. دون تمحيص ونقد وجمع للآراء[2] ولتدعيم وجهات النظر هذه يتركون منطوقات النصوص من الكتاب والسنة ودلالتها الواضحة لكي يتمسكوا بعقولهم وأعرافهم ، تلك التي طالما يشجبونها في مناقشاتهم لقضايا أخرى..

ويمتاز المعاصرون من هذا التيار بالآتي:

---

[1] انظر لأغلب الفتاوى السابقة النشرة ، الصادرة (بعنوان ٧٠ مخالفة تقع فيها النساء يجب الحذر منها) راجعها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، الرياض، دار ابن خزيمة.

[2]) لا يعني كلامنا هذا أن أي عالم تبني فتوى فيها شدة وعزيمة، أو لم ير كل ما نراه نحن من رأي فهو بالتالي متزمت و... و ليس كل من قال بفتوى من هذه الفتاوي الكثيرة التي ذكرناها، فإنه بالضرورة يقول بكلها، وأمر الفقه فيه سعة، ولا بد أن يعذر المخالف طالما يقول برأي سبقه إليه الدليل والعلم والاجتهاد. وقال به أئمة وعلماء لهم قدرهم حيث القاعدة الذهبية تقول (لا إنكار فيما اختلف فيه الفقهاء) وكل حر فيما يأخذ ويرى بشرط أن لا يعتقد ضلال غيره أو فسقه ولا يفرض رأيه على غيره باعتباره دينًا.

١- الحرفـية في فهم النصوص، والظاهرية في الفقه، ولكن بدون عبقرية المدرسة الظاهرية في الاستنباط وجمع الروايات، بمعنى الوقوف عند اللفظ والشكل والظاهر وعدم الالـتفات إلى المعـاني والمقاصد وفقه المآلات، والأولويات... وعدم التفريق بين الأصل والفرع، والغاية والوسيلة، والحقيقة والمجاز، والخاص والعام، والثابت والمتغير... إلخ.

٢- هذه الطائفة تعتبر آرائها حقًا مطلقًا، ولا تسمح بحرية الاجتهاد، وجواز تعدد الـرأي والصـواب وينكر على غيره آرائهم وينسى أو يتجاهل قاعدة "لا إنكار فيما اختلف فيه الفقهاء"، فيعادي من خالفه، ومن معه قديس ومن ضده إبليس، لسانهم حاد وسـليط، وقدرتهم في توزيع ألقاب الكفر والفسق وأحكام الحلال والحرام فائقة، صعد خطيـبهم مـرة في (صـنعاء) على المنبر يوم الجمعة ليقول بالحرف: "ولا يغرنكم قول الفاسقين الذين يقولون بجواز كشف المرأة عن وجهها"[١]

يقـول الشيخ محمد الغزالي : "جاءني أحدهم يقول إنك مخطئ فيما تذكره للناس (أي أن وجـه المرأة وصوتها ليسا بعورة) ويجب أن تتوب! قلت له: لست وحدي الملوم فـإن كـبار المفسرين سبقوني إلى هذا الخطأ، كما سبقني إليه رواة عشرة من الأحاديث الصـحاح، وشاركني في خطئي أيضًا أئمة الفقه في المذاهب الأربعة، وعدد من المذاهب الفقهية الأخرى..."[٢]. هل كل هؤلاء الأئمة مخطئون وفساق!!

يا خطيب صنعاء الجهورى الصوت، ولا أدري ما الذي يدفعك لكل هذا التطرف فما شأن كشف الوجه وأنت في اليمن وأهله من النساء لا يكاد وجوههن تظهر إلا نادرًا حيث إن أكثر من ٩٠% منهن منقبات.!!

---

[١]) حضر الباحث بنفسه هذه الخطبة في مسجد في صنعاء سنة ١٩٩٤م.

[٢]) في كتاب (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) مرجع سابق، ص ١٦٢.

وغالبًا ما يتبع هؤلاء تقليدًا من التقاليد، أو رأيًا فقهيًا مرجوحًا أو ضعيفًا، أو حديثًا متكلمًا فيه متعارضًا مع القرآن، أو قول فقيه من الفقهاء يقدسون آرائه ويجعلونها بمرتبة الوحي، وفي هذا ينفعل الشيخ محمد الغزالي ويقول: "لحساب من يرى بعضهم الرأي من الآراء، أو يحترم تقليدًا من التقاليد، ثم يزعم أن الإسلام الواسع هو رأيه الضيق، وأن تقاليد بيئة هي توجيهات الوحي، وبقايا التعاليم السماوية على الأرض؟"[1]، بل الأقبح من هذا فإن موضوع المرأة أحيانًا تعالج لا على ضوء النصوص والفقه بل "على ضوء ملابسات نفسية أخرى فهناك ناس مصابون بسوء الظن، وشدة الغيرة، وتصديق الأوهام، وهناك ناس مصابون بعلل الشيخوخة، وأعراض الضعف الجنسي يتطيرون من خروج المرأة إلى مسجد أو مدرسة، فيطيحون بكل قول صائب إيثارًا لما وقر في نفوسهم.[2]"

٣- عدم الالتفات إلى اختلاف حاجة المجتمعات، وحاجة المرأة المسلمة لتيسير أكثر حتى تنهض وتقوم بواجباتها في بيتها ومجتمعها ووسطها النسائي والعام، وعدم الالتفات إلى علل الأحكام ومقاصد الشريعة، وعدم الالتفات إلى أن هذه الفتاوى - التي ليست إلا رأيًا فقهيًا - تشوه صورة الإسلام كدين ويمنع الناس من الدخول فيه، وخصوصًا الغربيين لأنهم يرونه غريبًا وعنيفًا ومتشددًا، بل إن أوضاع النساء عند هؤلاء المتشددين تغذي المادة الإعلامية الصليبية والصهيونية واليسارية في حملتهم العدائية المنظمة ضد عقيدة الإسلام وتشريعاته، والذين يعيشون في الغرب أو يتابعون الإعلام المعادي للإسلام يدركون هذا الأمر بوضوح ..وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي: "قلت لنفر من أولئك المتحدثين: إن وجه الإسلام جميل ولكنه من خلال كلماتكم يبدو متجهمًا دميمًا، وأنه من أحسن العبادة أن تسكتوا فلا يسمع لكم صوت، إن أي كلام يفيد منه

---

[1]) المرجع نفسه، ص ١٥٨

[2]) محمد الغزالي (الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر)، مرجع سابق، ص ٧٣.

الاســتبداد السياسي، أو التظالم الاجتماعي، أو العطن الثقافي، أو التخلف الحضاري لا يمكــن أن يكون دينًا، إنه مرض نفسي أو فكري، والإسلام صحة نفسية وعقلية... إن شــرًا مســتطيرًا يصيب الإسلام من تقوقع بعض أتباعه في آراء فقهية معينة شجرت في ميدان الفروع، ويراد نقلها من مكانها العتيد لتعترض عقائده وقيمه الكبرى[١]"..

ويقول عنهم : "إنهم مشغولون بشيء واحد، جعل المرأة رهينة محبسين من الجهل والقهر... وجعل الأمة كلها تترنح تحت وطأة التخلف الثقافي والسياسي في عصر الذرة والفضاء"[٢].

٤- أصــحاب هــذه النظرة على عكس رسول الله ﷺ ما خيروا بين أمرين إلا اختاروا أشدهما وأعسرهما وأضيقهما، ولو لم يكن الأيسر والأوسع والأخف إثمًا وذنبا ، ورسول الله ﷺ كما يقول الحديث (ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا)، هم يختارون للمرأة هذا ثم يطالبونا ويطالبون المجتمع بتبعات اختياراتهم هم، ويلزمونه بها (إِنِ اسْتَطَاعُواْ)[٣].. يقول الشيخ محمد الغزالي: "يوجد في هذا العصر فتيان وشيوخ لهم أدمغــة مظــلمة متحجرة، يقولون: رأينا وحده! ولا حياة لرأي آخر ولا مكان له، إنهم طراز جديد من الخوارج القدماء!"[٤].

٥- يــنهون الــناس عــن المنكرات وحق المباحات، من غير أن يرشدوهم إلى المعــروف الــذي يحــل محلها، يحبسون المرأة في جدران البيت ويمنعونها من الخروج إلا للضـــرورة وفي إجــراءات ومراسيم خاصة، ثم يقولون لها إن التلفزيون حرام، والدش

---

[١]) الشيخ محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، مرجع سابق، ص ١٥٨-١٥٩.

[٢]) المرجع نفسه، ص ٢٠.

[٣]) للإنسان الحق في أن يختار لنفسه أكثر الآراء تشددًا أو يأخذ بالعزيمة دومًا، ولكن ليس من حقه أن يفرض ذلك على غيره، ولا حرج في اتباع الرخص، وقد قال السلف "الفقه رخصة من ثقة".

[٤]) المرجع نفسه، ص ٨.

حــــرام، والمجلات النسائية حرام، والمسلسلات حرام، والغناء والموسيقى حرام، وهناك كتب محددة، وقصص محددة يمكن قراءتها...[1] وفي المجتمعات المرفهة ماديًا كدول الخليج العربي والسعودية حتى خدمات البيت يعفونها منها ويجلبون خادمات وخدم فلا يدعونها تحقــق ذاتهـــا حـــتى في ترتيب علب المطبخ، والسيادة على الصحون والأواني والفرش والمكتب... مثل هذه المرأة ماذا تفعل في ظل عدم توفر البدائل، وعدم التمييز بين الحرام والمباح، وهل هذه الحبيسة تكون عندها رغبة حتى في العلم والعبادة... ولذلك غالبًا ما تراهن يتوجهن إلى أمور غير جوهرية، فهذه تدلع جسدها وترطبه طول الوقت، وعندها موقـــف مـــن كل شعرة في جسدها، أو قطرة عرق في جبينها أو... وهذه تعودت على الأكـــل وتنويع المطبخ وتخرج قهرها بالطعام وتكون اللحم على الشحم، والشحم على الـــلحم وهكذا دواليك، وأحيانًا تلجأ هذه الحبيسة المسكينة إلى أمور محرمة فمنهن من تتفنن في الوقيعة بين الناس والافتراء عليهم، ونقل الأخبار والكلام بين الناس وتجد متعتها في هذه الهواية، وتشغل أوقاتها بها!!.

٦- يتكـــلمون عـــن حقـــوق الرجال أضعاف ما يتهامسون بحقوق النساء[2]، وعـــندهم مواقف مسبقة من المرأة، فالمرأة في نظرهم جاهلة وغبية غالبًا[3] ومصدر للشر والفتـــنة إذا لم تكبـــت وتحبس، لا تعرف أن تختار إلا تحت وصاية ومندوب سامي من

---

[1]) هـــذا الســـرد في مقام الإنكار لا يعني إقرار الباحث بكل ما في هذه الوسائل، ولا يعني أنه لا يوجد فيها مفاســـد، ولكن المراد أن يبين أن فيها محاسن أيضًا، وأن المنع من غير بديل لا يجدي نفعًا، وأن النفوس لا تترك شيئًا إلا بشيء كما يقول الإمام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) عند حديثه عن تغيير المنكر.

[2]) يلاحـــظ أن الرســـول العظيم – صلى الله علي وسلم – أوصى في خطبة وداعه بالنساء خيرًا مع الوصية بالصلاة... إلخ.

[3] قـــد لا يقولـــون بهذا صراحة إذا سئلوا، ولكنهم يتصرفون على مقتضى ذلك المفهوم وحاضر في أذهانهم، وأحيانا يصرحون به.

الذكور، لا تحسن التعامل مع حقوقها وحرياتها، لا تستطيع حماية نفسها من أي رجل أو من أي شر.. المرأة أنانية عندما ترفض التعدد، أما الرجل فليس شهوانيًا إذا كان مزواجًا مطلاقًا، وتزوج بأكثر من واحدة من غير أسباب مشروعة، لأن التعدد في هذا الفقه سنة وليس مباحًا ولا مكروهاً.

إذا تم تسهيل إجراءات الطلاق والاعتراف برغبة المرأة وإرادتها إذا كرهت زوجها، فإن أسرنا كلها تهتز عند هؤلاء، والنساء سوف يقفن في طوابير لطلب الفراق والشقاق!!.

إذا حضرت المرأة في مجالس العلم بأدب واحتشام، من غير اختلاط الأنفاس مع الرجال، ولا تبرج بزينة، وقامت وسئلت وتكلمت، فإن شبابنا كلهم سوف يركبهم الشيطان، ويتحولون إلى أتباع الهوى والغرام في نظر هؤلاء!![1].

يروون للرجل حديثًا من إخراج أبي داود لا يعرف من أي وعاء هالك رواه، يقول "لا يسأل الرجل فيم ضرب زوجته" يعفونه من مسئولية عدوانه على المرأة، ويروون للمرأة في مقابل ذلك حديثًا رواه الطبراني: "ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة، الودود الولود العؤود، التي إذا ظلمت قالت: هذي يدي في يدك لا أذوق غمضًا حتى ترضى" وبهذا يخرجون حتى المرويات من سياقاتها ويوظفونها لمعانٍ ليست مرادة، وإن كانت مرادة فباطلة وغير صحيحة،[2] ويربون المرأة على السلبية والبرود وتلقي الظلم ،

---

[1]) والحقيقة إن التزمت مثله مثل التميع يؤدي على أمراض كثيرة خطيرة تنخر في جسم تلك المجتمعات التي تتبع تلك الطريقة ، إن عدم شعور المرأة بالأمان، وعدم استطاعتها الخروج لوحدها في تلك المجتمعات، = = = = وتعرضها للتحرش ، واحدة من الأدلة على فشل تلك الطريقة. وكذلك كثرة الزواج والطلاق، والاهتمامات التافهة للمرأة، وسيطرة الشهوة عند النظر لقضاياها.

[2]) المقصود أنه لا يجوز أن يفهم هذا الحديث – إن كان صحيحًا – على أنه يعني أن المرأة لا بد أن تقبل الظلم بسلبية إذا كان الظلم سياسة من الرجل، لأن هذا المعنى لا يتوافق مع الإسلام، وكل ما يعنيه إنه إذا كان

ويربطون بين شرف المرأة وقدرها وبين قدرتها على إنكار ذاتها لزوجها من غير أن يلقنوا الرجل ذلك المعنى أيضًا حتى يحدث نوع من التوازن.

٧- هـذه الطائفة ينقصها فقه الواقع والعصر بشكل مفجع - كما ينقصها فقه الديـن والتعامل مع النصوص واختلافات المذاهب - فيدركون الدولة في شكلها القبلي أو كـإدارة مدنـية[١]، لا دولـة مؤسسات متعددة ذات صلاحيات ودساتير ولوائح وشورى، لا يدركون اختلاف طبائع الأشياء والأزمان والأماكن الذي يؤدي إلى اختلاف الأحكـام، يركزون على المفاسد دون المصالح، من غير اعتبار لكون المصلحة راجحة أم لا، وهـل المفاسـد هذه متحققة أم متوقعة؟ يفضلون الانكماش والإحجام على الجرأة والإقدام، يتعاملون بفقه السلطة والشرطي، لا بفقه المربي والداعي والمصلح، لا يفقهون سنة التدرج التي هي سنة من سنن الحياة والشريعة والكون، ولا يبالون بأن كل تطرف يخلق شذوذًا وأمراضًا، وكل ضغط يولد انفجارًا، وإن العزل التام بين الجنسين وحجب المـرأة بهـذا الشكل القسري المبالغ فيه يخلق مشاكل متعددة، ومفاسد متنوعة وحتى أمراضًا خلقية ونفسية[٢]، ويقلل إلى حد كبير فرص الزواج الناجح، وقد روى شيخ ثقة عـن أحد الأخوة في نجد أنه تزوج بامرأة لم يرها حتى ليلة الزفاف، فدخل بها وطلقها في الصباح، ثم تزوج بأخرى فلم تملأ عينه، وسافر بعد ذلك للشام وتزوج بامرأتين اختارهما بعـد أن رآهمـا. وهذا ليس مثالاً فريدًا بل هو الغالب، حيث يعتمد الخاطب في أغلب

الـرجل مجحفًا أحيانًا فالحياة تقتضي من المرأة الترفع من الرد بالمثل، وكذا الرجل وإن لم يذكر في الحديث لأن الموضوع هو العلاقات الزوجية، بل في حق الرجل أولى، وربما ذكرت المرأة في الحديث لكونها في الغالب تنتظر الرجل حتى يجبر خاطرها عندما تحدث مشكلة بينهما.

[١]) ويبنون على إدراكهم هذا منع المرأة من الولايات والعمل العام عمومًا.

[٢]) أهل البلاد التي تعيش في أجواء العزل التام، حينما يخرجون إلى البلاد الغربية أو بعض البلاد الإسلامية التي فـيها بعض التفلت ، وتسعى النساء للتبرج المبالغ فيه، يصبح كل همهم الجري وراء النساء (إذا لم يكونوا من أهل التقوى)، ويبالغون في ذلك كرد فعل غير واعي على الكبت.

الأحـــيان على وصف أمه أو أخواته !! أي تكلف هذا ؟! هل كان مجتمع الرسول ﷺ بهـــذا الشـــكل؟ هـــل عزل الرسول وخلفائه الراشدون الرجال والنساء عن بعض بهذا الشـــكل القمعـــي والمبالغ فيه؟ أم أننا أتقى منهم وأكثر فهما للدين؟ ! وقد يوحي هذا التفكير بفهم خاطئ أو يتضمن بدعة منكرة، وهي زعم أن ما كان يحصل زمن النبي ﷺ مـــن أحـــوال النساء، وحرياتهن، والتقائهن بالرجال في العبادة والعلم والسوق والجهاد والعمـــل في الـــزراعة وغيرها... كان منكرًا لم يتمكن النبي ﷺ من تغييره وبيان الهدي الواضح فيه !!! أم أنه أقر منكرًا – حاشاه – !!.

٨– يعـــيش دعاة هذه الطائفة غالبًا تحت تأثير ردود الأفعال، سواء رد فعل دعاة الإباحـــية والفجـــور، أم رد فعل دعاة الميوعة والتفريط واجتهاداتهم، أم رد فعل الحياة الغربـــية المـــتحللة المتفسخة، ويتصورون أن أي تيسير لأحكام المرأة وعدم التشدد فيها سوف يؤدي بنا إلى تحلل وانفلات، ولذا فالأمر عندهم إما أسود أو أبيض.

وقد وقع في هذا الموقف الخطأ حتى بعض الجماعات المعتدلة في فترة زمنية محددة، يقـــول الشيخ راشد الغنوشي عن تجربة الحركة الإسلامية في تونس: "فلا عجب أن تجد الحـــركة الإسلامية نفسها في انطلاقتها في السبعينات تواجه مجتمعًا منحلاً يستمد فلسفة المحلالـــه من البورقيبية، فتدين ذلك المجتمع إدانة جذرية مطلقة ولم تسلم تلك الإدانة – نتـــيجة مـــا يصـــاحب رد الفعل عادة من حماس عنيف وقلة تبصر وإمعان في النصوص للتمييز بين الأصيل والدخيل في الإسلام – لم تسلم – في بعض جوانبها على الأقل – من التأثر بنمط العلاقات التي كانت سائدة في عصور الانحطاط بين الجنسين فتصدت الحركة الإســـلامية – إلى جانـــب تصديها للاستهتار والعرى والميوعة – للاعتراض بشدة على عمـــل المـــرأة خارج البيت، واختلاطها بالرجال في المدارس – دون تحديد دقيق لمفهوم الاخـــتلاط – كما دافعت بشدة عن تعدد الزوجات، وكأن التعدد واجب ديني، وليس علاجًـــا اســـتثنائيًا، وشجعت المرأة على الاكتفاء بالحد الأدنى من التعليم، وتشددت في

رفــض كل علاقة بين الرجال والنساء عدا علاقة القرابة والزواج"[1]، ولا يزال بعض الجماعـــات المعتدلة فيها أثر لهذا الفقه المتشدد، وأقرب مثال لذلك رفض بعض دعاة الحـــركة الإسلامية لمشاركة المرأة في عضوية مجلس الأمة (البرلمان) الكويتي، والذي ثار جدل واسع حوله عام ٢٠٠٠ داخل الكويت والرأي العالمي أيضًا.

المطلب الثالث

مدرسة الاعتدال والتوسط

وهـــذه هي مدرسة أهل السنة والجماعة، وجمهور فقهاء المسلمين، من غير تقيد بمذهب فقهي معين، أو تقديس لرأي عالم أو فقيه، وهذه هي مذاهب التيارات الإسلامية المعتدلة في الغالب الأعم- وإن كنت تجد في داخلها من لا يعبر عن هذا الفكر تماما- ، ويمـــثله في مجـــال البحـــث علماء وفقهاء مشهورون أمثال محمد عبده، الشيخ يوسف القرضـــاوي، والشـــيخ محمد الغزالي، والشيخ حسن الترابي، والشيخ راشد الغنوشي، والشيخ عبد الكريم زيدان ... وكثيرون مثلهم[2].

وسطية هذه المدرسة هي سمة من السمات المميزة للأمة الإسلامية جميعًا ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْـــنَاكُمْ أُمَّـــةً وَسَـــطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ...﴾[3] وقد جسد هذا التيار هذه الوســـطية في قضية المرأة بمعنى أنه تجنب المزالق التي وقع فيها التياران الآخران، فهذه إذا وسطية في كل أمر عنده طرفان مذمومان، وليست الوسطية توسطًا بين خطين متقابلين،

---

[1]) راشد الغنوشي (المرأة المسلمة في تونس) مرجع سابق، ص ٩٢-٩٣.

[2]) ليس كل علماء هذا التيار على رأي واحد تمامًا في جميع قضايا المرأة ولكنهم جميعًا يتعاملون مع القضية من منطلقات فكرية مشتركة، وآراء متقاربة إلى حد كبير.

[3]) البقرة، الآية ١٤٣.

وإنما الوسطية هي توخي العدل والرفعة عن الزلل [1]، والبعد عن الإفراط والتفريط المذمومين بعيدًا عن نهج الغرب المتحلل، ونهج الشرق المتشدد "كما يقول القرضاوي.[2] وقد شرح الباحث وجهة نظر هذه المدرسة من خلال نقد الأنثوية[3] ونقد المدرستين السابقتين خلال عرضهما، وتكميلاً للفائدة يمكن عرض أهم مميزاتها وسماتها من خلال النقاط التالية:

١- مرجعية هذه المدرسة الكتاب والسنة الصحيحة، وجهود السلف الصالح وفقهاء الأمة عبر العصور المختلفة، وفي إطار هذه المرجعية فإنها تولي الاجتهاد أيضًا أهمية خاصة، باعتباره الآلية الوحيدة التي تعطي الإسلام الديمومة والمواكبة والفاعلية، ولا تعتبر الاجتهاد في الدين حكرًا على جيل معين، أو كهنوت ورجال الدين، ولا متاحًا لكل من هب ودب من غير أن يملك أدواته وشروطه، وتجديد الدين أو تجديد فهم المسلمين لدينهم هو نوع من الاجتهاد الذي تتبناه هذه المدرسة، وهو محاولة إزالة الصدأ بانتظام، ومعالجة التشوهات التي تصيب الفقه والممارسة، والفصل بين الثابت والمتغير، وعدم تقديس غير المقدس لإعطاء العصمة لأحد غير المعصوم ﷺ وتسعى إلى إحياء ما اندثر من معالم الدين الصحيح، وتجريد الدين مما علق به من عادات الناس وتقاليدهم، والاجتهادات الخاصة بعصرهم، ومبالغات فقه الطوارئ والاستثناء، وترسبات فترة الجمود والانحطاط، وتقول بضرورة استيعاب المنطق الذي شكل الاجتهاد وشكل التاريخ حتى نواجه المستقبل بإجابات جديدة وأصيلة.

---

[1]) يقول الراغب الأصفهاني: "والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان، يقال هذا أوسطهم حسبًا إذا كان في واسطة قومه، وأرفعهم محلاً، وكالجود الذي هو بين البخل والسرف، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل والنصفة... "انظر المفردات في غريب القرآن، عند كلمة "وسط".

[2]) القرضاوي (مركز المرأة المسلمة) مرجع سابق، ص ٤٤.

[3]) لأنني أتبنى وجهة نظر هذا التيار في نقده، وأنطلق من تفكيره.

٢- موقف هذه المدرسة من العقل أيضًا منهج وسط بين إلغائه وتحكيمه في النصوص واعتباره السلطة العليا، وتقول بأنه لا يمكن أن نفهم الدين فهمًا صحيحًا بدون تفعيل العقل السليم، والاستفادة من تجارب البشر، وأن العقل الصحيح لا يمكن بحال أن يكون متناقضًا مع نص صحيح وصريح.

٣- موقف هذه المدرسة من الغرب وسط أيضًا بين موقف انبهاري وانفعالي سلبي، وموقف عدائي رافض، لأن هذين الموقفين يؤديان إلى إماتة روح الاجتهاد والإبداع والفعل والمبادرة، علاوة على ذلك يؤدي الموقف الأول إلى تميع الدين وضياع نقائه وأصالته، كما يؤدي الموقف الثاني إلى ضياع فعالية الدين وواقعيته ومواكبته، والمسلم مطالب بالحفاظ على أصالة وفاعلية الدين أو الفكر الإسلامي في آن واحد، ومطالب بأخذ الحكمة والحرص عليها من غير التفات للوعاء الذي خرجت منه، إذاً موقفها انتقائي وتمحيصي ووسطي.

٤- تتبنى منهجًا مركبًا ونظرة مركبة عند معالجة موضوع المرأة تستلهم التاريخ لفحص الحاضر، والتخطيط للمستقبل، وترفض الإجابات الساذجة والسطحية، ولا تعتمد إلى تبني أحكام جزئية ومطلقة ومبسطة، لا تقول بأنه لا فرق إطلاقًا بين إمكانات الرجل والمرأة، ولا تضخم الفروق بين الجنسين على نحو يكاد يطمس الجوانب المشتركة، ويهبط بالمرأة إلى قاع سحيق، ترى أنها بصدد معالجة قضية مركبة بالضرورة لا تعالج بالسطحية وعدم العمق، والقضايا عادة رمادية وليست بيضاء ولا سوداء، وترتبط بأحوال العمران جميعًا، وعلى ضوء هذا فإن هذه المدرسة لا تفسر قضية المرأة بعامل واحد، كالمعتقدات والعادات، أو سوء سلطة الأب وولي الأمر، أو غلبة حب السيطرة والعدوان على جنس الذكر، أو تفوق الذكر جسديًا وفيزيائيًا، أو تمكن الرجل من الاقتصاد والمال ووسائل الإنتاج والسيطرة، أو سوء تربية الجنسين وتنشئتهما على اللاعدل والتمييز ودونية جنس مقابل جنس، أو عدم وجود النساء في مراكز القرار

والسلطة، أو التكوين البيولوجي للمرأة وانشغالها بالحمل والولادة وبالتالي حاجتها للرجل... إلخ، هذه العوامل وغيرها مجتمعه وبدرجات متفاوتة، وعندما تطرح حلاً لهذه القضية فهي تطرح حلاً مركبًا أيضًا بقدر تعقد وتداخل العوامل المتعددة المساهمة في خلق المشكلة[1].

٥- خطابها غير منحاز للرجل أو المرأة، فلا تحرم تعدد الزوجات انحيازًا للنساء، ولا تعتبره سنة ومستحبًا في كل حال، بل ترى إنه باب لابد من تضييقه، ولكنها مع عدم الانحياز ترى ضرورة أن يكون هناك تمييز إيجابي لها حتى تتمكن من أداء واجباتها[2] ، وتتخلص من عبء قرون الانحطاط، ثم إن التمييز الإيجابي هو روح بارز في تشريعات الإسلام بخصوص المرأة.[3]

٦- انطلاقًا من روحها التجديدية فإنها ترى ضرورة التخلص من عبء التقاليد التي لا تنبع من الشرع، ومحاربة الأعراف المعيقة لنهضة المرأة وقومتها، "إن أهم ما يجب أن يهتم به المشتغلون بالفكر الإسلامي، والدعوة الإسلامية رصد التصورات

---

[1]) في الحقيقة تحتاج قضية المرأة إلى دراسات علمية أعمق، ولا زالت الحركة الإسلامية المعاصرة لم تقدم شيئًا كثيرًا في مجال تحليل وضع المرأة، ولم تضع إطارًا تحليليًا متفقًا عليه بخصوص هذا الأمر، وحتى آيات القرآن والسنة المطهرة أيضًا تحتاجان إلى باحثين عميقي الفكر يخصصوا بحوثًا علمية لهما ويعيدوا ترتيبهما وتفسيرهما بلغة معاصرة دون تميع ولا تفريط.

[2]) ونلاحظ أن الرسول ﷺ مارس هذا التمييز الإيجابي في صور كثيرة منها أنه خصص للنساء يومًا يعظهن ويعلمهن أمور دينهن بالإضافة طبعًا إلى السماح الدائم بحضورهن مجالس العلم مع الرجال. كما ورد في البخاري وغيره من الصحاح.

[3]) حتى مسألة عدم قبول شهادة المرأة في جرائم مثل الزنا لها علاقة بتكريمها، لأن الوقوف أمام المحكمة لحكاية تفاصيل دقيقة عن هذه الفاحشة ليس أمرًا سهلاً، حتى أن صعوبة هذا الأمر وهروب النساء من الأسئلة الدقيقة المحرجة للقضاة أدت بالكثير من الغربيات إلى عدم اللجوء للقضاء حتى في حالات الاغتصاب والاعتداء عليهن.

والسلوكيات المرتبطة بأعراف القرون الماضية، وتمييزها عما هو مبادئ شرعية، وأحكام إسـلامية ثابتة وكنسها من العقل والواقع الإسلاميين وبدون ذلك فسيصعب على دعاة الإصـلاح وعلى رواد البعث الحضاري لأمة الإسلام أن ينالوا مبتغاهم في واقع لم يخلص من رواسب التخلف والجمود".[1]

ويقول عمر عبيد حسنة "قد تكون الإشكالية الأخطر على مجتمعات المسلمين أن تحتل التقاليد الاجتماعية محل التعاليم والقيم الشرعية، وأن يكون غاية المطلوب أن يبذل الجهـد للتفتيش في التعاليم ا لشرعية لإضفاء القدسية والمشروعية على التقاليد حتى لو كانـت معوقـات فاسـدة، فهذا يفتح الباب على مصراعيه للون من الإبائية، وتسلل النزعات والبذور الجاهلية إلى النفوس، في غيبة من حراسة القيم وهبوط أقدار التدين... إن القيم المتحكمة في وضع المرأة في كثير من بلدان العالم هي التقاليد الاجتماعية، التي لا تخلو من جاهليات لا جاهلية واحدة، وليس التعاليم والقيم الشرعية في الأعم والغالب، وإن هذه التقاليد مشبعة بصور من الوأد الثقافي أو الوأد المعنوي بشكل عام"[2].

٧- فـيما يتعلق بعلاقات الجنسين واختلاطهما يقول الشيخ يوسف القرضاوي وهو من رواد هذه المدرسة: "دخلت معجمنا الحديث كلمات أصبح لها دلالات لم تكن من قبل، ومن ذلك كلمة "الاختلاط" بين الرجل والمرأة. فقد كانت المرأة المسلمة – في عصـر النـبوة وعصر الصحابة والتابعين – تلقى الرجل، وكان الرجل يلقى المرأة، في مناسـبات مخـتلفة، دينـية ودنيوية، ولم يك ذلك ممنوعًا بإطلاق، بل كان مشروعًا إذا وجدت أسبابه، وتوافرت ضوابطه، ولم يكونوا يسمون ذلك (اختلاطًا)... المهم أن نؤكد

---

[1]) الدكتور سعد الدين العثماني في مقدمة كتاب (مقاربة إسلامية للاستلاب النسائي) للدكتور أحمد الأبيض، ص ٦، منشورات الفرقان، الدار البيضاء ١٩٩١.

[2]) عمر عبيد حسنة في مقدمة كتاب (دور المرأة في خدمة الحديث في القرون الثلاثة الأولى) آمال قرداش بنت الحسين، منشورات سلسلة كتاب الأمة ، العدد(٧٠) قطر ١٩٩٩،ص ١٥-١٧.

هنا أن ليس كل اختلاط ممنوعًا، كما يتصور ذلك ويصوره دعاة التشديد والتضييق، وليس كل اختلاط مشروعًا كما يروج لذلك دعاة التبعية والتغريب".[1]

والاختلاط مصطلح في علوم الحديث يعني أن الراوي اختلطت الرواية عنده بسبب جنون عرض له أو الخرف أو فقد الذاكرة أو احتراق كتبه إن كان يحفظ بالكتابة..الخ، أما الفقه فلم يرد هذا المصطلح فيه..

٨-وبخصوص عمل المرأة لا ترى أن عمل المرأة في البيت وتفرغها للأسرة إذا اقتضت ذلك علامة مؤكدة للتخلف، ولا ترى أيضًا أن خروج المرأة للعمل عدوان أثيم على سنة من سنن الاجتماع، وترى أن العمل فضيلة وإحسان إن كان صالحًا، وأن الأمة التي لا تعمل أعضائها ذكورًا وإناثًا – سواء داخل البيت أو خارجه- سوف تتخلف وتتأخر.

وللمرأة أن تخرج من البيت، وتشارك في الحياة العامة وتدخل في الإدارة والسياسة والعمل العام، وتذهب إلى المسجد ودور العبادة ومنتديات العلم، وساحات الجهاد والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللمرأة أن تتاجر وتبيع وتشتري.. وأن حبس المرأة في البيت كانت عقوبة للمرأة الزانية قبل نزول حد الزنا "فكيف يستقيم في منطق القرآن والإسلام أن يجعل الحبس في البيت صفة ملازمة للمسلمة الملتزمة المحتشمة، كأننا بهذا نعاقبها عقوبة دائمة وهي لم تقترف إثمًا"[2].

ويقول الشيخ محمد الغزالي: "إن عقلية السجان لا تزال تسيطر على نفر غير قليل من المتحدثين في شئون المرأة، إنهم يريدونها محبوسة في عقر الدار، لا ترى أحدًا ولا يراها

---

[1]) القرضاوي (مركز المرأة المسلمة) مرجع سابق، ص ٤٣.
[2]) المرجع نفسه، ص ٥٦.

أحد حتى تنتقل من ضيق البيت إلى ضيق القبر"[1]، ويقول عن الذين يتشددون في ذهاب المرأة للمساجد: "المرأة الروسية غزت الفضاء، ويراد أن تعجز المسلمة عن معرفة الطريق إلى المسجد، كل دين مهما بلغ بطلانه ربط النساء بمعابده، ويراد من الإسلام وحده أن يــنفي النساء من بيوت الله... إن قضايا النساء لا تعالج بعلم بقدر ما تعالج بعقد نفسية، وأمزجة سوداوية، وقصور يدعى الغيرة ويتطاول على الحقائق"[2].

والمــرأة المســلمة تمــارس كل هذه الأنشطة وتكون مأجورة عليها، إذا التزمت مجموعــة مــن الشروط ويبين الشيخ حسن الترابي تلك الشروط والضوابط بقوله : لا ينــبغي أن يزدحم الرجال والنساء بحيث تتقارب الأنفاس والأجساد إلا لضرورة عملية كمــا في الحــج، وحيثما وجد الرجال في البيوت أو الطرقات أو المجالس أو المناسبات العامــة، يجــب أن تتمايز الأوضاع شيئًا ما، ولذلك تمايزت الصفوف في الصلاة... ولا ينــبغي لــرجل أو امرأة أن يتكشف في ملبسه عن عورة أو يتعمد فتنة الآخر بمظهر أو حديث أو حركة مغرية قال – تعالى-: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ...﴾ ، وهدي النبي ﷺ أن لا يبدو من المرأة إلا الوجه والكفان، والفتنة هي مدار الحكم... ولا تجوز أيما علاقة أو حالة بــين الرجال والنساء تفتح ذريعة إلى الفتنة والصلة الجنسية غير المشروعة، قال تعالى : ﴿وَلاَ تَقْــرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾[3]، وهذا المعيار هو الضابط للحالات التي لم نذكرها، فيجوز السلام والحديث إليهن بقصد ولفظ ظاهرين كما جرى من النبي ﷺ... ومهمــا كان سد الذرائع فلا يجب أن ينسخ أصل النظام الإسلامي العام، والذي يقضى بإشراك الرجال والنساء، واشتراكهم في الحياة العامة بعفة وطهارة، فإن العزلة إن كانت تحمي المرأة من الفتنة، فإنها تحرمها من فوائد اجتماع المسلمين وتعاونهم على العلم

---

[1]) محمد الغزالي (قضايا المرأة..) مرجع سابق، ص ٧٦.

[2]) المرجع نفسه، ص ٧٦.

[3]) الإسراء، الآية ٣٢.

والعمـــل الصـــالح، وائتمارهم بالمعروف، وتناهيهم عن المنكر واهتمامهم بأمرهم العام، وتناصرهم على قيام الكيان الاجتماعي..."[1].

٩- دعاة هذه المدرسة ينظرون إلى المرأة والرجل في إطار مفهوم الإسلام والإيمان بتســاو، ويعتقدون أن المستخلف في الأرض هو الإنسان وليس الرجل[2]، وأن نصوص الدين كلها تتناول الجنسين وموجهة لهما إلا نصًا خصص بدليل واضح، ظنهم حسن في المــرأة، لا يــرون فيها الفتنة والشيطان والإغواء دائمًا كما أنهم لا ينكرون وجود أي نوازع جنسية تلقائية تتخلل العلاقات بين الجنسين.

ولا ينظرون إلى المرأة كجوهرة لا بد أن تحفظ وتصان، وتدلع، ولا تتعرض لغبار ولا شمــس ولا عين... ولا يركزون على جوانب النعومة والرقة والعاطفة في المرأة فقط، بــل يــنظرون إلى قوتها، وعقلها، وحسن تدبيرها، وطول نفسها، وصبرها على الأذى ورهافــة حسها وذوقها الجمالي، وقوة الإيثار والتضحية عندها، وباختصار ينظرون إليها كإنســـان يمكــنه أن يغني التجربة البشرية، ويساهم في العمران وبناء الحضارة وصناعة الحــياة، وتنمية المجتمعات... لا كأنثى مخصصة للشهوة والإنجاب فقط، وفي هذا الإطار يــنادون بالاستفادة من قدراتها في كل المجالات، وإعطائها المواقع القيادية التي تمكنها من أداء دورهـــا في الحياة، لا بإذن الرجل وكرمه ومنته ، بل بتنازل الرجل عن بعض أنانيته وســطوته وغــروره، لأن ذلك حق لها وهي تستحقه في إطار هدى الإسلام وضوابطه وقــيمه المحكمة، طالما تتوافر لديها الكفاءة اللازمة لأداء تلك المهمة وشغل ذلك الموقع، ولا بد من النظر إلى مسألة الكفاءة والأهلية في ترشيح أي شخص لأي مهمة دون اعتبار الذكورة والأنوثة إلا بالقدر المتعلق بإتقان العمل وحسن الأداء اللازم.

---

[1]) الشيخ حسن الترابي "المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع" ، منشورات هيئة الأعمال الفكرية، الخرطوم، ١٩٩٧، ص ٣٣-٣٩ بتصرف واختصار لأقواله.

[2]) انظر: هبة رؤوف عزت "المرأة والعمل السياسي" مرجع سابق، ص ٥٦ وما بعدها.

١٠- هـــذه المدرســة لا تعتــبر رأيهــا حقًا مطلقًا كما هو الحال في المدرستين الســـابقتين، ومع ذلك لا تعتبر كل الاجتهادات صحيحة أيضًا بإطلاق... بل إنها تعتبر اجتهادات المخالفين في بعض الأحيان مقبولة وصحيحة ولكنها ليست راجحة، فمثلاً لا تـــرى بأن ستر المرأة وجهها إذا رأت ذلك ضلالاً وبدعة ، بل يقولون كما يقول الشيخ مـــتولي الشعراوي "إن النقاب لا مفروض ولا مرفوض"[1]، ومع ذلك يحبذون عدم فعل ذلك إذا كان يؤدي إلى تشويه الدين في نظر غير المسلمين، أو الحد من قدرة الداعية في أوســـاط النساء العامة، أو خلق بعض الشذوذ والتعقيد، أو إشاعة الانطباع بعسر الدين وصعوبته.

١١- تفقـــه الواقع وتواكب العصر والمستجدات، وتحاول طرح البديل الصالح لمفاسد الحياة الحديثة بدل الإنكار من غير بديل، تحاول إيقاد شمعة بدل أن تلعن الظلام.

١٢- يتـــبع المنهج النبوي في أنها ما خيرت بين أمرين إلا اختارت أيسرهما ما لم يكن إثمًا وذنبًا، وتحرض المسلمين أن يتشددوا في حق أنفسهم، ويأخذوا بالعزائم إذا رأوا في تـــرك الرخصة خيرًا، ولكنها توصي الدعاة والعلماء بأن يبحثوا عن الرخصة والحكم الأيســـر لعامـــة الـــناس، لأن من يؤم الناس فلا بد أن يخفف لأن الضعف في الناس هو الغالب، ثم إن الفقه هو رخصة من ثقة كما قال السلف.

١٣- ترى أن المرأة عانت من تسلط وهوى الذكورة دهورًا طويلة، وأن في المرأة ضعفًا فطريًا في القوى الجسدية، والقدرة على حماية نفسها من بطش الرجل، فلا بد من توفـــير الحمايـــة القانونـــية، وتوفير بعض مصادر الحصانة والقوة لها تكافئ قوة الرجل وســـيطرته وميله للجور إذا لم يكن تقيًا، وعدم الاكتفاء بإسناد الأمر إلى صلاح الرجل

---

[1]) الشيخ محمد متولي الشعراوي، "المرأة في القرآن" مرجع سابق، ص ١١٣.

وعدله، وعدم الصلاح غالب هذه الأيام للأسف الشديد، وطالما الأمر كذلك فلا بد من توفير تدابير حازمة لحماية الإنسان الذي لا يقدر على رد العنف وحماية نفسه.

المبحث الثالث

استنتاجات وتوصيات ختامية

وفى ختام هذه الدراسة نورد بعض التوصيات التى يرى الباحث أنها لابد أن تتحول إلى خطة عمل، ومشروع متكامل لمواجهة الفكر الأنثوى المتطرف بعد تفاقم خطره، وخطورة تهديده، وقبل سرد التوصيات نرى ضرورة أن نذكر مجموعة من الاستنتاجات التى توصل الباحث إليها وهى:

١-هذا الفكر الأنثوى المتطرف تتبناه مجموعات نسوية صغيرة الحجم قياسا إلى عموم الحركة النسائية فى العالم، ولكنها مجموعات متنفذة وتملك القرار، وتملك طرق ووسائل الضغط على متخذى القرار، وتتفق أهدافها مع العولمة الإمبريالية ولذلك فهى متحالفة معها، ومسيطرة على أجهزتها وخطابها المتعلق بشئون المرأة. وعلاقتها بالاستعمار الجديد مثل علاقة التبشير والاستشراق بالاستعمار القديم تماما.

٢-الأنثوية رؤية معرفية وأيديولوجية للعالم وليست حديثا حقوقيا أو سياسيا أو اقتصاديا عن المرأة، ولذلك فلابد من التفريق بينها وبين القضايا العادلة للحركة النسوية فى العالم، وهى فى سبيل تكوين رؤيتها الفلسفية الخاصة استفادت من أغلب المدارس الفكرية والفلسفية وتأثرت بالمبادئ الفلسفية التى صاغت الحياة الغربية المعاصرة فى فترتى الحداثة وما بعدها.

٣-تبنت هذه الأنثوية المتطرفة مجموعة من الآراء والخيارات تعتبر تهديدا مباشرا لكل الأديان والقيم والحضارات الإنسانية كما أنها تعتبر مهددا حقيقيا لقضية المرأة وحقوقها، وتزيد من معاناتها وحجم قضاياها، وهى آراء

تبدو أنها ظاهرة البطلان وهى كذلك فعلا، ولكنها فى الوقت نفسه آخذة فى الانتشار ويراد فرضها على العالم وهنا مكمن الخطر.

٤-الحركة النسوية العلمانية فى بلاد المسلمين لازالت لم تصل إلى بعض من هذه المعتقدات المتطرفة، ولكنها -وخصوصا اليسارية منها - تأثرت بالكثير من هذه الآراء وبدايات تكونها وإن كانت لا تعبر عنها بالطريقة الغربية تماما، ومع تصاعد درجة التأثر بالنموذج الغربى وفرضه، فإنها مهيأة فى ظل مرجعيتها العلمانية لتقبل المزيد منها، وهى الآن تسوق بعض الأفكار وتدعو للالتزام ببعض الاتفاقات التى هى نابعة من الفكر الأنثوى المتطرف وإن كانت المظلة هى الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، بل وتضغط على دولنا فى هذا الاتجاه بشتى الوسائل المدعومة فى ذلك من الغرب.

٥-بالرغم من خطورة التحدى الأنثوى، وأهمية قضية المرأة عموما، فإن الفكر الإسلامى لا زال يفتقر إلى دراسات علمية متخصصة تعالج المشكلات والتحديات المعاصرة وتؤسس لرؤية إسلامية قائمة على الفعل والمبادرة والإيجابية والشمول والعمق والمعاصرة، ولا زالت معالجات الحركات الإسلامية تتسم بالكثير من ردود الفعل، والسطحية، والإفراط والتفريط والتأثر بالتقاليد والمذهبية المفرطة، وفقه عصور الانحطاط ؛ ومن هذا المنطلق فإن الباحث أراد أن ينبه لخطورة الموضوع ويساهم بجهده المتواضع فى زوايا مختلفة فكرية وفلسفية، اجتماعية وتربوية، سياسية وأمنية وعدم اقتصار على تناول المرأة من باب الفقه والقانون فقط، لأن الأمر تجاوز ذلك وتداخلت أبعاده.

توصيات

وبعـــد سرد الاستنتاجات السابقة يرى الباحث ضرورة أن يطرح التوصـــيات التالـــية حـــتى يتمكن المسلمون من مواجهة تحديات العولمة الثقافية والاجتماعية ويطرحوا بديلا حضاريا للعالم.

١-لابد من القيام بمراجعة شاملة لفكرنا وثقافتنا، لقوانيننا ودساتيرنا، ونطهـــرها من كل تمييز ظالم ضد المرأة حتى يتسنى لنا أن نواجه هذه الأفكار بقـــوة وحـــتى لا ندع فرصة لكي تعالج قضايا المرأة في بلادنا بتلك المفاهيم والمعالجات.

٢-لابـــد مـــن تطهـــير مجتمعاتنا وممارساتنا العلمية في المجتمع والأسرة والمؤسســـات مـــن التميـــيز والإجحاف أيضا، لأن هذا هو الخطوة العملية والجوهرية وهو الأثر المباشر للنقطة السابقة.

٣-وفي إطار معالجة أوضاعنا وفي السياق نفسه، لابد من توفير الوسائل العملـــية والقانونـــية الكفـــيلة بتنفيذ برامجنا الإصلاحية مثل محاكم خاصة، وهيئات مراقبة، وقوانين ردع للخارجين والمتلاعبين بحقوقها، وإصلاح قوانين الأحـــوال الشخصـــية لـــتكون شرعية ومواكبة، وتقنين المباحات كالطلاق والـــتعدد وتقييدها حسب الاقتضاء، وتفعيل نظام التحكيم الوارد في القرآن لعلاج المشكلات الزوجية.

٤-وفي إطـــار الإصـــلاح أيضا لابد من توعية الناس جميعا بهذا الأمر وخطورتـــه وأبعـــاده، ولابـــد من توعية الدعاة قبل كل الناس حتى يدركوا ضرورة الأمر ويدعوا الناس بعد ذلك لتحمل مسئولياتهم.

٥-لابد من إصلاح مؤسسات التربية والتوعية والتنشئة العامة بدء من الأسرة التى لابد من الاهتمام الجاد بها وتحسين أدائها حتى لا توصل فى نسائنا عقدة النقص الأنثوى، وأن المرأة أنثى مخلوقة لوظائف محددة، وتحصر اهتمامات بناتنا فى سفاسف الأمور والطاعة والخنوع والقهر والإمعية.. ومرورا بالمساجد وخطبها ودروسها وحلقاتها، والإعلام وبرامجه وتأثيره السحرى، وانتهاء بالمدرسة ونظمها ومناهجها التعليمية المختلفة التى لها الدور الأعظم فى تنشئة المجتمعات.

٦-لابد من مراجعة الفكر الإسلامى المعاصر الذى تبنته الحركات الإسلامية التى نعتمد عليها فى تغيير أوضاعنا الفكرية والاجتماعية والسياسية، ولابد لهذه الحركات أن تعي قضية المرأة بشكل أعمق، وأن تلتفت لدور المرأة الحاسم فى كل صراع اجتماعى أو سياسى وفى كل تغيير جذرى وحقيقى.

٧-لابد لهذه الحركات أن لا تمارس التمييز السلبى ضد النساء فى داخل برامجها وهياكلها وأنشطتها، واهتماماتها ومواقع اتخاذ القرار فيها، ولابد أن لا يمارس الرجال دور الحجب والاقصاء والتهميش ضد النساء، ولا يخصصوا الرجال بما ليس خاصا بهم بنص قاطع، فليس هناك فى ديننا إسلام رجالى وإسلام نسائى ولا مسلم درجة أولى ودرجة ثانية، وبالتالى ليس هناك عضوية درجة أولى ودرجة ثانية داخل الحركة الإسلامية.

٨-لابد لهذه الحركات أن تبتعد عن الإفراط والتفريط، وأن لا تلزم الناس بخلافات المذاهب الفقهية، وبما لم يلزمهم الله به.

٩-لابد من مراجعة حجم مشاركة المرأة فى نهضتنا الحضارية، ودراسة سلبيات وعواقب تخلف المرأة وأميتها وبعدها عن دينها على بنياننا وكياننا، ودور كل ذلك فى تأخرنا وتخلفنا.

١٠-لابـد مـن المـبادرة لتأسيس منظمات وجمعيات نسوية وشبابية ومـنظمات للاهـتمام بالسكن والديموغرافيا والإنجاب وصحته، ومنظمات وجمعيات لحقوق الإنسان وصحة البيئة والاهتمام بالريف وتنميته.. الخ لكى نعـالج كـل هذه الأمور وغيرها فى إطار رؤية إسلامية أصيلة ورؤية وطنية مخلصة.

١١-لابـد مـن المـبادرة لتأسيس مراكز دراسات وبحوث متخصصة ومتمكـنة تنطلق من رؤية صحيحة، وتؤسس لعمل فكرى وثقافى شامل، لأن أيـة حركة اجتماعية لا تكون مسنودة بعمل فكرى وثقافى لا تنجح ولا تبلغ مداهـا المطلوب، وحتى نبنى مشروعنا الإصلاحى على رأى علمى مدروس، ونضع برامجنا وخططنا على ضوء بحوث واختبارات وإحصاءات ميدانية تجمع بين فقه الدين وفقه الواقع.

١٢-تأسـيس مؤسسـات متخصصة لتربية كوادر وقيادات نسائية فى مخـتلف المجالات، وإيجاد رعاية خاصة للنوابغ والمبدعات منهن بتوفير فرص التعليم والتدريب لهن.

١٣-ينـبغى تفعـيل الـروابط الإسلامية النسوية على مستوى العالم الإسـلامى، وعقد لقاءات وندوات وإقامة مؤتمرات وأنشطة مشتركة لبلورة رأى وموقـف قوى وواضح وموحد من التحديات التى تواجه المرأة المسلمة

محليا وعالميا، ولتوحيد الرؤى والتنسيق فى المواقف عندما تقام مؤتمرات عالمية لمناقشة قضايا المرأة والسكان والتنمية وغيرها.

١٤-ضرورة التنسيق والتعاون مع الحكومات والجمعيات والمنظمات المناهضة للأنثوية كمنظمات الأسرة (Pro-family)، ومنظمات حق الحياة (Pro-life) وغيرها وتكوين جبهة مشتركة مع أهل الأديان الأخرى لأن الخطر يهدد الجميع. ولابد من الاستعانة بأية قوة لدرء هذا الخطر.

١٥-ضرورة تكثيف الضغط على الحكومات ومراكز القرار حتى لا توقع على أية اتفاقيات غير متوافقة مع ديننا وحضارتنا، وأن تتمسك بتحفظاتها واستقلال شعوبها فى تقرير أوضاعها الخاصة، وتقاوم ذوبان حضارات العالم فى الهيمنة الأمريكية والاستعمار الجديد.

١٦-تشجيع الحكومات لوضع لوائح وقوانين لمراقبة علاقات المنظمات الوطنية المحلية بالمنظمات والحكومات الأجنبية للحيلولة دون إنفاذ سياسات وأجندة أجنبية من خلال الدعم المقدم لمنظماتنا الأهلية، ووضع عقوبات رادعة للمخالفين.

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم

٢- أبـو زيد، نصر حامد، (دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة)، (بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٩م).

٣- الأبـيض، الدكتور أحمد، (مقاربة إسلامية للإستلاب النسائي)، (الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ١٩٩١م).

٤- الأزدي، سليمان بن الأشعث السجستاني، (سنن أبي داود)، (دار الفكر)، محمد محي الدين عبد الحميد.

٥- أسد، محمد، (الإسلام على مفترق الطرق)، ترجمة الأستاذ عمرو فروخ، (بيروت: دار العلم للملايين).

٦- إسماعـيل، محمـد بن أحمد، (عودة الحجاب)، دار طيبة للنشر، ١٩٩٨.

٧- الأصـفهاني، الراغب، (المفردات في غريب القرآن)، تحقيق محمد سيد كيلاني، (بيروت: دار المعرفة).

٨- إمـام ، الدكتور إمام عبد الفتاح، (الفيلسوف المسيحي والمرأة)، (القاهرة: مكتبة مدبولي ١٩٩٦م).

٩- إمـــام ، بروفســـير زكريا بشير، (المرأة والعولمة والهوية الثقافية)، (الخرطوم : ورقة مقدمة لمركز دراسات المرأة، ٢٠٠٠م)
١٠- إيفانز، سارة م، (الحرية ونضال المرأة الأمريكية)، (عمان: الدار الدولية للنشر والتوزيع)، ترجمة أميرة فهمي.
١١- ابـــادي، محمد شمس الحق العظيم، (عون المعبود)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥).
١٢- الـــباز، شـــهيدة، (المنظمات الأهلية العربية على مشارف القرن الواحـــد و العشـــرين)، (القاهـــرة: لجنة المتابعة لمؤتمر التنظيمات الأهلية العربية، ١٩٩٧م).
١٣- الـــبخاري،محمد بن إسماعيل، (صحيح البخاري)، (بيروت: دار ابن كثير اليمامة، ١٩٨٧م)،د. مصطفي ديب البغا.
١٤- بـــدري، د. بلقـــيس بـــدري، (المساواة بين الجنسين والإنصاف والعـــدل وتمكـــين المرأة)، (بيروت: ورقة مقدمة للمؤتمر العربي حول تنفيذ برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان، ١٩٨٨).
١٥- البســـتي، محمد بن حبان التميمي، (صحيح ابن حبان)، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
١٦- البغدادي، علي بن عمر الدارقطني، (سنن الدارقطني)، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٦م)، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني.

١٧- بوفوار، سيمون دي، (الجنس الآخر)، (بيروت: منشورات المكتبة الحديثة، ١٩٧١م)، ترجمة لجنة من أساتذة الجامعة.

١٨- بيتر، مونيك، (المرأة عبر التاريخ)، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٩ م)، ترجمة هنريت عبودي.

١٩- البيهقي،أحمد بن الحسين بن علي، (سنن البيهقي الكبرى)، (مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٩٩٤م)، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

٢٠- الترابي، الشيخ حسن، (المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع)، (الخرطوم: هيئة الأعمال الفكرية، ١٩٩٧م).

٢١- الترمذي، محمد بن عيسي، (سنن الترمذي)،(بيروت: دار إحياء التراث العربي)، تحقيق أحمد شاكر وأخرون.

٢٢- التريكي، د. فتحي؛ د.رشيدة، (فلسفة الحداثة)، (لبنان: مركز الإنماء القومي، ١٩٩٢م).

٢٣- جاد، الدكتور حسيني سليمان، (وثيقة مؤتمر السكان والتنمية – رؤية شرعية)، (وزارة الأوقاف القطرية، ١٩٩٦م).

٢٤- جاردنر، ريتشار، (نحو نظام عالمي جديد – السياسة الخارجية الأمريكية والمنظمات الدولية)، (مكتبة الوعي العربي) ترجمة أحمد شناوي.

٢٥- حبيب، الدكتور رفيق، (المقدس والحرية)، (مصر: دار الشروق، ١٩٩٨.

٢٦- حجـــر، أحمـــد بن علي بن حجر، (فتح الباري)، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـــ)، تحقيق محمد بن فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب.

٢٧- الحرســـاني عصـــام؛ الحسناوى محمد، (عالم المرأة)، (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٧م).

٢٨- حســـن، الدكـــتور حســـن محمد، (النظرية النقدية عند هربرت ماركيوز)، (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ١٩٩٣).

٢٩- الحسين، آمال قرداش بنت الحسين، (دور المرأة في خدمة الحديث النـــبوي في القـــرون الثلاثة الأولي) ، (قطر : سلسلة كتاب الأمة، العدد (٧٠)، ١٩٩٩م).

٣٠- حسين، عادل (المرأة العربية نظرة مستقبلية)، (القاهرة : سلسلة دراســـات عن المرأة العربية في التنمية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا التابعة للأمم المتحدة).

٣١- حقي، إحسان، (آراء في محاضرات)، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥).

٣٢- حـــوراني، يوســـف، (الإنســـان والحضـــارة – مدخل دراسة)، (بيروت– صيدا: منشورات المكتبة العصرية).

٣٣- الدركـــزلي، الدكتورة شذى سلمان، (المرأة المسلمة فى مواجهة التحديات المعاصرة)، (عمان: روائع الجدلاوي، ١٩٩٧م).

٣٤- دريفوس، أوبير؛ رابينوف، بول، (ميشيل فوكو مسيرة فلسفية)، (بيروت: مركز الإنماء القومي)، ترجمة جورج صالح.

٣٥- شلبي، الدكتور أحمد ، (صراع الحضارات)، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية).

٣٦- رسام، أمل، (الدراسات الإجتماعية عن المرأة في العالم العربي)، (بيروت: المؤسسة العربية للنشر ، ١٩٨٤)

٣٧- ريفيل، جان فرانسوا، (رياح التغيير)، (بيروت: دار الآفاق، ١٩٧٠م)، ترجمة فؤاد موبساتي.

٣٨- الريماوي، محمد عودة، (سيكولوجية الفروق الفردية والجمعية في الحياة النفسية)، (بيروت: دار الشروق، ١٩٧١م).

٣٩- الزحيلي، وهبة، (التفسير المنير)، (دمشق: دار الفكر).

٤٠- الزحيلي، وهبة، (الفقه الإسلامي وأدلته)،(دمشق: دار الفكر، ١٩٨٩).

٤١- الزرقا، مصطفى، (المدخل الفقهي العام)،(دمشق:دار القلم، ١٩٨٨م).

٤٢- ستيس، والتر، (الدين والعقل الحديث)، (القاهرة : مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م)، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام.

٤٣- السعداوي، د. نوال، (الرجل والجنس)، (بغداد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦م).

٤٤- السعداوي، د. نوال، (الوجه العاري للمرأة العربية)، (بيروت: المؤسسة العربية للنشر).

٤٥- السمالوطي، الدكتور نبيل، (الدين والتنمية في علم الإجتماع)، (الرياض: دار المطبوعات الجديدة، ١٩٩٢).

٤٦- شرابي، الدكتور هشام، (البنية البطركية)، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٧م).

٤٧- شرابي، الدكتور هشام، (النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي)، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢).

٤٨- الشعراوي، الشيخ محمد متولي ، (المرأة في القرآن الكريم)، (القاهرة: أخبار اليوم، ١٩٨٨م).

٤٩- شفيق، منير، (الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات)، (تونس، دار البراق، ١٩٨٩م).

٥٠- شلتوت، محمود؛ السايس، محمد علي، (مقارنة المذاهب في الفقه)، (القاهرة: ط محمد علي صبح وأولاده بالأزهر، ١٩٥٣م).

٥١- الشوكاني، محمد بن علي، (نيل الأوطار)، (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣م).

٥٢- الشيباني، أحمد بن حنبل، (مسند أحمد)، (مصر: مؤسسة قرطبة).

٥٣- الصدة، هدى وأخريات، (زمن النساء والذاكرة البليدة)، (القاهرة: مجموعة أبحاث، "ملتقى ذاكرة المرأة"، ١٩٩٨).

٥٤- الصنعاني، أبو بكر عبد الرازق (مصنف عبد الرازق)، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٥٥- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، (المعجم الأوسط)، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله الحسيني.

٥٦- الطحان، مصطفي، (العولمة تعيد صياغة العالم)، (الكويت: المركز العالمي للكتاب الإسلامي، ١٩٩٨م)

٥٧- طرابيشي، جورج، (شرق وغرب – رجولة وأنوثة)، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧م).

٥٨- ظاهر، عادل، (أسس الفلسفة العلمانية)، (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨).

٥٩- الظاهري، علي بن أحمد بن حزم، (المحلي)، (بيروت: دار الأفاق الجديدة)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي.

٦٠- عباس، د. راوية عبد المنعم، (ديكارت والفلسفة العقلية)، (بيروت: دار النهضة العربية ، ١٩٩٦م).

٦١- عبد الماجد، عواطف، (رؤية تأصيلية لاتفاقية مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة)، (الخرطوم: مركز دراسات المرأة، ١٩٩٦م).

٦٢- عبد الهادي، أبو سريع محمد، (زواج المتعة)، (القاهرة: الدار الذهبية، ١٩٩٤م).

٦٣- عزت، هبه رؤوف، (المرأة والعمل السياسي)، (أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥).

٦٤- عقراوي، محمد رشدي عبيد، (الحداثة والمرأة)، بحث مخطوط.

٦٥- عقراوي، محمد رشدي عبيد، (المشاعية)، بحث مخطوط.

٦٦- العلوي، هادي، (فصول عن المرأة)، (بيروت دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٦م).

٦٧- عويدات، حسين، (المرأة العربية في الدين والمجتمع)، (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ١٩٩٦).

٦٨- غارودي، روجيه، (أمريكا طليعة الانحطاط)، (لبنان: دار عطية للنشر، ١٩٩٨م)، (ترجمة صياح الجهيم وميشيل خوري).

٦٩- غارودي، روجيه، (في سبيل ارتقاء المرأة)، (بيروت: دار الآداب، ١٩٥٩م)، ترجمة الدكتور حلال مطرجي.

٧٠- الغذامي، عبد الله محمد، (المرأة واللغة)، (بيروت: المركز الثقافي

العربي، ١٩٩٧م).

٧١- الغــزالي، الشيخ محمد، (الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر)، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٥م).

٧٢- الغــزالي، الشــيخ محمــد، (قضــايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة)، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٠م).

٧٣- الغنوشــي، الشيخ راشد، (المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي)، (الكويت: دار القلم، ١٩٩٣م).

٧٤- فــرانكل، تشارلز، (أزمة الإنسان الحديث)، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٩م)، ترجمة نقولا زيادة.

٧٥- القرضــاوي، الدكتور يوسف، (مركز المرأة في الحياة الإسلامية)، (القاهرة، مكتبة وهبه، ١٩٩٦م).

٧٦- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، (تفسير القرطبي)، (القاهرة: دار الشعب، ١٣٧٢هـــ)، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

٧٧- القضــاعي، محمد بن سلامة، (مسند شهاب)، (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٣٧٩هـــ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد.

٧٨- كــاريل، ألكسيس، (الإنسان ذلك المجهول)، (دار الجديد ، دار الرشيد١٩٨٦ م)، ترجمة قسم التأليف والترجمة.

٧٩- الكتاب المقدس

٨٠- الكسي، عبد بن حميد بن نصر، (مسند عبد بن حميد)، (القاهرة: مكتبة السنة، ١٩٨٨م)، تحقيق صبحي البدري السامرائي، محمود الصعيدي.

٨١- كمال الدين، أحمد،(المرأة والعولمة والنظام العالمي الجديد)،(الخرطوم: ورقة مقدمة لمركز دراسات المرأة،٢٠٠٠).

٨٢- لجنة في وزارة التخطيط الإجتماعي السوداني، (الآثار الاجتماعية للعولمة)، بحث غير منشور،٢٠٠٠م.

٨٣- لودتلك، لوثر س، (بناء أمريكا)، (الأردن: مركز الكتب، ١٩٨٩ م)، ترجمة إيمان أنور ملحس.

٨٤- ماركيوز، هربرت، (نحو ثورة جديدة)، (بيروت: دار العودة، ١٩٧١م)، ترجمة عبد اللطيف شرارة.

٨٥- المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، (تحفة الأحوذي)، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٨٦- مجموعة باحثين، (المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي) ، (اسطنبول: مطبعة nesil، ١٩٩٦).

٨٧- مجموعة كتاب، (المرأة في التراث الاشتراكي)، (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٧)، ترجمة جورج طرابيشي.

٨٨- المرنيسي، فاطمة، (الجنس كهندسة اجتماعية)، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦)، ترجمة فاطمة الزهراء.

٨٩- المرنيسـي، فاطمـة، (ما وراء الحجاب)، (دمشق: دار حوران، ١٩٩٧م)، ترجمة أحمد صالح.

٩٠- المسيري، د. محمد عبد الوهاب، (إشكالية التحيز)، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي: الجزء الأول).

٩١- المقدسـي، أبـو عـبد الله محمد عبد الواحد الحنبلي، (الأحايث المختارة)، (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠هـ)، تحقيق عبد الملك بن عبد الله.

٩٢- مل، جون ستيوارت، (استعباد النساء)، (القاهرة: مكتبة مدبولي)، ترجمة الدكتور إمام عبد الفتاح إمام.

٩٣- موسـى، سـلامة، (المـرأة ليست لعبة الرجل)، بدون ناشر ولا تاريخ).

٩٤- النورسي، سعيد، (كليات رسائل النور - الكلمات)، (اسطنبول: دار سوزلر، ١٩٩٢م)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي.

٩٥- نوفـاك، ميخائـيل، (روح الرأسمالية الديموقراطية)، (عمان: دار البشير، ١٩٨٩م)، ترجمة عالية جوده.

٩٦- النيسابوري، محمد عبد الله الحاكم، (المستدرك على الصحيحين)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

٩٧- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، (صحيح

مسلم)، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٩٨- هـــازار، بـــول، (الفكـــر الأوربي)، (مصر: دار الحداثة للطباعة والنشر، ١٩٨٥م)، ترجمة الدكتور. محمد غلاب.

٩٩- هوفمان، مراد، (الإسلام هو البديل)، (الكويت: مؤسسة بافاريا، مع مجلة النور، ١٩٩٣م).

١٠٠- الهيثمي، علي بن أبي بكر، (مجمع الزوائد)، (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـــ).

١٠١- ياسين، بو علي، (حقوق المرأة العربية في الكتابة العربية منذ عصر النهضة)، (دمشق، دار الطليعة الجديدة، ١٩٩٨م).

الموسوعات ودوائر المعارف

١٠٢- (المنجد في اللغة والإعلام)، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٨م).

١٠٣- (الموســـوعة الفلسفية المختصرة)، (مكتبة الأنجلو المصرية)، ترجمة فؤاد كامل وآخرون، مراجعة الدكتور زكي نجيب محمود.

١٠٤- زيادة، د. معن وآخرون، (الموسوعة الفلسفية العربية)، (بيروت: معهد الاتحاد العربي، ١٩٨٨).

١٠٥- مجموعـــة باحثين، (الموسوعة الفلسفية السوفيتية)، (بيروت: دار

الطليعة، ١٩٩٧م)، ترجمة سمير كرم.

١٠٦- مجموعــة باحثين، (الموسوعة العربية الميسرة)، (بيروت: دار نهضة لبنان، ١٩٩٧م) إشراف محمد شفيق غربال.

١٠٧- مجموعة من العلماء (الموسوعة العربية العالمية)، (الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ١٩٩٩)، إشراف مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية.

المراجع باللغة الفارسية

١٠٨- جيدنز، أنتوني، (جامعة شناسي)، (طهران: منشورات (ني)،١٩٨٩ م)، ترجمة منوجهرى صبوري.

١٠٩- محمــدي، عبد الله، (حكومت آشنايي با علم سياست)، (طهران: مؤسسة انتشارات بيام، ١٣٧٣هـــ. ش).

١١٠- ميشـــيل، أندريـــه، (بيكار با تبعيضي جنسي)، (طهران: مؤسسة انتشارات نكاه، ١٣٧٦هـــ.ش)، ترجمة محمد جعفر بيونده.

المراجع باللغة الكردية

١١١- مظهـــر، دكتور كمال، (ئافره ت له ميزوودا)، (بغداد: جابخانه ي (حوادث)، ١٩٨١).

المراجع باللغة الإنجليزية

113- Ramazan Oglu, 1989, Feminism as a Theory of Oppression.

114- Maggi Humm, 1992, Feminism as a Reader, Harvester Wheatsheaf.

115- Eisenstein, H. 1984, contemporary Feminism thought.

116- Benhabib, S. et. Al. eds, 1995, Feminism contention, Routledge.

117- Putnam, R. 1998, Feminist thought, west view Press, U.S.A.

118- Armstrong et. al., 1992, Uncovering Reality: Excavating lumen's Right in Africa

Family law.

المجلات والدوريات والنشرات

١١٩- مجلة (المرأة العربية)، الإتحاد العام للمرأة العربية، العدد (٥)، بغداد، ١٩٨٧م.

١٢٠- قضـــايا دولية ، تقرير سياسي أسبوعي صادر من معهد الدراسات السياسية، باكستان، الأعداد (٢٤٧) و(٢٤٦)و (٢٤٤).

١٢١- مجلـــة (السياســـة الدولية)، تصدر من مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤسسة الأهرام، العدد (١١٨)، القاهرة ، أكتوبر ١٩٩٤.

١٢٢- مجلـــة (المجـــتمع)، تصدر من جمعية الإصلاح الاجتماعي أسبوعيًا، الكويـــت، الأعداد (١٣٩١) في ٢٠٠٠/٣/٧ و (١٣٨٧)في ٢٠٠٠/٢/٨ و (١٤٠١) في ٥/٢٣/ ٢٠٠٠و (١٢٤٨) في ٢٩/ ٤/ ٢٠٠٠.

١٢٣- مجلة (المشاهد السياسي) صادرة من B.B.C، العدد (٥٩)، لندن، ١٩٩٧م.

١٢٤- مجلة (عالم الفكر)، وزارة الثقافة والإعلام، المجلد التاسع، العدد (٤)، الكويت.

١٢٥- مجلة (الأهرام العربي)، مؤسسة الأهرام، السنة الثالثة، العدد (١٣٦) أكتوبر ١٩٩٩م.

١٢٦- مجلة (فلسطين المسلمة)، العدد (٤)، إبريل، لندن، ٢٠٠٠.

١٢٧- مجلة (دار السلام)، العراقية، العدد (١٣٩) نيسان، لندن ٢٠٠٠، العدد (١٤١) آب، ٢٠٠٠.

١٢٨- مجلة (المستقبل العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (٣٤)، ديسمبر، لبنان، ١٩٨١

١٢٩- مجلــة (العــربي)، وزارة الثقافة والإعلام، العدد ٤٩٤، الكويت، ٢٠٠٠.

١٣٠- مجلة (النهج)، العدد (٥٥)، سوريا، ١٩٩٩م.

١٣١- مجلــة (قــراءات سياسية)، مركز دراسات الإسلام والعالم، السنة الثالثة، العدد ٢، ربيع، أمريكا، ١٩٩٣.

١٣٢- مجموعــة من النشرات الخاصة بالدعاية لاتفاقية (سيداو) والصادرة من (منظمة الأمم المتحدة للأطفال اليونيسيف) بالتعاون مع اليونيفام، منظمة الأمم المتحدة للأطفال، المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، الأردن عمان.

١٣٣- نشرة صادرة بعنوان (٧٠ مخالفة تقع فيها النساء يجب الحذر منها)، راجعها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار ابن خزيمة، الرياض.

١٣٤- لقــاء ومقابلــة مســجلة على الكاسيت مع البروفسير (ريتشارد ويلكز) رئيس جمعية صوت المرأة الأمريكية.

١٣٥- نــدوة قاعة الشهيد الزبير للبروفسير ريتشارد ويلكز والبروفسيرة كاثرين بالم فورث، مركز لينه للإنتاج الإعلامي، الخرطوم، ٢٠٠٠.

١٣٦- ندوة للإتحاد النسائي الإسلامي حول (اتفاقية سيداو) تقديم الأستاذة عواطف عبد الماجد، ومولانا فريدة إبراهيم، والدكتورة خديجة كرار ٢٠٠٠.

محتويات البحث

نبذة عن المؤلف

-مثنى أمين نادر الكردستاني

-حلبجة – العراق – ١٩٧٠

*حاصل على:

-بكالوريوس الشريعة والدراسات الإسلامية

-ماجستير العقيدة ومقارنة الأديان

-دبلوم عالي في العلوم السياسية / العلاقات الدولية

-ماجستير في العلوم السياسية / العلاقات الدولية

-باحث دكتوراه في العقيدة والفلسفة

* له مجموعة من البحوث والكتب منها :

١-حقوق المواطن غير المسلم في الدولة الإسلامية (مطبوع)

٢-الاجماع حقيقته وحجيته (مخطوط)

٣-الأدب الإسلامي بين الضرورة والواقع (مخطوط)

٤-قضايا القوميات والعلاقات الدولية / دراسة حالة القضية الكردية (رسالة ماجستير-مخطوطة)

٥-الإمام سعيد النورسي والعقيدة القرآنية جهاد واجتهاد (مخطوط)

٦-بالإضـــافة إلى نشـــر العديـــد من المقالات في العديد من المجلات ومواقع الإنترنت حول مختلف قضايا الفكر والسياسة.

٧-شـــارك في العديـــد من المؤتمرات والندوات العلمية في العديد من الدول العربية.

٨-عمـــل باحثا ومستشاراً لقضايا المرأة في اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل.